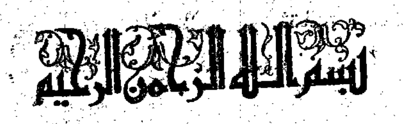
# الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي

موسوعة شاملة لشبهات الأدب والثقافة والتاريخ
والسياسة والاجتماع وتراجم الأعلام والمؤلفات
تضم أكثر من مائتي مصطلح

أنور الجندي

دار الاعتصام



## مدخل الى البحث

فى طريق مسيرة الفكر الاسلامى والقافة العربيـــة الطويلة عبر القرون الطويلة وبالاحتكاك مع الثقافات المختلفة ، فانه قد صادف عديدا من المذاهب والدعوات التى حاولت أن تنحرف به عن مذاهبه وقيمه ، وقد عادت هذه الشبهات والأخطاء متجمعت مرة أخرى فى السنوات المائة الأخيرة مجددة كل التحديات والافتراءات التى بثتها الباطنيـــة والمجوسية والفلسفات الوثنية ودعوات التحلل والانحراف والزندقـــة والاباحـــة التى عرفت فى عصور ما قبل الاســـلام وجمعها الاستعمار والصهيونية العالمية تحت اسم ( التغريب والغزو الثقافى ) وجند لها قوى متعددة منها التبشير والاستشراق والشعوبية ومعاهد الارساليات وكثير من الصـــحف والدعاة والأسماء اللامعة .

ولقد استثمرت فى السنوات الأخيرة هذه الشبهات والأخطاءوأصبحت نتيجة لترديدها المتصل ولتسربها الى مناهج الدراسة والى أصول الثقافة والى مصادر التاريخ ــ خاصة تلك النظريات الولفدة التىفرضها التغريب فى مجال الأدب والأجنابى ومقارنة الأديان وعلم النفس وفلسفات الاجتماع والاقتصاد والتربية والقانون ــ كل هذا جعل كثيرا من هذه الشبهات تبدو وكأنها حقائق ، أو يجرى التسليم بها دون مراجعـــة أو تعمق فى ظل من الغفلة عن الأهداف الماكرة التى تختفى وراءها .

بل ان كثيرا من هذه الشبهات قد أغرت كثيرا من أصحاب الأقـــلام المخلصة من غير قصد ، نتيجة لاستشراء الخطـــأ المتـــداول مثل مايســـمى باستبداد السلطان عبد الحميد أو ما يسمى بالاستعمار العثمانى ، وكلاهما من الكلمات التى نسقتها يد التآمر فى محاولة تمزيق وحدة العالمالاسلامى واثارة الشبهات حول حقائق تاريخية أريد لها أن تدفن وتختفى .

والحق أننا فى أشـــد الحاجة اليوم الى العمل المتصل لتحرير الفكر الاسلامى والثقافة العربية مندخائل التبشير والتغريبوالشعوبية والكشف

عن الأخطاء الشائعة وتصحح المفاهيم وتطبيق قانون الجرح والتعديل على الـكتاب الذين عرفوا بالخصومة لفكر العرب والمسلمين ، والذين لايتركون فرصة تمر دون النيل من قيم فكرنا وذاتية أمتنـا وكياننا ، وليست هـذه المحاولة بدعا فى تاريخ الفكر الاسلامى والثقافة العربية ولـكنها تبـدو متواضعة ازاء محاولات ضخمة فى هذا المجال منها :

رد ابن تيمية على المناطقة ، ورد الغزالى على الباطنية ، ورد ابن حزم على الفرق ، وكتاب تلبيس ابليس لابن الجوزى ، وكتاب العواصم من القواصم للقاضى ابن العربى ، وكتب أخرى فى العصر الحـديث منها الرد على الدهريين لجمال الدين الأفغانى ، والاسلام والنصرانية بين العلم والمدنية للشيخ محمد عبده وشبهات النصـارى وحجج الاسـلام للسيد رشيد رضـا .

ومن الحق أن يقال انه قد أصبحت هناك ضرورة لقيام علم يطلق عليه .

( علم المواجهة وكشف الشبهات وتصحيح المفاهيم ) .

يقوم على أساس تحرير قضايا الفكر ، ودراسة المصطلحات المختلفة السارية المتداولة ، وكشف وجهة نظر الفكر الاسـلامى فيها ، وابراز مفهوم الاسلام للقيم المختلفة ، وهو مفهوم يختلف قطعا عن مفاهيم الفكر الغربى والفكر الشرقى جميعا لهذه القيم .

ولا شك أن الدعوة الى تصحيح المفاهيم عمل كبير الأهمية فى هذه المرحلة من حياة أمتنا وحياة الفكر الاسلامى والثقافة العربية ، اذ يتطلب القاء نظرة واسعة على الأخطاء الكثيرة التى ترددت فى العصر الحـديث وتضمنتها الأبحاث والمؤلفات والكتب الدراسية المقررة والمفاهيم التعليمية المختلفة التى حاول النفوذ الأجنبى والاسـتعمار الفكرى فرضـها ودعمها وتعميقها وصقلها وتجديدها كلما بليت واعطاءها صورة الحقائق الأساسية التى لا تقبل الشك بينما هى زائفة ليس لها أصل علمى تعتمد عليه أو سند تاريخى يضمن الثقة بها ، وقد شجع على ذيوعها سقوط فكرنا فيما يسمونه فترة التقليد والترديد الببغائى دون وعى حصيف أو تقليب واع أو محاذرة يقظة لكل مايقوله خصوم هذه الأمة وهذا الفكر .

ونحن لا ندعو الى الخصومة ازاء كل ما يقال ولكن نطالب بالحـذر واليقظة حتى لا نخدع ولا يدلس علينا بالزائف من القول الذى ينقض حقنا وحقائقنا .

ولقد ظهرت فى السنوات الأخيرة مجموعات متعددة من الشبهات والأخطاء :

منها شبهات التبشير ، وشبهات الاستشراق ، وشبهات بروتوكولات صهيون ، والاسرائيليات الجديدة ، وشبهات المذاهب والدعوات المادية والاباحية الوثنية التى صيغت فى قوالب علمية براقة خادعة لا تستطيع أن تصمد أمام ضوء الحقائق الكاشف الذى يعريها ويفضح خبيئتها .

ولقد كان الفكر الاسلامى ولا يزال — استمدادا من مصادره الاسلامية القرآنية — على المحجة البيضاء ، ولكنه أصيب بالإنحراف والاضطراب حين انصرف أهله عن أصوله القائمة على التوحيد والحق والعدل وترابط المادى والمعنوي معا .

ولقد واجه الفكر الاسلامى عملية الغزو الفكرى والثقافى منذ قديم، واستطاع فى معركته الأولى أن يتحرر من كل هذه الزيوف ، وأن يستعيد طابعه وذاتيته بعد حرب عنيفة مع الوثنيات اليونانية والمجوسية والهندية القديمة .

وهو اليوم قادر أيضا على اداء هذه الرسالة ، يقظ لكل مايراد به ، متفتح الآفاق لكل الثقافات والمفاهيم ، يأخذ منها ويرفض على قاعدته الأساسية العميقة الجذور ، وهو بقوته الذاتية المستمدة من القرآن قادر على كشف الزيف ورفض الخطأ ودحض الشبهة.

ولقد كان على طلائع اليقظة العربية الاسلامية فى العصر الحديث أن تعرف هدف حركة التغريب من بث هذه الشبهات والأخطاء ، وهو هدف واضح يرمى الى توهين القيم الاسلامية وتفتيت وحدة الفكر الاسلامى والثقافة العربية واثارة الخلاف بين الشعوب الاسلامية والعربية ، ووضع اسفين ضخم بين العرب والأمم الاسلامية كالترك والفرس وغيرهم ،وكذلك بعثرة القوى الوطنية .

ولقد كانت حركة اليقظة العربية الاسلامية منذ جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده على علم تام بأن هناك محالة دائمة مستمرة لتحريف الفكر الاسلامى ( أصوله وتعاليمه وأحكامه ) تارة بالانتقاص منها أو بالزيادة فيها وثالثة بتأويلها على غير وجهها .

وكان هدف التبشير والاستشراق أساسا هو العمل على الحط من شأن العرب والمسلمين فى نفوسهم وتشجيع العمليات جريا وراء تفكيك عروة وحدة الفكر .

ولقد جرت محاولات كثيرة لفصل الأدب العربى المعاصر والفكر العربى المعاصر عن أصولهما الاسلامية ومصادرهما الأصلية ، ثم تبين أن هذا العمل كان عسيرا ومستحيلا .

كما جرت المحاولات لتدمير الشخصيات النابغة فى تاريخنا وفكرنا ، وخاصة تدمير الغزالى والمتنبى وابن خلدون ، كما جرت لاعلاء شأن أبى نواس وبشار والحلاج ، وعمدت الشبهات الى اتهام الفكر الاسلامى بانتقاص الحرية ، وعرضت حياة ابن رشد والسهروردى أمثلة على ذلك ، واتصلت الشبهات بمختلف ميادين الفكر سايسية واجتماعية ، كما ظهرت عشرات من الكتب تحاول أن تفرض مفهوما زائفا أو خاطئا فى سبيل خدمة هدف التبشير والاستشراق لحساب الغزو الثقافى والاستعمار والصهيونية، وجرى البحث لاعلاء شأن كتب المحاضرات والنوادر والأساطير التى يرددها الرواة ، وجرت المحاولات على أن تكون هذه الكتب مصادر علمية يعتمد عليها فى استخراج صورة زائفة للمجتمع الاسلامى .

وقد نسقت هذه الشبهات فى موسوعات ودوائر معارف أنيقة أصبحت فى أيدى الباحثين يلجأون اليها فى كل وقت ، دون معاناة ، غير آبهين بمدى الخطر الذى يحيط بها والهدف البعيد المدى الذى يراد من وراء نشر هذه الشبهات الزائفة ووضعها فى قالب علمى براق .

ولقد تبين بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الشبهات والأخطاء انما يراد بها القضاء على ذاتية العرب والمسلمين واخراجهم من قيمهم ومزاجهم النفسى واثارة اليأس فى نفوسهم وتشكيكهم فى مقدرتهم وتشويه معالم فكرهم وأدبهم ، وما تزال هذه الحملات مستمرة لم تتوقف ، بصورها المتعددة ومصادرها الكثيرة ، وهى تدور حول جزئيات منفصلة ، من هنا ومن هناك ، ترتفع وتخفت ، تغير أثوابها بين حين وآخر ، وتلون أساليبها ، دون أن تغير أهدافها وغايتها الكبرى ، وذلك فى محاولة للتأثير على النفس العربية الاسلامية وافساد ثقتها بقيمها ودفعها الى طريق اليأس والشك والنظر بعين الانتقاص الى مقوماتها التى هى مصدر قوتها ، التى هى الطريق الوحيد الذى يجب عليها أن تسلكه فى سبيل دحر عدوها ، ورد عدوانه فى مختلف مجالات الفكر والسياسة والحرب ، ومن الحق أن يقال ان المنطلق الوحيد للقوة والنصر والحرية ، هو تصحيح المفاهيم وتحريرها من الزيوف والشبهات والتماس المنابع الأولى والمصادر الأصيلة، وهذه نفسها هى القوى التى اتخذها المسلمون والعرب كلما ادلهمت أمامهم الأحداث ووقعوا فى الأزمات والأخطار .

ومن أبرز التحوطات ضد الشبهات والأخطاء العمل على تصنيف الكتاب ، وأخطر الكتاب هم أصحاب الولاء الأجنبى ، هؤلاء الذين لا يؤمنون بقيمنا ولا بأمتنا والذين يكشفون أنفسهم دائما عند ما يعادون التراث والقيم والدين ، وحيث لايجرءون على مهاجمة القيم العربية الاسلامية صراحة فانهم يتحدثون عن العقل والنقل ، والسلفية والتراث والماضي والقديم ، وينسون أنهم بذلك يكشفون دخيلتهم ، فهم يقصدون الاسلام ويعجزون عن اعلان اسمه ، ولعلهم يعلمون جيدا أن هناك فوارق بعيدة بين حملة الغرب على الدين باسم القديم والتراث وبين موقفنا من الاسلام الذى ليس تراثا ولكنه قيم حية متجددة نابضة بالقوة ، تختلف اختلافا كبيرا عن الأساطير التى يريدون تجديدها . ونظريات الاباحة والمادية والوثنية التى يروجون لها .

ولقد عرضنا فى هذا البحث أبرز هذه الشبهات وأقربها الى المثقف العربى فى المجال العام على نحو مختصر موجز يمكن من النظرة الخاطفة فالإحاطة السريعة .

ولا ريب أن الباحث المتطلع الى التوسع فى البحث والافاضة فى تقصى عناصره وأبعاده يحتاج الى مصادر تفصيلية فى كل مادة من المواد الموجزة وقد أشرنا هنالك الى بعض المراجع لمن أراد استقصاء والاستزادة

وان كنا قد تناولنا هذه الموضوعات جميعا فى مؤلفاتنا وخاصة فى هذه الدراسات :

١ — القيم الأساسية للفكر الاسلامى والثقافة العربية .

٢ — أصول الثقافة العربية .

٣ — خصائص الأدب العربى .

٤ — العروبة والاسلام .

٥ — الاسلام وحركة التاريخ .

كما يستطيع الباحث على وجه الاجمال أن يجد جذور هذه النظريات فى كتابات فريد وجدى ومحب الدين الخطيب والدكتور محمد البهى ومالك ابن نبى والدكتور محمد حسين ومحمد أحمد الغمراوى وعمر فروخ وعلى سامي النشار ومحمد المبارك ودكتورة بنت الشاطىء وكثيرون غيرهم .

هذا وبالله التوفيق ...

## ( ٢ )

## مدرسة النظر الى ماوراء النصوص والمصطلحات

طرح الفكر الغربي فى أفق الفكر الاسلامى عشرات من المصطلحات التي أصبح العرب والمسلمون يرددونها دون وعى فى مناسبات متماثلة ولكنها مختلفة تماما ، ذلك لأن مصطلحات الغرب وكلماته لايمكن فصلها عن ملابساتها الفكرية التى ترمى اليها ، ولا يمكن عزلها عن ظروفها وأوضاعها ولا يمكن أن تنقل كما تنقل مصطلحات الاختراعات والعلوم ، ولذلك فلابد أن يكون للمسلمين فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى موقف ازاء هذه المصطلحات ونظرة اليها تكشف عن مدى الفوارق العميقة بين الديمقراطية والشورى وبين الاشتراكية والعدل الاجتماعى وبين مفهوم القومية الغربى وبين مفهوم العلاقة بين العروبة والاسلام فضلا عن عشرات من المصطلحات الغربية التى تنبثق من فلسفة لها أساس مادى صرف ولها وجه واحد . بينما تقوم المفاهيم الاسلامية على أساس تكامل بين المفاهيم المادية والروحية والظاهرة والباطنة ، وبين الدنيا والآخرة ، فالمسلمون حين يعرضون المصطلحات لا يقصرونها على جانبها المادى حتى ولو كانت مصطلحات اقتصادية أو مالية فالطهارة مادية وروحية ، والتجارة هى تجارة البضائع وتجارة الايمان ، والمسلم يجد دائما جانبا آخر لكل نظرة ينظرها غير الجانب المادى ، فالله تبارك وتعالى لاينظر الى صورنا ولكن الى أعمالنا وحين يحسن وجه المرء يسأل الله أن يحسن خلقه ، وهناك نور العين ونور البصيرة وهناك عمى العين وعمى القلب .

وفى كل أمر من الأمور لا يفاصل المسلم بين جانب وجانب بل يكمل جانبا الى جانب . فالغنى ليس غنى المال ولكنه غنى النفس أيضا والفكر ليس الا مادة وروحا والكيان ليس الا عاطفة وعقلا والأدب أسلوب ومضمون فالاسلام يقوم على التكامل بين شطرين لكل قيمة وجهين وفى مفهوم الاسلام أن لكل شيء جانبين ، والثنائية طبيعة الحياة والله فوق الخلق وفوق الأزواج جميعا .

( ثانيا ) هناك مصطلحات خاطئة منقولة من الفكر الوافد كقولهم الضمير أو السعادة أو النرفانا أو المهندس الأعظم فكل هذه الفاظ لايقرها الفكر الاسلامى على النحو الذى تقدمه مفاهيم الفكر الغربى ، ونظرية

الضمير نظرية غربية أما فى الاسلام فان هناك « التقوى » ذلك الديدبان اليقظ الذى يحرس الانسان المسلم من الانحراف .

ولا ريب أن كلمة الضمير هى مصطلح يراد به احلال مفهوم أخلاقى منفصل عن مفهوم الأديان المنزلة فحيث يدعو الاسلام الى بناء الانسان بالتقوى ويجعل منه قوة فعالة تحول بينه وبين الشر ، يدعو كتاب الغرب الى مايسمى بالضمير ، والضمير بهذا المفهوم لايتشكل الا من خلال مفاهيم البيئة والثقافة والعقيدة فاذا تشكل على معنى التحرر من قيم الأخلاق أو اعتبارها نسبية لا ترتبط بالانسان ولا بالمثل الثابتة فانما يجرى الضمير معها هذا المجرى ، وحينئذ لايستطيع ذلك أن يحقق شيئا على هذا النحو الذى يشكله مفهوم الضمير المرتبط بالأخلاق والعقيدة .

كذلك فان فلسفة السعادة هذه من مفاهيم الفلسفة اليونانية أما فى الاسلام فان هناك مفهوم التقوى والعمل الصالح وكلمة السعادة لم ترد فى القرآن الكريم الا وصفا لأهل الجنة .

كذلك فان كلمة النرفانا تصور الانسان وقد وصل الى مرحلة التشبع وعدم الحاجة الى شىء من الدنيا وهو مفهوم ضال مضل ، لا يقره الاسلام الذى ينهى عن الرهبانية والوثنية جميعا .

أما كلمة المهندس الأعظم فهى من التسميات الباطلة التى فرضتها « الماسونية » كصفة لله تبارك وتعالى ، الحقيقة كما يفهمها المسلمون تقرر بأن الله تبارك وتعالى هو خالق كل شىء من العدم ، ومالك كل شىء، والمتصرف فى كل شىء ، وله الخلق والأمر ، ولذلك فان وصفه بكلمة المهندس الأعظم لا تمثل حقيقته ، ونحن مأمورون بألا نسمى الحق تبارك وتعالى الا بأسمائه الحسنى ، كذلك فاننا كمسلمين لاينبغى لنا أن نستعمل كلمات الخطيئة أو الفداء أو الصلب أو الخلاص وهى ليست كلمات عربية ولكنها كلمات يونانية دخيلة ولنا كمسلمين فى تقديرها مفهوم خاص ، فالمسلم لايؤمن بما يسمى الخطيئة الأصلية أو الفداء أو الصلب ذلك لأن السيد المسيح عليه السلام لم يصلب **( وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم )** وأن فكرة أنه افتدى البشر بسبب خطيئة آدم ليس الا من الأفكار الواغلة فى الوثنية التى نقلها شراح المسيحية من عقائد قديمة ولم تكن من رسالة السيد المسيح المنزلة .

( ثالثا ) بجوار أن لكل مصطلح فى اللغة العربية وكل قيمة فى الفكر الاسلامى مفهوما ماديا وروحيا جامعا فان لكل قيمة فى الفكر الاسلامى ضابطا واحدا بحدودها لايجعلها تمثل اعتداء على قيمة أخرى .

فالحرية لها ضابط هو المسئولية

والعلم له ضابط هو الأخلاقية

فالحرية لا تكون منطلقة الى غير ماحدود ولـكن تضبطها المسئولية والتبعة فالى أى حد تقف الحرية والى أى هدف تهدف . ان الحريةمسئولية ولا تكون هذه الحرية عاملا من عوامل الهدم للمجتمع أو الاعتداء علىحريات الآخرين . ان المسئولية هى التى تجعل الـكاتب يدافع عن الحرية فاذا انطلقت الحرية بغير ضابط قضت على التبعة والمسئولية ، وهنـاك حرية البناء لا حرية الهدم والحرية المنضبطة المسئولة .

( رابعا ) هناك كلمات فى حاجة الى تعريف بمدى ماتحمل من معنى أو تقصد من هدف ، ذلك أنها تستعمل الآن استعمالا مضببا يكاد يحجب عنها الضوء ، ومن هذه الكلمات : العقائد الموروثة والمسلمات والقـديم والحداثة والعصرانية ، وهى كلمات تسـتهدف الغض من شـأن الفكر الاسلامى وتصويره بصورة التراث المحفوظ فى المتـاحف أو اعتبـاره من المسلمات التى قبلت بغير دليل ولا برهان وسـلم بهـا بدون تمحيص أو اقتناع ، والواقع أنه ليس فى الاسلام شىء على الاطلاق يمكن أن تطلق عليه كلمة ( المسلمات ) هـذه الكلمة التى تطلق فى الغـرب على أشياء يفرض قبولها والتسليم بها دون أن يقرها العقل أو تكون موضع البحث أو المناقشة أو المعارضة ، ومن هنا أطلقوا عليها كلمة (المسلمات) أما فى الفكر الاسلامى فان الأمور كلها تتحرك فى دائرة الضوء ، والمسائل كلها توضع على طاولة البحث والمناقشة ، وليس غير نبى الله محمد صلى الله عليه وسلم المؤيد بالوحى والمعصوم ، ومع ذلك فقد قال للناس «اسألونى» ولم يدع شيئا موضع سر ، أو جعل أمرا يقبل بدون اقناع .

**« تركتكم على المحجة البيضاء : ليلها كنهارها لايزيغ عنها الا هالك »**

والعقائد الموروثة صنفان : أصيل وزائف . اما الأصيل فهو ماصـدق عنه الوحى وبان فيه وجه الحق وأيدته الوقائع الصحاح ، وهذا ما لا شـك فى سلامته ، اما الزائف فهو مادخل الى الفكر من شبهات وزيف ، من خلال خداع الألفاظ والتأويلات ومفاهيم الباطنية أو الوثنية أو المجوسية، من خلال فلسفات ومذاهبملحدة كوحدة الوجود والحلول والاتحاد وغيرها، وذلك ماتتعقبه الأقلام المؤمنة على مدى الأزمان تطارده وتكشف زيفـه وتفضح ضلاله .

( خامسا ) هناك مصطلحات تتعلق بالفكر الغربى والديانة المسيحية لا يجب أن يخضع لها الفكر الاسلامى ، من ذلك ( تطور الدين ) والدين

الذى يتطور هو الدين البشرى الذى لايستطيع أن يعايش البيئات والعصور فهو فى حاجة الى تعديل بالاضافة والحذف ، وهذا لا ينطبق على الاسلام ذلك لأن الاسلام منهج ربانى متكامل ، جامع ، له أطره الواسعة القادرة على الحياة والحركة مع مختلف المجتمعات والعصور ، ولذلك فهو لايحتاج الى تطور ، وهو قادر على العطاء فى كل وقت وله قيمه الثابتة وقيمه المتغيرة ، كذلك فان كلمة « الاصلاح » لاتستعمل فى الفكر الاسلامى وانما هى كلمة عرفتها دعوات البرتستانتية والكاثوليكية على أساس تغيير الأوضاع الجامدة وهذا مايتفق مع مفاهيم الاسلام .

كذلك فان كلمة ( ريليجون ) عن الدين باللغة اللاتينية لا تمثل مفهوم الاسلام عن الدين ، فالدين فى الغرب هو العلاقة اللاهوتية بين الانسان والخالق ، أما مفهوم الاسلام فالدين علاقة كاملة جامعة بين الله تبارك وتعالى والانسان وبين الانسان والمجتمع ، وهو نظام مجتمع ومنهج حياة شامل لكل أعمال الانسان فى حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وليس قاصرا على العبادات فحسب . والمسلمون لايقولون الطبيعة ويعنون بها أن تحل محل كلمة « الخلق » وهم يعتقدون خطأ هذه النظرة المادية حين أله الغربيون الطبيعة وأنكروا وجود الله .

كذلك فان الاسلام لا يقر تأليه مفاهيم الوطنية والقومية والدعوات الاقليمية واعلاء العناصر والدماء ولكنه يؤمن بالاخاء الانسانى .

( سادسا ) قد يبحث الغربيون عن ايدلوجيات بشرية يتخذونها نظاما لمجتمعاتهم ، ذلك لأن المسيحية حين انفصلت عن اليهودية لم يكن لها نظام اجتماعى خاص ، أما المسلمون فكيف يبحثون عن نظام اجتماعى لهم ولديهم عقيدتهم الجامعة بين التوحيد ومنهج الحياة .

والمعروف أن الغربيين اتخذوا من كلمة ( الايدلوجية ) بديلا لكلمة ( الدين ) بل انها اتخذت كسلاح لمحاربة المعتقدات الدينية فى الغرب .

والمعروف أن فلاسفة القرن التاسع عشر عمدوا الى بناء مايسمونه المثل العليا للحضارة الغربية على أساس دنيوى وقد أسموه انسانيا أو علمانيا أى معارضا للدين .

( سابقا ) ان أبرز مفاهيم الفكر الاسـلامى الى النظر الى ماوراء النصوص والـكلمات ومعرفة الدوافع والخلفيات حرصا وحذرا وحفظـا على القيم الاسلامية من الانحراف فنحن لانقبل كل مايعرض علينا قضـية مسلما بها ، ولا نقبل وجهات نظر الآخرين أو تجاربهم الا فى احتياطوحيدة وتحرز شديد لأننـا نعرف أن لـكل أمة ظروفها وتحدياتها وان المصطلحات تظهر من خلال التحديات ولذلك فان كل أمة تختلف عن الأخرى فى تقبل هذه الأوضاع وما ينفع احداها قد يضر بالأخرى وان البذور لاتنبت فى كل تربة فلكل تربة بذورها .

ومن هنا فان الاسـلام يقيم مدرسة للنظر الى ماوراء النصـوص والـكلمات .

# الباب الأول

## فى المناهج والعلوم

# الفصل الأول

## القيم الاسلامية والمصطلحات المعاصرة

١ ــ الثقافة

٢ ــ الدين

٣ ــ التوحيد

٤ ــ الأخلاق

٥ ــ التربية

٦ ــ التصوف

٧ ــ التراث

٨ ــ الفلسفة

٩ ــ الاقتصاد

١٠ــ التعليم

١١ــ العلم

١٢ــ الفن

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

( ١ )

# الثقافـــة

« الثقافة » كلمة مستحدثة فى فكرنا الاسلامى العربى الحديث وهى مشتقة من مادة ( ثقف ) القرآنية ( وأن أى ادعاء بأن واحداً من الكتاب قد تمثلها من خارج اللغة العربية هو وهم باطل ) وهى فى أبرز مفاهيمها « الفكر القومى للأمم » وتقوم القومية علي اللغـــة والوطن والعنصر ، ويمكن القول تفسيراً لهذا : ان الفكر الاسلامى يمثل العالم الاسلامى كله، ينقسم الى ثقافات عربية وفارسية وهندية وتركية وأندونيسية وهكذا . فهذه الثقافات منبثقة أساسا من الفكر الاسلامى ولـكنها مرتبطة أيضـا باللغات والأمم والأجناس والأوطان فلها أصول عامة مشـتركة تتصـل بالاسلام ، ولها طوابع خاصة قومية تتصل بالأمم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن الثقافة العربية مثلا تختلف عن الثقـافة الغربيـة فى أن مقوماتهما ليست واحدة فكل يستمد مقوماته من عناصر أساسية مختلفة، فالثقافة العربية تستمد كيانها من الاسلام واللغة العربية والعروبةبتراثها، بينما نجد الثقافة الغربية ( أيا كان نوعها فرنسية أم المـانية أم أمريكية ) انما تستمد مصادرها من الفكر اليونانى والقـانون الرومانى والمسيحيـة واللغة اللاتينية ، وهكذا يبدو الفارق واضحا فى مصادر الثقافة ، ومن هنـا فان القول بوحدة الثقافة العالمية قول يحتوى على قـدر كبير من الخطأ والخطر ، فالثقافات لا تنصهر ولا تذوب فى وحدة واحدة ولـكنها تتلاقى وتتعارف وتتفتح فيأخذ كل من الآخر مايزيده قوة ، أو يرفض مايضاد وجوده أو كيانه أو ذاتيته .

وهناك ارتباطات واختلافات بين ( الثقافة والعلم ) وبين الثقافـة والمعرفة وبين الثقافة والتعليم وبين الثقافة والحضارة .

( بين الثقافة والعلم ) العلم عالمى بطبيعتـه يلتقى مع كل مجتمع ، ولـكن الثقافة قومية ووطنيـة ، ويمكن تلقيح الثقافة بالعلم دون أن تفقد ذاتيتها ، والعلم يرمى الى تنمية الملـكات وهو فى نهاية المطـاف وسيلة وأداة وقد يستعمل للخير كما يستعمل للشر على السواء .

( بين الثقافة والمعرفة ) : المعرفة هى المعلومات العـامة المنوعة المختلفة المتعارف عليها فى كل الثقافات ، أما الثقافة فليست معارف فقط

ولكنها موقف واتجاه وعواطف وعادات فى الحياة وممارسة ، أما المعارف فهى المادة الخامة للثقافة .

( الثقافة والتعليم ) : الثقافة هى الدرجة الأعلى من التعليم ،فالتعليم قاصر على الاعداد الدراسى لتكوين العقلية المؤهلة للثقافة ، أما الثقافة فهى الدرجة الأعلى التى تكون الفرد تكوينا يجعله ممتازا .

( الثقافة والحضارة ) : وهناك علاقة بين الثقافة والحضارة ، فالثقافة فى كل أمة هى مقدمة الحضارة ، مرتبطة بها فى فكرها وفى محيطها ، ولكنها بالنسبة للأمم الأخرى ليست مرتبطة ومن حق الأمم أن تقتبس الحضارة لأنها عالمية ولا تقتبس الثقافة لأنها قومية .

الحضارة ملك للانسانية كلها . وهى نتاج الحضارات البشرية المتعددة ، كل منها تتم حلقة وتسلمها الى الأخرى وللمسلمين والعرب دور هام فى بنائها وانمائها أى دور ، فقد قدمت المذهب العلمى التجريبى الذى قامت عليه النهضة العلمية .

أما الثقافة الغربية المرتبطة بالحضارة فان للأمم المختلفة أن تقفمنها موقفا مختلفا ، وأن تنظر اليها فى ضوء قيمها ومفاهيمها ، ومن حقها أن تنقل الماديات ( أى الحضارة ) ولا تنقل المعنويات ( أى الثقافة والمذاهب الاجتماعية ) فان لكل أمة مقوماتها وقيمها الأساسية التى لا تتخلى عنها، ولها أيضا مفاهيمها للقيم الانسنية العامة بما يختلف مع الأمم الأخرى .

وهذا المفهوم أمر مقرر بين جميع الباحثين والمفكرين والعلماء والمصلحين لا سبيل الى نقضه أو معارضته ، وكل الدعوات التى تقول بأن على الأمم أن تتقبل الثقافة والحضارة معا ، هى دعوات مضللة هدامة يقف من ورائها الاستعمار والتغريب والتبشير ، وتستهدف تحطيم معنويات الأمم وتدمير مقوماتها والقضاء على شخصياتها وهدم ذاتياتها واسلامها الى أن تذوب فى بوتقة الأممية والعالمية فتفقد وجودها وتصبح غير قادرة على مقاومة الغزو الاستعمارى .

( ٢ )

## الـــدين

الدين فى مفهومه العام هو الصلة الأكيدة بين الانسان والخالق الأعظم ايمانا من الانسان بوحدانية الله الخالق واقرارا له بالعبودية .

والأديان السماوية كلها ترتبط بمفهوم واحد ، لأنها من مصدر واحد، والاسلام هو خاتمها ، وفيه جماعها وجوهرها الصادق .

وقوام ( الدين ) فى الاسلام التوحيد وسيادة الانسان تحت حكم الله ، والتقاء القيم الروحية مع القيم المادية ، وترابط القلب والعقل والدنيا والآخرة ، فالدين واحد على لسان جميع الأنبياء والرسل ، والأديان عقيدة وعمل ، ومعرفة وطاعة ، ولقد قامت البشرية على أصل راسخ من غريزة التدين ، بحسبان أن العالم مجموعة متناسقة تقودها قوة مديرة حكيمة عادلة . وقد رافق ( الدين ) الجماعة البشرية منذ نشأتها ، ولم تخل جماعة بشرية من دين يلائم طباعها ويوافق بيئتها ،فهو ظاهرة اجتماعية وضرورة وحاجة روحية وعقلية ، ولقد تغير هذا المفوهم بالنسبة لأديان مختلفة ، ولكنه ظل هو مفهوم الدين فى الاسلام ، وقد عمدت أوربا فى الوصول الى نظرية عن مفهوم الدين تصفه بأنه ( لاهوت ) يصور العلاقة بين الله والانسان ، وبذلك تنكر العلاقة بين الدين والمجتمع ، ومن هنا وقع الخلاف بين الفكر الاسلامى والفكر الغربى من أجل هذا الخلاف الجوهرى ، حيث قام الاسلام على الترابط بين الدين والمجتمع معا بينما رأت أوربا أن الدين ليس الا علاقة بين الانسان والله وألغت علاقة الدين بالمجتمع .

وقد ظهرت نظريات مختلفة تنكر الدين جملة وتدعو الى ( الوجود المادى الخالص ) وعلت أصوات تقول بأنه لا يوجد خالق ، وحاول كثير القول بأن البشرية تستطيع أن تعيش بغير دين .

* * *

وطبيعة الاسلام تنافى وجود الانفصال بين أمور الدين والدنيا ، والاسلام بطبيعته دين اجتماعى لا دين عبادى محض .

وليس فى الاسلام هيئة كهنوتية ، ذات سلطة فعلية ، يخشى من سيطرتها على الحكم ولم يكن لعلماء الاسلام أى نفوذ سياسى ما ، أو سيطرة على الحكم . والاسلام حركة اجتماعية شاملة والدين جانب من جوانبها، فقد جاء الاسلام عقيدة وعبادة واصلاحا اجتماعيا ، وليس الاسلام دين محتكر فى يد طائفة تتحكم فى أصوله وفروعه كما تشاء ، وانما هو دين اصلاح عام لسائر الأديان ، شرعة الله عندما تبدلت الأديان تصحيحا لها وخاتما .

* * *

والفكر الاسلامى فكر شامل والدين جزء منه لاينفصل ، وقد كانت صيحة التغريب هى صاحبة دعوى التفرقة بين الدينى والدنيوى ، والقول بأن هناك علوما دينية وأخرى دنيوية ، فأخذوا يطلقون كلمة ( دينى ) على كل مايتصل بالاسلام وهو اطلاق غير صحيح ، ذلك أن كل شىء من الفكر والحياة فى مفهوم الاسلام متصل به ولا سبيل لانفصاله ، ومن هذا التحريف الخطير الذى حاوله التغريب محاولة فى الفصل بين السياسة والأخلاق وبين الاجتماع والأخلاق وهدف المحاولة فصل الاسلام عن المجتمع وفصل الأخلاق عن الدين والسياسة ، ولا شك أن وصف الفكر الاسلامى ( بالفكر الدينى ) خطأ محض ، فان الاسلام ليس دينا بمفهوم ( اللاهوت الغربى ) ولكنه دين عالمى انسانى جامع .

ويخطىء الغربيون فى دراسة الاسلام قصدا أو نقصا فى الفهم حين يقدرون أنه ( دين فقط ) محاولين المقارنة بينه وبين أديانهم . ذلك أن الاسلام حركة اجتماعية ومنهج حياة والدين جانب من جوانبه ، فقد جاء الإسلام عقيدة وعبادة واصلاحا اجتماعيا ، والاسلام ليس دين العرب وحدهم ولكنه دين الانسانية جميعا .

والمسلمون يعتقدون أن جميع الديانات السماوية جزء من تراثهم الفكرى بل جزء من التراث الاجتماعى للبشرية جميعا .

وليس من شك أن الرابطة بين الدين وبين مقومات المجتمع الاسلامى والفكر الاسلامى هى رابطة عضوية ، فالدين هو أول ركائز الاجتماع والثقافة ، ومن هنا يتأكد باطل مايقوله الغربيون من أن سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين .

ويرى ابن خلدون أن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية .

والاسلام يكرم السيد المسيح ويعترف بالأديان المنزلة لأنها من أصل واحد ، وقد كانت علاقة الاسلام بالحضارات والنهضات مخالفة للعلاقة بين الغرب والمسيحية والنهضة الأوربية ، يقول العلامة مسمر : ان تقدم العلوم فى الغرب حصل رغما عن الدين المسيحى ، أما الاسلام فهو لايبقى على قيد الحياة الا بانتشار العلوم وتقدمها ، فان بين الاسلام والعلوم رابطة كلية ، وان الغربى اذا صار عالما يترك دينه بخلاف المسلم فانه لا يترك دينه الا اذا صار جاهلا ، وقال انه لا يمكن نسبة التمدن الحالى الى الدين النصرانى « لأنه ما جاء الا بعد خمسة عشر قرنا من ظهوره ، ولا يمكن نسبة الانحطاط الى الاسلام لأنه جاء بعد انحراف المسلمين عنه »

ويقول «لم تتقدم أوربا فكرا وثقافة وعلما واقتصادا الا بعد أن ثارت على سلطان الكنيسة وتحررت تحررا تاما .

ومن هنـــا يبـــدو الخلاف واضحا بين علاقة الدين المسيحى بالغرب وعلاقة الاسلام بالحضارة التى أقامها العرب والمسلمين .

ولا ريب أن الدين عنصر أساسى من عناصر الثقافة لاتقوم الا به كما أنه ميزان العمل فى الحياة الاجتماعية كلها وفى تشكيل وجهة الانسان فى الحياة .

( ٣ )

## التوحيـــــد

اذا قيل أن لكل دين طابعا فان طابع الاسلام هو : « التوحيد » فهو لبابه ومنهجه وقوامه ، والقائم المشترك على قيمه المختلفـــة ، والعـــامل الأساسى الذى يفصل بين الاسلام وعديد من المذاهب والفلسفات والعقائد التى تقوم على أساس الوثنية والالحاد أو تعدد الالهة أو انكار الله الحق.

« والتوحيد » هو دين الله الحق المنزل على جميع الأنبياء والرسل، والذى بدأت به البشرية مسيرتها منذ ( آدم ) أبى الأنبياء والبشر جميعا ، وهى الدعوة الحق التى حملهاجميع الأنبياء الىأممهم حتىانتهت الى صورتها النهائية التىيمثلها الاسلام خاتمالديانات والرسالاتالىالعالمين جميعا،ولقد حاول كثير من الفلاسفة وأصحاب المذاهب والدراسات الادعاء بأنالبشرية كانت وثنية ثم امتدت الى التوحيد من بعد غير أن هذه النظرية ظهر بطلانها بأكثر من دليل مندلائل العلوم والحفريات والبحث العلمى الخالص، فالحقيقة التى لاشك فيها أن الناس كانوا أمة واحدة ، وكانوا على التوحيد جميعا ثم ضلوا وعبدوا عددا من الآلهة وتحولوا بعد التوحيد الى الوثنية ، ولقد كان التوحيد رسالة السماء الى الناس كافة منذ خلق الانسان الى اليوم وكان النـــاس على التوحيد أساسا ثم تحولوا تحت تأثير أخطاء وانحرافات عن التمسك بالحق ، وجرى هذا حين اتخذ الناس الصور والرموز لتذكرهم بالاله الواحد ، ثم لم يلبثوا مع الزمن أن تحولت هذه الصور الى أصنام وأوثان ، وتحولوا هم الى عبادة هذه الأصنام أو عبادة أبطالهم ورؤسائهم ومن ثم تعددت الآلهة فكانت الأديان فى موالاتها وتتابعها دينا بعد دين ترد الناس عن هذا الخطأ والانحراف ، ثم لا يلبث الناس حتى يعودوا للوقوع مرة أخرى فى الخطأ . ولقد كانت الأديان فى جوهرها دعوة الى الله :

الاله الواحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . والى هدم الأصنام ونبذ فكرة الشرك ، ودحض الوثنية .

ولقد واجهت البشرية انحرافا خطيرا فى الفترة السابقة لظهور الاسلام ، حيث ظهرت الوثنية اليونانية الفلسفية التى قامت على مفاهيم خطيرة أساسها : الأباحية والتعدد ، وقد نبتت هذه المفاهيم نتيجةلتقديس الأفراد ثم تحولت إلى ( عبادة الأبطال ) واتخاذهم آلهة وأنصاف آلهة ، ثم أصبح لكل ظاهرة من الظواهر الكونية والاجتماعية إله : فاله الخمر واله الحصاد واله الحب ثم كانت وثنية فارس التى أقامت اله النور واله الظلام ، وكانت الوثنية العربية أقل هذه الوثنيات انحرافا واضطرابا وفلسفة ، فقد اعتمدت على عبادة الأصنام والأوثان لتقربهم الى الله زلفى.

وكانت الجزيرة العربية قد عرفت ( التوحيد ) منذ دعوة ابراهيم عليه السلام وبناء الكعبة ، غير أن الأمم التى هاجرت كانت تحمل معها أحجارا تذكارا لأرضها وبلادها ، ثم ما لبثت بعد قليل أن عبدت هذه الأحجار ، ولكنها كانت فى مجموعها وثنية ساذجة . على أى حال لم تقم لهما فلسفة عميقة ، كفلسفة الوثنية اليونانية والفارسية التى هاجرت الى الحضارة الأوربية الحديثة وأصبحت جذرا من جذورها .

وقد أشار ( أرنست رينان ) الى هذا المعنى حين قال : ان العرب موحدون بطبعهم وأن دياناتهم هى ديانات التوحيد ، ولقد كانت الأديان السماوية جميعا على التوحيد ، فانحرف بعضها ودخلها من فلسفات اليونان والهنود والفرس ملحولها عن طبيعتها » .

ومن هنا كانت دعوة الاسلام الحارة المتجددة الى انكار الرموز أو تقديس الموتى أو عبادة الأبطال والعظماء أو اقامة القبور الضخمة أو التماثيل أو غيرها من الدواعى التى انحرفت بالبشرية من قبل التوحيد وذلك حرصا على بقاء المفهوم الأصيل الذى نزل به القرآن .

ولقد كان التوحيد ولا يزال فيصلا ضخما وخطيرا بين الاسلام وبين مفاهيم الفلسفات والمذاهب والأديان المختلفة ، على نحو يحرر النفس الانسانية من كل وثنية وعبودية .

( ٤ )

## الأخلاق

يشكل الإسلام منهجا انسانيا متكاملا للفرد والجماعة قوامه : « العقيدة والشريعة والأخلاق » والأخلاق فى مفهوم الاسلام قاسم مشترك على مختلف القيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية :

ومفهوم ( الأخلاق ) فى الفكر الاسلامى يختلف اختلافا واضحا وجذريا عن مفهومه فى الأديان والفلسفات الأخرى ، فهو يقوم على هذا النحو المترابط المتكامل الشامل .

وهدف الأخلاق فى مفهوم الاسلام هو « التقوى » وتتمثل التقوى فيه عملا وسلوكا ولا تقف عند الناحية النظرية وحدها ، والأخلاق الاسلامية أخلاق تقوى بكل ما تحمل التقوى من معان سلبية وايجابية ، بتجنب الحرام والاقبال على الحلال وتعنى التقوى الوقاية ومدافعة الخطر واليقظة الدائمة للمحافظة على الأصول ومنعها من الانحراف .

وآيات القرآن فى منهج الأخلاق تحث على الايثار دون الأثرة ، وتجعل الفرد فى خدمة المجتمع فاذا تعارضت مصلحته مع مصلحة المجتمع ضحى الفرد بمصلحته فى سبيل المجتمع — الايثار والتقوى هما لحمة الأخلاق الاسلامية وسداها على حد قول القائل « تقوى الاله مدار كل فضيلة » .

ومن هنا يخطىء الذين يعتبرون ( الأخلاق ) فى الفكر الاسلامى امتدادا للاخلاق فى الفكر والفلسفات السابقة له أو الفكر اليونانى خاصة . وما كتبه ابن مسكوية فى كتابه ( تهذيب الأخلاق ) وما أخذه ( ابن سينا ) انما هذا كله من مفاهيم الاغريق التى تختلف اختلافا واضحا مع مفوهم الاسلام للاخلاق . وكذلك ماكتبه ابن المقفع وحاجى خليفة من مفاهيم الفرس قبل الاسلام عن الأخلاق ويتصل بهذا كتاب الأخلاق الذى الفه أرسطو ، وكل ماجمعه اخوان الصفا وغيرهم لا يمثل مفهوم الاسلام فى الأخلاق تمثيلا صحيحا .

وقد نشأ مفهوم الأخلاق فى الاسلام نشأة متميزة خالصة حولت مفاهيم العرب للقيم الأخلاقية عن انحرافها الوثنى وردتها الى الوجهة الصحيحة الصادقة الخالصة لله وحده .

وقد أخطأ المستشرقون الذين ألفوا فى الأخلاق وعجزوا عن فهم هذه الفروق الواضحة بين الأخلاق الاسلامية والأخلاق اليونانية وغيرها ، واذلك لم يوفقوا فيما ذهبوا اليه وفى مقدمتهم ( دونالدسون ) صاحب كتاب ( دراسات فى الأخلاق الاسلامية ) وقد انتقده الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى وكشف عن هذا النقص فى نظرته الى مفهوم الأخلاق فى الاسلام ، ويقول الدكتور الأهوانى فى هذا :

« ظهرت فى تاريخ الحضارة الاسلامية كتب تبحث عن الأخلاق على الطريقة اليونانية ولكنها لم تؤثر فى حياة المسلمين اذ حجبها كتاب الله ،

ولم تستطع أن تبلغ الى مقامه ، ومنها كتاب ابن مسكوية المسمى ( تهذيب الأخلاق ) فانه يناقش الأخلاق الموروثة عن اليونانيين وعن أفلاطون وعن أرسطو بخاصة وعن مدرسة الاسكندرية » .

ويقول : ان الأساس الذىتعتمد عليهالأخلاق الأفلاطونية يختلف عن أساس الأخلاق الاسلامية وقد ظل هذا الكتاب بعيداً عن الشعبيةوالتداول ولم تعرفه الا طائفة قليلة من المثقفين الذين كانوا يقرؤونه للذة العلميـــة فقط . ومن الطبيعى أن يحفل به جمـــاعة المستشرقين ، ويقول : « ان الأخلاق الاسلامية ليست أخلاق سعادة وهى لغة اليونان ، ولكنها أخلاق تقوى لأنها أخلاق دينية » .

وأشار الدكتور الأهوانى رحمه الله الى ماكتبه الغزالى عنالأخلاق فقال : انه كتب فى ( ميزان العمل ) على الطريقة اليونانية ، وكتب مـــرة أخرى عن الأخلاق فى كتاب ( احياء علوم الدين ) ونحا فيه نحو الزهد والتصوف وهو الطريق الذى اختاره الغزالى « وهذا النوع من الأخلاق لا يمثل الاتجاه العام للأخلاق الاسلامية ذلك لأن الاسلام لم ينه عنالدنيا ولم يطالب الناس بالابتعاد عنها والزهد فيها ولم يحرم زينة الله » .

وجملة القول : أن الأخلاق الاسلامية المستمدة من الـكتاب والسنة هى أخلاق ايجابية تقوم على رقابة الله وتقواه فى مختلف التصرفاتوتدخل كعنصر أساسى فى المجتمع والاقتصاد والسياسة والتربية ولا تنفصلعنها، وتستمد كيانها من التوحيد أساسا فلا تنعزل عن الاسلام بل ترتبط به ، وهى أخلاق تقوى اجتماعية تحمل طابع الايثار والتضحية بمصلحـــة الفرد لمصلحة المجتمع ، وهى أخلاق قوة وعمل مع المحافظة على رقابة اللهواعلاء الخير والبر والوفاء .

## ( ٥ )
## التربيـــة

فى مفاهيم الفكر الاسلامى يأخذ اصطلاح ( التربية ) مفهوما مخالفا ومنفصلا من مفهوم ( التعليم ) وفى رأى الكثير من الباحثين : أن التعليم هو اعطاء الذهن الانسانى حاجته من أصـــول الأشياء ومفاهيم العلوم ، وتنمية القوى العقلية والروحية وتدريبها على معرفـــة أســـاليب الفكر والثقافة ، أما مفهوم ( التربية ) فهو عنصر موجـــه ومضىء لطريق الحق والخير فى اتجاهات التعليم والثقافة نفسها ، ذلك أن التعليم حين ينفصل عن التربية قد يؤدى الى الخير أو يؤدى الى الشر ، أما التربية فهىمؤشر الخير والحق فيه ، والضوء الأخضر له حتى يكون وسيلة تحقيق التقـــدم

للمجتمع ، ويكون فى نفس الوقت خالصا لله موجها لخير الأمة والانسانية جميعا ، بعيدا عن أى انحراف .

فالتربية فى مفهوم الاسلام : هى التى تسمو بمقاييس الفرد فى الحياة وتعلى من أهدافه وتقربه الى الخير وتبعده عن الشر ، وهى التى تتجه الي تقوية الشخصية وغرس روح المسئولية والشعور بالواجب والاخلاص فى العمل والحياة .

وهى فى جوهرها : تهذيب النفس وترقية الذوق ، وبناء القدوة الحسنة والمثل الأعلى من خلال البطولات والنماذج العظيمة التى يزخر بها تاريخ الأمة وفكرها ومن خلال القدوة الحسنة فى البيت والمدرسة والمجتمع .

والتربية فى مفهوم الفكر الاسلامى العربى وسيلة لبناء « الانسان » بوصفه فردا وبوصفه جزءا من المجتمع الذى يعيش فيه مع اعداده بالقدوة وبالكلمة وبالعادة وبالمواقف المختلفة والأحداث . وهى تأخذ الفرد كبناء متكامل : قوامه الروح والعقل والجسم وتعنى به وفق فهم شامل أساسه الايمان بالله والعمل فى الأرض من أجل النماء والبناء والانشاء . وتقوم التربية الاسلامية على بناء الفرد فى البيت قبل المدرسة وأول من يطلب منهم القيام بهذه الوظيفة هم الذين يعاشرون الطفل منذ نشأته معاشرة مستمرة . والذين يؤثرون فيه بأعمالهم وأقوالهم وسلوكهم .

يقول العلامة الزرنوجى المربى الاسلامى : ان من الضرورى قيام علاقة وطيدة بين البيت والمدرسة ، وأن التعليم يحتاج الى ثلاثة عناصر : المتعلم والأستاذ والأب كما أكد علماء التربية الاسلامية ضرورة تلقى العلم من الأساتذة لا من الكتب وحدها . وقد ربطت التربية الاسلامية بين التعليم والتربية على أساس أن العلم وحده لا يكفى مالم تصحبه تربية الذوق والعقل والروح ، والعلم فى مفهوم الفكر الاسلامى هو العلم والعمل . وقوام التربية الاسلامية أساسا : « الأخلاق » .

- ولذلك فان الفكر العربى الاسلامى لا يقر مفاهيم الفكر الغربى التى تفصل بين التعليم والتربية أو التى تفصل بين التربية والأخلاق .

وفى مفهوم الاسلام : أن العلم لابد أن تحميه وتظاهره قيمة أخلاقية واضحة حتى لاينحرف أو يفسد أو يتجه وجهة ضارة بالمجتمع الانسانى .

ويعارض الفكر العربى الاسلامى نظرية « ديوى » فى التربية معارضة صريحة وهى نظرية وجدت معارضة ونقدا فى بيئتها الأساسية

التى أعلنت فيها، كما يرفض مفاهيم ( فرويد ودوركليم ) فى الاباحية والتحلل ورفع التوجيه عن الشباب فى مرحلة التربية والتعليم ، وذلك ايمانا من الفكر الاسلامى بأن الشباب فى هذه المرحلة فى حاجة الى البناء والتكوين والتوجيه الذى لايتم الا من خلال الانتفاع بتجربة المربين والمعلمين ، الذين يجد فيهم الشباب القدوة ويجد عندهم الخبرة الطويلة . وليس فى توجيه الشباب فى الاسلام مايحول دون استقلالهم الذاتي أو دون اتاحة الفرصة لهم ليأخذوا مناهج جديدة تتفق مع أجيالهم وأذواقهم . فذلك كله يعترف به منهج التربية الاسلامية ويقره ويعمل على ايجاده ان لم يكن موجودا .

ولـــكن الخطر كل الخطر هو فى المتابعة للأمم المختلفة فى مناهجها الفكرية والثقافية والتربوية مع اختلاف العصور والبيئات والأديان فهـــذا هو من أخطر مايحتاج الى التنبيه اليه .

( ٦ )

## التصـــوف

التصوف فى مفهوم الفكر الاسلامى « بدعة » حسنة ، تهـــدف الى انشـــاء دائرة من دوائر تربيـــة النفس والخلق من خلال التماس مفهوم الاستغناء عن المطامع والغـــايات الفردية والأنانيـــة ، والعمل من أجل الانصراف عن الأهواء .

وقد استمد المتصوفة المسلمون مفاهيمهم من صور الزهد التى عرف بها رسول الله وصحابته ، ثم توسعوا فى ذلك ، وكان لتحديات الحضارة والثراء والترف أثرها فى تعميق هذا الاتجاه وبروزه كعامل توازن طبيعى ازاء الانحراف الاجتماعى الذى أصاب المجتمعات الاسلامية بعد انصرافها عن طوابع العصر الأول ومفاهيمه .

غير أن التصوف فى الاسلام لم يلبث أن اتصل بالفلسفة اليونانيـــة ومفاهيم التصوف الهندى ونتـــاج الوثنية الفارسية والهلينية ، فأصـــابه اضطراب كبير ، ودخلت اليه مفاهيم كثيرة ليست من مفاهيم الاسلام أصلا، وبذا انحرف انحرافا خطيرا عن أصول الفكر الاسلامى وطوابعه الأصيلة، اضطرب معه مفهوم « التوحيد » الذى هو أعلى قيم الاسلام نفسه وخاصة حين دخلت الى التصوف مفاهيم غريبة عنه معارضة لأصوله : تلك هى مفاهيم وحدة الوجود والحلول والاتحاد .

وهذا القطاع من التصوف الفلسفى لايعد اسلاميا ، ولكنه يعد دخيلا ومنحرفا وتجب التفرقة بينه وبين طابع التصوف المستمد من الاسلام أصلا

ومن حياة الرسول وصحابته ، على ذلك النحو البسيط اليسير من الزهد، القائم على أصول الشريعة .

ولقد عنى أعلام الصوفية الأول بأن يؤكدوا ارتباطهمبالقرآن والسنة، وأعلنوا أنهم يتحركون من دائرة الشريعة الاسلامية والعقائد والأخلاق الاسلامية وقالوا فى ذلك : أن أى ارتقاء فى مجال التصوف لا يصرف صاحبه عن أداء فرائض الاسلام كاملة، وان تطبيق حياة الرسولوتصرفاته هى المصدر الأول. انه لاعبرة أبدا بما يقال منرفع التكليف عن بعض الذين وصلوا الى درجات معينة فى العبادة أو الكشف وأن مثل هذا القول مناقض تماما لمفاهيم الاسلام .

ويرى الباحثون أن هناك فارقا كبيرا بين التصوف والفلسفة . أو بين الصوفى والفيلسوف : ذلك أن الصوفى انما يعتمد فى منهج المعرفة وعلى أسلوب العقل ومقاييس المنطق ، بينما يعتمد ( العلم ) على أسلوب التجربة ونتائج الأنابيق وتركيبات المواد .

وفى الفكر الاسلامى يقوم « منهج المعرفة » على هذه الأصولالثلاثة مجتمعة فلا يفصل بينها ولا يعلى أحدها ، وفى تاريخ الفكر الاسلامى محاولتان احداهما : اعلاء العقل عند المعتزلة والأخرى اعلاء الوجدان عند الصوفية . وفى الغربمحاولة جديدة هى اعلاء العلم والعقلوالتجربة على الوجدان والبصيرة .

وكل هذه التجارب لا تمثل « المعرفة » فى أصلها الجامع الشامل الحقيقى القائم على ترابط العقل والوجدان ، والتجربة والغيب ، والعلم الروحى .

ومن هنا فقد كان استعلاء التصوف فى المرحلة السابقة لليقظة الفكرية العربية الاسلامية الحديثة عاملا هاما وخطيرا فيما أصاب المسلمين والفكر الاسلامى من اضطراب وتأخر وضعف وجمود ، فقد برزت ظاهرة « الجبرية » التى أصابت المسلمين من سيطرة النفوذ الاستعمارى الغربى .

غير أنه اذا ذكر ذلك فلابد أن يذكر : أن التصوف قد فتح للاسلام آفاقا واسعة فى عديد من الأقطار ، وضم الى المسلمين ، عددا كبيرا من الوثنيين فى جنوب شرق آسيا وافريقيا ، وان الطرق الصوفية التى كانت تحمل مفاهيم التوحيد والايمان والخلق الاسلامى قد جذبت الى صفوف الاسلام الكثيرين ، الذين آمنوا بالله وحده ، وأصبحوا فى حاجة الى

عمل كبير من أجل تنقية اسلامهم من طوابع الوثنيات القديمة وتحرير فكرهم حتى يصبح اسلاميا وتوحيدا خالصا .

## ( ٧ )
## التراث

كان من أبرز أهداف مخططات الاستعمار والتغريب : الحملة على التراث الاسلامى والعربى واثارة الشبهات حوله ورميه بالانتقاص ،بهدف واضح معروف هو العمل على قطع حاضر هذه الأمة عن ماضيها . ويقول أصحاب الدعوى ان سبيل النهضة هو تجاهل هذا الماضى الذى ذهب ومات ، والذى يوصف بأن بقاءه قد يعوق الحركة . وهدف هذه الحملة الشعوبية التغريبية يتركز فى محاولة الفصل بين الماضى والحاضر فى مجال الثقافة العربية المستمدة من الفكر الاسلامى والتى لا سبيل لها أن تنفصل عن جذورها التى تشكل مختلف مظاهرها وقيمها الأساسية .

وحين يثير دعاة التبشير والتغريب والاستشراق هذه الدعوى انما يتعارضون مع أنفسهم ومع واقع التاريخ نفسه ومع منطلق النهضة الغربية الأوربية التى استمدت وجودها أساسا من الاتصال بالتراث الهلينى والفكر الاغريقى والأدب اليونانى والرومانى القديم بعد أن انفصلت عنه أكثر من ألف عام ، وقد أكدت جميع مصادر الفكر والأدب والتاريخ ، أن النهضة الأوربية فى مجال الفن والأدب والحضارة انما ارتبط وجودها بهذا الماضى واعتبرته أصلا من أصولها وأساسا للبناء ولم تعتد بأى مظهر من مظاهر الفكر اذا قام منفصلا عن هذه القاعدة المستمدة من التراث ، هذا هو الموقف بالنسبة للفكر الغربى مع تراث قديم بائد ، مضى وانقضى وتم الانفصال عنه أكثر من الف عام فى لغة ميتة متحفية هى اللغة اللاتينية التى انبثقت عنها لغات جديدة عصرية ، فكيف بتراث مازال متصلا لم ينفصل ماضيه عن حاضره لحظة ، وعن طريق نفس اللغة التى يستطيع القارىء العربى فى القرن العشرين أن يقرأ ماكتب بها قبل أربعة عشر قرنا ويتذوقه ويفهمه ، حيث لا يوجد مثيل لذلك فى الفكر الغربى كله ، ولكن هى الدعوة التغريبية الهادفة الى عزل المسلمين والعرب عن ماضيهم وتراثهم ومقوماتهم ، تقود هذه الحملة الضارية على التراث وتحاول أن تصوره بصورة التأخر والتخلف ، وترميه باتهامات متعددة من قصور وتعارض واضطراب فى محاولة لهدمه وخلق الكراهية والاحتقار له فى نفوس الأجيال الجديدة .

وقد عرف الفكر الغربى قيمة التراث وحقيقته حتى ليقول «بسكال» : ( كل نسل لابد أن يستفيد أولا من الفكر الذى تركه من سبقوه ثم يزيده

ان كان عنده استعداد لذلك ، ولا تستطيع أمة ما أن تحيد عن هذا القانون ) ، ويقول جاك برك : ( ان مستقبل العرب يتمثل فى احياء الماضي لأن المستقبل هو فى كثير من الحالات : الماضى الحى أو الماضى الذى وقع احياؤه وعيشه من جديد ) .

ويجمع الباحثون المنصفون على أنه لم تقم نهضة جادة فى أمة ما الا سبقتها دعوة لاستحياء الماضى والانتفاع به والبناء عليه وخاصة اذا كان ذلك التراث على مثل عظمة التراث الاسلامى استمدادا من القرآن الكريم والاسلام .

ويقول سيمون رايل فى مقاله ( الحاجة الى الجذور ) : ان لتراث الماضى فى عنق الحاضر مسئولية قدسية فلذا انهدم الماضى فان عودته ضرب من المحال ، وان أعظم الجرائم قسوة أن يهدم الناس ماورثوه عن أسلافهم من تراث فما علينا الا أن نجعل همنا الأكبر الاحتفاظ بالذى تبقى لنا من تراث الماضى ، هذه الجذور ليست نزعة عاطفية معناها الرجعية والجمود ، وانما هى غريزة روحية تكمن فى نفوسنا جميعا ، وقد أشار الى أهمية التراث فلاسفة ومصلحون وقادة كثيرون ، وهم يرون أنه لا تعارض مطلقا بين الاتجاه الى المستقبل والمحافظة على التراث ، بل ان التركيز على التراث كقاعدة انما يجعل النظرة الى المستقبل أكثر قوة ووضوحا ، يقول ( نهرو ) : ان علينا أن نتطلع الى المستقبل وأن نعمل له جاهدين وأن نحتفظ فى الوقت نفسه بتراثنا الماضى ماثلا أمامنا لكى نستمد منه القوة والعزيمة ، وخير مستقبل هو ماكان قائما على الحاضر والماضى على السواء ، أما أن نتنكر للماضى أو ننتزع أنفسنا منه فمعناه اقتلاع أنفسنا من تربتنا فنخرج منها وقد ييبس عودنا وجف مافيه من عصارة الحياة الحقة » .

وقد وجدت هذه الصيحة التغريبية معارضة متيقظة وتفهما بهدفها الضار وبأنها تقصد الى غير مصلحة العرب والمسلمين ، كما تأكد لكثير من المستشرقين ذلك حتى أشار ( هاملتون جب ) الى أنه ، ليس فى وسع العرب أن يتحرروا من ماضيهم الحافل كما تجرد الأتراك ، وسيظل الاسلام أهم صفحة فى هذا السجل الحافل إلى درجة لا يمكن أن يغفل عنها الساعون الى انشاء مثل عربية عليا » وقد وجه كثير من المثقفين الدعوة الى العرب والمسلمين للاحتفاظ بتراثهم الأصيل ، وقد أشار قسطنطين رزيق الى أهمية التراث حيث قال : ان لهذا التراث العربى عنصرا هاما من عناصر شخصيتنا ومميزا من مميزاتها ودليلا واضحا على فاعليتنا الحضارية . وفيه من الانجازات والابداعات ماهو خليق بالكشف والابانة لنا ولسوانا ، وما

يجب أن يدفعنا الى استعادة كسبه وتمثل جوهره فى حياتنا الحاضرة ، ويرد على أعداء التراث فيقول : ( الغريب أن هؤلاء الداعين الى نبذ التراث العربى أو اهماله انما يرددون ذلك فى عصر نرى الأمم النازعة الى حياة جديدة تعمد الى ثقافتها القديمة فتحييها وتجعلها عنوان مجدها ، وقبلة آمالها ، ففى الوقت الذى تسعى فيه كل أمة نشطة من أمم الشرق والغرب الى تقديس تقاليدها وتمجيد حضارتها لايسع الأمة العربية الا أن تعمل على بعث تراثها القديم وروحها التى ولدت تمدنها التالد ، فكل من لا ماضى له لامستقبل له ، والأمة التى لاتعنى بروحها لا يمكنها أن تؤدى رسالتها فى التمدن البشرى ) .

ومن الحق أن يقال ان تراثنا يتصل بواقعنا ، وانه فكر حى متجدد ومتحرك فى مجال الحياة والمجتمع ، لم ينفصل ولم يتوقف ، وفضلا عن ذلك فهو ليس الا واحدا من الأسس الرئيسية للحضارة العصرية والفكر البشرى القائم اليوم فقد أعطاهما عديدا من النظريات والأفكار التقدمية البناءة وأهمها ( المنهج العلمى التجريبى ) ومذاهب الاجتماع والسياسة والاقتصاد والنفس والأخلاق والتربية .

والمعروف أن الغرب اليوم يحجب التراث الاسلامى عن أهله :

١ — حتى لا يعرفوا مصادر علم الغرب التى أخذوها من الاسلام .

٢ — حتى لا ينتفعوا بتراثهم فى تحديد حياتهم ووصل ما انقطع .

٣ — حتى يظهروهم على المتشابه والمختلط والمضطرب وحده ثم يستخلصوا منه مايروقهم ويعلنوه فى نظريات لهم ينتحلونها وبحوث يفخرون بها ويتباهون على الناس ، ثم يعرضون علينا تراثنا ناظرين اليه بعين السخط فيتطفل أبناؤنا على فتات موائدهم لقد وضعوا أيديهم على تركتنا التى هى أثمن تركات البشر وظهرنا نحن بمظهر الذى يستعير منهم ويلتمس

( ٨ )

## الفلسفة

لكى نفهم تيارات الفكر العالمى يجب أن نفرق تفرقة واضحة بين العلم والفلسفة ، « هذه التفرقة واضحة دوما فى الفكر الاسلامى والثقافة العربية ، وقد عرفها الامام الغزالى حين هاجم الفلسفة الالهية الوثنية وكرم الفلسفة العلمية فى مجال الرياضيات والطبيعيات ، لأن هذه الأخيرة

قد أقيمت على منطق واضح محسوس لتعلقها بموجودات واضحة بينما لم تقم فلسفة الالهية الوثنية على منطق وان قامت على الوهم والافتراض لبعد مجالها عن المحسوس . نحن اليوم فى حاجة الى مثل هذه النظرة فى التفريق بين العلم والفلسفة فالعلم هو مايجرى داخل المعامل ، أما الفلسفة فهى مايقوله أصحاب الأيدلوجيات ، العلم واقع قائم على حساب وتجربة ، أما الفلسفة فهى نظرية عقل ناقد ، قد تخطىء وقد تصيب ، لأنها قائمة أساسا على الفرضيات ، هناك فرق بين نظريات العلم فى مجال الفلك أو الذرة أو غيرها وبين نظريات السيكولوجية الفرويدية والوجودية والماركسية والبراجماتزمية ، وغيرها من النظريات الفلسفية التى وضعها فيلسوف ما من خلال تحديات عصره وبيئته وحياته الخاصة وتجربته وتغرضاته ، ان العلم حقائق أما الفلسفات فهى نظرات اصلاحية معرضة للخطأ والصواب ، صالحة لبيئة دون بيئة ، وعصر دون عصر، أما العلم فهو تراث انسانى مشترك بين سائر البشر يقوم على قواعد عامة ، أما الفلسفات فهى ليست كذلك ، انها غير صالحة للاستيراد والتصدير ، فلكل فكر فلاسفته ولكل أمة نظرياتها المنبثقة من قيمها الأساسية ودينها وتاريخها وتشكيلها النفسى وذاتياتها الخاصة وروحها ووجدانها ومزاجها . انها تتعلق بالأنظمة الاجتماعية والأخلاقية ومناهج الحكم والقضاء والعلاقات الانسانية وهى تنبع أساسا من تاريخ الأمة نفسها ، فللغرب تاريخه وقيمه وفلسفاته ، وللعرب والمسلمين فلسفاتهم ومفاهيمهم التى تترجم نظرتهم الى الحياة وأسلوبهم فيها وهى ليست دائما قابلة للتصدير أو الاستعارة والنقل .

فالوجودية والماركسية والبراجماتزمية والسيكولوجية ليست علوما لها قوة المنهج التجريبى : وانما هى فلسفات لها اتصالها بالنفس الانسانية والعقل والروح ، وكلها قوى لاتقاس بمقاييس المحسوس ، ومن هنا كانت الفلسفات وهى قائمة على النظرة الخاصة المحدودة بحدود البيئة والزمن معرضة للخطأ ومعرضة للسقوط مع تغير الأزمنة والأمكنة . أما العلوم فهى تراث انسانى مشترك بين سائر البشر يقوم على قواعد عامة تجريبية .

ومن هنا كان خطأ قول القائلين حين يتكلمون عن نظرية من نظريات علم النفس أو الاقتصاد أو الاجتماع « العلم يقول » ذلك أن كلمة ( العلم يقول ) انما توحى الى السامعين أن مايورد لهم هو حقائق معملية غير قابلة للنقض أو التغيير بينما نظريات النفس والاجتماع والاقتصاد على عمومها هى وجهات نظر لفلاسفة وعلماء حاولوا أن يصلحوا مجتمعاتهم فىظروف محددة ، ومن هنا فهى لا تصلح للنقل أو التطبيق فى بيئات أخرى لها

ظروف تختلف وبيئات تتباين ، فضلا عن أن هذه النظريات جميعا قد استوحت الحضارة الغربية والبيئة الأوربية وتحدياتها الخاصة بالتراث اليوناني والروماني والمسيحى ، ومن هنا فهى تختلف اختلافا واضحا عن البيئة العربية الاسلامية بأديانها وتحدياتها وتراثها الفكرى ومزاجها النفسى وذاتياتها الخاصة ، ومشاكلها المختلفة فى النوع والدرجة والتشكل .

ولذلك فان القول الحق هو أن الفلسفة وجهة نظر فلسفى صالح للنظر فيه ليؤخذ منه مايتفق مع البيئات والثقافات ويرفض مالا يصلح منه ، ولا عبرة بما يقال من أن الفكر عالمى فذلك قول يصدق بالنسبة للعلوم التجريبية وحدها ، أما الفلسفة الانسانية كالأخلاق والاجتماع والاقتصاد وغيرها فهى لا تخضع أبدا لقوانين العلم لانها تتصل بالنفس الانسانية التى لا تخضع لقيود المقررات المعملية المحدودة .

( ٩ )

## الاقتصــــاد

للاسلام مفهومه الخاص وطابعه المفرد للاقتصاد ، هذا الطابع المختلف عن المنهجين البشريين العالميين القائمين اليوم ، وهما الرأسمالية والشيوعية ، وتختلف الدعائم الأساسية للاقتصاد الاسلامى عن الرأسمالية فى أمور الملكية والبيع والربا . فالملكية الفردية فى النظام الرأسمالى تختلف اختلافا كليا عنها فى الاسلام ، حيث يضع الاسلام للملكية الفردية من الضوابط مايجعلها مجرد وظيفة اجتماعية . وقد جاء الاسلام بأروع عقيدة توازن موازنة سوية بين الفرد والجماعة ، اذ أقام التكافل الاجتماعى على أساس الأخوة الاسلامية ، وهو طراز فذ فى التعاطف الانسانى جب العنصرية وقضى على التفرقة الطبيعية وحرر العقيدة من التعصب المقيت وكفل للمرأة حقوقها الاجتماعية والاقتصادية وعالج سوء توزيع الثروة معالجة عادلة ، تحول دون تكديسها فى يد فرد أو أفراد قلائل دون أن يقضى على نشاط الفرد وميله الغريزى للمبادرة والابداع . وأقام التنافس على أساس ( القدرة والعدالة ) معا واستطاعت تجربة الحكم الاسلامى فى صدر الاسلام أن تثبت نجاحها الباهر فى خلق مجتمع متوازن تتكيف فيه ارادة الفرد مع صالح الجماعة وتكفل الجماعة للفرد حقوقه وتفرض عليهما معا واجبا يقوم فى الدرجة الأولى على الحافز الأخلاقى .

ولما كان للاسلام منهجه الخاص فى الاقتصاد فانه يختلف بذلك اختلافا واسعا وعميقا مع الرأسمالية والاشتراكية ، فحيث أباح الاسلام

البيع حرم الربا ، ووضع على الملكية قيودا تشمل فرائض على الانفاق لا على التملك تهدف الى الحيلولة دون تضخم الثروات ودون تركيز المال فى أيدى طائفة خاصة من الناس كما فرض الزكاة التى هى ركيزة التكامل الاجتماعى ، ولم يجعل الزكاة صدقة للفقراء ولكنه جعلها حقا من مال الغنى لمستحقيها من غير القادرين .

ولقد فرض على المجتمعات الاسلامية فى فترة سقوطها تحت السيطرة الاستعمارية نظام الاقتصاد الرأسمالى أو الاشتراكى وقد ثبت فشل كليهما فى تحقيق سعادة المجتمع وأمنه ، وقد كشف الباحثون فى الغرب عن فساد الاقتصاد الرأسمالى وعجزه بالنسبة لمشكلة التضخم المالى وما نتج عنه من تضاءل القدرة الشرائية ، وبالنسبة للمشكلات الناتجة عن ازدياد عدد العاطلين عن العمل وقد ثبت أن الاقتصاد الرأسمالى قد تخلى عن كونه علما وحصر نفسه ضمن اطار نظرى ضيق ينطوى على كثير من التبسط فى فروضه وقد وجهت ضربات شديدة الى الاقتصاد الذى ركز على الاتجاه المادى وتجاهل بذلك أبسط قواعد الأخلاق وأوضح معايير الخير والشر التى فرضتها جميع الأديان السماوية فأصبحت التصرفات الاقتصادية مباحة مادامت تؤتى نفعا ماديا ومادامت لا تصل اليها يد القانون الوضعى مهما اختفى فى ثناياها من غش فى المعاملات واضرار بالغير وسلب لماله . وقد أحيطت النظرية الاقتصادية بأقنعة كثيفة حجبت كل اعتبار خلقى أو انسانى أن ينفذ الى هيكلها المادى .

وقد قام الاقتصاد الرأسمالى فى الغرب على أساس الاستغلال والاحتكار والمعاملة الربوية ، وكلها أمور نهى الاسلام عنها ، فالاسلام يحرم الربا والاستغلال والغش والاحتكار كما أنه لا يطلق المنافسة لتنشط من مصدر الغرائز وانما يبيحها فى نطاق مثالياته وأخلاقياته .

أما الماركسية فقد عارضت الفطرة الانسانية بدعوتها الى الغاء الدين والايمان بالله واعتبار الأخلاق ومقاييس الحلال والحرام مقاييس متغيرة غير ثابتة ، وهى تعتمد على المادة وترى أنها أصل جميع الأشياء ، وتفسر الأحداث تفسيرا ماديا خالصا ، وتعتمد الماركسية على قاعدة باطلة ضالة هى الصراع بين الطبقات وقد دعت النظرية الى رفع مستوى العمال فلم تستطع أن تحقق لهم شيئا ذا بال بينما استطاعت الرأسمالية الغربية أن ترفع شأن الطبقة العاملة وتحقق لها كثيرا من الانجازات . وأسوأ معطيات الماركسية احتقار الفرد ومتهان كرامته والنظر اليه كأنه عجلة فى ماكينة ، وهى تعمد على تغذية العمال بالحقد ليثوروا على أصحاب رءوس الأموال .

وبينما تنطلق الماركسية من نقطة الحقد لاراقة الدماء فان الاسلام ينطلق من نقطة الوفاق داعيا الى التقارب والاخاء والتعاون ، وحيث تدعو الماركسية الى عداء الانسان للانسان يدعو الاسلام الى اعلان وحدة الأصل الانسانى ووحدة المجتمع ، وان الناس جميعا مدعوون الى التعارف ، ويعطى الاسلام الناس حق التملك والكسب المشروع حقا مشروعا ، بل شرطا أساسيا لتحميل الانسان المسئولية المفروضة عليه للعمل فى هذه الحياة حتى يسأل يوم القيامة عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وهل أدى فيه حق الله أم لا ، وقد أثبت وقائع التاريخ زيف النبوءات التى قدمتها الماركسية بعد أن قدمت ملايين الضحايا الذين ضاعوا قتلا ونفيا وتعذيبا ، وأثبتت الدراسات أن الماركسية ليست مذهب الطبقة المحرومة أو الفقيرة ولكنها دعوة الحقد على البشرية والأسرة وكراهية الانسانية ، وقد أثبتت كل التجارب التى تمت فى بلدان كثيرة فشلها ، وبرهنت على أنها ضد الفطرة وضد العلم نفسه ، ودلت على أنهادعوة الى تخريب المجتمعات لاقامة نظامها المدمر .

وقد كشفت الأبحاث أنه لا سبيل الى المقارنة بين النظام الربانى المصدر الانسانى الطابع وبين الأنظمة البشرية الوضعية ، وأبرز ذلك فى مجالات ستة :

أولا : تضييق نظام الملكية الفردية لخير الجماعة وفى سبيل الصالح العام .

ثانيا : تحريم الملكية الفردية للاشياء الضرورية لجميع الأفراد وادخالها فى نطاق الملكية الجماعية .

ثالثا : تحريم الكسب غير المشروع واعتبار الربا والفائدة من الأموال الحرام .

رابعا : القضاء على استغلال النفوذ والسلطان للحصول على المال .

خامسا : تحريم جميع المعاملات التى تنطوى على الغش والرشوة أو أكل أموال الناس بالباطل .

سادسا : من أجل جعل الملكية الفردية فى وضع لا تطغى فيه ولا تتكدس أوجد الاسلام ( نظام الميراث ) والوصية ، يتكفل النظام الأول بتوزيع الثروات بين الناس توزيعا عادلا يحول دون تضخم الأموال وتجميعها فى أيد قليلة ، ويعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات ، كذلك الشأن بالنسبة للوصية حيث يقسم بين أقرباء المتوفى فيوسع بذلك دائرة الانتفاع

من الملك الذى كان فرديا فأصبح جماعيا ، كذلك الشأن بالنسبة للوصية حيث يمكن لصاحب المال أن يوصى بجزء من ماله لأحد ، كذلك أمر الاسلام بالزكاة والصدقة حتى يأخذ الفقير نصيبه من مال الغنى وفى هذا حد لتصاعد الملكية .

( ١٠ )

## التعليم

استهدف الاسلام من التعليم تكوين النفس المسلمة والعقل المسلم وتحرير هذه النفس وهذا العقل من كل العوائق التى تحول بين المسلمين وبين السعادة والتمكن فى الأرض ، ولذلك فان خطر معاهد الارساليات والمناهج الغربية الوافدة مازال يحول دون تحقيق هذه الغاية ، فقد عمد الاستعمار الى اتخاذ التعليم وسيلة الى استعباد الأمم والأفراد وخلق عقلية مليئة بالاعجاب بالغرب موالية له ، بينما هى فى نفس الوقت تحتقر مقومات أمتها وقيمها وتتخذ من مرحلة الضعف التى تمر بها البلاد الاسلامية وسيلة للتشكيك فى مدى أثر القيم الاسلامية ، ومن الحق أن مرجع الضعف يعود الى تهاون المسلمين فى تطبيق منهج التربية الاسلامية فى بيوتهم وأسرهم .

وركز منهج التعليم الاسلامى على أن يجعل أساس العلم مراعاة ميول الأطفال واستعداداتهم حتى لا يرهق الأطفال بأعمال يصعب عليهم اداؤها لأنها لاتجرى مع رغباتهم ، وعلى المعلم أن يحترم الميول مهما كانت متواضعة ، وعلى المعلم أن يتجنب كل مايثير الشك فى نفوس الضعفاء ، وأن يقتصر على المتداول المعروف ، والا يلقى على التلميذ مالا يحتمله عقله ولا يلقى اليه مالا يبلغه عقله وأن يلقى القدر الكافى المناسب مع العقول ، وقد أعلن الاسلام أن التعليم حق لكل صبى وواجب على الدولة وهى مكلفة به اذا لم يكن أهله قادرين على الانفاق عليه ودفع أجر معلم الكتاب فينفق عليه من بيت مال المسلمين ، كما أشار المنهج الى تعليم البنات لأن دين الاسلام عام لجميع الناس وان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

وقد رسم الاسلام أسلوبا عمليا لمنهج التعليم قرر فيه عددا من الحقائق التى ماتزال تمثل الأساس الصحيح لكل نهضة تعليمية ، ومن ذلك أسلوب التدرج فلا يخوض المعلم فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله فان العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا وبعضها طريق الى بعض ، وان يأخذ من كل شيء أحسنه وأن يكون التوجه أولا الى أشرف العلوم وهو العلم بالله عز

وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم ، والا يدع المعلم من نصح المتعلم شيئا وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها أو التشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى مع التنبيه على الغرض من درس العلوم وعلى المتكفل ببعض العلوم ان لايقبح فى نفس المتعلم العلوم الأخرى ، فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ، بل المتكفل بعلم واحد ينبغى أن يوسع على المتعلم طريق المتعلم مع غيره وأن يراعى التدريج فى ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة ، وعلى المعلم أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى اليه مالا يبلغه عقله ، وذلك وفقا لقول النبى صلى الله عليه وسلم ( مامن أحد يحدث قوما بحديث لا يبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم ) وعلى المتعلم أن يعلم نسبة العلوم الى المقصد كما يؤثر الرفيع القريب عن البعيد والمهم على غيره وعلى الطالب الا يدع فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته طالبا التبحر لأن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ، وعليه أن يراعى الترتيب ويبدأ بالمهم فان العمر اذا كان لايتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم أن يأخذ من كل شىء أحسنه ويصرف جمام قوته من الميسور من علمه الى استكمال العلم الذى هو أشرف العلوم .

( ١١ )

## العلم

دعا الاسلام الى العلم فبدأت آيات القرآن بالدعوة الى القراءة ثم أقسم بالقلم وجعلت القراءة باسم الله خالصة ونسبت التعليم الى الله الذى علم بالقلم . وورد لفظ العلم ومشتقاته فى القرآن فى ( ٨٧٠ آية ) والعلم الذى دعا الاسلام الى تحصيله هو العلم على اطلاقه وليس علم الدين فحسب ، وكانت دعوة الاسلام الى العلم مرتبطة بالنظر الى آفاق السماء والأرض والتأمل والتدبر والتفكر ، والى النظر فى مبادىء الخلق وفى أحوال الأمم التى اندثرت وما تزال بقايا حضاراتها ومدنياتها فنظرة الاسلام الى العلم نظرة جامعة قد حاطها منهج كامل للمعرفة والفهم له مقوماته وضوابطه ، فقد دعا الى البرهان والحجة والتجربة وحث على الاجتهاد وجعل له أجرين وحرم التقليد . ولم تكن هذه الدعوة بغير هدف، ولكنها كانت ترمى الى أن يمتلك الانسان ارادته ومسئوليته فيحقق أمانة وجوده ورسالة استخلافه .

فقد دعا الاسلام الى السيطرة على الحياة والى تملك مواردها ومقدراتها والى انمائها وتسخير مواردها وتشكيلها ودعا الى الكشف

والابتكار وجعل للمبتكرين الثواب وأمر بتعمير الأرض والتنـــافس فى الصنائع والفنون النافعة وأعلن أن العلم يزكو بالانفـــاق وقـــد أخذ الله الميثاق على الذين يعلمون أن يبلوه للناس ولا يكتمونه .

ودعا الاسلام المسلمين الى استعمال حواسهم الظـــاهرة فى النظر والتأمل كما حرضبهم على طلب العلم والمعرفة والنظر فى الكون والتأمل فى الكائنات والتنقيب عن أسرار الوجود ، وحثه حثا متواصلا على العناية بتنمية العقل الانسانى وترقية الشخصية الانســـانية بالضرب فى الأرض وتعرف أحوال الأمم وطبائعها ودراسة ماهىعليه من نظم وعادات. وهكذا فتح الاسلام الباب أمام البشرية لتتقدم الى مجالات البحث العلمى والمدنية وكان ظهور الاسلام هو منطلق التحول الصناعى فى العالم كله . ولقـــد كان من آثار ذلك أن أقام الاسلام للعلم منهجه ومنطلقه من حـــرية البحث وصراحة الفكر وسلامة النظرة بعد أن جرر العقل البشرى من الوثنيـــات والمـــادة ، وعلم العـــالم كيف تتفق حرية الفـــكر مع اســـتقامة الدين واستطاع المسلمون أن يحققوا خطوات واسعة فى هذا المجال فى نفس الوقت الذى ظل مجرى عقولهم سليمان قائما على الايمان بالله مصـــدر العلم ومعلم الانسان أسرار الـــكون وقوانينه ، ومن أجل هذا المنطلق فرق الاسلام بين العلم النافع والعلم الذى لا حاجة اليه ودعا المسلمين الى أن يأخذوا من كل علم بما هو أحسنه وفى عهـــد النبى وضعت فكرة القياس ووضعت قواعد القياس وشرائط العلوم ، وتكلم الصحابة فى عهد النبى فى العلل ، وأن كثيرا من الواقعـــات لم تندرج فى النصـــوص الثابتـــة فقاسها الصحابة بما ثبت والحقوها بما نص عليه بشروط ، من ذلك الالحاق، وقد تميز العلم الاســـلامى بأنه حى واقعى تجريبى خال من عنصر الخيال والقصـــة ومقيد بالملاحظة والتجربة ، فقد كان الفكر الاسلامى ثمرة عملية نقد كبيرة وعملية للفكر السابق وتجديد وبناء استغرق قرونا زاهـــرة فى حياة العقل فى الاسلام فقد اعتمد العلماء المسلمون على العقل والحس مطالبين أنفسهم وغيرهم بالدليل والبرهان واستطاعوا بعد الاطلاع على معارف الأمم أن يصححوها ويسيروا بالمعرفة خطوات هائلة ، وكان تجديدهم للعلوم الطبيعية والـــكونية من طرق شـــتى مع الاعتماد على الملاحظـــة والتجربة فصحح المسلمون معـــارف القدماء وابتكروا علوما خاصة بهم ، وضع جابر بن حيان علم الـــكيمياء ، ووضع الحسن بن الهيثم علم الضوء بمعناه الحـــديث ، وجدد البتانى علم الفلك . أقاموا العلوم على التجربة وأنشأ المسلمون المنهج التجريبى الاسلامى. مخالفين المنهج اليونانى ونقدوا المنطق الأرسطى ، ووصل المسلمون الى فكرة الخواص اللازمة لكل ذات، وهى الفكرة التى صبغت المنهج الاستقرائى الحديث بصبغتها الخاصـــة ،

وكان المنهج التجريبي الاسلامي هو أساس الحضارة المعاصرة وهو الذي دفع أوربا الى العمل وأخرجها من جحور الوثنية والرهبانيــة ، وصحح المسلمون أغلاط أرسطو وجالينوس وأفلاطون ، وأبطل صناعة التنجيم وأبطل القول بأن الكواكب تجلب السعادة أو أن بعضها يجلب النحس، وقال ان اليونان أخذوه من غير برهان ولا قياس وقد أقام المسلمون المنهج العلمي التجريبي على قواعد رئيسية لاتخضع للاهواء ولا للغايات الخاصة ولا للمطامع وبذلك قرر الاسلام دستور العلم .

## (١٢)

## الفــن

يقوم المفهوم الاسلامي للفن على استحالة التنــاقض مع الفطرة فاذا كانت الفنون من روح الفطرة وجب ألا تخالف أو تنــاقض دين الفطرة : دين الاســلام في شيء فاذا خالفت الفنون الدين في أصوله ودعتصراحة، أو ضمنا الى رذيلة من أمهات الرذائل التي جاء الدين لمحاربتها ، وعاقت الانسان عن أن يعمل بالفضائل التي جاء الدين لايجابها على الانسان حتى يبلغ ماقدر له من الرقي في النفس والروح ، وآذا خالفت الفنون الدين في شيء من هذا أو في شيء غير هذا فهي بالصورة التي تخالف بها الدين فنون باطلة ، فنون جانبت الحق وأخطأت الفطرة التي فطر الله عليهــا الناس والخلق ( محمد أحمد الغمراوي ) .

ومفهوم الفن في الاســلام يقوم على أساس أنه عنصر من عنــاصر الفكر يتكامل مع الأدب والاجتماع والأخلاق والدين والحضارة ، وهو في الاســلام له طابعه الأصيل الواضح المبــاين لمفهوم الفن في الثقــافات والحضارات الأخرى ، وقوامه الأخلاق وطابعــه التوحيد يتسامى بالغرائز ويرتفع بالنفس بالانسانية الى الكمال دون أن يبعد عن الواقع .

والفن في نظر الاسلام أداة تجميل الحيــاة ووسيلة الاسعاد الروحي والنفسي بتحرير الانسان من عالم الأهواء والغرائز واطلاقه في نظرة حرة الى الكون والوجود ، يعرف فيها قدرة الله وعظمته ويزداد بها ايمانا .

وقد كان الفن اليوناني بطابعه المادي والوثني يجعل الأولوية للتماثيل المجسمة اعجابا بالأجساد وعبادة لصور الجمال ومظاهر القوة ، ولــكن الفن الاسلامي مستمدا من مقوماته الأساسية يجعل البيان والشعر والأدب في مقدمة قائمة الفنون : الكلمة البليغة والفكرة الموحية وذلك انتقــالا من عالم المادة الى عالم الفكر ، فالتأمل أوسع العوالم والتفكر في خلق الله

أعظم معطيات العقل والروح : ( نون والقلم وما يسطرون ) وبذلك أصبح رائد الفن : البيـــان الذى يتمثل فى أسمى صوره بالقرآن الـكريم وبذلك دفع الاسلام الفن البشرى الى الأمام انتقالا من مفهوم الماديات فى الفن الى مفهوم المعنويات وسلك المعنويات والماديات فى اطار جامع متكامل وبذلك فقد حرر البشرية من مفهوم المادية الخالصة التى تقدس الجسد والشهوات والغرائز والوثنيات وتقيم لها المهرجانات والطقوس ، ودفع البشرية الى الانتقال من تجسيد البطولة فى صورة مادية الى تـكريم عمل الانســـان نفسه .

وأبرز سمات الفن فى الفكر الغربى لا تجد فى مجال الفكر الاسلامى مجالا لها . فالاسلام لايقر عبادة الجسد الجميل عبــادة وثنية بحيث يقدم له القرابين وكل مايتصل بذلك من أساطير الحب والجمال عند الاغريق وهى حافلة بالمباذل لاتجد فى أفق المجتمع الاسلامى قبولا .

كما أن الاسلام لايقر فكرة الصراع بين الآلهة والانسان أو بين القدر والانسان على النحو الذى يقوم عليه الفن الغربى ، ولا يؤمن المسلم بأن الانسان يثبت ذاته بمصارعة القدر ولا بأن البطل الصالح يتحطم على يد القدر ، وكل هذه المعانى مستمدة من فكرة الخطيئة الأصلية والمسلم لايؤمن بتعدد الآلهة ولا تجسيد الاله فى صورة وثن حسى ملموس كالتماثيل العديدة فى العقائد الغربية فى ذلك الخلط العجيب بين المسيحية والهلينية . كما أن المسلم لايؤمن بعبـــادة الطبيعـــة أو المحسوسات ومن هنا فان مفهوم الفن فى الاسلام محرر من كثير من هذه القيم التى يقوم عليها الفن الغربى والتى تتعارض أساسا مع الايمان بالله الواحد .

كذلك فان الاسلام لايقر تجسيد البطولة فى صورة مادية ، ليس فقط حفاظا على مفهوم التوحيد من خطر الاتصال بالتماثيل والأصنام التى كانت تمثل عبادات ماقبل الاســلام ، ولـكنه ارتفاعا بالنفس الانسانية من أن تتمثل فى مفهوم مادى ، بينما جاء الاسلام محررا للبشرية من التجزئة بين الماديات والمعنويات والفنان المسلم له طابعه المبـدع متحررا من الخضوع للمذاهب الوثنيـــة التى تقول بتقليد الطبيعة أو التفوق عليها ، ولذلك فهو قـــد طرق آفاقا أخرى غير هذه الآفاق هى التعبير عن المعانى فأوجد أنواعا من الخطوط والدوائر والزخارف والوحدات المتشابكة والمتداخلة .

وهكذا حقق الفن الاسلامى مذهبا جديدا مستمدا من حقائق الاســـلام فكان فنا منطلقا وتجريديا معبرا وليس جامدا .



# الفصل الثانى

## الفكر الاسلامى والشبهات المثارة

(١) الثقافة والحضارة
(٢) مصطلح الضمير
(٣) الفتح الاسلامى
(٤) التصوف
(٥) النبـــوة
(٦) الأمة الأمية
(٧) العلمانيـــة
(٨) العقلانية
(٩) الأرقام
(١٠) الثـــورة
(١١) طوالع البخت
(١٢) القرآن الـــكريم
(١٣) وحدة الأديان
(١٤) تأويل المعجزات
(١٥) السلفية
(١٦) كتابات الأطفال
(١٧) الفكر الفلسفى
(١٨) الفلسفة المادية
(١٩) علم النفس الحديث
(٢٠) أخلاق الاسلام
(٢١) تفسير التاريخ الاسلامى
(٢٢) الحكومة الثيوقراطية
(٢٣) الحكومة الاسلامية
(٢٤) الماسونية
(٢٥) اليونسكو
(٢٦) الوحى
(٢٧) الفرعونيـــة
(٢٨) التفوق البشرى
(٢٩) تجارة الرقيق
(٣٠) موسيقى القرآن
(٣١) اللغة العربية
(٣٢) مهمة الجامعة
(٣٣) تمثيل الصحابة
(٣٤) القوميات والأقليميات
(٣٥) المسرح
(٣٦) الأساطير
(٣٧) القرامطة
(٣٨) اخوان الصفا
(٣٩) الزنج والقرامطة
(٤٠) الحرف اللاتينى
(٤١) الفاظ القرآن
(٤٢) نظرية دارون
(٤٣) الجهـــاد
(٤٤) التوراة
(٤٥) الانسان
(٤٦) المنهج العـــلمى الغـــربى والاسلامى
(٤٧) التفسير المادى للتاريخ .
(٤٨) أهل السنة والجماعة
(٤٩) الوثنيـــة
(٥٠) الرقيـــق
(٥١) السنة والشيعة



( ١ )

## شبهات حول الثقافة والحضارة

من الشبهات المثارة والتى كثر ترددها القول بترابط الثقافة والحضارة وأن على الأمم التى تأخذ الحضارة الغربية أن تأخذ الثقافة أيضا ذلك لأنه لا سبيل الى التفرقة بينهما .

ومن الحق أن يقال فى هذا المجال أن الأمم حين تقتبس من أمم أخرى لاتنقل الثقافة ، ولكنها تنقل الحضارة المثلة فى الوسائل المادية فى الحياة الاجتماعية ، أما الفكر فلا سبيل الى نقله ، لأن لكل أمة فكرها . وتجربة أوربا مع الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى قد سبقت على الطريق فقد نقل الغربيون الحضارة الاسلامية وترجموا العلوم ونقلوا المعامل وأدوات التجارب ولكنهم لم يقبلوا الفكر الاسلامى المستمد من القرآن والتوحيد ، وأقاموا فكرهم وثقافتهم على أساسها القديم المستمد من الفلسفة اليونانية الاغريقية ، وجاءت استمداداتهم من الفكر الاسلامى خالية من طابع هذا الفكر فقد جردوها وصهروها فى ثقافتهم وكيانهم فلم يتحولوا بها فلماذا لا يقف المسلمون مثل هذا الموقف ويقلدون الغرب فى هذه الخلة .

ذلك هو الأمر الطبيعى للامم والثقافات والاتجاه الصحيح لعلاقات الحضارات بين الشعوب .

فالقول بأن على العرب والمسلمين أن ينقلوا الحضارة وثقافتها ( وما يحمد منها وما يعاب ) هو قول باطل مغرض وهو صوت التغريب والغزو الثقافى وهو ليس خالصا لوجه الحق ولا وجه العلم ولا خالصا فى نصح هذه الأمة ، ولكنه زيف وغش يراد به صهر هذه الأمة فى أتون الفكر الغربى ، وتحويل الفكر الاسلامى الى فكر تابع ذليل قد سقطت عنه مقوماته وذاتيته وذاب فى الأممية والشعوبية العالمية وهو أمر لن يحدث فى الاسلام وجذوره العميقة التي لا يمكن ازالتها ، ولأن المسلمين والعرب قد بلغوا مرحلة الرشد الفكرى فلم يعودوا يخدعون عن رأى مضلل مزخرف فضلا عن الثقة الكاملة باشارة القرآن الكريم : ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) .

ولقد فرضت على مجتمعنا وفكرنا الاسلامى صراع الثقافات : الثقافة الفرنسية والثقافة الانجليزية والثقافة الأمريكية والثقافة الماركسية وكل منها له وجهته وان كانت وجهة الثقافة الماركسية تختلف من ناحية الخلاف بين الرأسمالية والشيوعية .

( ٣ )

## شبهات حول مصطلح الضمير

مصطلح الضمير : من التعبيرات التى استحدثتها كتب الأخلاق الغربية وهو مصطلح أريد به احلال مفهوم أخلاقى منفصل عن مفهوم الأديان المنزلة فحيث يدعو الاسلام الى بناء الانسان بالتقوى ويجعل منه قوة فعالة تحول بين الانسان وبين الشر دعا كتاب الغرب الى مايسمى بالضمير ، والضمير بهذا المفهوم لا يتشكل الا فى مفاهيم البيئة والثقافة والعقيدة. فاذا تشكل على معنى التحرر من قيم الأخلاق أو اعتبارها نسبية لا ترتبط بالانسان ولا بالمثل الأعلى فانما يجرى الضمير معها هذا المجرى ، وحينئذ لايستطيع أن يحقق شيئا بمفهوم الضمير الذى يشكله مفهوم الأخلاق المرتبطة بالعقيدة المؤمنة بالجزاء الآخر .

هذا المعنى الذى لفت اليه الدكتور عبد الحليم محمود وهو يجليه بقوله ان خرافة الضمير هى من أوهام العصر الحاضر حيث لاتجد فى معاجم اللغة ذلك المعنى الأخلاقى الذى نفهمه من هذه الكلمة فى الوقت الحاضر ، ولقد استعمله الغرب كثيرا وأشاد به حينما أراد أن يضع للاخلاق أساسا ومقياسا منفصلين عن الدين ، حين أراد الغرب أن يتخلص من سيطرة الكنيسة وان يخرج من سلطانها ، وكان الدين اذ ذاك أساسا ومقياسا للاخلاق ، فلما أريد التخلص من الدين جرى البحث عن الدين بوحى الضمير ، وأن يتخذوا من وحى الضمير الأساس الذى لايخطىء ، ان الناس فى كل العصور يستشيرون ضمائرهم ولكنها لاتسمعهم جميعا لحنا واحدا ، وقال أندريه كرسون ، اذ أن ما يظهر عدلا لبعض النفوس لا يظهر عدلا ولا خيرا لنفوس أخرى فانه حين توازن بين أحوال الضمير في العصر الواحد في أقطار مختلفة فاننا نجد فروقا لاتكاد تحصى وحيث يختلف الضمير بحسب اختلاف الزمن أو اختلاف المبادىء ، أو اختلاف البيئة أو اختلاف الثقافات فى البيئة الواحدة ، ولذلك فان اتخاذ الضمير كأساس للاخلاق أو كمقياس لها انما هو مجرد حماقة وعبث

ومن الشبه التى جعلت الناس يؤمنون بمنزلة كبرى للضمير

ويرفعونه انه قد شاع بين بعض الطوائف أن الضمير قوة فطرية معصومة بطبيعتها ، الضمير قوة فطرية الا أنها تتلون بحسب ماتتغذى به من ثقافة وبيئــة ووراثة ، وهى تختلف فى الفرد الواحد بحسب اختلاف سنهوتنقله من بيئــة الى بيئة وبحسب الـكتب التى تمده بالثقافة العقلية أو التهذيب الروحى وبحسب أخلاق الأصدقاء الذين يلازمهم الانسان فى حياته .

ومن هنا فان الضمير ليس قوة معصومة بطبيعتها بل هوة متــأرجح متقلب لايستقر له قرار .

أما الأساس فى الأخلاق والمقيــاس الذى يلجأ اليــه الدين يستمد منه الهداية والارشاد فانه هو وحده المعصوم ، والاســلام قــد أتى فى الجانب الأخلاقى بكل ماتتطلبه النفوس المرهقــة والأفئــدة المتعطشـــة للاستقامة والانابة .

أما صلة الدين بالضمير فانها صلة هيمنة وتوجيه وارشاد وسيطرة، هيمنة تستمر مدى الحياة فاذا زالت اختل الضمير .

( ٣ )

## شبهات حول الفتح الاسلامى

حاولت بعض الشبهات الغربية اثارة الطعن فى الفتح الاســلامى وتزييف مفهوم انتشار الاسلام بتفسيرات مادية مضللة والحقيقة أن الفتوح الاسلامية لم تكن حركة توسعية ولا حربا صليبية ضد المسيحية وانما كانت رسالة تمدنية لاتدهف الى أى لون من الوان الادماج .

وفى هذا المعنى يقول سامى اليافى فى كتاب ( الحضارة الانسانية بين الشرق والغرب ) : ان انتصار العرب المذهل ليس مرده ضعفالدولة البيزنطية بعد أن استغرقت الحروب الفارسية مواردها ، هــذه مغالطة صارخة لأن الامبراطور هرقل قــد أنهى حرب الفرس بالنصر الباهر عام ٨ هـ ( ٦٢٩ م ) ثم تمتع خمس سنوات من السلم الشامل قبل أن يفــاجأ بالغزو العربى ، وقد أعد العدة بنفسه وعين أخاه ستودور لقيادة الجيش الذى دحره المسلمون فى أجنادين . ولا ريب أن انتشار الاسلام فى هذه المرحلة القليلة التى لم تزد عن ثمانين عاما قــد أدهش المؤرخين ، ولأنهم جروا عن فهم الأثر المعنوى والروحى والنفسى للاسلام فى البــلاد التى دخلها فقد ذهبوا مذاهب مختلفة فى التعليل .

والواقع أن النصر الاسلامى للاسلام هو وحده القادر على طرح المفهوم الأصيل لهذه الظاهرة ولقد أجمع المؤرخون على أن سرعة انتشار الاسلام أمر فريد عجيب على مدى التاريخ ، ذلك لأن المسلمين لم يكونوا من الكثرة العددية ولا من قوة العدد والسلاح ولا من حيث استيعاب الفنون العسكرية ولا من حيث حضارة العلم والمدنية ، غير أن التفسير الصحيح والسليم أن سرعة انتشار الاسلام انما ترجع الى أنه كان أفضل نظام اجتماعى وسياسى تمخضت عنه العصور ، وأن سعادته ترجع الى أنه وجد فى كل مكان ذهب اليه أمما استولى عليها الخمول وفشا فيها النهب والعسف ، فلما جاءها الاسلام لم يجد الا حكومات مستعبده مستأثرة متقطعة الروابط بينها وبين رعاياها ، وكان نظام راس المال فى الامبراطورية الرومانية مبنيا على الاسترقاق ، وكانت الآداب والثقافة الاجتماعية آخذة فى الانحلال ، ومن ثم وجدت جماهير الأمم فى الاسلام منقذا ومخلصا ، ذلك لأنه أقام العدل ، ولكنه لم يفرض عقيدته وترك الناس يدخلون فيها باختيارهم وقد دخلوا فى هذا الدين حين تبين لهم صدق الداعين اليه .

أما تلك التفسيرات التى تقول بأن قسوة الحياة المادية والاقتصادية هى التى دفعتهم الى التطلع الى مافى البلاد التى فتحوها من موارد اقتصادية فانه باطل لأنه لو صح لاقتصر المسلمون على فتح البلاد الخصبة الغنية ولما ذهبت جيوشهم وقبائلهم الزاحفة الى البلاد الفقيرة الشحيحة النائية عن مواطنهم ، ولكن الحقيقة هى أنهم كانوا يهدفون أساسا الى نشر كلمة الله ورسالته الى الناس كافة وفى كل مكان مهما احتملوا فى ذلك من العسر والمشقة ، ولو كان لهذا التفسير المادى أى ظل من الحقيقة لأسرع الخلفاء الراشدون الأولون الموجهون لتلك الفتوح الى نقل مقار سلطانهم وحكمهم من مكة والمدينة وصحراء الجزيرة العربية الى غيرها من البلاد المفتوحة .

( ٤ )

## شبهات حول التصوف

من المحاذير التى توجه الى التصوف قيامه على مفهوم الذوق ودعوته للوصول الى الحقيقة عن غير طريق العقل ، قائلين بأن القلب أو البصيرة الداخلية قادرة على اكتناه الحقيقة .

وهذا القول من شأنه أن يعمل على اسقاط الجانب العقلى فى الاسلام وما يتصل بالعلوم المكتسبة ، وقد كان مفهوم الاسلام فى منابعه

الأصيلة قائما على العقل والقلب معا دون تفرقة بينهما أو اعلاء لجانب دون الآخر .

ومن طريق انفصال الجانبين المتكاملين دخلت الى التصوف مفاهيم الحلول والاتحاد ووحدة الوجود وغيرها من نظريات عرفتها مذاهب الروحية القديمة ، ولقد كان من أخطر ما وصل اليه الفكر الصوفى ذلك الجانب الذى يتصل بالكرامات واسقاط التدبير ونبذ العقل والتواكل واسقاط التكليف من صلاة أو صوم أو حج أو غير ذلك من فرائض ، بدعوى الترقى عن العامة ، ومن ذلك مسألة التفرقة بين الظاهر والباطن ، والايغال فى تفسيرات باطنية للمصطلحات والكلمات تختلف عن مفهوم السنة الجامعة .

هذا اللون من التصوف الفلسفى المنحرف هو الذى أوصل المسلمين الى مرحلة الجبرية الذى جعل المتصوفة أولياء للمستعمر بعد أن كانوا فى ايمانهم بالجهاد حربا عليه ، وكان لهم دورهم الواضح الضخم فى مقاومة نفوذ الحملات الصليبية والاداله منها ، ثم تحول الصوفية فى ابان الاحتلال الفرنسى والبريطانى فأصبحوا أولياء للنفوذ الأجنبى ، وهذا هو التصوف الذى انتقده جمال الدين ومحمد عبده واقبال وابن باديس .

وقد حمل الباطنية الآيات مالا تحتمله بدعوى النفاذ الى عالم الأسرار والأنوار . كذلك فقد ذهب بعض الصوفية فى الزهد والتقشف مبلغا من المغالاة حتى يصل الى قريب من مفهوم الرهبانية المسيحية ، وليس هذا مفهوم الاسلام فى الزهد والتقشف ، ولم يرسم الاسلام لأتباعه حياة الزهد والنسك ولا حياة الاستغراق فى الترف والنعيم ، وهو يرفض العزلة والانقطاع كما يرفض الانكباب على الدنيا ، فالاسلام دعوة وسطية من الجمع بين الروح والمادة فى اطار الحدود التى أقامها الله تبارك وتعالى ، وقد فهم أن تكون الدنيا فى أيدى المسلمين وليست فى قلوبهم وأن تكون موجهة الى الله تبارك وتعالى ، وكذلك جعل الاسلام الكرامة خالصة لصاحبها بحيث لا تكون مفروضة على أحد ولا حائلة دون القيام بأى فريضة من فرائض الله تبارك وتعالى .

( ٥ )

## شبهات حول النبوة

طرحت المخططات التغريبية من خلال مفاهيم الفلسفة المادية شبهات جديدة حول النبوة والوحى ، تحاول أن تلقى ظلال الشك بالقول بأن النبوة تجربة ذهنية فكرية ، وان النبى قد أدرك ما أدرك من النبوة نتيجة قدرته على التركيز واستدامته على مستوى تجريدى لا يطيقه غيره ، ولا ريب أن هذه من الدعاوى الباطلة التى فندها مفكرو الاسلام المعاصرون على أساس واضح صريح ، ان أى انسان مهما بلغ من التركيز لا يستطيع أن يكون نبيا ، لأن النبوة ليست تجربة ، ولما كان أبرز ظواهر النبوة هى الوحى ، ولما كان هذا الوحى يهبط فجأة فى لحظة مجهولة للنبى كأنه ومضة خاطفة لم يسع اليها ولم يتوقعها ، كان من الاستحالة القول بأن النبوة مما يمكن أن يتحصل اليه أى انسان مهما بلغ من النبوغ أو الذكاء .

ولا ريب أن أبرز صفات الوحى أنه من خارج الذات ، فهو ليس نتيجة فيضان نفسى أو كبت لمجموعة من التأملات احتشدت وتفجرت فى نفس النبى على نفسه . والقائلون بهذا هم من المنكرين للنبوة الخائضين بالباطل فى وصفها . ولا ريب أن النبوة هى من الاصطفاء الربانى العلوى المسبوق ببعض الارهاصات ، ولكنه لا يعرف مايسمى بالتدرج المؤدى الى النضج فى النهاية ، والنبوة تكليف فجائى ينفى الارادة فلا خيار لنبى فى أن يقبل أو يرفض ما يأتى به الوحى ( ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ) .

ان محاولة الفكر المادى محاولة باطلة وخاصة فى محاولة تجريد النبى صلى الله عليه وسلم من كل ماهو سماوى غيبى ، ولا شك أنهم مخطئون فى تصورهم انه صلى الله عليه وسلم « اختفى » فى غار حراء ليفكر فى أحوال قريش وكيف يستنقذهم من مظالم السادة ، أو قولهم أن الاسلام ثورة اجتماعية فالاسلام ليس ثورة ، ولكنه دين سماوى اختار الحق تبارك وتعالى توقيته ومكانه ورسوله دون تقيد بأى تفسيرات مادية مما يحكم به الماديون على الثورات والحركات الاجتماعية ، وللنبى صلى الله عليه وسلم عصمة وقداسة وهو ليس بشرا فحسب ، ولكنه « بشر يوحى اليه » : ( قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى ) انه ليس بشرا مثلنا لأنه يوحى اليه ، ونحن لا يوحى الينا بشىء ، هذا الفرق الدقيق هو سر النبوة والنبى معصوم يتلقى من ربه التشريع والتكليف وهو لا ينطق عن الهوى .

# ( ٦ )

## شبهات حول الأمة الأميــة

**« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم »**

كان العرب أمة أمية وعند أهل الـكتاب من اليهود والمسيحيين أن الأميين هم غير بنى اسرائيل ، وكان اليهود يعتبرون أن كل ماعداهم أميون وبالمعنى العصرى « جوييم » وذلك بعد أن دخلت عليهم مفــاهيم الغرور والاستعلاء والادعاء بأنهم شعب الله المختار ، فقــد اعتبروا أن كل من عداهم أميون ، ووصف الأميون بأنهم لم ينزل عليهم كتاب سماوى ، فكان العالم قبل الاسلام أهل كتاب وأميون ، فأرسل الله تبارك وتعــالى فى الأميين رسولا منهم ، وأنهم كانوا قبل نزول الـكتاب فى ضلال مبين ، فالعرب كانوا أميين — قبل الاسلام — بمعنى أنهم غير ذوى كتاب سماوى ثم أصبحوا بعد أمة مسلمة ، وأمة وسطا وخير أمة أخرجت للناس .
**« وكذلك جعلناكم أمة وسطا » و « كنتم خير أمة أخرجت للناس »**

ومعنى هذا أن الاتــلام ليس الا الرجوع الى الدين الأصلى : الى الحنيفية السمحاء التى جاء بها ابراهيم الخليل : **( ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولــكن كان حنيفا مسلما ) ( ثم أوصــينا اليــك أن اتبــع ملة ابراهيم حنيفا )** .

ولــكن ليس معنى الأمية أن كان العــرب قبل الاســلام يجهلون القراءة والـكتابة كمــا يشيع بعض المســتشرقين ، ذلك أن كلمة الأمى والأميون ليس معناها الذى يجهل القراءة والـكتابة ، بل ان معناها أن الأميين غير العبرانيين ، وأن كلمة الأمى التى يوصف بها النبى ليس معناها الذى لا يقرأ وانما معناها النبى غير اليهودى ، فقــد كانوا يقولون النبى منهم وحدهم وان الرسول لايبعث الا منهم ، وقد نقل الله النبوة منهم الى العرب بعد أن عجزوا عن حمل الأمانة وخالفوا وغيروا وبدلوا ، فالأمية نسبة الى الجماعة العربية فى الجزيرة العربية التى لم تعتنق اليهودية أو النصرانية دينــا ، فصارت أمة تختلف فى عقيــدتها عن أصحاب تلــكم العقيدة ، هذه الأمة هى أكثرية العرب الـكاثرة التى لم تقبل اليهودية أو النصرانية دينا الى أن أظهر الله تبارك وتعالى من بين ظهرانيها رسولا من أنفسهم .

والأمية بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم بمعنى أنه لم يكن يكتب أو يقرأ انما كانت الأمية احدى معجزاته، لتنفى عنه سوء الظن فى تعلمه مادعا اليه من الكتب التى قرأها أو الحكم التى تلاها **( وما كنت تتلو قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون )** .

هذه الخلة من الأدلة القاطعة على أن القرآن من عند الله ، فهم لم يستطيعوا أن ينكروا أميته ، ولكن ادعوا أنه طلب من آخرين أن يكتبوا له أساطير الأولين **( وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ) فقد جاءوا ظلما وزورا ، وقالوا ، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا )** .

ويقول الباحثون : ان كلمة أمى فى الآيتين الواردتين فى القرآن :

**— الذين يتبعون النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل** ( الأعراف )

**— فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ( الأعراف )

معناها : الرسول الذى لاينتمى الى بنى اسرائيل ، اذ كان اليهود يزعمون أن الرسالة مقصورة عليهم وليس من حق رجل غير اسرائيلى أن يبعثه الله فكذبهم الله فى زعمهم هذا بأن ابتعث من العرب رسولا جعله خاتم أنبيائه ورسله ، وجعل رسالته عامة للبشر جميعا وخالدة الى يوم القيامة ، وبذلك ينفى الله زعمهم بأن الرسالة لاتكون الا فى بنى اسرائيل، لأن نوحا وهودا وصالحا وابراهيم ولوطا واسماعيل واسحق وكثيرا من الأنبياء لم يكونوا من نسل اسرائيل **( انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم )** الآية ( سورة النساء ١٦٣ ) .

وفى الحديث : أنا أمة أمية لاتكتب ولاتحسب، الشهر هكذا وهكذا . . وجاء فى شرح ابن حجر القسطلانى للحديث أن المراد بالأمية النسب الى أمة العرب لأنها لا تكتب أو النسب الى الأم أى أنهم على أصل ولادة أمهم أو لأن المرأة هذه صفتها غالبا ، أو النسب الى أم القرى .

وقال الزمخشرى : ان النبى أمى نسبة الى أمة العرب حين كانوا لايحسنون الخط ويخط غيرهم عن سائر الأمم ثم بقي الاسم وان استفادوا الكتابة فيما بعد ، وقيل نسب الى الأم أى كما ولدته أمه ، ذلك أن العرب كانوا كتابا وقراء منذ العصر الجاهلى ، فى أقاليم شتى فلم يكونوا يجعلون

الكتابة والقراءة ، تلك الجهالة التى رددتها الألسنة والأقلام وما تزال ترددها ( أحمد الحوفى ) وقال الألوسى أن النبى صلى الله عليه وسلم ماامات حتى قرأ وكتب ( روح المعانى ) وقال الذهبى انه لايمنع أن يتعلم النبى كتابة بعض الجمل من كثرة ما أملى وليس هذا بمخرج له من الأمية، أما كلمة اقرأ فتعنى قوله : ناد ، أدع ، أعلن الاسلام فى النــاس باسم ربك ، فالفعل اقرأ لا يعنى القراءة المعروفة لدينا ، وقال بعض الباحثين ان صفة أمى وأميين التى جاءت فى القرآن تعنى الذين لايزالون على أصلهم وتكون عربية وعربية فقط ، وأم الشيء أصله فالقرآن عندما وصف هؤلاء العرب كان يعنى أنهم على أصل خلقتهم ، ناس بدون كتاب وبدون دين ، والدين اخراج للفرد من حالة الغريزية بمجموع القوانين المكتوبة والمخطوطة فى الديانات السماوية .

وكان خطأ المستشرقين راجعا الى أنهم لم يستطيعوا ابعاد مفاهيمهم الدينية اليهودية والمسيحية لكلمة أمى ، وفهموا اللفظة العربية بذهنيــة جبرية كهنوتية كما أنهم لم يستطيعوا فهم اللغة العربية على حقيقتها مهما درسوها لأن اللغة احساس وشعور وتربية وكيان يتكون وينمو مع عقل المفكر وقد افتقدوا هــذه الميزات فجــاء فهمهم لها ناقصا ، وادعوا أنهم يستخدمون المقاييس العلمية للبحث . كذلك فانهم عندما درسوا الحضارة والفكر الاسلاميين كانوا يدرسون بفكر مسبق وذهنية كانت توجه الأحداث وأباحوا لأنفسهم — وعقدة الاستعلاء تغلف ذهنهم — أن يتصرفوا فى معانى العربية وأن يجعلوا لها معانى من لغات أخرى .

## ( ٧ )

## شبهات حول العلمانيــــة

مصطلح العلمانية مصــــطلح ماكر خبيث أريد به تخفيف وقع كلمـــة « لا دينية » على الأسماع برده الى الاشتقاق من العلم وتعنى العلمانيـــة ( سيكولر ) أن النفوذ الدينى يجب أن ينحسر والعلمية تعنى مسألة علاقة بالدنيــا وليس بالدين . وقد شاعت وذاعت هذه الكلمة فى مرحلة الخصومة الشديدة فى أوربا بين العلم والدين ، واستتبعت ابعاد الدين كعنصر تكوين قومى ، كما عنيت بحياد الدولة تجاه الدين ، كل دين .

والعلمانية فى محيط العرب والاسلام دعوة لا ضرورة لها ولا نتيجة فليس فى هذا المحيط هيئــة تقوم مقام الكنيســة ، وليس علماء الاســلام هم رجال دين وليس فى الاســلام حكومة ثيوقراطيــة قامت أو نص على ظل لهــا .

ولما كان الاسلام دينا ونظام مجتمع ، وقد أمتزج للاسلام بالمجتمع الاسلامى امتزاجا كاملا عقديا وعضويا لا سبيل الى نزعه فقد شكلت هذه الأمة على هذا النحو ولن يستطيع أحد أن يغير فطرتها .

والاسلام دين ودولة وحضارة فلا يمكن فصله عن الدولة من حيث أنه يعطيها المبادىء الانسانية العامة .

أما المسيحية فانها كدين عبادى فانها لا تتعارض مع العلمانية .

أما الاسلام فانه يتعارض كليا وجذريا مع هذا المفهوم ، ولذلك فان الدعوة الى العلمانية تعنى تعطيل الاسلام عن التطبيق واقصاءه عن التأثير فى حياة المسلم . ولقد حاولت قوى الاستعمار والتغريب تدمير المجتمع الاسلامى باقصائه عن شريعته وفرض القوانين الوضعية عليه وتحويله الى نظام الربا فى الاقتصاد والى مناهج التعلم الوضعية فى مجال التربية، وذلك كله بهدف خلق أجيال تابعة تبعية كاملة للفكر الغربى ، تمتلك مقاليد الأمور فى مختلف مجالات القيادة الفكرية والسياسية وكانت عملية اسقاط الخلافة وتحويل الدولة العلمانية الى دولة اقليمية علمانية أبعد الأثر فى العالم الاسلامى كله وفى البلاد العربية وايران وغيرها ، وصار للعلمانية بعد ظهور الاقليميات والقوميات دعاة فى البلاد الاسلامية يدافعون عنها ويروجون لها ، ولما كان دعاة العلمانية قد احتلوا مراكز قيادية فى مجالات التربية والتعليم والثقافة والصحافة فقد كان لهذا أثره الكبير فى الحيلولة دون العودة الى الأصالة الاسلامية .

## ( ٨ )

## شبهات حول العقلانية

سرت فى محيط الدعوات التغريبية فكرة القول بأن الاسلام دين العقلانية ، وذلك بهدف طمس مفهومه الأصيل الجامع بين الروحية والعقلانية فى كيان جامع متكامل واعلاء لشأن المنهج الغربى وللادعاء بأن الاسلام كان ثمرة النحلة المعتزلة التى استمدت بعض مفاهيمها من الفكر الغربى الوافد .

والعقلانية مذهب انشطارى يحاول الزعم بأنه يمكن عن طريقه الوصول الى فهم الأشياء والأمور ، وهو واحد من عدة مذاهب ظهرت فى الغرب منها المذهب التجريبى الذى يعتمد على العمليات المعملية ، والواقع

أن كلا المذهبين جزئى وقاصر ولا يستطيع أن يصل الى الحقيقة التى يقوم جانب كبير منها على مفاهيم الروح والمعنويات والقلب والغيب والوحى ، وهذه كلها يسقطها الفكر الغربى العقلانى ، بل انه بالرغم من الدعوة العريضة الى العقلانية فى الغرب فان العقل الغربى عقل قاصر لأنه لايستطيع أن يؤمن بالتكامل بين العناصر التى تشكل الانسان نفسه وانه لايتحرك الا فى الجزئية التى تحجب عنه باقى الأجزاء .

ويتبين الفرق العميق واضحا بينه وبين المفهوم الاسلامى حين يرفض الاسلام الانشطارية وجزئية النظرة ويؤكد الواقعية والصدق وتكامل الروح والمادة والعقل والنفس والدنيا والآخرة .

فالعقل وحده لايستطيع أن يستبين النافع والضار من الأعمال والأقوال والأخلاق والعقائد الا بهدى من وحى ، ولكن اذا عرف فهم وصدق فالعقل خادم للحقيقة ولايمكن للعقل بدون توجيه صادق أن يصل الى الحقيقة فاذا وضع بين مقولات ضالة مضلة كالفكر البشرى فانه يعجز أن يصل الى الحق ، ولقد تبين أن عقل الانسان غير كاف فى الوصول الى فهم علاقته بالله ومهمته فى الحياة ومسئوليته وأمانته والتزامه الأخلاقى ،ولابد من أن يحتاج الى نور وهدى من النبوة والوحى ، هذا النبى يعاضد العقل ويؤكد حكمه ويجعله موثوقا فيما يستقل العقل بمعرفته فيكونان دليلين على مدلول واحد يرشد العقل ويهديه فيما لايستقل بمعرفته مثل البعث والنشور كما يكشف عن وجوه الأشياء التى لايدرك العقل حسنها وقيمها ، ومن هذا تجىء ضرورة النبوة ، وقد التقى الوحى والعقل لأول مرة فى القرآن الكريم ومعنى هذا أن العقل لن يكون المصدر الوحيد للمعرفة الصحيحة ولا يمكن أن يصل وحده الى الحقيقة .

## ( ٩ )

## شبهات حول الأرقام

يحاول بعض الباحثين أن يضع محاولات لاعطاء الأرقام فى الاسلام وضعا شبيها بالاعجاز أو القداسة ، والواقع أنه ليس فى الاسلام تقديس للارقام ، وما ورد فى القرآن من أعداد كثيرة فانها لا تحمل أى طابع من طوابع القداسة ، كما لم يخصص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عددا معينا بذاته يحمل أسرارا خاصة كذلك الأمر بالنسبة للحروف هى الأخرى فانها لا تحمل دلالات غير دلالاتها اللفظية واللغوية أما وراء ذلك فليس من الاسلام فى شىء ، ويقول الأستاذ ادريس عبد الحميد الكلاك :

ان القرآن لم يشر الى سر معين فى عدد معين كما لم تشر السنة الصحيحة الى ذلك ، ولم يرد فى كتب الفقه وغيرها من الكتب العلمية الإسلامية المعتمدة مايشير الى ذلك .

ان غير المسلمين يتفاءلون ويتشاءمون ويقدسون أعدادا وأرقاما معينة ، وجعلوا فى عقائدهم جزءا خاصا بالأرقام يستجلون بهما مغاليق الغيب حيث يتفاءل اليهود بالرقم ٧ ويتشاءم النصارى من الرقم ١٣ ، والبابيون والبهائيون يقدسون العدد ١٩ ، أما فى الاسلام فليس هناك سر معين لأى رقم أو ارتباط بين رقم ما وسر من أسرار الشريعة أو الطبيعة اذ لم يرد نص صريح أو غير صريح عن تقديس ذلك من تفاؤل أو تشاؤم أو تنبؤ بالغيب .

أما كيف دخل هذا الى ساحة الفكر الاسلامى فانه من الأسرائيليات التى زاولها اليهود بهدف التخريب الفكرى ، فقد حاولوا عن هذا الطريق ادخال الكثير من آرائهم فى العقيدة الاسلامية وتفسير القرآن الكريم .

والمعروف أن تقديس الأرقام هو أحد مكونات الدين اليهودى فقد ورد تقديس الرقم ٧ فى التوراة ، لذلك فهم يتفاءلون به وليس اليهود وحدهم هم الذين ينفردون بهذا التقديس بل يشاركهم فيه السومريون والبابليون ، وعنهم أخذ المسلمون حساب الجمل .

أما النصارى فانهم يتشاءمون من الرقم ١٣ وسبب تشاؤمهم من هذا الرقم يرجع الى كونه رقم يهوذا الاسخريوطى الذى وشى بالمسيح ، وكان ثالث عشر الحواريين الذين حضروا العشاء الربانى الآخر .

ثم دخلت هذه الفكرة عن طريق الفلسفة والفاطميين واليهود أما الفلسفة فلأنها مستوردة من اليونان وقد ذكر ابن خلدون فى مقدمته أن الحساب الذى يسمونه النيم مذكور فى آخر كتاب السياسة المنسوب الى أرسطو يعرف به الغالب من المغلوب وهو قائم على حساب الحروف وأعدادها وأشار ابن خلدون الى هذه الأمور التى تحاول استكناه الغيب عن طريق التنجيم أو الرمل أو الأعداد أو الحروف ثم سخر منها واعتبرها من المغاليط التى تجعل كالمصايد لأهل العقول المستضعفة ، وهذا متفق مع مفهوم الاستلهام الأصيل أما ابن سينا فلأنه من دعاة الفكر الفلسفى الباطنى فانه يجاوز مفهوم الاسلام الأصيل فيقرر فى كتابه الرسالة الفيروزية أن الحروف الهجائية كلها تتضمن أغراضا خاصة ، وله تفسير فى معانى الحروف الهجائية التى هى فواتح السور القرآنية ، ثم أعطى كل حرف من حروف أوائل السور القرآنية معنى افترضه من عنده ، وكل هذه

فروض خضع لها الفلاسفة المشاءون الذين تابعوا الفكر اليونانى الوثنى المادى ، ومنها الحديث عما أسموه أسرار الأرقام والحروف .

وقد أشار الباحثون المعاصرون أن هذه الدعوة من الغلو الذى وقع فيه الباطنية ودعاة المهدى المنتظر الذين يرون أن ظهور المهدى يتوقف على حركات النجوم مقلدين فى ذلك اليهود فى قولهم أن موعد ظهور المسيح يتبع القيمة العددية لكلمتى هستير استير ، وقد شاع بين الباطنية وغيرهم ارتباط حركات الأرض وأحداث الكون بأحداث النجوم ، ووضعوا كذلك علم اليـــازرجة وعند الفاطميـــة ماسموه كتاب الجفر ، ويربطون الجفر بعلوم الـــكيمياء وحساب الجمل ، وهو معادلة حـــروف أبجـــدية بأعداد حسابية ، وكل هذا وهم باطل .

ونجد قدسية العدد ٧ لدى طائفة النصيرية أيضا ، أما الاسرائيليات فهى القصص التى دسها أهل الـــكتاب ( اليهود والنصارى ) فى الفكر الاسلامى فقد امتلأت بها كتب التفسير والسنة والرقائق ( المواعظ ) .

ومن ذلك محاولتهم القول بأن دين الاســـلام سينتهى بعد عـــدد من السنين ، وهدفهم أنه اذا سرت هذه النزعة فى مشاعر المسلمين فستموت فى نفوسهم روح المقاومة ويعتقدون أن هذا قدر الله الذى لايرد ويستسلمون للأمر الواقع .

وهذا كله جزء من الحرب النفسية التى كان يشـــنها أهل الـــكتاب ضد المسلمين كما فيـــه دلالة على أن حســـاب الأرقام والحروف يهودى الأصـــل .

وهناك حديث موضوع عن حيى بن أخطب اليهودى مع النبى وقـــد رفضه ابن كثير والحافظ بن حجر الذى قال انه باطل لايعتمد عليه .

وكل هذا داخل فى أحاديث السحر التى عرف بها اليهود .

وقد دفع الحافظ بن حجر شبهة الزعم بأن الحروف المتقطعـــة فى فواتح السور دالة على معرفة العدد وانه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم ، وهو قول باطل وان من قال هذا أولى ماليس له وطار فى غير مطاره .

ومن هذا يظهر أن موضوع الأرقام والحروف وأسرارها وما فيهـــا من اخبار بالغيب أو الاختصاص بقدسية خاصة لا أصل له فى الاســـلام وانما هو دخيل على العقيدة الاسلامية .

هذا ويستثنى من ذلك مايتصل بخصائص الأدب والشعر فقد جعلوا للحروف الأبجدية أرقاما تعرض التاريخ ، ( أبجد هوز ) واصطلحوا على عدد معين وهو ٢٨ حرفا ، كما اصطلحوا على اعطاء كل رقم من الحروف الأبجدية رقما خاصا بحيث يصل عدد هذه الحروف الـ ٢٨ الى الألف فاذا أراد الشاعر أن يؤرخ حادثة من الحوادث أورد بيتا أو شطر بيت يكون مجموع حروفه بالأرقام هو التاريخ بالسنين ليسهل حفظه .

## ( ١٠ )

## شبهات حول الثورة

يتردد فى الكتابات التغريبية القول بأن الاسلام ثورة ، والحقيقة أن الاسلام ليس ثورة ولكنه دعوة ، وقد حاول بعض التغريبيين أن يصف الاسلام بما وصفت به المذاهب الوافدة ، فقالوا الاسلام ديمقراطية واشتراكية وثورة ، وكل هذا ادعاء باطل فالاسلام منهج ربانى يختلف اختلافا كبيرا عن النظريات البشرية ، والايدلوجيات التى أقامها الفلاسفة والمصلحون ، ذلك لأنه من عند الله تبارك وتعالى وقد جاء منهجا شاملا جامعا خالدا على الدهور ، لايحتاج بطبيعته الى تعبير أو تعديل أو اضافة أو حذف لأنه من صنع الله العلى القدير الذى وضعه فى منهج محكم قادر على مطاولة العصور والبيئات والالتقاء بها واستيعاب مشكلاتها وأحداثها مهما بلغت .

لقد جاء مصطلح ( الثورة ) مصاحبا لكل حركة ضد الاستعمار أو النفوذ الأجنبى ثم توسع أصحابه فى استعماله بعد ذلك ليعبر عن كل تغيير داخلى يتم فجأة سواء كان مصحوبا بالعنف أو غير مصحوب . ثم وصف كل دعوة الى تطبيق الاسلام بأنها ثورة اسلامية بمعنى أن المسلمين قاموا بالتعبير على طريق الأصالة فى الخروج من مأزق العلمانية والتغريب والعودة الى منابع الاسلام وتطبيق نظامه على حياتهم الاجتماعية .

والكلمة فى استعمالها ودلالاتها هذه تحمل معنى التقليد والتبعية وهى تتفق كثيرا مع معطيات الاسلام الحضارية ومضمونه ، ذلك لأن الثورة تعنى حالة مرحلية فى مجتمع متخلف لاخراجه من وضعه الى وضع آخر وهى بعد أن تؤدى هذا الدور تنتهى مهمتها ، وليس كذلك الاسلام الذى هو منهج اجتماعى شامل خالد متصل بحياة الانسان فى كل فروعها وأيامها وحياة المجتمع فى كل مراحله وأدواره . ولذلك فانه من الظلم أن يعبر عن الاسلام بأنه ثورة لأن لما تحمله هذه الكلمة من دلالات التحول

عن المبادىء والمعتقدات والتضحية بالعلم والأخلاق بدعوى أن منطق الثورة يقتضى ذلك ، بينما نجد حكم الاسلام واضحا محددا وصريحا حتى فى ميدان القتال والحرب فلا تمثيل ولا تقتيل وان فعل الأعداء ذلك .

فالاسلام يعطى المسلم حق الدفاع عن نفسه وعرضه وحاله وقبل كل ذلك عن دينه ، ولكنه لا يريد أن يذهب المسلم بعيدا عن ذلك كذلك فانه من الخطأ القول بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان ثائرا بل الحقيقة أنه كان رسولا وداعيا الى الله يتجلى هذا بوضوح فى موقف لم يعرفه التاريخ الا له وهو حين وقف بين يديه زعماء الشرك بعد فتح مكة ، وبعد ذلك الدور الخطير الذى قاموا به فى مهاجمة الاسلام وأهله فقال لهم قولته المشهورة :

**« اذهبوا فانتم الطلقاء » .**

ومعنى هذا بين الفارق العميق والبعيد بين مفهوم الثورة البشرية والدعوة الربانية التى لا يمكن أن توصف بأنها ثورة ، والتى ترتفع ارتفاعا كثيرا عن هذه المسميات ، لأنها فى انتصارها للحق وانتصافها من الباطل كانت تحمل صورة أرقى وأكرم وأسمى وأبعد أثرا فى الحاضر والمستقبل من كل الثورات ، ولقد كشفت صفحات التاريخ أن كثيرا من الثورات الحديثة بل وأبرزها كانت بأيدى رجال الصهيونية كالثورة الفرنسية والثورة التركية والثورة الروسية ، وان هذه الثورات عرفت بالعنف والتقتيل وحب الدماء والانتقام واستهدفت تحقيق غايات ومطامع لليهودية العالمية ولتمكين اليهودى من السيطرة على المجتمع الأوربى كما فى الثورة الفرنسية أو القضاء على الكنيسة الأرثوذكسية فى الثورة الروسية ، أو الخلافة فى الاسلام كما فى الثورة التركية ، وكان ذلك كله لحساب الصهيونية العالمية وتمكينها من الوصول الى فلسطين والسيطرة على بيت المقدس .

ولقد كانت الثورات المختلفة بمثابة عمليات جزئية اما للقضاء على نفوذ أجنبى أو تغيير حكومة داخلية ، أو تغيير نظام سياسى من ملكى الى جمهورى ولكن أى ثورة لم تتمكن من أن تحمل لواء دعوة اجتماعية عامة بحيث يمكن أن تعقد المقارنة بينها وبين الدعوة الاسلامية ، كذلك فانه من العبث القول بأن ظهور الدعوة الاسلامية كان مرتبطا بفساد وتدهور فى الدولتين الرومانية والفارسية ، أو محاولة لتحقيق هدف اجتماعى أو اقتصادى كما تحاول ذلك التفسيرات المادية للتاريخ ، وانما التفسير الصحيح هو أن البشرية استأهلت أن يرسل الله لها الرسالة الخاتمة بعد أن استعدت لها وأصبحت مؤهلة للنضج والرشد الفكرى ، وبعد أن زالت

عنها طفولة البشرية وقدجاءت هذه الرسالة للقضاء على الوثنية والعبودية والمادية واقرار مفهوم التوحيد الخالص فى أمة تحمل لواء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

## ( ١١ )
## شبهات حول طوالع البخت

تجرى الصحف فى العصر الحاضر على وضع ماتسميه حظك أو بختك هذا اليوم ، وهى كتابات غامضة رديئة لاتقوم على أى أساس علمى صحيح فضلا عن أنها لا تطابق الوجهة الاسلامية الصحيحة التى ترفض التطلع الى مثل هذا النوع من الطوالع ، ويرفض الاسلام أساسا الاعتقاد فى تأثير الأفلاك على حياة الناس وسلوكهم وطبائعهم وتصرفاتهم ، وقد كان المصريون فى عصر الوثنية والجاهلية المادية أبرع الأمم فى هذا الباطل ، وقد راج عند العرب حتى جاء الاسلام فأنكره ، وأثبتأنه لاعلاقة بين الأفلاك وبين أعمال الناس ، وأنه لا تأثير للكواكب على الكرة الأرضية أو الخليقة البشرية .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : من قصد عرافا فصدقه لم تقبل صلاته أربعين يوما ، وقد كانت هذه عادات وثنية ارتبطت بالجاهلية لا أساس لها ، تقوم على تفاؤل وتشاؤم أو تنبؤ بالغيب لا أساس له .

ولا ريب أن القول بارتباط حركات الأرض وأحداث الكون وحركات النجوم هو من أقوال اليهودالتلموديين ومما شاع بين أهل الوثنياتوالمجوس والباطنية فى العصر الحديث .

## ( ١٢ )
## شبهات حول القرآن الكريم

لقد توالت الشبهات التى طرحها أعداء الاسلام ولم تتوقف وتركزت هذه الشبهات تركيزا شديدا حول القرآن الكريم . من تلك الدعاوى شبهة ترتيب القرآن حسب نزوله وقد جهلوا أن ذلك لو كان أمرامطلوبا لما فات النبى صلى الله عليه وسلم ، ذلك أن آى القرآن وان كانت قد نزلت منجمة آيات آيات وسورا سورا بحسب الوقائع والحوادث وعلى مقتضى الحكمة التى أرادها الله تبارك وتعالى وهو الشارع لدينه ، قد نزلت بمكة والمدينة واستمر نزولها مدى ثلاث وعشرين سنة الا أن النبى

صلى الله عليـــه وسلم كان يأمر أصـــحابه حين تنزل الآية ويقرأها عليهم ويحفظونها عن ظهر قلب أن يضعوها فى مكانها بعد آية كذا من ســـورة كذا ..

ولذلك فقد خابت مفترياتهم فى هذه الوجهة ولم تجد من يستمع اليها

وقـــد حاول القس البروتستانتى المبشر فلش الدنمركى فى كتـــابه ( أصدق الأقاويل على صحة التوراة والأناجيل ) أن يزعم أنه كان لعلى ابن أبى طالب مصحف جمعه على حسب النزول وعلى غير ترتيب مصحف عثمان سماه مصحف فاطمة .

وقد رد عليه الشيخ ســـعدى ياسين فى كتاب تحت عنوان مختصر البرهان على سلامة القرآن من الزيادة والنقصان فقال : ان القرآن نزل منجما للتيسير على الرسول والتدرج فى تربية الصحابة ، ومنها أن الله تبارك وتعالى يتعهد رسوله عند اشتداد الخصام . وقال ان النبى صلى الله عليه وسلم يتحمل آيات القرآن من الملك حفظا ثم يبلغها الناس ويكتبها كتابة الذين كان عددهم يتراوح بين ٢٦ و٤٢ كاتبا وبعد موقعة اليمامة أمر أبو بكر زيد بن ثابت فى جمع القرآن فقام بمهمته خير قيام ، وبقيت الصحف عند أبى بكر ثم عمر ثم حفصه حتى جاء عثمان رضى الله عنهم فأمر عددا من الصحابة بنسخ الصحف فى المصاحف ثم أرسل الى كل مصر بمصحفه مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . وبعد انتهائه من جمع القرآن الـــكريم تم توحيد عثمان للقرآن ورد المؤلف فرية نلبين وجولد زيهر فى ادعائهما أن القرآن من كلام محمد فى اثنى عشر دليلا منهما الفرق الواسع فى الاعجاز مابين القرآن والسنة واخبار القرآن عن أمور غيبية وقعت كما أخبر .

ثم قال : فلتعمل الصهيونية العالمية والصليبية العالمية ما شاءتا أن تعملا فان القرآن سيبقى الشمس المشرقة والآية الخارقة يدعو الى الحق والعدل والخير والرحمة والوحدة العالمية ، وسيأتى اليوم الذى تبصر فيه أوربا الرشد فتمد يدها برفق الى هذا الكتاب فتقلده ملتزمة بما فيـــه من الحكمة والفطرة السمحة كما قال برنارد شو انه لا يمضى مائة عام حتى تكون أوربا ولا سيما انجلترا قد أيقنت ملاءمة الاسلام للحضارة الصحيحة والله تعالى قال :

**( سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد )) .**

# ( ١٣ )

## شبهات حول وحدة الأديان

ان القول بأن الأديان الثلاثة هى بمثابة دين الله الواحد أو أنها جميعها من عند الله قول يحتاج الى تدقيق فالحقيقة ان دين الله فى أصله واحد ولكنه بعد أن جاءت رسالة موسى بالتوراة ورسالة عيسى بالانجيل حدث تغيير وتبديل حال دون الالتقاء بالرسالة الخاتمة ، ففى كل من الكتابين اشارة الى الرسالة الخاتمة ، والى النبى الخاتم أما فى التوراة الموضوعة بأيدى الأحبار والأناجيل الموضوعة بأيدى كتابها فان هذه الاشارة لم تعد موجودة ولذلك فان القول بأن دين الله واحد يستتبع الترتيب الذى جاءت به رسالة موسى مسلمة الى رسالة عيسى ، وكلاهما لليهود ومن حيث انهما يسلمان الى الرسالة العالمية التى جاءت للبشر جميعا ومن حيث القول بأن دين الله واحد فقد جاء الانجيل — كما يقول الدكتور محمد عبد الله دراز بتعديل أحكام التوراة اذ أعلن عيسى أنه جاء ليحل لبنى اسرائيل بعض الذى حرم عيلهم ، وكذلك جاءالقرآن بتعديل بعض أحكام الانجيل والتوراة، اذ أعلن أن محمدا صلى الله عليه وسلم جاء ليحل للناس كل الطيبات ويحرم عليهم كل الخبائث، ويضع عنهماصرهم والأغلال التىكانت عليهم . ولم يكن ذلك كله من المتأخر نقضا للمتقدم ولا انكارا لحكم من أحكامه فى ابانها ، وانما كان وقوفا عند وقتها المناسب وأجلها المقدر . مثل ذلك مثل ثلاثة من الأطباء جاء أحدهم الى الطفل فى الطور الأول من حياته فقرر اقتصار طعامه على اللبن وجاء الثانى فقرر له طعاما ولبنا ، طعاما نشويا خفيفا ، وجاء الطبيب الثالث فى المرحلة التى بعدها فأذن له بغذاء قوى. كل واحد منهم كان موفقا كل التوفيق فى علاج الحال التى عرضت عليه مع الاعتراف بقواعد عامة فى النظافة والتدفئة والتهوية لا تختلف باختلاف العمر .

وعلاقة الاسلام بالديانات السماوية فى صورتها الأولى علاقة تصديق وتأييد كلى ، وان علاقته بها فى صورتها المتطورة علاقة تصديق لما بقى من أجزائها الأصلية وتصحيح لما طرأ عيلها من البدع والاضافات .

ومن الخطأ القول بأن البشرية قد انتقلت من اله الى اله حتى اهتدت الى التوحيد بعد فرق يتجاوز آلاف السنين ، وقد نسى هؤلاء أن آدم عليه السلام هو والد البشرية الأولى كان موحدا ، ثم مضت الأعوام فانتكست الطبائع لدى من خلفه فألهوا المخلوقات من أصنام وحيوان وانسان ، وجاء الأنبياء ليردوا البشرية الى دين الفطرة : التوحيد .

فلد جاء كل رسول بعد جاهيلة فاشية ليخرج الناس من الظلمات الى النور فجوهر الدعوة الربانية على السنة الرسل متفق غير مختلف، متوحد الهدف ،، وان ما جاء به نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد يصدر عن مشكاة واحدة ، **(( شرع لـكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ))** .

ذلك أن التقدم الاجتماعى يقتضى تغييرا فى بعض الأحكام الفرعية للعبادات والمعاملات ، أما أصول العقيدة فى دين الله من لدن آدم الى محمد فثابتة على سنن الفطرة ، قائمة على منطق العقل لا تتغير ولا تتبدل. وكان القرآن آخر تشريع الهى ينهض بحاجات البشرية جميعا ، اذ ورث الاسلام خيرات الأجيال ومواهب الأمم .

وما يزال القرآن مهيمنا على كل من سبقه من كتب تطرق اليها التحريف وان الكمال النهائى فى التشريع قد تم فى القرآن .

أما الوحدانية فقد قطعت بها كتب السماء دون لبس وجاء الأنبياء كلهم برسالة الاسلام ، ولذلك فان من الخطأ عقد مقارنات بين الاسلام واليهودية والمسيحية ، ولقد جاء الانجيل مصدقا لما بين يديه من التوراة وجاء القرآن مصدقا لما بين دييه من التوراة والانجيل ، ولكل كتب الله التى سبقت .

## (١٤)

## شبهات حول تأويل المعجزات

ترددت فى كتابات المحدثين هفوات ارادوا بها مضاهاة المذاهب المادية وارضاء أهلها وذلك بتأويل المعجزات ، وقد سار فى هذا الطريق محمد عبده وفريد وجدى والدكتور محمد حسين هيكل وقد أراد الشيخ محمد عبده أن يثبت أن للعقل مكانة كبيرة فى الاسلام وأن الخوارق والمعجزات باستثناء القرآن لا أصل لها فى الاسلام جريا وراء الموجة الطاغية فى عصره فى الدعوة الى العقلانية .

يقول الأستاذ محمد النايف : لقد حاولوا بناء الخوارق والمعجزات على الأدلة السمعية لا على الأدلة العقلية التى يدركها الانسان ، والذين ينكرون المعجزات ينكرونها على ظن أنها غير ممكنة ،وهم يقيسون الامكان والاستحالة بمقياس الانسان وينسون قدرة الله تبارك وتعالى التى ليس يبعد عنها أن تهدم السموات والأرض وتنشئها من جديد .

ان الايمان بالخوارق وكافة الأمور الغيبية لا يتعارض مع الحقائق العلمية .

وهم من أجل ذلك قد أولوا المعجزات وأنكروها ليجعلوا حياة الأنبياء عادية لا تختلف عن حياة الحكماء والعظماء والمصلحين ، وهم من أجل ذلك يعملون على :

— اعلاء قيمة العقل وتقديمه على ظاهر الشرع عند التعارض .

— تأويل المعجزات وتوصل أحدهم الى انكارها مع الاعتقاد بمعجزة القرآن وحدها .

— تأويل المعجزات قادهم الى العبث فى تفسير آيات القرآن والتشكيك فى الأحاديث .

وقد جرى الشيخ محمد عبده على القول بأن الاسلام فى الدعوة بالايمان بالله لا يعتمد على شىء سوى الدليل العقلى فلا يدهشك بخارق العادة .

وقد قصد الشيخ عبده بهذا وبما فسره من القرآن تأويل كل معجزة للأنبياء يمر عليها مع مافى هذا التأويل من تمحل ومخالفات أصولية ومجانبة للحقائق العلمية .

وقد استغل هذا المنهج الذى جرى عليه الشيخ محمد عبده فى القصص أمين الخولى ومحمد خلف الله أحمد فى كتابه ( القصص الفنى فى القرآن ) .

كذلك فان الشيخ الخضرى لم يتجاوز خطوة شيخه محمد عبده وقد أورد فى كتابه نور اليقين معجزات الرسول كشق الصدر وقصة بحيرا الراهب والاسراء والمعراج كما ورد فى صحيح البخارى ومسلم وتجاوز معجزات الغار وشاة أم معبد ومعجزات غزوات الرسول .

فلما بدأ محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية وقد أصبح أستاذا للتاريخ فى الجامعة المصرية وتوثقت صلته بالمدرسة الاصلاحية ، فقد تجاوز فى محاضراته عن أكثر المعجزات فلم يتحدث عن حادث الفيل ومعجزة هجرة الرسول وكيف خرج من بيته وماذا حدث فى الغار ، ولم يتعرض لشيطان العقبة ولا للشيطان الذى حضر دار الندوة ولم يذكر شاة أم معبد ومضى على استبعاد المعجزات فى جميع غزوات الرسول وشكك كثيرا فى قصة

بحيرا الراهب وقال : نقبنا عن اسم الراهب فى كتب من عنوا بذكر أساقفة الشام وبصرى والمشهورين فلم نجده ، مع أنه وارد فى حديث صحيح .

وعند حديثه عن الاسراء والمعراج تمسك بالرواية المنسوبة الى عائشة ومعاوية رضى الله عنهما ورجح أن الاسراء والمعراج كانا بالروح دون الجسد لأن رؤيا الأنبياء حق تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم .

وفى ( حياة محمد ) جرى الدكتور هيكل فى المعجزات على هذا المجرى فقد رجح آراء محمد عبده فى الخوارق التى أوردها فى كتاب الاسلام والنصرانية وقدم الشيخ المراغى الكتاب ودافع عن طريقة هيكل وأيده فى انكار كل معجزة سوى القرآن قال ( ولم تكن معجزة محمد صلى الله عيله وسلم القاهرة الا فى القرآن وهى معجزة عقلية ) وأيده رشيد رضا فى المنار ( ٣ مايو ١٩٣٥ ) .

فقال انه حرر مسألة المعجزات ومطاويها فى الوحى المحمدى بما أثبت به أن القرآن وحده هو حجة الله القطعية على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالذات ونبوة غيره من الأنبياء وآياتهم بشهادته ، ولا يمكن فى عصرنا اثبات آية الا بها وأن الخوارق الكونية شبهة عند علمائه لا حجة .

وأراد ( هيكل ) أن يجعل من حياة محمد : حياة عادية كحياة أى بطل أو زعيم مجردة من أية خارقة قال :

« فحياة محمد حياة انسانية بلغت أسمى مايستطيع انسان ان يبلغ ، ولقد كان ( صلى الله عليه وسلم ) حريصا على أن يقدر المسلمون أنه بشر مثلهم يوحى اليه ، حتى كان لا يرضى أن تنسب اليه معجزة غير القرآن ويصارح أصحابه بذلك » .

ويقول : ولقد أضافت كتب السيرة الى حياة النبى مالا يصدقه العقل ولا حاجة اليه فى ثبوت الرسالة .

وعن حادث الفيل يردد ما قاله محمد عبده من وباء الجدرى ، وفى حادث شق الصدر لا يناقش الخبر من حيث صحته أو عدم صحته ، مع أنه ثبت بأحاديث صحيحة منها مايرويه مسلم ، يناقشه بعقل وليم موير ودرمنجم ويؤيدهما فى انكار الحادث ورفضه .

وقد حاول أن يصور حادث سراقة بأنه اجهاد حدث لجواده وفي الأسراء والمعراج شارك درمنجم فى موقفه ، وعن شيطان العقبة يأبى هيكل الا أن يسميه رجلا خرج لبعض شأنه .

وكذلك جاء كتاب ( حياة محمد ) خاويا من المعجزات ينكر بعضها ويؤول بعضها ويتغافل عن ذكر الباقى .

لقد خطا هيكل خطوة فى طريق محمد عبده ، وأتم محمد فريد وجدى طريق محمد عبده عندما زعم أن شق الصدر وتظليل الغمامة وانشقاق القمر لا يمكن اثباته بدليل محسوس ( مجلة الأزهر ح٣ المجلد ١١ ) .

وقد رد الشيخ مصطفى صبرى فى كتابه ( القول الفصل ) على مقال فريد وجدى .

هذا وقد شن الدكتور هيكل هجوما على أحاديث الرسول فى كتابه ( حياة محمد ) فزعم أنها كتبت بعد وفاة النبى بقرنين من الزمان حين تفشت الاسرائيليات ولهذا الغرض الف طه حسين كتاب الشيخان .

ويرى فى قصة الغرانيق مجالا يسدد فيه قذيفة فيصيب أكثر من هدف كالطعن فى صحيح البخارى والانتصار لمذهبه الجديد وزعزعة ثقة المسلمين بالحديث النبوى اجمالا .

## ( ١٥ )

## شبهات حول السلفية

حاولت كتابات المستشرقين والتغريبيين والماركسيين اضفاء صورة قاتمة على مفهوم السلفية ، اذ نسبت اليه كل تأخر وجمود وتخلف ووصفته بأنه القديم البالى ، والواقع أن مصطلح السلفية انما يعنى غير هذا ، انه يعنى التماس المنابع والعودة الى الأصالة ، وهو كما يقول الدكتور مصطفى حلمى : علم على أصحاب منهج الاقتداء بالسلف من الصحابة والتابعين من أهل القرون الثلاثة الأولى ، وكل من تبعهم من الأئمة ، كالأئمة الأربعة وسفيان الثورى وسفيان بن عيينه والليث بن سعد وعبد الله بن المبارك والبخارى ومسلم وسائر أصحاب السنن ، كما شمل شيوخ الاسلام المحافظين على طريقة الأوائل مع تباين العصور أمثال ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب ، وكذلك أغلب أصحاب السلفية

المعاصرة بالجزيرة العربية والقارة الهندية ومصر وشمال أفريقيا وسوريا.

وقد كانت هذه الحركة ذات أثر واضح فى تنقية مفاهيم الاسلام ودفعه الى الأمام لمواجهة الحضارة والتطور والكشف عن جوهر الثقافة العربية الاسلامية الأصيلة القادرة على الحياة فى كل جيل وفى كل بيئة .

أما من حيث المضمون فان السلفية فى الاسلام هى التعبير عن منهج المحافظين على مضمونه فى ذروته الشامخة وقمته الحضارية ، كما توجهنا الى النموذج المحقق فى القرون الأولى المفضلة ، وقد استمدت حضارة المسلمين أصولها ومقوماتها ممثلة فى العقيدة خضوعا للتوحيد وبيانا لدور الانسان فى هذه الحياة . وتنفيذ القواعد الشرعية الالهية بجوانبها المتعددة من الاجتماع والاقتصاد والسياسة والأسرة والأخلاق .

فالسفة كمصطلح تعنى الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فان أمتنا تتفرد بمزية لا تشاركها فيها أمة أخرى فى الماضى أو الحاضر أو المستقبل : تلك هى تحقيق القدوة فى شخصه صلوات الله عليه إذ حفظت سيرته كاملة محققة بكافة تفاصيلها . وهكذا فان السيرة النبوية حية فى كياننا ونحن نعيشها كل يوم . وتطبيق الشريعة الاسلامية ممتد على طول الزمن لا يتعلق بعصر دون آخر ، بل ان كل جيل من أجيال المسلمين مطالب بتنفيذ أصولها النقية مع الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص عند مواجهة أحوال الحياة المتغيرة كما هو معروف فى أصول الفقه .

وقد أصبح اسم السلفية علما فى العصر الحديث على أهل التوحيد منذ حركة محمد بن عبد الوهاب وعندما اشتدت المقاومة ضد الاستعمار الغربى بهدف المحافظة على أصالة الأمة الاسلامية فى عقيدتها وشريعتها وأخلاقها حتى لا تتميع أو تهتز تحت ضربات الغزو الأجنبى .

وقد ظهر السلفيون ابان الهجوم المكتسح عندما نقل الفكر الغربى اليوناني واللاتيني حيث أخذوا فى دراسته وتحليله ومناقشته ورد أباطيله ثم قيس ذلك بمقياس العلم الاسلامى فما وافقه قبله البعض وما خالفه رفض ، وكان الرفض من علماء السلف محافظة على شخصية الأمة وأصالتها .

ولما جاء المستشرقون أخذوا يقلبون صفحات تاريخنا لاستخراج كل ما يسىء الى الاسلام فأعلوا شأن الفرق المنشقة كالخوارج والشيعة والمعتزلة والصوفية المنحرفين والفلاسفة وعملوا على احياء وتحبيذ ومدح نحل ومذاهب مختلفة اما بأسمائها المعروفة كالاسماعيلية أو الباطنية أو

تحت أسماء جديدة كالبهائية والقاديانيــة . وبعث الالحاد من جديد تحت ستار العلمانية والماركسية والدارونية مع نشر فـكرة وحدة الأديان أو التقريب بينها وازالة الحواجز بين الحق بصورته الوحيدة والباطل بصورته المتعددة المتضاربة .

ولقد كانت طريقة السلف هى المحك الذى يكشف زيف هذه العقائد والنحل مهما تغيرت الأزمنة والأعصـــار ، لأنها طريقـــة موضـــوعية ذات أسس علمية منهجية تعتمد على النصوص الشرعية الموثقة .

وقد كشفت هذه الطريقة حقائق كثيرة من أن هناك مسائل ثابتـــة لا تتغير كفطرة التوحيد ومخاطبة العقول البشرية للبرهنة على النبوات بعامة ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم بخاصة ، والرد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى فى كل ما انحرفوا به عن الشرع المنزل مع دحض شبهات الملحدين والمشركين ، هــذا فضـــلا عن ثبات الفضائل الأخلاقية وقواعد التحليل والتحريم فى المــأكل والمشرب والملبس وتنظيم العـــلاقات الاجتماعية فى الأسرة والمجتمع واقامة العلاقات الدولية مع ســائر الأمم وفقا لأصول الشرع .

ولا ريب أن الحركة السلفيـــة هى الحركة الـكبرى التى جـــددت الدعوة الاســـلامية ولولاها لهان على الغرب أن يستعبد الشرق روحيـــا وفـــكريا الى أمد بعيد .

وقد حاول الاستشراق افساد مفهوم السلفية الأصيل . وكان أرنولد توينبى هو أحد الذين صوروه بأنه ارتداد من محاكاة الشخصيات المبدعة المعاصرة الى محاكاة أسلاف القبيلة حيث قال :

تعد الحركة السلفية سقوطا من الحركة الديناميكية للحضـــارة الى الحالة الاستاتيكية التى يشاهد عليها الانسان البدائى فى الوقت الحاضر ، بهدف تثبيت مجتمع منهار ومحاولة تبذل عن حدوث توقف اضطرارى وانما تظهر فى شكل منظم متكلفة ، وآراء تتشبث بالمصطلحات الفارغة وتعبر عن نفسها بمنهج يتسم بالسفسطـــة . وعيب توينبى والمستشرقون أنهم ينظرون الى الحركة السلفية الاســـلامية فى ضـــوء الحركة الانجلـــيزية الـــكاثوليكية والاصـــلاح الدينى خلال القرن السادس عشر ، والتى كانت ترمى الى استعادة استخدام طقوس كانت شائعة خلال القرون الوسطى ، ثم هجرت والغيت منذ اربعمائة سنة والواقع أنه فى العالم الاسلامى قامت حركة حقيقية بين المحافظين على دينهم ولغتهم وتقاليدهم ، وبين الـــذين

عادوا من أوربا وقد فتنهم بريقها فاستخفوا بكل تراثهم وراحوا ينفرون الناس منه ثم فشت العصبية تحت دعوى التجديد لكل أصيل فى الدين واللغة والأدب ونظم المجتمع والاقتصاد والسياسة بدعوى نبذ القديم البالى والأخذ بالجديد والجالى وظهرت دعوات تطور الدين وهى كلمات منقولة من الفكر الغربى والتفسيرات والتأويل . وأصبح الاسلام هدفا لحملات تحمل اسم القديم والماضى والتراث والرجعية للنيل من مقوماته الراسخة المحددة للحلال والحرام والخير والشر والرذائل والفضائل بدعوات ضالة منها :

النسبية والتطور : نسبية الأخلاق والتطور وعدم الثبات والثورية والتجديد والتقدمية والعصرانية .

وجرى تجديد المذاهب الكلامية والفرق الصوفية والمدارس الفلسفية وبقيت الطائفة الظاهرة على الحق التى ظلت تعض بالنواجز على الكتاب والسنة بالطريقة التى كان عليها رسول الله واصحابه .

وقد وقف علماء السلف جيلا بعد جيل بصلابة أمام محاولات التجزئة والبتر والتأويلات الكلامية والتمزيقات الفلسفية والتفسيرات الرمزية الباطنية فلم يهنوا ولم تقعد لهم همة .

ووقف علماء السنة والسلف بالمرصاد مبينين الانحرافات عن الأصول الاسلامية وظل الاسلام محفوظا فى الأصلين الهامين : الكتاب والسنة وان تلقينه وتطبيقه بمنهج السلف هو الذى حفظه حتى الآن ، وقد حارب علماء السنة والسلفية نزعة [illegible] التى ساهمت فى ركود الهمم . واضعاف الارادة الانسانية و[illegible] سلبيتها على جانبها الايجابى البسيط وعملوا على المحافظة على الإسلام فى مصادره وعقيدته وعباداته ومعاملاته ولنظمته وفقا لطريقة السلف : الحسن البصرى ، سعيد بن المسيب وسعيد ابن جبير و الى أمثال ابن حنبل وابن تيمية والدارمى والشافعى ومالك وابن جزيمة والشاطبى وابن تيمية وابن القيم والشوكانى وابن الوزير اليمانى وغيرهم ومحمد بن عبد الوهاب فى العصر الحديث للاطاحة بمظاهر الشرك والوثنية لتخليص عقيدة التوحيد من جديد .

ويقرر أرنولد توينبى : أن الحضارة الاسلامية لم تمت عضويا كما ماتت الحضارة الاغريقية ويرجع الفضل فى بقائها إلى نقاء العقيدة، وظل دور السلفيين باقيا فى احياء عقيدة التوحيد ، وفهم الأوائل للاسلام لأن الاسلام كما يقول توينبى قد أعاد توكيد وحدانية الله فى مقابل

الضعف البادى فى تمسك المسيحية بهذه الحقيقة الجوهرية واستمرت السلفية فى المحافظة على التوحيد فى جوهره النقى ، فمنعت تردى العقيدة الدينية الى صورة من صور الوثنية . وكان الذين وجهوا الضربات القاصمة أناسا ينتسبون الى طائفة من المتفلسفة والقرامطة الباطنية والإسماعيلية كابن سينا وأمثاله وأصحاب رسائل اخوان الصفا والعبيديين ( الدولة الفاطمية ) الذين كانوا يتظاهرون بالتشيع وهم فى الباطن ملاحدة .

وهكذا تمثل السلفية تلك الجهود المبذولة والمحافظة على طريقة الاتباع لا التقليد ومقوماتها الراسخة الجامعة بين اخلاص التوحيد لله تعالى وحده والايمان بالوحى طريقا لمعرفة عالم الغيب مع استسلام الانسان فى شئون حياته لما أمر به الله بواسطة خاتم الرسل وتحرير العقول من الوثنيات وأطر الشرك ليتفرغ فيما يعود على الانسان بالنفع فى ميادين العلوم .

ووسيلتها النظر والتجربة مع ثبات الفضائل الأخلاقية والقيم الإنسانية .

## (١٦)

## شبهات حول كتابات الأطفال

ومن أخطر التحديات التى تواجه الفكر الاسلامى فى العصر الحديث كتابات الأطفال الوافدة وخاصة حكايات السوبرمان وجيمس بوند وزعيم العصابة وما تقدمه هذه الخرافات من سموم تدخل الى أخيلة الصغار بقصد اعلاء شأن البطولات الوهمية والأجنبية فصياغة مغامرات طرزان الرجل الأوربى القوى الذى يعيش فى مجاهل وغابات أفريقيا ويكتشفها ويساعد ضعيفها ويشفى مريضها . انما تهدف الى تقديم لون من البطولة الأجنبية الخادعة لابنائنا ، وقد أصبح طرزان بطل آلاف القصص والأفلام التى تخدم الاستعمار ، ونفس الشىء ماتورده القصص عن غزو الرجل الأبيض لأمريكا ، وقتل سكانها الأصليين من الهنود الحمر وابتداع ذلك اللون من القصص الذى يحمل القسوة والتدمير ، وكذلك جيمس بوند يخلق عالما زائفا يبعد الناس عن واقعهم الفعلى ويزيف حقيقة ما حولهم مثل السوبر مان الذى يضع على الورق أحلامهم .

ولقد عمد صناع فكرة سوبرمان الى خلق شخصية تتمتع بقوى عضلية جبارة يستطيع بها تحريك واحد من الكواكب الكونية فضلا عن أن جسده مما لا يخترقه الرصاص وبصره يخترق كل شىء وهو يخترق حواجز الزمان الى الماضى والى المستقبل .

وهو رجل لا يتحلى بأى مثاليات بل هو رجل مهالب لأن الغاية عنده تبرر الوسيلة ، وهو يعتز بغرور القوة وغرور الثراء وهو يهين والديه ويلقنهما درسا قاسيا .

ولا ريب أن هذه الصور القاسية العنيفة التى لا تمثل مجتمعنا هى من أشد مايكون خطورة على أبنائنا وفى انتشارها افساد لأذواقهم وعقلياتهم .

## ( ١٧ )

## شبهات حول الفكر الفلسفى

طرحت المذاهب الفلسفية الغربية فى افق الفكر الاسلامى مفاهيم وافدة وسموما كثيرة استهدفت بعث الفلسفات القديمة التى قضى عليها الاسلام ، فلما جاء النفوذ الأجنبى عمد الى ابتعاثها من جديد لخلق جو من القلق والشك والريبة والفساد الخلقى والاجتماعى ، ولقد جاء الاسلام كاشفا عن جوهر المفهوم الانسانى الأصيل الجامع ، سواءبالنسبة لمنهج الحياة الاجتماعية والعلاقات بين الانسان والله تبارك وتعالى أو بين الانسان والانسان أو بالنسبة للمتافيزيقيا وعالم الغيب ، وبذلك أغنى المفهوم الاسلامى المسلم عن فروض الفلسفة وتقولاتها ، ومن هنا فان الفلسفة لا تمثل أى عنصر ايجابى فى الفكر الاسلامى ، والمعبرون عن الفكر الاسلامى فى تكامله الجامع هم الفقهاء وأهل الحديث فهم وحدهم الذين ارتبطوا بالنفس ارتباطا ونظروا الى المجتمع من خلال نظرة نقية حفظت له محتواه عقائديا وتشريعيا وأخلاقيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا وتاريخيا .

وقد وقف الاسلام موقفا واضحا فى التفرقة بين العلوم والفلسفات وبنى لها منهجها التجريبى ، وقبل العلوم القديمة لعدم مناقضتها للتوحيد ، ورفض الفلسفة لمناقضتها للتوحيد وعدم نفعها ، وقد بلغ عدد المشتغلين بالعلوم عددا كبيرا يفوق عدد المشتغلين بالفلسفات مما يؤكد انتشار العلوم

وقاوم العلماء وثنيات الفلسفة واضطرابها وماديتها وانحرافها ودورها وحطموا وجهتها ، وقد تكشف أن الذين اشتغلوا بها لم يعدوا من العلماء وانما وصفوا بأنهم حلقة جديدة من المشائين اليونان ، وهكذا كانت الفلسفة دخيلة على الفكر الاسلامى لأنها قامت على استيراد الفلسفة اليونانية والهندية والفارسية المجوسية ، والتى كانت كلها من هشيم الفكر البشرى والتى كانت مناقضة لمفهوم التوحيد .

ولقد أكد العلماء أن الكلام والاعتزال والفلسفة والتصوف الفلسفى تفسيرات بشرية غير منزهة عن الخطأ وقابلة للتجاوز .

وقد كان علم الكلام عملية دفاع وحجاج للملل الأخرى اعتمد على المنطق اليونانى خلال مرحلة من المراحل وانتهى دوره . وقد اختلطت الفلسفة بالكلام الى الحد الذى ابتلع معه هذا العلم الفلسفة ابتلاعا واحتواها فى كتبه حتى أصبحت كتب التوحيد تبدأ بمقدمة فى منطق أرسطو فضلا عن بسط الآراء الطبيعية والرياضية فى الزمان والمكان والحركة وغير ذلك .

واختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين والتبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث لايتميز أحد الفنين عن الآخر .

لقد كان الهدف المبيت من وراء حركة الترجمة فى تقدير أعداء الاسلام هو طرح الفكر الغنوصى الشرقى والفكر اليونانى الوثنى فى دائرة الاسلام للقضاء على مفهوم التوحيد الخالص على النحو الذى فعلته الفلسفة بالفكر اليهودى والمسيحى من قبل .

ولقد كان الامام الغزالى والإمام بن تيمية هما أقوى خصوم الفلسفة والمهاجمين لها ، وبعد الغزالى رفض علماء الكلام الفلسفة رفضا قاطعا أدى الى موتها ، وليس معنى هذا موت الاتجاه العقلى ، ولقد انتقد الغزالى الفلاسفة فى مسائل القدم والعلم الالهى والبعث وهذه ذات صيغة غيبية متنافيزيقية وما ذهب اليه الفلاسفة فيها مناقض للقرآن .

ذلك أن الفلاسفة تنكبوا التصور الاسلامى الذى يفرق بين عالم الغيب وعالم الشهادة وكان الغزالى مقدمة لدور ابن تيمية القوى الحاسم ، ولم يرفض الغزالى الفكر الاسلامى فى مجال المنطق والطبيعيات والرياضيات والفلك ، وانما رفض الفلسفة الوثنية التى كانت تسمى عند اليونان : علم الأصنام ، رفضها كتصور ايدلوجى يونانى من حيث الخلط بين عالمى الغيب والشهادة .

وقد كان الغزالي ومن كان قبله ومن جاء بعده تأكيدا للرفض والاهمال الذى لاقتـــه الفلسفة فى العهـــدين الأموى والعبـــاسي من أهل السنة ( معتزلة وأشاعرة ) وتأكيدا لطموح الفكر الاســلامى فى تبنى كل فكرة لا تناقض تصوره ومنهجه باعتبارها كلمة قابلة للأخذ ولا ريب أن سبب تدهور الفكر الاســلامى وانحطاطــه نتج عن انتشـــار الفلسفة ومنطقها و ( الأفلاطونية المحدثة ) قد أثرت بسلبية على الفكر الاسلامى وطبعته بطابع الاشراقية ، كما أن النزعة التوفيقية أدت الى الروحانية المفرضة التى انحرفت وصـــارت مضمونا يتميز بالكسل والخمول والخدر فغرق المسلمون فى انحطاط طويل سلب الحضـــارة الاســلامية رونقها بعد أن ارتفعت كالسهم .

ولقد كان لبعض الشعوبيين أثر كبير فى اغواء الناس بالفلسفة وكان نصر الدين الطوسي يفرض لـــكل من يشتغل بالفلسفة ثلاثة دراهم والأطباء درهمين والفقهاء درهما واحدا والمحدثين نصف درهم .

ولذلك أقبل الناس على معاهد الفلسفة والطب ، وكان هذا مااستتب به الأمر بعد غزوهم لبلاد المسلمين .

وقد أكد الباحثون أن انتشار الفلسفة وسيطرتها هو العامل الوحيد فى انحطاط الفكر الاســلامى الى جوار عوامل أخـــرى منها الآثار التى أحدثهـــا الشعوبيون فى المجتمع الاســلامى بالاضــــافة الى الحـــروب الخارجية مع التتار والصليبين والطامعين فى الحكم والسيطرة . وقـــد استطاع الاســلام أن يحافظ على نفســـه بما يسمونه تحجرا وجمـــودا وتوقفـــا وانحطاطـــا بوقف باب الاجتهـــاد وكان ذلك أفضل حل للحفاظ على الاســلام فى لحظة حرجة منهارة تكاتفت فيهـــا كل العوامل لضرب الاسلام فـــكريا واسلاميا .

ومن الخطأ وصف تلك الفترة باسم فترة الانحطاط ، ذلك أنها فى الحقيقة كانت فترة الصمود والثبـــات : ظهر فيها ابن خلدون وابن الأزرق .

والمعروف أن أول من اهتم بالفلسفة الاســلامية المستشرقون وكان لعملهم وجهان : وجه يزيفون به فـــكر المسلمين عامة ووجـــه يحيـــون به الحديث عن الفلسفة ويفسحون لها المجـــال من جديد . وقـــد بدأت تلك الحملة بتشويه الفكر الاســلامى عامة وذلك بادعاء المستشرقين أن الفضل يرجع الى عبقرية اليونان ومجهودات السريانية .

وكان ذلك أخطر مايقال فى هذا الصدد وهو القول بتبعية المسلمين للفكر اليونانى .

ولقد رفعوا من شأن الفلاسفة المسلمين الذين هم فى الواقع لم يكونوا الا أتباعا للفلسفة المشائية اليونانية ، وقد أعتبرت فلسفتهم لا تعبر عن الفلسفة الاسلامية الحقة وانما يعبر عنها علم الكلام ، وأصول الفقه والمنهج التجريبى الذى قدمه العلماء المسلمون وهو المعبر الحقيقى عن الفلسفة الاسلامية ، وقد بدأ هذه الفكرة الشيخ مصطفى عبد الرازق وبلغ بها مداها الدكتور على سامى النشار والواقع أن هناك هوة واسعة بين منهج الفلسفة ومنهج العقدية وبين أسلوب الفلسفة وأسلوب العقيدة

## ( ١٨ )

## شبهات حول الفلسفة المادية

حاول دعاة الفلسفة المادية تقديم مفهوم زائف تحت اسم فلسفةالعلم اعتمادا على خيوط علمية واهية بحجة القول بأن الفلسفة المادية تعتمد على مفهوم العلوم الطبيعية ، والواقع أن استعمال أسلوب العلم التجريبى والطبيعى فى الدراسات الانسانية باطل وكاذب ولا يمكن أن يؤدى الى تقديم نتائج صحيحة .

والواقع أن الاسلام يستطيع أن يقدم اجابات مجددة ومقنعة على جميع الأسئلة التي تدور حول الحياة الانسانية ، وهذا الفهم أشمل وأعم فان العلم مهما تقدم وتطور فهو نسبي فى المعرفة مشروط بعطاء عصره وبيئته ، فالعلم خاضع للتحفظ والتغير فى الموقف بل التخطى والتراجع ، وكل مايكون معمولا به فى عصر كحقائق علمية قد يأتى فى المرحلة التالية فيفندها ويكشف ما بها من أخطاء ، فالمعرفة نسبية ، أما الدين الحق فانه يتجاوز كل الفلسفات الأساسية للانسان ومن ثم فهو أسمى من أن يقارن بفلسفة ما .

وبفضل توجيهات القرآن اشتغل فلاسفة الاسلام الذين كانوا أيضا علماء بالعلوم بمعناها الخاص فجددوا المعرفة العملية ومناهجها وأنشأوا علوما جديدة .

والواقع أن نظرة الاسلام الى الوجود والكون والانسان بمفهومه الجامع الربانى المصدر الانسانى الوجهة يختلف اختلافا عميقا بين مايقدمه الغرب من نظريات مصدرها الفكر البشرى بأهوائه ونقصه وتطرفه وماديته وبلا مراعاة للتكامل الذى يقوم عليه الانسان ويطابقه الاسلام وهو الروح والمادة ، كل هذا كشف زيف الفلسفة المادية وقصورها وعجزها عن

الغطاء ، وما كان لها من آثار خطيرة على أزمة الحضارة المعاصرة ؟ ولا ريب أن فلسفة المادية هى فلسفة أزمات ظهرت فى أعقاب الحروب المدمرة فهي لا تستطيع أن تعطي عطاء حقيقيا ايجابيا وانما هى محاولات مرحلية ولذلك فهى لا تتناول الانسان ككل ولا تهتم اهتماما جادا بمكانه فى الكون ورسالته على الأرض ، بل تعبر عن الجانب المادى فى الانسان وهو على كل حال ليس بالجانب الحقيقى فى طبيعته .

وهكذا نجد أن المذاهب الفلسفية القائمة الآن : سواء الفلسفة التحليلية فى انجلترا أو البرجماتية فى أمريكا أو الوجودية فى غرب وجنوب أوربا ، أو المادية الجدلية فى شرق أوربا كلها فلسفات مادية لا تتناول الانسان الا على أنه حيوان خاضع لمطامع الطعام أو الجنس .

وهى تفرض وجهات نظر متنوعة دون عناية بتربية الانسان كانسان بل هى فى مجملها تبرير للواقع الفاسد المنحرف الذى يتمثل فى الاتجاه الى القوة من ناحية والترف من ناحية أخرى ، ومن هنا قصرت النظم التربوية العالمية عن تكوين النموذج الانسانى المتزن من الناحيتين الفكرية والخلقية، وقد احتجب عن الغرب أثر الدين الحق بروحانياته وأخلاقياته وتصوره للكون الانسان ومقدرته على تنظيم أمور الحياة . ذلك أن الدين الحق دائما الى جانب نور العقل أكبر عامل يرشد الانسان ويساعده فى حياته

ويقول الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة : انه لا سبيل الى الوصول الى الغاية المثلى للمجتمع الحق الا بمفهوم جديد يقوم على أساس معرفة الانسان فى حقيقته واستعداداته ومعنى حياته ورسالته على الأرض ، وبتوجيه حياته حسب المعرفة الصحيحة ، ولابد من بناء المعرفة على أسس طبيعية ، من ملكات الانسان الحسية والعقلية فللانسان حواس يدرك بها ماحوله وهو يتصورها بعقله ، ويصحح تصوره لها ان هو أخطأ ، ويجب عليه أن يتقيد بمنهج البحث فلا يحاول معرفة المحسوس الا بالحواس ووسائلها ولا يسير فى تصوراته للاشياء الا بحسب قوانين الفكر ، ومعنى هذا هو الالتزام بالمنهج العلمى فى دراسة الأشياء ولكن دراسة الاشياء فى خواصها وعلاقة بعضها ببعض لا تكفى الانسان لأن عقله أوسع من مجال الحواس بل أوسع من الكون مهما كان كبيرا وهو يسأل عن مصدر الأشياء سواء فى أمور الكون أو فى أمور الحياة ، ويمكن بلا شك ان يستدل على نحو يقينى من وجود هذا العالم ونظامه ، وقوانينه على وجود صانعه الحكيم القادر جل جلاله ، ومن ارتباط الأشياء بعضها ببعض وملاءمتها لحياة الانسان على عناية المبدع ورحمته .

وعلى الانسان فى هذا الاستدلال أن يبتعد عن التصورات المأخوذة من هذه الأشياء التى يراها الانسان حوله .

ولما كانت معارف الانسان الحسية قاصرة ومعارفه العقلية متأثرة بالتجربة فى عالمه فان كثيرا من المعارف عبارة عن اجتهادات فى حدود طاقة الانسان ، وكثيرا من المذاهب الفلسفية ظنون ، وأحكام المفكرين على قيم الأشياء والأفعال وتحديدهم للغايات كلها اجتهادات ، وهذا يدل على أن الانسان على الرغم مما له من ملكات المعرفة والتقدير للقيم فى حاجة الى مايكمل له نظام المعرفة ويبين له معنىهذا العالم ومعنى حياة الانسان وقانونها وغايتها على أن يكون ذلك من مصدر فوق الانسان ، هو خالق الكون والانسان ، وذلك ماتجده فى الدين الحق المنزل بمفهوماته وأدلته الواضحة التى لا يجد العقل السليم والضمير المستقيم أى صعوبة فى فهمها والعمل بأحكامها .

أتصور التفلسف : استعمال للحواس والعقل فى دراسة هذا العالم على أوثق المناهج وبكل الوسائل لتكوين تصور علمى للكون وللانتفاع بقوى الطبيعة التى يرشد الله تبارك وتعالى أنه سخرها للانسان وخصوصا بمعرفة الله وتوحيده وتنزيهه وتعظيمه وشكره ومحبته وعبادته بفضل آيات صنعه الرائع فى السموات والأرض .

أتصور الفلسفة تفكيرا أو تدبيرا لما تضمنه التعليم الالهى فى القرآن من أصول المعرفة ومبادىء تنظيم الحياة وجعل ذلك خيرا بالمعرفة الحق والخير فى هذه الحياة وبذلك يضاف الى نور العقل نور من خالق العقل »

وفى هذا المجال يصدق قول العلماء من أن العلم المعاصر قد أفلس فى علاج المشاكل الاجتماعية والنفسية والانسانية بوجه عام ، لأنه لم يخضع لمنهج واضح فى تطوره وفى أغراضه وأهدافه ، وقد تبين أن العلم لا يمكن أن يصل الى الحقيقة المطلقة التى لا يمكن أن تظهر الا بالايمان الذى هو قوة أخرى أشمل وأقوى من العلم .

وقد رفع العلماء فى الغرب أصواتهم بالشكوى من طغيان الجانب المادى فى حياة الانسان على الجانب الروحى وطغيان الميول الى الترف، وما له من أضرار على الميول الى الحياة البسيطة السليمة وقد ارتفعت الأصوات بالشكوى من الضياع والحيرة والتشكيك الذى وقع فيه الانسان بسبب قصور نظم التربية والتعليم فى العالم كله عن تكوين النموذج السليم فى هذا العصر الخطير .

ومن أخطاء العلم الحديث الذي عنى بدراسة الأشياء أن جرى فى دراسة الانسان وأموره كشىء لا كذات تعقل وتشعر بقيم عقلية وبأحاسيس خلقية وله حاجات روحية .

وقد قل فى العصور الحديثة اشتغال العلماء بالتفكير فى حقائق الأمور الانسانية ، وفيما وراء أو فوق هذا العالم المحسوس ولكنهم عندما تعرضوا للانسان بنوا تصوراتهم على الخيالات الميتافيريقة التقليدية البعيدة عن الواقع ، وحكموا فى ذلك الأمزجة الشخصية واتباع الأهواء والأفكار المشكوك فيها والحوا بالآراء اللامعة كالسراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاء له يجده شيئا .

ومعنى هذا كله أن الفكر الفلسفى فى العالم الاسلامى يجب أن يتحرر من الفلسفة المادية وأن يشهد مفاهيم من تلك الأصول الأساسية التى جاء بها الاسلام : وأن يكون الايمان بالله تبارك وتعالى مالكا وخالقا ومسيرا للأمور كلها أساسا وأن تفهم مهمة الانسان فهما صحيحا باعتباره مستخلف فى الأرض وأن تكون العناية بالانسان فى جوانبه كلها الروحى والعقلى والبدنى مقدمة على كل شىء وأن يحاذر العلماء النظر فى جزئيات الأشياء ويتجهوا الى النظرة الجامعة الكلية ، والا يقفوا عند مسائل العقل أو مسائل الروح وانما يجمعوا بين معطيات الانسان روحا ومادة ارتفاعا عن المحرمات واقامة لحدود الله وتطلعا الى ماهو أسمى من الحياة المادية، وأن يستمدوا من الدين الحق تصوره المحكم للكون والحياة وبذلك يقوم نظام جامع فى المعرفة الانسانية .

## ( ١٩ )

## شبهات فى علم النفس الحديث

حاول دعاة الفلسفة المادية فى العصر الحديث اعلاء مفاهيم التحليل النفسى التى جاء بها فرويد والتى لم تكن الا نوعا من التحدى للفطرة الانسانية الصحيحة وقد جرت المحاولة لاذاعتها فى مختلف مجالات الثقافة والفكر وفرضها فى الجامعات والمعاهد لخلق روح من الانحراف والتحطيم والتدمير للشخصية الانسانية ، وقد أخذت هذه المفاهيم تهز النفوس البشرية هزا عنيفا ، وكان لها أثرها البعيد فى أزمة الانسان الحديث ، ولكن العلماء لم يدعوها دون أن يفندوا أكاذيبها وأضاليها ويكشفوا عن

زيوفها وعن غاياتها البعيدة التى قام بها رجل يهودى يحمل لواء الصهيونية التلمودية .

وقد حاول الدكتور فؤاد أبو حطب أن يستوعب أخطاء هذه الفلسفة فى أصول عامة : يقول .

إن علم النفس ليس علما بالمعنى المتعارف عليه للعلم ، بل لاتنطبق عليه شروط العلم الواجبية وأهمها اليقين والموضوعية ، وهى شروط العلوم الطبيعية وهذا ينطبق على العلوم الإجتماعية جميعا ودمغها جميعا بأنها علوم زائفة ، وأبرز المحاذير :

(١) هى غلبة الاتجاه المادى فى علم النفس بحيث جعله يتصور النفس الانسانية تصورا ماديا فهى مجموعة غرائز تتطلب الاشباع المادى المباشر ، والانسان فى اطار هذه النظرة المادية مدفوع دائما بقوى لا معقولة ومغلوب على أمره تصدر عنه أفعال قهرية وكل مايملكه العقل من « حيل » هى تدبير هذه الأفعال أو البحث عن وسائل مقبولة لاشباعها أو التسامى بها ليزاولها بصورة أجمل .

(٢) معظم النتائج التى توصل اليها بعض أصحاب الاهتمامات النظرية فى علم النفس وعلى رأسهم فرويد استخلصت من الحالات المرضية ثم عممت على حالات الأسوياء وتبنت نماذج نظرية كاملة فى هذا الاطار الزائف .

(٣) علم النفس التجريبى كذبة كبرى ، لأن النفس ( ذات كلية ) ولا يمكن تحويلها الى موضوع ، أو تشريحها تحت المجهر ولا يوجد فرع من فروع العلم التجريبى — ومنه العلوم الفيزيائية — يؤدى الى المعرفة اليقينية ولا توجد ملاحظة بشرية معصومة من الخطأ .

والواضح هو غلبة « المادية » على علم النفس ، والمادية فلسفة حياة وجرائيمها مضمرة فى العلوم الطبيعية وأهمها الصراع بين الدين والعلم .

ولا ريب أن أحد مصادر التحدى الحضارى الذى يتعرض له المسلمون وما يحمله تيار العلم الوافد الينا من الغرب ومن الشرق خلفية الحادية واضحة فى طياته ، جعلت من الكفر بكل ماهو غير مادى سمة هذا العصر بل ان الأمر قد بلغ الى حد خطير بسيطرة المادية على العلوم الطبيعية بمضمونها الالحادى مثل مبدأ « أزلية

المادة » والطاقة ونسبة كل شيء فى الكون الى الطبيعة وقوانينها ومحاولة تفسير التدرج فى عمران الأرض على أنها عملية مادية تلقائية بحتة .

والمعروف الآن أن آراء فرويد وأصحاب مدرسة التحليل النفسى عامة تواجه بالنقد العنيف داخل الأطار السيكولوجى ذاته ، وتتسع دائرة هذا النقد ابتداء من فرويد شخصيا وشخصيته حتى التحليل النفسى مدرسة ومنهجا وفلسفة وحياة .

وقد تبين أنه لابد من استخدام منهج دراسة الكون فى دراسة النفس ، لأن دراسة الكون والانسان واكتشاف سنن الله وتأمل آياته فيهما من أعظم الأدلة على ابداعه سبحانه وتعالى وقدرته فى خلقه .

ان الملاحظة باعتبارها جوهر العلم التجريبى الذى يحض عليه الاسلام هى عملية تحليلية ، فالأشخاص كالأشياء لا تعرف الا بخصائصها وسماتها ، كما أنها لا تتميز الا بأضدادها فنحن نصف الشىء بأنه مستدير أو حاد أو ثقيل أو بهذه الصفات جميعا ، وبالمثل فاننا نصف الشخص بأنه يستجيب بسرعة أو بعنف أو بدقة أو بغير ذلك من الطرق .

والخصائص هى تجريدات نصل اليها بتحليل الكليات وتجريد احدى السمات من كلية معينة لا تؤثر فيها لأنها تظل ثابتة محتفظة بكيانها الكلى الذى هى عليه قبل التحليل .

يجب أن يتبع الباحث منهجه التحليلى بنظرة تركيبية بنائية تكاملية برسم ( البروفيل ) النفسى الذى يربط بين مختلف الخصائص والسمات حتى يحدد النمط الكلى الفريد لهذه السمات والذى يميز الشخص أو الشخصية وليعرف الشباب المثقف ان علم النفس الذى يدرس الآن ليس هو علم النفس الاسلامى ولكن علم النفس المسيحى واليهودى .

فقد بدأ علم النفس الدينى المسيحى فى أوربا والولايات المتحدة ابتداء من الكتابات المسيحية والعصر المدرسى فى العصور الوسطى وعصر الاصلاح الدينى فى أوربا ثم طرح الفكر اليهودى التلمودى عن طريق فرويد مفاهيم جديدة ارتبطت بالمفاهيم المسيحية ، وهناك مفهوم لعلم نفسى وماركسى ويهودى ونصرانى كل منها يستمد خصائصه من العقائد التى يدين بها كل من هذه الجماعات ولذلك ، فانه لابد من بناء علم نفسى دينى اسلامى يستمد مقوماته من أصول الاسلام ، قوامه تكامل الاسلام بين

الروح والمادة والدين والدنيا ووفق مفهوم الاسلام لرسالة الانسان فى الحياة والتزامه الأخلاقى ومسئوليته فى الجزاء بعد البعث .

## ( ٢٠ )
## شبهات حول أخلاق الاسلام

ترددت كتابات كثيرة عن الأخلاق فى الاسلام ، مما كتبه الكندى والفارابى واخوان الصفا وابن مسكويه وابن سينا وابن باجه وابن طفيل وابن عربى .

وقد تبين مع الأسف أن مذاهب هؤلاء الفلاسفة لا تمثل مفهوم الاسلام الصحيح فى تقدير مضمون الأخلاق فى ضوء القرآن والسنة .

وقد تبين أن هؤلاء الفلاسفة قد أقاموا مذاهبهم فى الأخلاق على أساس من الفلسفة التى تلقفوها عن اليونان معلنين غير مستخفين . هذا الأساس الأجنبى هو الذى حجب أنظار المسلمين عن فهم القرآن كما يقول ( اقبال ) ولذلك لم يبرز مفهوم القرآن للاخلاق فى هذه الدراسات ، لما جاء الصوفية وعرضوا للأخلاق كان مفهومهم غير كامل وان كان أقرب الى مفهوم الاسلام .

وقد أفلت المحاسبى والقشيرى من تأثير الفلسفة اليونانية وشطوتها واقتربا من روح الأخلاق الإسلامية ، ويبدو أن تأثيرات رهبانية تسربت الى مفاهيم الزهد والاخلاص والصمت عندهما فكانت لها آثار ضارة تمثلت فى تشددهما البعيد الذى يتنافى مع يسر الاسلام واعتباره لطاقات الانسان المحدودة . كما يقول الاستاذ أحمد عبد الرحيم ابراهيم ، فالغزالى فى أبرز مؤلفاته فى علم الأخلاق كتاب ( ميزان العمل ) وفى الأحياء أيضا يبدو أخطر مناقض الغزالى اعتماده لنظرية النفس لدى أفلاطون وتقسيماته لقواها وللفضائل تبعا لذلك ، ثم قبوله المطلق لنظرية الوسط الأرسطية فكلام الغزالى حسب تعبير ابن تيمية برزخ بين المسلمين وبين الفلاسفة ففيه فلسفة مشوبة بالاسلام وإسلام مشوب بالفلسفة ، وذلك فى محاولة الغزالى التوفيق بين أفلاطون ونظريته فى النفس والفضائل وبين فضائل القرآن . كما اعتقد فى نظرية ارسطو القائلة بالوسط الأرسطى ، وهو المبدأ القائل بأن الفضيلة وسط بين رذيلتين ( ميزان العمل ص ٢٣٤ ) تعسف فى تأويل آيات القرآن الكريم لكى يحملها على التوافق معه ( فاستقم كما أمرت ) تفسر عنده بمعنى طلب الوسط بين الأطراف . وعلى

الرغم من ادراك الغزالي للتعدد الواضح للفضـائل الاسلامية وتجـاوز عددها للتقسيم الرباعى الأفلاطونى الضيق فانه تمسك بذلك التقسيم بشدة

ويقول زكى مبـارك وبعض مفكرى المسيحيـة أن الغـزالى تأثر بالنصرانيـة وانه تأثر بالآداب السلبية التى دعا اليهـا الانجيل ، ويقول الدكتور محمد يوسف موسى ان الامام الغزالى حاول أن يطبع ما أخذه عن اليونان والمسيحية بطابع اسـلامى صوفى وان تلك المحاولة كانت أقرب الى روح الاسـلام من الفلاسفة العرب ( النشار ) وهو فى مفهوم الأخلاق متأثر بالفلسفة اليونانية يردد نظريات أفلاطون وارسطو .

أما تراث الحديث النبوى فقد بقى طوال القرون دون أن يجـد من يدرسه ويستخلص منه المبادىء العـامة لنظام الأخلاق الاسلامي بدلا من الأخذ من اليونان ، أو التوفيق بين أخلاق الاسـلام وتلك المذاهب الأجنبية ويرجع ذلك النقص الى الفلسفة الأخلاقية اليونانية التى نقلت جاهزة الى المحيط الثقافى الاسـلامى العربى قبل تبلور علم أخلاقى اسـلامى أصيل، فجمدت أنظار المفكرين المسلمين وخاصة الفلاسفة عن النظر الى المضامين الأخلاقية للقرآن والسنة ، كما أشار اقبـال الى ذلك وبالنسـبة لفكرة الوسط يقول أن القرآن لم يحدد حدودا عليا للفضيلة بحيث يعتبر كل من يتجاوزها مسرفا وعلى العكس كان النبى لايتحرى وسطا فى كرمه وانفاقه فالمال كله لله عز وجل وبذله جميعا هو الأحب عند الله سبحانه وانما لم يأمر به عنده لأنه يشق عليـه بسبب بخله وهـو ينهى عن الواجبـات والفضائل الأشد وجوبا فى سـبيل الاستزادة بالأقل وجوبا واعمالا بمبدأ لاتقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة ، وليس هـذا وسطا وانما هو توازن خلقى أو تناسق خلقى .

وفيما يعلق بكتابات المعاصرين يتحدث أحمد أمين عن الأخلاق فيبذر بذور الريبة فى عقل القارىء حول عدم وجود نظام أخلاقى متميز للدين الاسلامى أما العقاد فيرى أن الأخلاق الدينية الشرقيـة هى سيطرة خارجيـة عن الانسان تملى عليه مايفعل وما يترك وتجيز له وتحرم عليه ولا شأن له هو فى جميع ذلك الا الطاعة والاذعان ( مراجعات ) وكتاب الدكتور عبدالرحمن بيصار عن العقيدة والأخلاق مستمد من فكر أفلاطون وارسطو ومسكويه فى معظم الأبواب والواقع أن هذا كله لا يمثل وجهة نظر اسلامية حقيقية، هـذه النظرة التى تتكشف فى وضوح فى رسـالة المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز .

فقد استطاع الدكتور دراز رحمه الله وجزاه خيرا أن يقدم المفهوم الأخلاقى القرآنى وأن يقارنه ببعض النظريات الغربية ، ولقد كانت جولاته

بين الفلسفات اليونانية واليهودية والمسيحية من أكبر أسباب اقتناعه بأن مفهوم الأخلاق فى القرآن — ولا نقول نظرية الاسلام — تفوق كل النظريات والمفاهيم فى غيره ويقوم مفهوم الاسلام على :

(أولا) الالزام : فالالزام هو أصل كل مذهب أو نظرية فى الأخلاق فلا مسئولية بلا الزام ، واذا عدمت المسئولية فلا يمكن أن تسود العدالة وحينئذ تتفشى الفوضى ويفسد النظام وتعم الهمجية لا فى مجال الواقع فحسب بل فى مجال القانون أيضا .

(ثانيا) المسئولية : والمسئولية متولدة من الالزام فلا معنى للالزام الا أن الانسان مكلف بأن يقوم بأشياء وأن يقدم حسابا عنها ، وهذا فى حدود فكرة المسئولية الانسانية ، لا يسأل الانسان عن عمل غيره ، ولا عما يعلم أنه مكلف به ، ولا عن أعماله غير الارادية ولا عما أكره عليه .

(ثالثا) الجزاء : وهو الرابطة بين الالزام والمسئولية وللجزاء ثلاثة ميادين : أخلاقى وقانونى والهى .

(رابعا) النية والدوافع : والانسان مكلف وهو كائن ناقص لكنه فى الوقت نفسه قابل للكمال فلابد من العمل وهو مسئول عن عمله وهو فى صراع دائم ضد كل الشرور ، ولكن الى جانب الجهد الطبيعى الذى تفرضه الغريزة جهد آخر يقتضيه العقل من أجل مثل أعلى .

## ( ٢١ )

## شبهات حول تفسير التاريخ الاسلامى

حاول كتاب الماركسية تفسير التاريخ الاسلامى بمفهوم صراع الطبقات وفشلوا فى ذلك لأنهم — كما يقول الأستاذ طه محمد كسبه — لم يستوعبوا مضمون الرسالة الاسلامية ، ان الصراع الذى ثار بين المسلمين وبعضهم البعض والذى اتخذه الماركسيون دليلا على صحة دعواهم انما كان صراعا ذا طابع سياسى ولم يكن صراعا طبقيا تغلبت بموجبه طبقة على أخرى أو فئة على أختها . والخطأ الذى وقع فيه الشيوعيون أنهم قد نظروا الى التاريخ الاسلامى بنصف عين ، ذلك انهم لم يقرأوا التاريخ الاسلامى كله كما أنهم لم يقرأوا التاريخ البشرى وكل الذى فعلوه أنهم ساروا على نهج امامهم ماركس حين تخير أحداثا بعينها من تاريخ البشر وأطلقها على التاريخ كله ؛ فقد كانوا يقرأون ماكان يعنيهم ويتفق مع أصول نظريتهم الأولى فى استخراج أفكارهم

وأحكامهم وآرائهم ، فكان مايثير انتباههم ويلفت أنظاهم منظر تلك الدماء التى تسيل على صفحات التاريخ ، ولم يكن ينفذ الى أنوفهم سوى رائحة الدم يسيرون وراءها ويدللون عليها ويتبعون خيوطها ويستخرجون منها أحكاما ومبادىء وأفكارا واستنتاجات يطلقونها على التاريخ كله مثلما فعل ماركس حين اعتمد فى استنباط نظريةعن التاريخ على بعض مراحل التاريخ دون الأخرى . وهنا سقطت دعوى اختلاق الصراع الطبيعى وحتميته على المجتمع الاسلامى ، ذلك أن الاسلام لم يكن أساسا من افراز النظام الطبقى فى قريش ولم يكن الاسلام دينا رجعيا يحفظ للظالمين والمستغلين أموالهم وامتيازاتهم كما أنه لم يكن مخدرا للفقراء والمحتاجين والمعدمين يجعلهم فى حالة تبدل ورضى بفقرهم وعجزهم كما دعا الى العمل والحركة والسعى على الرزق ومجاهدة النفس والمشركين والمستغلين .

وكان بحق حركة عدل ضد أعداء السماء والانسان .

كذلك فان الاسلام ما جاء نتيجة انقلاب عسكرى أو سياسى قام به مجموعة من الأفراد الذين يطلقون على أنفسهم ثوارا ، أو مجموعة من العسكر ، كما أنه ما جاء نتيجة انقلاب مناظر فى توزيع الانتاج وعلاقاته المتشابكة فى قريش وانما جاء كظاهرة فوقية مستقلة عن البيئة ، وجاء الاسلام من البداية مقررا للمساواة فى الفرض وضمان حق الكفاية لكل المواطنين وتحقيق التوازن الاقتصادى بين الفرد والمجتمع ، وجاء بمبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ومبدأ الاقتصاد الحر الموجه ، جاء بكل ذلك فى الجزرة العربية فى وقت لم تكن ظروف الانتاج وعلاقاته تدعو اليه بحيث يمكن أن يقال أن ماحدث كان انبثاقا من واقع اقتصادى ، وتحدى بذلك كله منطق الماركسيين التاريخى وحسابات المادية التى تحتم انبثاق كل انقلاب سياسى من انقلاب مناظر فى نظام الانتاج وعلاقاته .

وعليه فان الصراع الذى ثار بين المسلمين والذى يتخذه الماركسيون حجة ودليلا على صحة نظريتهم ، انما كان من أجل الحكم ، وكان صراعا سياسيا لا طبقيا ولا يقره الاسلام بحال من الأحوال ، فهو خارج عن منهج الاسلام وبعيد عن روحه السمحة ، ويبقى الاسلام بجوهره الاساسى الذى يشع رياح الأخوة والمصالحة بين المسلمين والذى يقرر فى صراحة:

« اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار »

ويقرر : « انما المسلمون اخوة فأصلحوا بين أخويكم » .

ومن هنا فان دعوى صراع الطبقات التى يحاول دعاة الماركسية اليوم وأصحاب التفكير الالحادى الصاقة بالاسلام وصولا الى تفريغ الدين الاسلامى من محتواه الروحى ومضمونه العقائدى انما هى محاولة لن تجدى .

هذا من ناحية ومن ناحية القول بأثر العامل الاقتصادى فى توجيه التاريخ الاسلامى يقول الدكتور حسن شحاته سعفان : ان عوامل التقدم فى مصر والشرق الأوسط اذا درست فى تطورها منذ العصور الاسلامية نجد أن العامل الاقتصادى فى هذا التأثير وفى تطورها لم يكن بأكثر اهمية من غيره بل على العكس كانت المثاليات الدينية والأخلاقية المستقاة من الاسلام ، أولا ومن المسيحية ثانيا هى العامل الأول فى تشكيل النظم وتطويرها ثم يأتى العامل الاقتصادى كعامل ثانوى فى معظم الأحيان .

ويقول : ان نظرية ماركس فى المادية التاريخية خطأ محض — فقد استنتج نظريته من استقراء بعض وقائع الاقتصاد الاجتماعى للدول الغربية ويقول انه ينكر الدين والعوامل الروحية بينما كانت هى المحرك الأكبر لهذا التطور ومن خطأه الزعم بأن العوامل المادية هى العوامل التى تؤثر الأثر الأكبر فى تشكيل النظم الاجتماعية الأخرى من دينية وسياسية وأخلاقية وتربوية .

ويقول : ان نظرية ماركس لا تنطبق على دول الشرق الأوسط وأن الدول الغربية ان صح انها تطورت بحيث وصلت فى العصور الحديثة الى دول تقدس المادة أولا فان ثمة دولا بالعكس لم يطرأ عليها تطور يجعلها تضحى بالمثاليات الأخلاقية والدينية تحت تأثير العوامل المادية .

## ( ٢ )

ومن أخطر الشبهات التى طرحها الماركسيون محاولة تصوير عهد الرسول والخلفاء الراشدين بصورة الصراع بين اليمين واليسار فى الاسلام ، والاهتمام بالعامل الاقتصادى وتقديمه فى النظر الى أحداث التاريخ وعجزهم عن تعمق مفهوم التفسير الجامع للتاريخ الذى تؤثر فيه عوامل عديدة ، الاقتصاد واحد منها ولكنه ليس أهمها على التحقيق .

والاسلام له تفسيره التاريخى الذى يختلف عن التفسير المادى للتاريخ الذى قدمه ماركس وأخذت به الشيوعية والتفسير الدينى للتاريخ الذى قدمه توينبى والذى يقوم على استعلاء الحضارة الغربية بالمسيحية وتفسير الأحداث وسير الأجيال فى ضوء هذه التبعية ومن هنا فقد

وقف التفسيران من الاســـلام موقفا ظالما ، ومن أخطاء تفســـير توينبى أنه يرى المجتمع الاســـلامى حصيلة اندماج مجتمعين متمايزين فى الأصل هما الايرانى والعـــربى ولو أنه قال إن الاســـلام صـــهر كل من آمن به فى مجتمع جديد وأنه استصفى خير مافى الحضـــارات القديمة مما يتفق مع مفهوم التوحيد لكان قوله قريبـــا من الحق ولا شك أن ابرز مفاهيم التفسير الاسلامى للتاريخ هو التوحيد والعدل والاخاء الانسانى وقيام المجتمع على أساس الأخلاق دون تفرقة بين العنـــاصر والدماء والقضاء على صراعها والتفاخر بها . ولقد كان من اخطاء التفسير الماركسى هـــذه التفرقة بين اليمين واليسار وهى تفرقة لم يعرفها الاسلام .

ومن أخطاء التفسير المادى للتاريخ تصور الاســـلام على أنه ثورة اجتماعية أو اقتصادية ، بينما كان الاسلام دعوة ربانية وليست بشرية لها صفة المنهج الجامع الانسانى الطابع ، ولذلك كان من اخطاء عبد الرحمن الشرقاوى ، تصـــور النبى صلى الله عليه وسلم على أنه رسول الحرية، أو أن الاســـلام حركة اجتماعية كما حاول طه حســـين فى كتاب الفتنـــة الـــكبرى ، لقد أغفل عبد الرحمن الشرقاوى حادثة خروج النبى من بيته ليلة تآمرت به قريش وحادثة ايوائه الى غار حراء ووضع الآية القرآنية مبتورة على ظاهر كتابه ( قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى ) وقصرها على كلمة مثلكم انكارا للوحى .. ولا شك أن تجريد ســـيرة النبى من الوقائع المتواترة هو عمل من أعمال الغش التى يراد بها ايجاد فرصـــة للتشكيك والارتياب فضلا عن أنه لم يورد عبارة ( الوحى ) اطلاقا ولم يذكر أن سر انتصار دعوة الاسلام هى أن قوة عليا تؤيدها وتساندها .

## ( ٣ )

عندما قامت بعض الجهات الاقليمية ذات الهوى والغرض بكتـــابة تاريخ الاســـلام وقعت فى مجموعة من الأخطاء التى يجب التنبه لها وقد جمعها أحد باحثين على هذا نحو :

أولا : خطر التوسع فى الصغائر ذات الصفة الشخصية بينما يختصر الأعمال الـــكبرى العامة .

ثانيا :سيطرة الروح القومية على مفهوم التاريخ الاسلامى الجامع .

ثالثا : التحدث عن الرسول كالتحدث عن نابليون واخناتون .

رابعا : وضع كلمة العرب بدلا من كلمة الاسلام والمسلمين ، وهى توحى بتكرارها أن رسول الله انما بعث للعرب وحدهم وتجريد النبى من

طبيعته حتى يبدو وكأنه ليس أكثر من داعية أو مصلح سياسى أو اجتماعى وأن رسالة الاسلام لاتعدو أن تكون حركة اصلاحية .

ولا ريب أن روح العنصرية فى كتابة التاريخ اسلامى تتناقض تناقضا تاما مع الحقائق الأساسية ، لأن تاريخ الاسلام فى عصر الراشدين والأمويين كان تاريخا للمسلمين كلهم ولم يكن تاريخ العرب وحدهم .

وكان من صناع بطولته : البربر والأتراك والفرس .

خامسا : تجريد الدعوة الاسلامية من أساسها الفكرى ورسالتها الأساسية وأعنى بها العقيدة .

سادسا : اخفاء الروح الاسلامى التى لها أثرها التربوي في النشء المسلم .

سابعا : تجريد المعارك الاسلامية من نفحات النبى ومن تأييد الله تبارك وتعالى وقياسها بمقاييس مادية بحته .

ثامنا : فى الهجرة أغفل المؤلفون جوانب رعاية الله وركزوا على عنصر الاختفاء وغفلة قريش وعدم رؤية أحد للنبى .

تاسعا : فى موقعة عين جالوت تجاهل المؤلفون نداء «واسلاماه»

عاشرا : عند الحديث عن غزوة أحد لم يذكر المؤلفون عدد الجيش الاسلامى .

حادى عشر : فى الحديث عن معارضة قريش للاسلام ذكر أن السبب فى ذلك هو خوف قريش على مركزها التجارى وهذا تحليل ماركسى فان قريشا قد عرضت على الرسول التنازل عن كل شىء له ولكنه رفض. لقد كان الصراع صراع عقيدة ولم يكن الأمر اقتصادا .

ثانى عشر : التركيز على المعارك واهمال الجوانب الأخلاقية والحضارية الاسلامية فبدأ تاريخ الاسلام وكأنه تاريخ غزوات وحروب .

ثالث عشر : حشد كثير من الخلافات وتكثيفها وبخاصة تلك الخلافات التى جرت بين على ومعاوية وقد نتج عند هذا سب بعض الصحابة دون تمحيص علم ودون معرفة بالظروف كلها .

رابع عشر : تناول الحركات الانفصالية كحركة ابن طولون وابن طغج الأخشيد على أنها حركات استقلالية والأولى تناول هذه الحركات على أنها حركات انفصالية ، يقف وراءها أشخاص مغامرون .

خامس عشر : يقولون التوسع العربي وكأن الفتوحات الاسـلامية توسعات استعمارية ، مع أن هناك فروقا كثيرة بين هذه وتلك .

سادس عشر : يقولون ان عمر بن الخطاب ولى عمرو بن العاص مصر مكافأة له ، فهل هكذا كان يسوس عمر الأمور أم أن عمرو بن العاص كان جديرا بحكم مصر .

## ( ٤ )
## شبهة الفتنة الـكبرى

ومن الشبهات المثارة قصة الخدعة المشهورة : عندما خلع أبا موسى عليا ويثبت عمرو معاوية التى يرددها الـكثيرون مع أنها غير صحيحة .

والصحيح هو أن عبد الله بن سبأ ورجاله غيروا واقع الأمر ليلا . هذه الفتنة المشهورة التي رددها طـه حسين والكثيرون فقد حدث شرخ هائل في خلافة المسلمين وظهرت الفرقة .

كذلك فقـد نسب الى السيدة عائشـة رضى الله عنها موقفها فى معركة الجمل وقد جلي الدكتور ابرهيم شعوط هذه القصة حين قال :

إن أم المؤمنين كانت قد خرجت للصلح بعد أن شرح لها طلحة والزبير ضرورة معالجة الموقف وأنه لا علاج الا بوجودها في الصورة تأمر بالقبض على قتلة عثمان ليصفو الأمر لعلى بن أبى طالب ولتنزل على رغبة معاوية ابن أبى سفيان فتجمع بهذا الأمر بين الطرفين المتنازعين . كان هذا هو الهدف ولـكن المجرمين الذين تلوثت أيديهم بدم عثمان خافوا على أنفسهم واتفقوا على مؤامرة فى الظلام هي السطو على المعسكرين فى وقت واحد بعدما أعلن الجميع قبولهم الصلح ، واستراحت قلوبهم اليه فاختلط الحابل بالنابل واشتبهت الأمور حتى ظن كل من الفريقين بصاحبه شرا وخرج الأمر عن يد الحكمة وفشل الصلح وفوجئت أم المؤمنين بمجىء كعب بن الأسود وهو يقول : أدركى فقد أبى القوم الا القتال لعل الله يصلح لك الأمور ، فركبت وألبسوا هودجها الأدراع .

ولـكن هيهات أن يوجـد العقل فى الثورات وأن تتبين الرؤية فى الظلام ، ان التى استنجد بها النـاس لفض النزاع ولتقضى على أسباب الفرقة وجدت نفسها ـ فجأة ـ دون أن تدرى طرفا فى القتال وانتشر بين الناس أن أم المؤمنين وقفت تقاتل عليا وحزبه .

ومن الغريب أن الذين التفوا حولها هم الذين خرجت للقبض عليهم ،

وتنفيذ القصـــاص فيهم ، واستطاعوا أن يجعلوا من أنفسهم مدافعين عن أم المؤمنين .

هكذا صورت المعركة : صورها تتـــابع الحوادث وغموض الموقف واستغلال قتلة عثمان وجود أم المؤمنين فى المعركة ولذلك استشعرت أم المؤمنين أن اسمها استغل فى اشغال النـــاس وتأجيج الخصومة فقالت هذه العبارة :

والله لوددت أنى مت قبل هذا بعشرين عاما .

وهذا تصوير لحقيقة موقف السيدة عائشة منوحى روايات المؤرخين المنصفين ( ابن الأثير : الكامل حـ٣ ص ١٢٣ ) .

وقد نجحت سفارة القعقاع بن عمرو واقتنع الطرفان بوجوب الصلح واستبشر المسلمون ببوادر الاتفاق وآمن طلحة والزبير والسيدة عائشـــة أن الله قد نجى المسلمين من شرور حرب طاحنة وبات المسلمون ليـــلة لم يبيتوا مثلها لمـــا أحسوا به من نجـــاح الصـــلح وتطهـــير صـــفوفهم من الشياطين .

وقد كان المحور الذى يدور حوله الخلاف بين على رضى الله عنه وكل المخالفين عليه هو أمر قتـــلة عثمان فـــكل المسلمين كانوا مجمعين على وجوب اقامة الحد وتنفيذ القصاص فى قتلة عثمان ، وأن الذى تولى الحديث عن المقتول هو معـــاوية باعتباره ولى الدين ، ولمـــا طلب اليه أن يبـــايع عليا لم يمانع فى البيعـــة ولـــكن اشترط أولا تسليم قتلة عثمان أو اقامة الحد عليهم .

ومعاوية وان قاتل عليا فانه لا ينكر امامته ولا يدعيها لنفسه وانما كان يطلب قتلة عثمان رضى الله عنه ظانا أنه مصيب وان كان مخطئا ولم يسبق الى ذهن أحد من المسلمين فى المدينة . أن هذا الطلب اتخذ ستارا للوصول بمعاوية الى الخلافة .

وكان على يرى هـــذا الرأى ولا ينكره وانما حصل سبب التـــأجيل حتى يتم له الأمر وتبايع الأمصار .

وكان لـــكل رأيه واختلفا ورأى طلحة والزبير ان أم المؤمنين تستطيع ان تتدخل فاذا نادت بهـــذا فستجد من المسلمين جوابا واحدا هو القبض فورا على كل المتهمين بقتل عثمان : ( لمع الأدلة لامام الحرمين عبد الملك الجوينى ) .

هذا الهدف الذى دفع أم المؤمنين أن تشد رحالها من مكة الى البصرة وقد بعث أمير المؤمنين على بن أبىطالب القعقاع بن عمر الى البصرة وقابل أم المؤمنين واتفق الجميع على محاكمة قتلة عثمان ونجحت سفارة القعقاع واتفقا على الصلح ولكن المتهمين بقتل عثمان والمشركين فى الفتنة أصابهم الغم وأدركهم الحزن من اتفاق الكلمة وأيقنوا أن الصلح سيكشف أمرهم وتسلم رقابهم الى سيف الحق وقصاص الخليفة فباتوا يدبرون أمرهم فلم يجد سبيلا لنجاتهم الا أن يعملوا على افساد الصلح .

( ابن الأثير : الكامل حـ ٣ ص ١٢٣ )

باتوا يتشاورون فاجتمعوا على الحرب فى السر فغدوا مع الغلس مايشعر بهم أحد فخرجوا متسللين وعليهم ظلمة بعض ، مضرهم الىمضرهم وربيعهم الى ربيعهم فوضعوا السلاح بغتة فثار أهل البصرة وثار كل قوم فى وجوه أصحابهم الذين أتوهم وبلغ طلحة والزبير ما وقع من الاعتداء على أهل البصرة فقالوا ماهذا ؟

قالوا طرقنا أهل الكوفة ليلا فقال طلحة والزبير قد علمنا أن عليا غير منته حتى يسفك الدماء وأنه لن يطاوعنا .

وفى هذا الوقت ذهبت فرقة أخرى تحت جنح الظلام ففاجأت معسكر على بالكوفة فلما بلغ على قال ما هذا :

قال أصحابه ماشعرنا الا وقوم من أهل البصرة قد بيتونا .

فقال على نفس عبارة طلحة والزبير :

لقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء وان لم يطاوعانا .

وخفيت حقيقة المؤامرة على كلا الفريقين وظن كل منهما الشر بصاحبه ونجح العاملون فى الظلام ونجحت خطتهم فىافساد الصلح واراقة الدماء وطاشت عقول القوم واختلطت عليهم الأمور .

هذا هو السر الحقيقى للاحداث ولكن الدكتور طه ( فى كتاب على وبنوه ص ٤٣ ) يخالف فى تصديق هذه الرواية ويدعى أنها تخالف طبيعة الأشياء التى يعرفها هو ويقول ولا يسيغها الا أصحاب السذاجة .

ومن هذه قصص ما يروى باطلا عن تكالب معاوية على الملك وقصة الاختلاف بين ميراث الخلافة وبين البيعة المختارة .

(٥)

جرت محاولات خطيرة الى اضفاء صورة قاتمة على تاريخ الاسلام حملتها الكتب المقررة التى تدرس فى المدارس والمعاهد .

أولا : حاول الكثيرون أن يصموا تاريخنا بكثرة الحروب والفتن والمكايد والأضطرابات . والنظرة الصحيحة تعطى البيان الواضح عن ان هذه الوصمات لها أصل صحيح — كما يقول الأستاذ يوسف العش — وكل مافى الأمر أن هناك تفاعلات فى المجتمع الاسلامى العربى كانت تأخذ طريقها ولابد أن تأخذ طريقها فى ذلك المجتمع وأن هذه التفاعلات سنة من سنن الله ولن تجد لسنة الله تبديلا . وهى تفاعلات تحدث فى كل أمة بل ان الأمم الأخرى كانت تتلقاها بعنف أكثر مما تلقاها به المسلمون والعرب . وتاريخ الأمم الأخرى ممزوج بالحروب والفتن والاضطرابات أكثر من التاريخ العربى ، فهذا تاريخ فرنسا والمانيا منذ الثورة الفرنسية ( وهما من أعظم الأمم التى ساهمت فى تاريخ العالم ) ان تاريخهما ملىء بالحروب : حروب الثورة الفرنسية وحروب نابليون وحرب ١٨٧٠ وحرب ١٩١٤ وحرب ١٩٣٩ ، كل ذلك فى مدى لا يتجاوز قرنا ونصف القرن والضحايا التى وقعت فى هذه الحروب يتجاوز أضعافا مضاعفة ضحايا الحروب فى تاريخنا بأجمعه .

ثانيا : جرت المحاولات لحشد مجموعة من الأكاذيب والشبهات والروايات الضعيفة مثل تعاطى الخمر وتمزيق أحد الخلفاء للقرآن ومؤامراتهم وقتلهم للمسلمين الأبرياء ولا ريب أن هذه الحوادث لا أساس لها وانما أخذت من كتب القصاصين والشعراء وان الشعوبيين هم الذين حاولوا استخدامها للاساءة بها الى تاريخنا .

ومن ذلك قولهم ان أبا موسى الأشعرى وعمرو بن العاص تآمرا على على بن أبى طالب تحت عنوان التحكيم بينما المرجع الأساسى ( العواصم من القواصم ) يقرر أن الاتفاق تم بين الاثنين على تثبيت كل فى مكانه وايقاف القتال حتى يجتمع أهل الحل والعقد .

وتقول كتب التاريخ ان عائشة رضى الله عنها خرجت لتحارب أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى موقعة الجمل بينما يقول كتاب العواصم من القواصم أن أم المؤمنين خرجت لتصلح بين المتحاربين .

وتقول كتب التاريخ : ان الخلفاء خافوا من الصراع بين المسلمين فى الجزيرة الصغيرة فدفعوهم الى الفتوحات والغزوات فى الخارج ،

بينما تقول الحقيقة ان من القى بثمرة من يده ليسرع الى دخول المعركة ضد المشركين سعيا للقاء الله شهيدا لم يكن ليسعى الى مغانم الدنيا وأموالها طلبا وهمة وان من فهموا معنى الاخاء والحب والايثار جادوا بالروح قبل شربة ماء بعد أن آثروا بها اخوة لهم لم يعرفوا طريق الصراع الا ضد الباطل وأعوانه .

كما يقول التاريخ الصحيح ان الفرس اعتدوا على حدود الدولة الاسلامية وساهموا في دفع المرتدين وأرسلوا الى عمالهم على الحدود يطلبون ارسال الرسول اليهم حيا ، كما أن الرومان حثوا قبائل الشمال على شن الغارات والهجمات ضد المسلمين. ثم ان المسلمين كانوا وما زالوا أصحاب دعوة يسعون لنشرها بالكلمة الطيبة فان أعترض الطريق معترض فالجهاد سبيلهم .

ثالثا : كان للاسلام موقفه الواضح من عصر الصحابة وهى عدم الخوض فى الخلافات التى حدثت اذ الصحابة كلهم أسوة فى طريق الهدى كما يقول ابن خلدون .

قال عمر بن عبد العزيز : تلك دماء طهر الله أيدينا منها فلا نلوث السنتنا بها .

يقول السيد محب الدين الخطيب وقد أوصى الكثيرون بأن نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله فقد شهدوا المشاهد معه ، وسبقوا الناس بالفضل فقد غفر الله لهم وأمرنا بالاستغفار لهم ، والتقرب اليه بمحبتهم، وانما فضلوا علي سائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم وكل ماشجر بينهم مغفور لهم ولا ينظر فى كتاب صفين والجمل وواقعة الدار وسائر المنازعات التى جرت بينهم . والصحابة هم أفضل المسلمين بعد الرسول وتوجد بهم أيضا درجات فى الفضل تعتمد فى الغالب على السبق فى الاسلام ، وما قدمه أولئك الصحابة من مجهودات فى سبيل نصرة هذا الدين منهم الخلفاء الراشدين وأصحاب الشورى الستة والعشرة المبشرين بالجنة وأصحاب بدر وأصحاب احد والمبايعين تحت الشجرة ويتلو الصحابة فى الفضل التابعون وتابعو التابعين .

وينبغى أن يكون سبيلنا لمن بعدنا كسبيل لمن كان قبلنا فينا ، على أنا وقد وجدنا فى العبرة اكثر مما وجدوا كما أن من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا فما ينتظر العالم من اظهار ماعنده وما يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمه وقد أمكن الحق وصلح الدهر

وخوى نجم التقيه وهب ريح العلماء وكسد البغى والجهل وقامت سوق البيان والقلم .

رابعا : كذلك فان أخطر ما يواجه المثقفين المسلمين هو الأسلوب الوطنى فى كتاب التاريخ الاسلامى ، والأسلوب القومى ومدى اختلافهما عن المنهج الاسلامى ، فان أصحاب هذه الكتابات وقفوا فى الحدود الطبيعية التى تحدها الأوطان والأرض ، أو الأقوام والدماء والعناصر ، وكل هذا لايستطيع أن يعطى مفهوما صحيحا فان الاسلام هو المجرى الواسع الكبير الجامع لهذه الأمم والأوطان جميعا .

وقد شهد كثير من الباحثين بأن النضالات الوطنية الأولى قد انطلقت من تحت راية الجهاد فى سبيل الله . كان الاسلام فى أغلب هذه النضالات ولا يزال رمزا للمقاومة الروحية والثقافية ضد الاحتلال والاستعباد الاستعمارى وكان هو الضمان الوحيد لاستمرار وحدة اللغة والثقافة وكانت تتجسد فيه القيم النقية .

وقد استهدف الأسلوب الوطنى فى كتابة التاريخ سلخ الشعوب عن وحدتها وقيمها وتحطيم شخصيتها وامتصاصها داخل الاطار الأقليمى بما يستتبعه من عاديات وفلكور واعتماد على مفهوم مسموم هو الأرض والتراث بينما لم يعرف المسلم فى تاريخه كله الا الأمة الاسلامية فى وحدتها الجغرافية والعقائدية .

خامسا : يؤكد الباحثون المنصفون أن تاريخنا الاسلامى يتميز بسرعة الحركة على سطحه وبطئها فى عمقه . أى انك تقرأه فتجد الحوادث متدافعة متلاطمة وكلها حوادث سطحية : نزاع على السلطان وحطام الدنيا ، فاذا نظرت فى العمق لترى حركة المجتمع وجدت ثباتا على قيم الاسلام . وتحركا نحو البناء والتقدم . ان لب التاريخ الاسلامى فى الحقيقة ليس الحكم والسلطان ولكنه الحضارة والعمران .

وقد روجت هذه المدارس الاقليمية لفكرة الصفات الطبيعية التى يتصف بها شعب من الشعوب بينما جاء الاسلام لينشىء « شخصية » جامعة موحدة لكل المؤمنين بالقرآن والاسلام ، برغم هذه الفوارق القليلة التى تتصل بالأقليم أو الوطن .

## ( ٢٢ )

## شبهات حول الحكومة الثيوقراطية واختيار الامام

ليس من المسلم به أن جائحة القوميات والاقليميات قد نجحت فى القضاء على الفكرة الاسلامية التى تقوم على الارتباط بين فكرة أمة اسلامية واحدة وفكرة رئيس أو امام ( سياسى دينى ) واجب لهذه الأمة .

وقد تبين فساد دعوى القائلين بأن الشورى الاسلامية هى الديمقراطية الغربية أو قريبة منها ، أو القول بأن المساواة والبساطة التى كان يتحلى بها النبى وأصحابه الأولون هى الديمقراطية .

لقد كان ظهور فكرة القومية التركية محاولة للقضاء على الوحدة الاسلامية المتمثلة فى الخلافة العثمانية التى كانت تجمع بين العرب والترك فى دولة واحدة تحت لواء واحد ، ثم ظهور القومية العربية وما انطلق بها خصوم الاسلام فى محاولة للقضاء على الوحدة الاسلامية كل هذا لم يحل دون بروز مفهوم الاسلام كمنهج حياة ونظام مجتمع وعامل تجميع بين المسلمين على أنه لون من ألوان الدعوة الى الجامعة الاسلامية أو الوحدة الاسلامية أو التضامن الاسلامى . ولقد حاولت قوى التغريب اثارة شبهة القول بأن الحكومة الاسلامية كانت حكومة ثيوقراطية على النحو الذى عرفته أوربا وقد تبين فساد هذه الدعوى وبطلانها ، ذلك أن الاسلام لم يعرف هذه الحكومة التى تقوم على نفوذ رجال الدين وسلطانهم ذلك لأنه لا يوجد أساسا فى الاسلام ذلك السلك الكهنوتى الذى عرفه الغرب وانما يعرف علماء الدين وهم لم يكونوا فى يوم من الأيام رجال حكم ولا طلاب حكم .

كذلك فقد كشف علماء أهل السنة بقوةواستفاضة عن مبدأ «الاختيار» فى اقامة أمام المسلمين ازاء دعوى بعض النحل بأن امام المسلمين معين بمقتضى النص وقد دافع أهل السنة عن مبدأ الاختيار الذى آمنوا به كسبيل لتولية الامام كما رفضوا دعوى «العصمة» للامام وكان من المبرزين فى ذلك القاضى الباقلانى (٤٠٣) فى كتابه التمهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة وعبد القاهر البغدادى (٤٢٩) فى كتابه أصول الدين والقاضى أبى ليلى محمد بن الحسين بن الفراء ( ٤٥٨ ) فى كتابه المعتمد فى أصول الدين وامام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجوينى (٤٧٨) فى كتابه الارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول

الاعتقاد وأبى حامد الغزالى (٥٠٥) فى كتابه فضائح الباطنية والقاضى أبى بكر بن العربى (٥٤٣) فى كتابه العواصم من القواصم والامام بن تيمية (٧٢٨) فى كتابه منهاج السنة وابن خلدون (٨٠٨) فى مقدمته .

وقد أفرد الباقلانى بابا مسهبا جعل عنوانه ( باب الكلام فى ابطال النفى وتصحيح الاختيار ) تعقب فيه النصوص التى يحتج بها القائلون بتعيين الامام بالنص سندا ودلالة — ذلك لأن أخبار الآحاد التى تدعيها بعض النحل فى النص على على بن أبى طالب أخبار قد عارضها اجماع المسلمين فى الصدر الأول على ابطالها وترك العمل بها فالأمة كلها انقادت لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، ودانت بوجوب طاعتهما وفيهم على والعباس وعمار والمقداد وأبو ذر والزبير بن العوام وكل من ادعى له النص وروى له وهذا الظاهر المعلوم من رجال الصحابة رضى الله عنهم لا يمكننا ولا أحدا منهم دفعه .

وبعد ابطال حجج القائلين بتعيين الامام بالنص خلص الباقلانى الى القول بأن الامام انما يصير اماما بعقد من يعقد له الامامة من أفاضل المسلمين الذين هم من أهل الحل والعقد والمؤتمنين على هذا الشأن لأنه ليس لها طريق الا النص أو الاختيار وفى فساد النص دليل على ثبوت الاختيار الذى نذهب اليه .

ويرفض الباقلانى دعوى الشيعة فى القول بعصمة الامام فانما الامام واحد من البشر المسلمين يخطىء ويصيب « وأما مايدل على أنه لا يجب أن يكون معصوما عالما بالغيب ولا تجميع الدين حتى لايشذ عليه شىء . فهو ان الامام انما ينصب لاقامة الأحكام وحدود وأمور قد شرعها الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد تقدم علم الأمة بها وهو فى جميع مايتولاه وكيل للأمة ونائب عنها وهى من ورائه فى تسديده وتقويمه واذكاره وتنبيهه وأخذ الحق منه اذا وجب عليه وخلعه والاستبدال به متى اقترف مايوجب خلعه فليس يحتاج مع ذلك الى أن يكون معصوما كما لايحتاج أميره وقاضيه وجابى خراجه وصدقاته أن يكونوا معصومين » .

ويدل على هذا اعتراف الخلفاء الراشدين بأنهم غير معصومين .

وقال الامام بن القيم فى تفسير قوله تبارك وتعالى : ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ) قال : فأمر الله بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل ( وأطيعوا ) اعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب ولم يأمر

بطاعة أولى الأمر استقلالا بل حذف الفعل ( وأطيعوا ) وجعل طاعتهم فى ضمن طاعة الرسول ايذانا بأنهم انما يطاعون تبعا لطاعة الرسول ( أعلام الموقعين ) .

## ( ٢٣ )

## شبهات حول الخلافة الاسلامية

تثير القوى الأجنبية الشبهات حول الخلافة الاسلامية والوحدة الاسلامية وتجددها دوما فى محاولة خسيسية من أجل خلق روح اليأس فى الدعاة الى الله بادعاء عدم صلاحية الاسلام للحكم .

وتنطلق الكتابات المسمومة من منطلق خاطىء أساسا وهو التفسير المسيحى للدين بالاضافة الى سوء القصد .

ان كلمة الدين فى الاسلام يختلف عن مفهوم الغرب للمسيحية ، ولذلك فان محاولة تطبيق تجربة البابوية وآثارها على الخلافة الاسلامية غير صحيح . وهو مفهوم يختلف عن مفهوم كلمة دين فى الاسلام ، ذلك لأن الدين فى الاسلام يعنى تصريف كل شئون الحياة من عبادات ومعاملات وأحكام وقوانين وشرائع وأحلاف ومعاهدات وفق ارادة الله الممثلة فى شرعه الذى أرسل به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وتضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة .

ومن هنا يختلف مفهوم الدين فى الاسلام عن مفهومه فى اليهودية أو المسيحية أو أى دين آخر ، وقد أدرك هذه الحقيقة بعض المستشرقين الذين كتبوا عن فلسفة الأديان أو الأديان المقارنة ، يقول هاملتون جب فى كتابه المجتمع الاسلامى والغرب : « الشريعة الاسلامية من الناحية النظرية تتناول كل شىء فلم تكن كالقانون الكنسى فى المسيحية مجرد قانون دينى يقوم الى جانبه مستقلا عنه قانون مدنى لتنظيم بعض الشئون الدنيوية . عندئذ صار واضحا ان الاسلام لم يكن مجرد عقائد دينية فردية وانما استوجب اقامة مجتمع مستقل له أسلوبه فى الحكم وله قوانينه وأنظمته الخاصة . ويقول دكتور شاخت : ان الاسلام يعنى أكثر من دين ، انه يمثل أيضا نظريات قانونية وسياسية وجملة القول انه نظام كامل يشمل الدين والدولة معا » .

ويقول أرنولد توينبي : فى الاسلام يتحد العنصران ( الدين والدولة ) فى كيان وحدة عضوية .

وقال جوزيف هل « ومثلما أيقظ الاسلام فى نفوس أتباعه الحاجة الى الحضارة وبعث فيهم الشعور بحب الخير وشكل حياتهم العامة والخاصة على السواء فان الفن الاسلامى الذى بدأ أصلا فى المسجد احتضن كذلك الحاجات الدنيوية لحياة الناس الخاصة والعامة .

ويكذب خصوم الاسلام حين يقولون ان الدين لم يكن فى جميع الأوقات عامل وحدة بأى شكل من الأشكال ، وهذا القول مخالف للواقع الذى عاشته البشرية ولا تزال تعيشه الى اليوم . ذلك ان الدين عامل من أهم عوامل الوحدة بين الشعوب وفى كثير من الأحيان كان هو العامل الوحيد كما هو الحال فى وحدة الأمة الاسلامية فى مختلف عصورها وكما حدث فى وحدة العالم المسيحى وتجمعه لضرب الاسلام فى الحروب الصليبية وكما يحدث اليوم فى تجمع اليهود من كل أطراف العالم لاقامة دولة اسرائيل .

كذلك فان وجود الفرق المختلفة فى الدين الواحد لا تمنع من التعاون والعمل المشترك للغايات الكبرى بين أبناء الدين الواحد .

فقد تلاشت الفوارق بين الكنيسة الكاثوليكية ( ايطاليا وفرنسا ) والبروتستانية ( بريطانيا ) والأرثوذكسية ( بروسيا ) فى سبيل القضاء على الخلافة الاسلامية واقتسام أسلابها بينهم كما حدث فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وما سبق ذلك من مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ .

ولقد كانت رابطة الوحدة الاسلامية الجامعة أقوى الروابط التى عرفها التاريخ وهى ماتزال أملا قويا تتطلع اليه قلوبهم باستهداف جمع شتات العالم الاسلامى لتقف سدا منيعا فى وجوه المستعمرين الغزاة فى كلا المسكرين الرأسمالى الغربى والشيوعى السوفيتى .

وحين قامت كانت رابطة متماسكة ألفت بين قلوب المسلمين ووحدت أهدافهم وصنعت منهم أمة الاسلام وامتدت أكثر من الف وثلاثمائة وخمسين عاما . وقد أشار الدكتور ولفرد كانتبول سميث ان مركز هذه القوة الموحدة هو الدستور الدينى الذى نظم ضمن تياره القوى المحكم كل شىء من شعائر الصلاة الى حقوق الملكية وقد منح ذلك الدستور الوحدة للمجتمع الاسلامى من قرطبة الى الملتان .

وقد وصف المستشرق الألمانى آدم متز بعد أن ذكر حدود الدولة الاسلامية التى تمتد من كاشغر فى أقصي الشرق الى السوس الأقصى فى الغرب والتى جمعت تحت رايتها بلاد العرب والهنود والصينيين والبلغار والأرمن والترك والصقالبة والسودان قال :

وكان المسلم يستطيع أن يرتحل فى داخل هــذه المملــكة فى ظــل دينه وتحت رايتــه وفيها يجد ناس يعبدون الاله الواحد الذى يعبده ويصلون الصلاة التى يصليها وكذلك يجد شريعــة واحدة وعرفا وآحــدا وعادات واحدة . وكان يوجد فى هــذه المملــكة الاسلامية قانون عملى يضــمن للمســلم حق المواطــن بحيث يكون آمنــا على حريتــه الشخصــية أن يمسها أحد » .

وهكذا جمع الاســلام بين الشعوب والأجناس المختلفة فى المــاضى ووحدهم فى أمة واحدة قوية البنيــان فهل لاتزال له القــدرة على جمع هذه الشعوب مرة أخرى . نعم . بل ان الوحدة الاســلامية قائمــة فى قلوب المسلمين وجذوتها حيــة لم تخمد ابدا وهم جميعــا يتشوقون الى الوحدة الــكاملة بقيام دولة اسلامية تجمع شملهم وتوحد كلمتهم .

وقد دعا السلطان عبد الحميد الى الجامعة الاسلامية وتجاوبت مع قلوب المسلمين من كل فج مما أفزع الغرب وأوربا وجعلها تعمل على انهاء الخلافة وازالتها من الوجود . قال لوثروب : لقــد مر أكثر من ثلاثة عشر قرنا فمــا أوهن كرور هــذه القرون فى عضد الجامعة الاسلامية جانبــا وما ضعضع لها كيانا بل كلما تقادم عليها العهد وتناسخ الألوان ازدادت الجامعة الاسلامية شدة وقوة وقناعة واعتزازا .

وفى الواقع انه ليس من دين فى الدنيا جامع لابنــائه بعضهم على بعض موحد لمشاعرهم ودافع بهم نحو الجامعة والاستمساك بعروتها كدين الاســلام .

ان الغرب لا يفزع من شىء فزعه من الجامعة الاسلامية وقيام الدولة التى تجمع شمل العــالم الاســلامى وتقوده على أســاس واضــح من شريعة الاسلام .

ولذلك بذلت الدول الاســتعمارية كل مافى وسعها لانهاء الخلافــة الاســلامية وازالة آثارها من الوجود ومحاولة وضع الشعارات البــديلة كالقومية والاشــتراكية والآســيوية والأفريقيــة وصــناعة القــادة الذين يتبنون هذه الشعارات .

وقد دخل الغرب فى مطلع هذا القرن عنــدما أعلن السلطان عبدالحميد الدعوة الى الجامعة الاســلامية فأخذ يعمل ليل نهار لقتل الفــكرة فى مهدها قبل أن يستفحل خطرها .

قال توينبي : لفظة الجامعة الاسلامية المؤثرة — تلك التى استعملها أول الأمر السلطان عبد الحميد وأصبحت منذ ذلك الحين بعبع الحكام الاستعماريين الغربيين ووصفت خطة السلطان عبد الحميد بأنها أبرز حوادث القرن « هذه الخطة الماهرة التى استطاع أن يظهر بها أمام ثلاثمائة مليون مسلم من المسلمين فى ثوب الخليفة الذى هو الرئيس الروحى فى الدين الاسلامى .

وقال هاملتون جب : ان لهذا النداء ( الجامعة الاسلامية والجهاد ) آثار نفسية بالغة فى روح الاسلام المجاهدة حتى لو طالت رقدة هذه الروح ، ذلك لأن النداء قد يوقظ فى العالم الاسلامى أصداء عهد بطولى » .

ومن أجل هذا الرعب والهلع من قيام دولة الاسلام الشاملة عملت الدول الأوربية كل مافى وسعها من جهود لاطفاء هذه الشعلة وانهاء الخلافة . وكانت أهم الخطوات التي اتبعت فى ذلك (١) اثارة نعرة القومية التركية بقيادة مصطفى كمال التى قامت بعزل السلطان سنة ١٩٢٤ ، وسلخ تركيا عن الاسلام (٢) اثارة القومية العربية ودفع العرب بقيادة الشريف حسين لحرب الأتراك (٣) تخريب خطة سكة حديد الحجاز بواسطة لورنس (٤) تقسيم البلاد العربية بين بريطانيا وفرنسا بموجب اتفاقية سايكس بيكو١٩١٦ (٥) وعد بلفور باقامة الوطن اليهودى فى فلسطين وقد تحقق فعلا منذ سنة ١٩٤٨ (٦) عزل الشريف حسين بن على عندما طمع فى أن يكون خليفة عربيا للمسلمين عام ١٩٢٥ (٧) دعم الحكومات والزعماء الذين يناوءون الدعوة الاسلامية (٨) قيام الجامعة العربية التى انبثقت فكرتها فى مجلس العموم البريطانى فى تصريح وزير خارجية ايدن يوم ٢٤ فبراير ١٩٤٣ (٩) ضرب الحركات الاسلامية الجادة (١٠) نشر الالحاد والشيوعية والتحلل الخلقى بين المسلمين (١١) الدعوة الى احياء التراث الفرعونى والفينيقى والوثنى. (١٢) تقسيم أجزاء الوطن الاسلامى وبذر روح العداوة بينهما كتقسيم باكستان والصومال وسوريا ولبنان (١٣) تدعيم الأقليات النصرانية وتشجيع الحركات البهائية والقاديانية .

بهذه المخططات استطاع أعداء الاسلام أن يضعوا العراقيل فى وجه الوحدة الاسلامية الكاملة ولكن وعى الأمة الاسلامية قد أدرك هذه المؤامرات وأخذ يعمل لتوحيد صفوفه .

( عطية محمد سعيد )

وقد كان من مؤامرات الاستشراق والغزو الثقافى محاولة الشيخ على عبد الرازق فى دعواه الى أن الخلافة ليست أصلا من أصول الحكم فى الاسلام وقد خالف الشيخ الدين ونصوص القرآن الكريم والسنة والنبوية وأجماع الأمة ، حين أنكر فرض الخلافة وفرض الجهاد وفرض القضاء ، وهذه كلها فروض أساسية من الدين بل انه أنكر شرع الاسلام فيما يتعلق بالمعاملات أى الشئون الاجتماعية وأنكر وجوب التنفيذ . ولم يبق بعد ذلك من الاسلام الا أن يكون عقيدة فردية أو روحية دون أن يكون له صلة أو أثر فى الحياة الاجتماعية التى تشمل مصالح المجتمع والأفراد .

قال رشيد رضا : ان هذا القول هدم لحكم الاسلام وشرعه من أساسه وتفريق لجماعته وان الآراء التى احتواها كتاب الشيخ على عبد الرازق هدم لكثير من مقومات الاسلام والمجتمع الاسلامى وانها دعوة ما كان يمكن أن يقول بها مسلم فضلا عن عالم من خريجى الأزهر وقاض يحكم بهذا الشرع ، ويريد أن يشوه طبيعة الاسلام فيبطل جانبه العملى فلا يكون له أثر فى تحقيق مصالح الناس أو فى نظم المجتمع .

## ( ٣٤ )

## شبهات حول الماسونية

قامت الماسونية بدور خفى طوال فترة طويلة فى البلاد العربية قبل أن ينكشف أمرها وقد اقترن تاريخ الماسونية فى البلاد العربية بتاريخ الاستعمار فيها وبلغت المحافل الماسونية فى مصر قبل الاحتلال ٢٩ محفلا كما انتشرت فى سورية ولبنان وتركزت فى فلسطين بهدف اعادة بناء هيكل سليمان التى هى هدف الماسونية وفى العقد الثانى من القرن العشرين كانت شبكة المحافل الماسونية تضم جميع مدن فلسطين وقصباتها ومنها القدس ويافا وغزة ، وكان رجال هذه المحافل يتولون أعلى المناصب فى فلسطين وممن أنيطت بهم قيادة القضية الفلسطينية وكان أربعة من أعضاء الوفد الفلسطينى الذى انتخب بقرار للسفر الى أوربا لمفاوضة الحكومة البريطانية ١٩٢١ من الماسون وكان عدد أعضاء الوفد ستة وكان المندوبون البريطانيون فى البلاد العربية ماسون وهم الذين يقومون بالعمل ، وكانت الماسونية من أخطر الدوافع وراء نشاط الخديوى عباس الثانى للوصول الى الخلافة .

وكان محفل الأفغانى الوطنى ( تابعا للشرق الفرنسى ) ٣٠٠ عضو من المفكرين والعلماء والوجهاء تمكن من أن يلعب دوراً كبيرا فى تنحية

اسماعيل من منصب الخديوية وتولية توفيق وقد سكت الانجليز عنه طالما كان فى الماسونية الانجليزية وعندما خرج عليها وأنشأ المحفل التابع للشرق الفرنسى وأخذ يهاجم سياسة بريطانيا أشاروا على توفيق بضرورة التخلص منه .

وكان ولسلى القائد البريطانى الذى فتح مصر وقضى على ثورة عرابى ١٨٨٢ ماسونيا وقد سجل ذلك أثر الماسونية فى نجاح خطته فقال : اننى استسهلت الصعب وسخرت الأهوال فى كل البلاد لأنى حيث توجهت كنت القى اخوانا من الماسون يرحبون بى ويساعدوننى على ماأريد ولست ارتاب فى نجاحى لأنى أستاذ فى الماسونية .

وقد كشف الباحثون عن شعار الماسونية الاخاء والمساواة فقالوا انه يعنى اخاء اليهودى ومساواته بغيره من المواطنين واطلاق حرية العمل له . وقد تكشف عن أن كلمة بناء أو البناء الحر انما تعنى العمل لاعادة بناء هيكل سلميان ويتحقق وصول العضو الى الدرجة العليا باندماج العضو فى الماسونية وتخليه عن جنسيته وقوميته ليكون رفيقا لليهود ويضع فى خدمة أهدافهم كل امكانياته .

وقال أحمد غلوش : ان الماسونية حركة يهودية عالمية تستهدف اعادة اليهود الى أرض الميعاد فستظله شعارات خلابة مستندة على مادسه اليهود وما كتبوه بأيديهم فى التوراة والمزامير .

وقال بعض الباحثين : أن الماسونية تسعى لاقامة دين عالمى ولمحو الحدود القومية بين البشر واعتبرها البعض من الدوافع الرئيسية فى ثورة أكتوبر الشيوعية .

وقد استطاعت الماسونية أن تسيطر على الكنيسة والمسجد فى السنوات الأخيرة وكان أكبر انتصاراتها اعتراف الكنيسة الكاثوليكية بها . وكانت الكنيسة الكاثوليكية تنبذ كل فرد مسيحى يثبت لديها اشتراكه فى عضوية المحافل الماسونية وتسقط عنه الايمان المسيحى باعتبار أن الماسونية عقيدة صهيونية يهودية والغرض منها محاربة الأديان وتطويع المعتقدات الأخرى للسيطرة اليهودية . ولقد تحقق ذلك بعد عمل متصل فقد استطاع اليهود فى خلال السنوات المائة الأخيرة من السيطرة على العقلية الدينية المسيحية وأمكنها تحقيق ما أطلق عليه ظاهرة تهويد المسلمين خصوصا ما يتعلق بطبيعة القضية الفلسطينية من الناحية الدينية ، ولقد كان توزيع الأساقفة الكاثوليك فى روما بيانا بالسماح

للكاثوليك بالانضمام للمحافل الماسونية دليلا على استشراء النفوذ الصهيونى داخل الكنيسة ، وكيف بدأ تهويد العقلية المسيحية ومسخ تقليدها الدينى ، وكانت الماسونية حركة يهودية هدفها القضاء على المسيحية تمهيدا لتسلط اليهود على العالم .

ولقد كان الفلاسفة الملحدون المحاربون للكنيسة على امتداد التاريخ الأوربى كلهم من الماسون : ومنذ انشاء المحفل البريطانى ١٧١٧ والماسونية تحارب التعليم الدينى وتدعو الى تأسيس مدارس علمانية تقضى على نفوذ الكنيسة .

وفى عام ١٨٥٦ بعد أن أصبح الماسون فى مركز القوة وتبوأ كثير من رجالهم الكثير من الوزارات والمناصب العليا فى أوربا أصدروا نشرة صريحة أعلنوا فيها موقفهم من الأديان وكانت بمثابة اعلان حرب الأديان . ولا يرد ذكر لليهودية فى عداء الماسونية للاديان يكشف عن هويتها الحقيقية كحركة يهودية تهدف الى القضاء على المسيحية ثم جاءت وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح مع تأييد اليهود فى فلسطين .

ويرد عجاج نويهض انتشار الماسونية فى البلاد العربية الى سقوط السلطان عبد الحميد وتولى الاتحاديين الحكم فى الدولة العثمانية، هذه الجماعة التى نشأت فى محافل الماسونية واستطاعت بوسائلها أسقاط السلطان عبد الحميد ، ومنذ خلع عبد الحميد ١٩٠٩ فصاعدا أخذت الماسونية مداها فى البلاد العربية . فأخذت تطرح وتعشش وتسرى شرا وتتغلغل فى المجتمع العربى الواقع على شواطىء البحر المتوسط يساعدها ويشد فى أزرها الانتدابات الفرنسية والانجليزية بعد الحرب الأولى .

ويقول عجاج نويهض أنه عندما ترجم بروتوكولات حكماء صهيون هاله ماراى من صلة وثيقة بين واضعى البروتوكولات والماسونية ، حيث اتضح أن هذه الماسونية العربية تدعى البروتوكولات ماسونية الجويم وبأفضل تعبير ماسونية غير اليهود واخترعت للتضليل بين الشعوب هذه الماسونية هى لخدمة أصحاب البروتوكولات فى الاتصالات وصنع المكائد والمؤامرات تحت شعار الأخوة والعدالة والمساواة ولما وقع الانقلاب العثمانى سنة ١٩٠٨ جعلت جمعية الاتحاد والترقى شعارها هذا ( حرية — اخاء — مساواة ) وجعلت الحكومة جميع المدارس فى المملكة العثمانية تحفظ نشيد تركيا مبنيا على هذا الشعار وهو شعار ماسونى

ليوهموا الشباب بأن هدف الماسونية هو نشر الحرية والعدالة وكل هذا أكاذيب وأباطيل .

وعند أصحاب البروتوكولات لاتوجد ماسونية وانما يوجد مجلس السنهدرين الأعلى الخفى المؤلف من عدة مئات من أساطين الهيود فى المال والاقتصاد والسياسة والعلم والنفوذ ولا يمكن أن تعرف هيئة هذا المجلس بوجه الحصر لتعمدهم الخفاء والتخفية وبين هؤلاء مقود حركة عالمية يحاولون أبدا اجتذابها الى ناحيتهم ولا تستطيع اسرائيل السير الا على تخطيط مجلس السنهدين ، ولكى يوغل الصهيونيون فى ايهام غيرهم فانهم يدخلون ماسونية الجوتيم ليتمكنوا من توجيه القادة التوجيه الذى يريدون .

ومجلس السنهدرين هذا قد اتشح الخفاء ولم يزل له الهيمنة على يهود العالم قاطبة ولا تخرج اسرائيل من تحت فلكه ولا يذكر اسمه فى الصحف .

وقد أشار دزرائيلى اليهودى منذ عام ١٨٤٤ ان الذين يديرون دفة السياسة فى العالم ليسوا هم الذين فى دست الحكم ظاهرا وانما هم أولئك الذين يكمنون وراء الكواليس وقال والتر زنبينانو الوزير الألمانى اليهودى والياس تنيوفرسال اسرائيلت اليهوديين ان ثلاثمائة رجل من رجال السياسة المتعارفين فيما بنهم يديرون الأمور فى أوربا والآن فى العالم كله وتنتخبون خلافهم وقال اسحق بيرم أن الشبكة التى القاها بنو اسرائيل تبتلع العالم يوما بعد يوم وانها آخذة فى الاتساع وان يوم انتقال ثروة العالم الى بنى اسرائيل ليس ببعيد .

وقد كتب بعض الباحثين عن خفايا الماسونية فقال ان الهدف الأول والأساسى للماسونية هو تحقيق الهدف الذى نادت به بروتوكولات حكماء صهيون وهو الدستور الأساسى لدى الماسونية : ايجاد جمهورية اتوقراطية عالمية .

ذلك أن الماسونية هى الطائفة الوحيدة فى العالم التى تعمل ضد الأديان وتناهض بحرارة الدعوات التحريرية أو التطلعات القومية أو التقاليد التى تتمسك بها الشعوب .

وقد جاء ان تعاليمها استمدت من تعاليم البطارقة وأسرار الوثنيين والمصدر الذى لا ريب فيه هو ( الكابالا اليهودية ) وهى مزيج من

الفلسفة والتعاليم الشعوذية التى اتخذت أساسا لانشاء المحفل الأكبر الماسونى بلندن ١٧١٧ وأول داعية للماسونية هو أوليفر كرومويل .

وتضع الماسونية مثلها الأعلى ( حيرام ) عريف البنائين الذين قاموا ببناء هيكل سليمان .

وفى عام ١٨٨٢ عقد المؤتمر الماسونى العام الذى نادى بالتسلط الماسونى على العالم والتحكم فى مؤسساته ليلتف حول الماسونية الدهماء والسوقة .

وقد أكد كثير من الباحثين أن الماسونية هى التى تزيف الأديان الأخرى وتفتح الباب على مصراعيه لاعلاء اليهودية وانتصارها .

## ( ٢٥ )
## افتراءات اليونسكو

اليونسكو : فرع من فروع هيئة الأمم المتحدة . والمسيطرون عليها يهود وهى تخدم أغراض اليهودية متذرعة باسم العالم والفن والثقافة .

ويحسن الظن بها بعض المسلمين وتتباهى بعض الدول الاسلامية بأن لديها مكاتب تابعة للامم المتحدة .

وقد أشار الى أخطارها كتاب : خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية لعبد الله التل وكتاب ( أوقفوا هذا السرطان : حقيقة الماسونية للدكتور سيف الدين البستانى الذى قال ان ٨٠ فى المائة من موظفى الأمم يهود فهناك ٤ آلاف موظف فى الأمم المتحدة يهود من بين ٥٠٠٠ موظف وان السكرتارية العامة للامم المتحدة ٩٠ فى المائة من موظفيها يهود وكذلك منظمة العلوم والفنون والثقافة ( اليونسكو ) .

وقد أصدرت منظمة اليونسكو كتابا اسمه « تاريخ الشعوب » .

حمل مجموعة من الشبهات التى ترمى الى الاساءة الى الاسلام جماعها أن الاسلام مشبع بالوثنية وأنه تلفيق بين متناقضات أخذها من اليهودية والنصرانية . وقد واجه هذه الشبهات عديد من الباحثين وكشف الدكتور مصطفى كمال وصفى فساد هذا الرأى فقال ان الاسلام قد تبرأ من كافة مظاهر الشرك وشبهاته واستمسك بخالص التوحيد بلا شرك ولا تثليث ولا تمثيل ولا تشبيه ، وهذه القضية لا تحتاج الى

برهان فالمسلمون لا يعبـدون الـكعبة ولـكنهم يعتقدون انهـا الشعار الجامع لاتجـاه المسلمين وكل المسلمين فى العـالم يتجهون الى القبـله وليس هذا عبادة للقبلة ولـكنه تنظيم للصفوف .

وليس صحيحا ماقيل من أن الاسـلام ملفق من متناقضـات الأديان وليس بين الآديان متناقضـات لانهـا كلها من عنـد الله . وليس بين ما جاء به موسى وما جاء به عيسى وما جاء به محمـد صلوات الله عليهم تناقض لأن ذلك كله دين الله . أما الانحراف فهو مافعل اليهود والنصارى فهم الذين اختلفوا بعد ماجاءتهم البيـانات بغيـا بينهم فـلم يكن موسى يهوديا بل اليهود هم الذين هادوا ( مالوا وانحرفوا ) من بعـده ولم يكن عيسى نصرانيا بل النصـارى هم الذين قالوا ( انا نصـارى ) وبدلوا ، بل كان موسى مسلما وعيسى مسلما ونحن — أيهـا المسلمون — نؤمن بهم لأنهم أنبيـاء المسلمون ولا يكون أنبيـاء المسلمين الا مسلمن والقول بأن هنـاك تنـاقضات بين ما جاء به موسى وعيسى يدل على أن القائل لذلك لا يؤمن بموسى ولا بعيسى ولا بمحمد صـلوات الله عليهم ثم ان شرع من قبلنا شرع لنا مالم ينسخ .

هذا مصدر من المصادر الاسـلامية للاحكام ولذلك فاتباعنا لمـا جاء به موسى وما جاء به عيسى — مالم ينسخ — هو أمر مقرر لا نزاع فيـه تقريبا . فنحن لم نقع فى خطأ التنـاقض بل ان ديننا يعتمد سائر الأديان السماوية — كما أنزلت على الرسل والأنبيـاء — عن قصـد وعن وعى لأنها متكاملة .

## ( ٢٦ )
## شبهات حول الوحى

يقول حسيب السامرائى :

الوحى هو ما تعارف عليه شرعا بالطريق الذى يخبر الله به رسولا من رسله باصطفائه للرسـالة ويبلغه عقـائدها وشرائعها وآدابها وما يريد أن يطلعـه عليه من أنبـاء الغيب واتصـال الله بالرسل عن طريق الوحى ، فاذا هو الدعامة الأولى التى تقوم عليها الرسـالة . فالوحى جوهر الرسالة بما يوحى الله فيـه من عقيـدة الشرائع وما يكلف به النبى من دعوة الناس الى الدين .

لا تجد دينـا من الأديان يخلو من فـكرة الوحى مهما اختلفت المنازع فى تصويره فالتخلى عن فـكرة الوحى تقويض للدين من أساسه لا سيما الأديان السماوية .

وتبــدو ضرورة الوحى كاتصـــال الهى بالرسول يبلغ منها رســالته وتبدو جوهريته فى تحقيق معنى الرسالة بل ضرورته لفهم الوقائع الثانية، لا لأن الرسول لا يمكن أن يعتبر رســولا لله مبلغــا عنه الا اذا اتصــل الله به مبــاشرة أو بواسطة ، أى الا اذا أوحى اليــه ، بل لأن الوحى كذلك هو التفســير الوحيد للظواهر الفكرية التى ظهــرت على أيــدى الأنبيــاء هؤلاء الذين لا تقدم لنــا سوابق حياتهم مايكفينا فى عد أمثــال هذه الظواهر نموا فى قواهم الفكرية أو ثمرة لجهود علمية أو تأثيرا طبيعيا لبيئتهم الثقافية والاجتماعية .

وأوضح مثل لذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فبدون ثبوت الوحى يصبح القرآن أمرا متعذرا على الفهــم ادراك مصــدره وكيفيــة ظهوره على يده باعتباره ظاهرة فــكرية فذة لا يمكن ارجاعها الى الذات المحمدية ولا الى شخصية انسانية أخرى .

وبدون ثبوت الوحى أيضــا كأمر ممكن بل كحقيقة واقعة لا يكون لمــا يأتى ما يثبت للرسالة من الأحقية المطلقة فى التوجيه والارشــاد بل فى العمل والحكم ، لأن هــذه الأحقية التى تثبيت للرســالة لم تكسبها الا بقدر سننها وان لم تكن لها بمجرد ظهورها على يد الانسان مهما كان هذا الانسان فى أعلى طبقات السمو الانسانى وانما كانت لها كرسالة الهية، ولن تكون الرسالة كذلك الا أوحاها الله الى رسوله بطريقة ما .

فالوحى أساس لــكل مايثبته للرسالة الالهية من خصائص ويتوقف عنــده الذين اكتفوا فى فهمهم للــكون بما تقــدم لهم الملاحظة والتجربة الحسية . والذين لايقبلون أمرا ما لحقيقــة علميــة مالم تخضع لهــذه التجارب مهما قام عليه من الأدلة العقلية الصححة .

وقد ذكر اللغويون لــكلمة الوحى عدة معان : الاشارة ، والــكتابة، والرسالة ، والالهــام ، الــكلام الخفى ، الأمر والمــكتوب وكل ما القيته الى غيرك والتسخير والرؤيا الصادقة .

فالوحى هو القاء المعنى فى النفس فى خفاء :

« وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب » .

وقد استعمل القرآن كلمة وحى ومشتقاتها خمسا وسبعينمرة فى سبعين آية منها مايراد منها عن القاء الله لأنبيــائه مايريد تعريفهم به وتبليغهم اياه من الأحكام والأنباء . أو تعبير عما القاه اليهم من هذه الأحكام والأنباء.

وقد استعملت كلمةالوحى فى القران منوحى الله الى غير الأنبياء من الملائكة أو الناس أو الطير أو الأرض أو السماء .

ومن وحى النـــاس بعضهم الى بعض ومن وحى الشياطين الى أوليائهم وهذا يختلف عن معنى وحى الله لأنبيائه .

لم يعرف القرآن حقيقة الوحى ولم يوضح كيفية الالقـــاء لأنبيـــائه وتبليغهم عنه أحكام الشرع وأسباب الغيب .

**وأبرز معالم الوحى : الالقاء والسرعة والخفاء**

ذلك أن اعلام الله لنبى من الأنبياء بحكم شرعى أو نحوه عو اعلام متميز بالسرعة والخفاء .

وليست النبوة والرسالة من قبيل الملكات النفسية أو القرائن النوعية أو الصفات الحسية التى يفطر عليها صاحبها منذ النشأة الأولى بل لعل حقيقة النبوة فى وحى الله الى النبى مايوحيه الله من أنباء الغيب وحقائق الوجود .

## ( ٢٧ )
## شبهات حول الفرعونيـــــة

يقول مرقص سميكه : لـــا تغلبت الديانة المسيحية على مصر أبقى المتنصرون على كثير من هيـــاكل آلهتهم القـــديمة وحولوا معـــابد ايزيس وأوزيريس وهورس الى كنائس رفعوا فوقها الصلبـــان واستعاضوا عن صور الآلهة الدينية بصور الســـيد المسيح ورسله واستخدموا المـــذابح لتقديس العشاء الربانى .

ومن ذلك أصبح هناك المتحف المصرى للفرعونية ومتحف الاسكندرية لليونانية والرومانية والمتحف القبطى للعصر المسيحى وذلك تسجيل لتاريخ ماقبل الاسلام .

ولقد كان بروز الآثار الفرعونية واستمرار بقـــائها عاملا من عوامل الدهشة بتقدم العلوم فى عصر الفراعنة غير أن هـــذا التراث المـــادى الصرف لم يخلف آثارا فكرية أو منهجا ثقافيا يصلح للانتفاع به فى بنـــاء الحاضرة المعاصرة .

وقد قام العصر الفرعونى على أساس الوثنية فى العقيدة والعبودية فى العلاقات الاجتماعية وجاء الاسلام ليقضى على الوثنية والعبودية فى الحضارات الهندية والفارسية والرومانية والفرعونية جميعا وأحل محلها حضارة جديدة هى حضارة التوحيد والرحمة والاخاء الانسانى .

ولقد تبين مدى (( **الانقطاع الحضارى** )) بين مصر الفرعونية ومصر الاسلامية ، أن العصر الفرعونى توقف قبل أكثر من الف سنة قبل الاسلام . .
يقول الأستاذ صفوت منصور ، لقد توقفت علاقة مصر بالفرعونية منذ الف سنة قبل الاسلام . لقد انقطع التاريخ حقبة كبيرة من الزمن طالت لألف سنة أو تزيد انتهى فيها التاريخ الفرعونى وتعرضت مصر خلاله الى غزوات حضارية من الشمال والشرق وسادها الاضمحلال الأخير . منذ أواخر الأسرة السادسة والعشرين الفرعونية التى كانت تمثل صحوة الموت بالنسبة للتاريخ الفرعونى لمصر ، ولكن لم يقدر لمصر أن يحكمها فراعنة آخرون بعد ذلك التاريخ وطال دور الاحتضار الفرعونى لمدة أربعة أسرات تالية تخللها وأعقبها احتلال فارسى ويونانى وبطلمى ورومانى وبعد ذلك جاء الاسلام لمصر بحق لا ادعاء وبأصالة لابهوى وخاصة أن مصر قد حظيت برسالة من الرسائل التى أرسلها النبى صلى الله عليه وسلم الى الملوك والبلدان المجاورة ليدعوهم الى الدخول فى رسالة السماء التى بعث بها وأراد أن يكون خاتم الرسالات قبل انتقاله الى الرفيق الأعلى بسنوات .

ويقرر الباحثون أن دور الاحتضار للتاريخ الفرعونى لمصر أخذ أكثر من الف سنة مما يؤكد توقف الامتداد التاريخى للحضارة الفرعونية .

تقول كتب التاريخ : صارت مصر القديمة فى عصرنا الحاضر تتلقى الضربات من عناصر متباينة أفقدتها استقلالها ومن ذلك أنها تعرضت للغزو الفارسى ٥٢٥ ق.م على يد قمبيز ، وعاثت فى الأرض فسادا وعاملوا أهلها بقسوة ووحشية وجاء بعده دارا ٥١٧ ق.م الذى حاول التودد للمصريين ليمحو من أذهانهم قسوة قميز فرعى معابد الآلهة .

ولم تلبث مصر أن تخلصت من الاحتلال الفارسى ٤٩٠ واستعانوا على ذلك باليونان ثم تعرضت لغزوهم مرة أخرى ٣٤٠ ق.م ثم احتلها

الاسكندر الأكبر ٣٣٢ ق.م فدخلت بذلك فى عصور السيطرة الأغريقيــة ومن بعده البطالمة والرومان وخلد اسمه بتأسيس مدينة الاسكندرية ولكن حكمه لم يدم طويلا ، فقــد توفى ٣٢٣ ق.م فتنــازع القواد ملكه فدخلت مصر تحت حكم البطالمة ثم حررتهم قوة أجنبيــة ٣١ ق.م ولــكنها وقعت تحت حكم الرومان وظلت فى تبعيتهم سبعة قرون .

ودخلت المسيحية مصر فى عهد الرومان وفى عهد دقلديانوس حدث اضــطهاد كثير للمسيحيين حتى سمى عصر الشهداء ، وعاد القبط ( أى سكان مصر ) يرحبون بمن يفتح مصر غير الرومان ليخلصوهم من ذلك الاذلال والاضطهاد الذى طال واشتدت ضراوته الى أن جاء المنقذ والانقاذ على يد الاسلام وقائده عمرو بن العاص ٦٤١ م فرحبوا بهم وساعدوهم على دخول البــلاد ودخلت مصر من ذلك التــاريخ فى العهد الاسلامى الذى لم تتوقف مســيرته الى اليــوم على حين توقفت مسيرة التــاريخ الفرعونى ٥٢٥ ق.م بعــد احتلال الفرس لها على يد قمبيز وما تلاه من غزو أجنبى يونانى وبطلمى ورومانى الى ٦٤١ حيث تم الفتح الاسلامى لمصر .

وهكذا يكون الامتداد الفرعونى قــد قطع قبل الف سنة من دخول الاســلام .

## ( ٢٨ )
## شبهات حول التفوق البشرى

تثير بعض القوى ذات النفوذ المالى والاقتصادى العالمى ولا تتوقف تلك الصيحات المتوالية تحت اسم الازدحام السكانى والانفجــار السكانى وكلها دعوات مسمومة تستهدف الحفاظ على النفوذ الرأسمالى الذى تقوم عليه الأوضــاع الاقتصادية والاجتماعية فى العــالم والذى يمكن الدول الرأسمالية وزعماء الرأسمالية العالميــة من البقــاء فى مراكزهم الحالية، وقد جنــدت هذه القوى عشرات الأقــلام فى البلاد الغربية وفى بلادنا لترديد هذه الصيحات .

وقد ترجم صاحب نحو النور بيــانات عن كتاب هاك هيلان ( مشكلة التضخم السكانى ) : ترجمه محمد بدر الدين خليل بهــدف تركيز هــذه

المفاهيم فى نفوس النـــاس وتشير هـــذه البيانات الى الزيادات المطردة فى معدلات نمو السكان فى عالم الاســـلام وجفاف السكان فى العـــالم الغربى مما يثير انزعاجا شديدا للقوى العالمية المسيطرة على الحضـــارة والاقتصــــاد .

ومما يذكر أن القس مالتوس هو أول من أرسل هذه الصيحة منـــذ أوائل القرن الثامن عشر قائلا : انه اذا ماظل تزايد السكان على معـــدله وظلت مواد الغـــذاء والطعـــام على معدلها فان هناك كارثة سوف تحل بالعالم : هى كارثة المجاعة .

غير أن ماحذر منه مالتوس لم يقع بل وقع العكس مما حمل كثير من الاقتصاديين الغربيين وفى مقدمتهم هنرى تشارلس كيرى على أن يسخر منه . قائلا : هاهم السكان قـــد تزايدوا ولـــكن الثروة زادت أضـــعافا مضاعفة .

ولقد غفل مالتوس عن أن هنـــاك ثروات ضخمة مطمورة فى باطن الأرض لم يكن قـــد استوعب علمها ولم تكشف عن حقيقتها الا بعد ذلك بوقت وكان من أخطر ذلك البترول الذى غير منطق الحضارة والصـــناعة والعلم والحرب جميعا .

فضلا عن تدفق الأغذية من العالم الجديد ، وزاد ذلك تقدم الطب والوقاية فزادت نسبة المواليد وانخفضت معدلات الوفاة .

غير أن الظاهرة الخطيرة التى تجلت فى العقود الأخيرة هى انخفاض معدل الاخصاب فى الغرب الى حد كبير بينما زادت نسبة المواليد فى عالم الاسلام الى معدلات عالية جدا مما هز نفـــوس الرأسماليين وأصـــحاب الثروات الغربيين بالتصور أن الأيدى العـــاملة الغربية سوف لا تستطيع بعد عقدين أو ثلاثة أن تكون قادرة على استمرارها فى امتلاك تلك الثروات وأدارة المصـــانع والسيطرة على الاقتصــــاد بما يوحى أن توزيعا جـــديدا للثروة الاقتصـــادية سوف يقع وهو مايشبه الـــكارثة بالنسبة للحضـــارة الغربية الصناعية الحالية .

## ( ٢٩ )

## شبهات حول تجارة الرقيق

كشفت الأبحاث التاريخية المعاصرة الدور الخطير الذى قام به الغرب فى تجارة الرقيق التى قامت بها الرأسمالية الأوربية فى أفريقيا وذلك باختطاف الألوف من أهلها وابتياعهم ثم حملهم عبر الأطلنطى للعمل — والموت أيضا — فى مزارع القطن والسكر فى جزر الهند الغربية وفى الولايات المتحدة ، وقد كانت هذه بدورها تصدر السكر والقطن الى أوربا الغربية .

يقول الدكتور مدثر عبد الكريم : هذه التجارة الشنيعة لم تؤد لهدم حياة الملايين من الزنوج الأفريقيين وانزال أقسى ضروب العذاب بهم وبذويهم فحسب ، وانما أدت كذلك الى تعدية روح العنجهية العنصرية عند الأوربيين ( وأضرابهم الأمريكيين ) كما أدت الى انزال الزنوج من أسفل منزلة من منازل السلم العنصرى الذى صاغته عقلية المستعمرين الأوربيين اذ تصوروا أنفسهم قمة الهرم وخلاصة العالمين ثم رتبوا الأمم والشعوب دونهم مراتب جعلوا أدناها الزنوج الأفريقيين وليس هذا فحسب ، بل ذهب الشطط ببعض العنصريين الأوربيين الى حد زعموا فيه أن الزنوج ليسوا بشرا البتة وقالوا ان الزنجى ليس له روح فهو اذن على أحسن الفروض وحشى ، كما قال الحاكم العام للسودان فى تقريره ١٩٠٥ والا فهو شىء لا يرقى حتى لمرتبة الوحشية والحيوانية ثم انه شىء شرير بل هو رمز للشر والقبح بحيث اذا صور الأوربيون الآلهة والملائكة والنبيين وما ارتبط بها من معانى الخير والجمال جعلوها بيضاء براقة البياض بينما أصبح السواد فى عرفهم رمزا للشر وقبح والانحطاط .

وقد جاء كتاب ( جذور ) ضربة قوية للغربيين الذين حاولوا الصاق هذه التهمة بالعرب والأفارقة وكشف مؤلفة اليكس هيلى عن أن الذين

مارسوا هـذه التجارة على نطاق واسع وبأساليب مقنعـة وعلى مدى قرنين أو أكثر من الزمان هم الانجليز لمـا لهم من تخصص فى الذهاب الى أفريقيـا لشراء الرقيق واختيـار الأصناف المطلوبة منهم والمساومة على أثمانهم ومنهم من تخصص فى نقلهم فى باطن السفن الانجليزية عبر المحيط فى رحلات منظمة بالغة القسوة والعنف ومنهم من يتولى بيع الرقيق على الشواطىء الأفريقية لأصحاب مزارع القصب والقطن والذرة .

وقد تحـدث المؤلف عن أحوال أفريقيـا أيام قوتهـا ومجدها أيام امبراطورية غانا الاسلام ثم امبراطورية مالى وملوكها المسلمين الذين كان العالم المتحضر يتحدث عن قصورهم ومدارسهم وجامعـاتهم ورحلاتهم فى الحج الى مكة ثم ضعفت هـذه الدول الاسلامية وتفككت وبدا الأوربيون يتسربون الى أفريقيـا ويمارسون تجـارة الرقيق ابتـداء من منتصـف القرن السادس عشر الى أن بلغت أوجها على أيدى الانجليز فجعلوا منها تجارة رائجة رابحة .

وقال : ان الانجليز الذين استثمروا أموالهم فى تجـارة الرقيق أثروا ثراء ضخما وبدأت الأموال تتكـدس فى انجلترا . وكانت أحـد مصـادر الثروة الصناعية .

وقال : ان هنـاك من التقديرات مايذهب الى أنه خرج من أفريقيا عشرون مليونا من الشبان والصبية والفتيـات عصفت الأمراض والأوبئـة بعدد كبير منها ربما وصل نصف هـذا العدد وقد أضعفت تجـارة الرقيق أفريقيا لأنها أخذت منها أقوى عناصرها .

وقال : أنه رغم هذه الحقائق التاريخية فقد ظل النـاس يقرءون فى كتب التـاريخ ان تجـارة الرقيق فى أفريقيا كانت تجارة عربية يجد منها التجار العرب الذين يسرقون أو يخطفون الأولاد والبنـات ويصدرونهم الى الجزيرة العربية وما وراءها من بلاد المسلمين ليكونوا رقيق وجوارى غير أن تجارة الرقيق بدأت فى القرن السادس عشر وآزدهرت فى القرون الثلاثة التالية أى عندما بدأ النفوذ العربى ينكمش وينحسر فى تلك المطقة فضعفت وتفككت امبراطورية غانا ثم امبراطورية مالا الـكبيرة وانزوى هذا النفوذ .

## ( ٣٠ )
## شبهة موسيقى القرآن

ترددت شبهات كثيرة تحمل دعوى باطلة هى وضع موسيقى للقرآن الكريم بما يعنى اخضاع القرآن للفنون البشرية التى صنعتها الأهواء المضلة .

يقول الأستاذ أحمد حسن الباقورى: انللقرآن الكريم موسيقاهالخاصة به التى أخذها أسلافنا عن رسول الله وأصحابه وتقيد بها الأخلاف حتى يوم الناس هذا ، وهى مانعرفه اليوم باسم تجويد القرآن الذى ارتضته الأمة وتلقته بالقبول حريصة عليه أشد الحرص .

وفن التجويد أو موسيقى القرآن يقوم أول مايقوم على كون الكلمات القرآنية خفيفة النطق على اللسان ، جميلة الوقع فى الآذان ، فليس فى الكتاب الكريم كلمة بغير هذه الصفة ، ثم يجىء بعد ذلك نظم الكلمات بعضها مع بعض خاضعا لقواعد مرسومة فى الغنة التى هى صوت يخرج من الخيشوم فيه جمال ولو كان صوت صاحبه غير جميل ثم تجىء بد الفتة قاعدة الادغام والاظهار والتلب وهمس الحروف وجهرها وتضخيمها وترقيقها والمد الطبيعى والمد المتصل والمد المنفصل والمد العارض للسكون .

فهذه هذه القواعد التى تتكون منها موسيقى القرآن ثم يجىء بعد ذلك تاوين الصوت وله صورتان الأولى ما أشارت اليه الآية الكريمة « ورتل القرآن ترتيلا » فالترتيل هو التزام التؤدة بغير اسراع فى القرآن والثانية هى ما أشار اليه الحديث الشريف « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » أى من لم يحسن صوته بالقرآن تلك هى موسيقى القرآن ليست الا اتباعا لرسول الله ونزولا على كلمة وليست ابتداعا منحرفا ولا تجديدا هداما ، أما أولئك الذين يحاولون وضع القرآن فى لحون تستصحب الآلات الموسيقية انما يعرضون كتاب الله لأشد محنة تمتحن بها الأمة الاسلامية فى الكتاب الكريم وكل تحريف بحذف كلمة من آية أو تغيير شكلة من حرف من شأنه أن يهيج عواطف المسلمين فى كل مكان وقد رأينا

النـــاس يثورون أشد الثورة على مثل هذه التغييرات ينسبونها الى كيــد صهيونى يتربص بالاسلام عن هــذا الطريق وتلحين القرآن مصاحب بآلات اللهو والطرب هجوم على قــداسة القرآن ولا يشك مسلم أن من ورائه دعوة خبيثــة وعداوة متربصة تريد أن تلحق القــرآن بالأغانى التى تميل مع الهوى بغير حدود ولا قيود وأخشى مانخشاه أن يكون وراء أصــحاب الدعوة يد دخيلة تتآمر بالاسلام والمسلمين فى أعز حصن تلوذ به الأمة فى مختلف شئونها الموصولة بالدنيا والدين .

## ( ٣١ )

## شبهات حول اللغة العربية

تواجه اللغة العربيــة الفصحى شبهات عــديدة ومحاولات خطيرة لتغليب العــامية عليها وأهم تلك المحاولات هى الحيلولة دون تعلم العلوم والطب بها بعــد أن نجحت تجربة تعلم الطب والعلوم فى جامعة دمشق منذ بضعة عشر سنة .

ولا ريب أن موضوع تعريب العلوم وترجمتها الى اللغــة العربيــة ضرورة لا سبيل الى تجاوزها كمقــدمة لاستيعاب التكنولوجيــا العصرية واقامة منهج علمى اســلامى عربى الأصــول . ولم يعد من الجائز الآن أن يطرح مبدأ : هل تصلح هــذه اللغــة لأن تكون لغــة العلم أو لا فقد انتهت الفترة التــاريخية التى كانت تطرح فيها هذه القضــية للمنــاقشة وقد مرت اللغــة العربية بهذه التجربة وقد كشفت تجربة دمشق أنه لابد من التعريب من أجل بنــاء حضارة اسلامية عربية اللغة وأصبحت الشعوب تدرك أنه لا يمكنها الوصــول الى حد الابداع والمشاركة الأصــيلة الا من خلال لغــاتها ، وان التعليم باللغــة الأجنبيــة دليل الضعف وعدم الثقة وخمول العزيمــة فى أهلها وممــا يذكر أن تعليم الطب فى القصر العينى استمر سبعين سنة باللغــة العربية ثم احتل الانجليز مصر فــكان من أكبر أعمالهم الحيلولة دون بقــاء اللغــة العربية لغــة لتــدريس الطب والعلوم .

وقد تبين أنه لابد لتعريبتدريس العلوم والطبأولا ايجاد المصطلحات وقد نجح تعلم الطب باللغة العربية وتبين أن تدريس العلوم باللغة العربية ميسر : الهندسة والطب والعلوم .

وقــد أمكن تخطى العقبـــات والمصاعب ووضع المصطلحات العربية وتبين أن السبب فى تهرب البعض من تعليم العلوم باللغـــة العربية هو قلة الاقدام وعدم الاعتماد على النفس .

وقــد أمكن التقدم فى هذا الطريق طويلا على جميع جبهات العلوم وليس تعلم العلوم باللغـــات الأجنبية هو وحده التحدى ولــكن هنـــاك التحدى الذى يواجه اللغـــة العربية بالعـــاميات ومحاولة كتابة اللغـــة بالحروف اللاتينيـــة .

يقول العـــلامة مالك بن نبى : ان استعمال اللغـــة الأجنبيـــة فى تدريس العلوم بوجه خاص فى البـــلاد العربية هو نفســـه علامة الفشل فى استيعاب تلك العلوم وجعلها خارج نطاق حياتنا الفكرية بحيث تبقى الصلة بينها وبيننـــا صلة سطحية لا نغير نحن فيها شيئا ولا تغير هى فينا شيئا بينما نرى فى المجتمعات الحيـــة أن هاته الصلة تتغير يوميا وتجعل الفرد يهيمن أكثر فأكثر لا على هضم العلوم فحسب ولــكن على تقـــدمها والسير بها قـــدما . مثل اسرائيل التى أعادت لغـــة ماتت منذ ثلاثة آلاف سنة وأعادت لها هيمنتها على استيعاب كل العلوم والفنون والسير بهـــا الى الأمام ، وكما يحدث فى اليابان والصين وكما حـــدث ذلك فى حظيرة الحضارة الاسلامية عند بزوغها فانها لم تلبث قليلا الا وقد استوعبت فى اللغة العربيـــة الفصحى فى لغـــة قحطـــان كل العلوم اليونانيـــة بكل فروعها من هندسة وطب وفلسفة .

## ( ٣٢ )

## شبهات حول مهمة الجامعة

تكشفت من خلال بعض الدراســـات الجامعيـــة فى البـــلاد العربية مخططات ترمى الى مهاجمة القيم الأساسية وخدمة النفوذ الأجنبى وتحويل هوية الأمة الى تغريب كامل تحت اسم العقل الحر والفكر الحر ، وقـــد واجه السيد محب الدين الخطيب هـــذه المحاولة فقال : ان كل جامعة فى الدنيا مطالبة فى البيئـــة التى نشأت فيها بأمرين أثنين : أولهما أن يتنزه القائمون بها عن كل موجدة نحو دين البلاد ومقدساتها وحقوقها فلا يتخذوا من البحث العلمى وحرية الرأى وسائل لتوهين رابطة النشء المثقف بدينه

وقوميته ومقدساته ولا سيما اذا كان دينهم صديقا للعلم وداعيا الى الحق وآخذا بيد المعرفة ينشطها ويرفع مقامها ، وفى مصر أناس تعرفهم بأعيانهم وتعرف أتباعهم بسيماهم لايفتأون يعملون على توهين رابطة النشء بالدين وتهوين أمره عليهم وتشكيكهم فيه وما فتئوا يحاولون اقناعهم بأن الحقائق تخالفه وانه واقف حجر عثرة فى طريقها .

والواقع أنهم لم يتحرروا من مؤثرات بيئتهم الا ليتدثروا بمؤثرات بيئة أجنبية عنهم ولم تتحرر أفكارهم من قيود التقاليد الاسلامية الا ليصفدوها بأغلال تقاليد أخرى غريبة عنهم ، فسدنة هيكل الجامعة يجب أن يحرصوا على أن يعرفوا فى أمتهم بأنهم محررون من الضغن لمقدساتها ويجب أن يتنزهوا عن أن تحفظ عنهم كلمة أو حركة تدل على أن لهم هوى يميل بهم الى جهة معينة ويصبغهم بلون يعرفون به . أما الذى يقتنع أمته فى كل أدوار حياته بأنه منغمس فى هذا الهوى الى أذنيه ، مصطبغ باللون الخاص الذى يجافى به الانصاف والاعتدال ولا يغسل وجهه منه ، فليعذر الناس اذا اعتبروه من أعداء الحقيقة لا من سدنتها وأنصارها .

والأمر الذى نطالب به الجامعة أن تقوم بمهمة البعث لناصر هذه البيئة وأن تجدد حياتها المعنوية فالجامعات الايطالية تنحو اليوم بالفعل احياء مجد الرومانيين واقناع الطلبة الجامعيين بأن من واجبهم اكمال سلسلة التاريخ التى ابتدأها قياصرة روما ، والجامعات الألمانية تعلم أن لها وظيفة روحية لاتنافى وطبيعتها نحو حقائق العلم .

أن لمصر مكانة فى المجتمع الاسلامى والبلاد العربية .

ومن مقتضى ذلك أن يكون الجيل القائم الآن فى مصر والأجيال التى ستلحقه حلقات فى سلسلة التاريخ الاسلامى .

وهى لا تكون كذلك عن جدارة واستحقاق الا اذا اعترفت الجامعة المصرية بأنها الهيكل العلمى والثقافى لبلاد اسلامية عربية ، وان من واجبها للاسلام الذى هو دين المصريين وللعربية التى هى لغة المصريين أن تحمل لواء محاسنهما وأمجادهما كما تحمل لواء العلم المجرد والعقل الحر والفكر المطلق ، وان هذا لا ينافى هذا ، ومن زعم أنه ينافيه فهو غشاش ،

وكما أن الاسلام لا يقف فى طريق العلم فى مصر ولا فى غير مصر فيجب على هيكل العلم فى مصر وفى غير مصر ألا يقف عن طريق الاسلام . نريد نشأ مثقفا عالمـا ولـكنا نريده نشئا مسلما عربيا وكلما أبطأ القائمون على أمر الجامعة فى فهم هذه الحقيقة تأخروا بمصر عن أخذ مكانتها التى تستحقها وكانوا بذلك مسيئين الى وطنهم .

* * *

وتقول الدكتورة بنت الشاطىء : لقد كانت محنة الجامعة بالحزبيـة التى سمحت وجودها العلمى لاتقل عن محنتها بتغلغل النفوذ الاستعمارى الذى اتخذ من مناطق معينـة منها قاعدة لتدمير معنويات الأمة ومجال غزو فـكرى يظاهر ما اجتـاح وجودنا العام من غزو مثله عن طريق مؤسسات الثقافة الأجنبية وأجهزة دعايتها المدربة .

انه من الممكن أن نهضم الثقافات الغربية دون اتخاذها أصلا ننسى فيه أصلنا ومن الممكن أن نبنى حياتنا الجديدة فوق أرضنا مع اخصـابها بمستورد من جديد الفكر .

ومن خطأ القول بأن علينـا أن نتمثل الحيـاة الأوربية والاحساس الأوربى هـذا جانب من طبيعتنـا يرفض تمثل الاحساس الأجنبى اذا لم يمت الينا بسبب من الأسباب .

وكان من الممكن أن يتيح لنا وعينا القومى هضم الثقافات الأجنبيـة دون أن يجور ذلك على أصالتنا وان نستصفى منها مايخصب تربتنا ويثرى وجودنا ويوسع آفاقنا .

ان هؤلاء يفقدون فى زهو العصرية ملامح أصالتهم ، عقولهم مشدودة الى الغرب ، مأخوذة بفتنته وهم مع ذلك عاجزون وان جهلوا عجزهم أو تحدوه مكابرين عن التخلص من احتطام الميراث الذى تأصـل فى أعمـاق كيانهم .

ومن هنا كان لابد أن نبدأ بتقديم الثقافات والآداب الأجنبية الى جيل الغد قبل الاطمئنان الى أنهم اتصلوا بثقافتهم وأدبهم القومى اتصالا وثيقا يكفى لأن يصنع أساس تكوينهم العقلى والوجدانى .

ولا يقرأ تاريخ دولة أجنبية قبل أن يكون قد وعى تاريخ أمته أو كان يتقن لغة مستعارة قبل أن يفقه لغة قومه .

هل الاتصال بالقديم والكشف عن أعماق وجودنا يوصم بالتخلف بينما اعادة مسرحيات شكسبير يعتبر خطوة تقدمية ، واذا ماعشنا فى أساطير شعوب بادت من زيوس وباخوس وجوبيتر وما لا أدرى من آلهة خرافية فنحن عصريون مجددون ؟ أما أبو العلاء والمتنبى فهو تخلف (١) .

## ( ٣٣ )
## شبهات حول تمثيل الصحابة

ترددت دعوات باطلة ترمى الى تمثيل أهل البيت وجلة الصحابة وقد عزى هذا الى مخطط صادر عنقوى مضادة للاسلام ، كذلكالمخطط الذى استهدف ترجمة نص القرآن قبل ربع قرن أو تزيد يقول الدكتور محمد سعاد جلال :

ان امتناع تمثيل آل البيت الكرام وصحابته الاعلام شرعا فذلك ثابت بالأدلة الآتية :

أولا : قوله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ولا ريب أن تمثيل شخصيات هؤلاء العظماء ممتنع عقلا ويؤدى الى تشويه صور حياتهم فى نفوس الناس واستصغارها على صغر نفوس الممثلين عن اللحاق باستغراق عظمة المعنى والحقيقه فى نفوس أولئك العظماء ، وامكان تقديمها للنظارة فى جلالها التى كانت عليه ولما كان القدر المشترك فى كل أقسام التمثيل هو طلب الفرجة والتسلية على المناظر المعروضة ، مما لا يخلو عن شىء من معانى اللعب النفسى بالمشاهد المعروضة . وتعريض تاريخ آل البيت وصور حياتهم لهاتين النقيصتين . ولا شك هو مناف للطهارة التى حكم النص بثبوتها لآل البيت فهذا بيان جهة الاستدلال بالآية الكريمة ، واذا ثبت وجوب

---

(١) نقل بتصرف .

توقير النبى صلى الله عليه وسلم وتعظيمه ( وهو ثابت ) بما يحرم تحريما قاطعا الاقــدام على تمثيل شخصيته المقدسة ثبت بنــاء على ذلك تحريم تمثيل آل بيته الــكرام الحاقا به ــ عليه السلام .

ولـمـا كان الحق تبارك وتعالى قــد حكى عنه « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » فان مفاد النص إن النبى لا يسأل الأمة أجرا على نعمة الرسالة وكرامة الهــداية التى جاءهم بها من لدن الله ، الا أن يوادوه فى قرابته من أهل بيتــه بتعظيمهم وتوقيرهم له والامتناع عن الحاق الأذى بهم ولا شك أن وضع صور حيــاة آل البيت وأشخاصهم فى موضع الفرجة واحتمال الغلط والتشويه والتنقص لشخصياتهم، مناف لحكم الآية ، مضــاد لوصيته ــ عليه السلام ــ للأمة بمودة قرابتــه وخفض الجناح لهم وهى وصية فيها معنى الالزام والايجاب .

ويقول الدكتور سعاد جلال :

ان الدليل على تحريم تمثيل الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ يجىء من وجهين :

الأول : تعظيم النبى لأصــحابه ودعــوة المسلمين لتعظيمهم فمــن ذلك قوله :

( الله الله فى أصحابى ) وقوله ( أصحابى كالنجوم بأيهم اقتــديتم اهتديتم ) وهو حــديث مستشهد به وان كان فيه مقال .

وقوله غيرة على عمار بن ياسر : ( من سب عمارا سبه الله ومن أغضب عمارا غضب الله عليه ) .

وقوله فى حق سلمان الفارسى ( سلمان منا آل البيت ) .

فهل هــذا التعظيم كله لصحابته ــ عليه السلام ــ خلا من نكص على عقبيه منهم بعد موته ــ دليل مانع للمسلمين من الاقــدام على اسدال شخصياتهم بتمثيلها واجرائها على اللهو والفرجــة مجرى مايلعب به من صور الأشياء وأخيلتها .

الثانى : انه تقرر فى القرآن أن أهل الأنبيــاء هم أهلهم فى الديانة والمذهب ، ليس فى القرابة والدم ، بدليل قوله تعالى : فى قصــة نوح حين قال : « ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق » .

فرد الله عليه بقوله تعالى : « انه ليس من أهلك انه عمل غــير صــالح » .

ومعنى الرد : بما أن ولدك لم يعمل بديانتك ولم يدخل فى عقيــدتك معك فهو لا يعد من أهلك لأن أهــل الأنبيــاء من كانوا أهلهم فى الديانة والمذهب لا فى الدم والنسب .

اذا تقرر هذا المبــدأ الشرعى الثابت بالقرآن ثبت أن أصحاب النبى عليه الصــلاة والسلام هم أهله المعتبرون شرعا فيــأخذون أحكام أهــل قرابتــه المؤمنين به من بعض الوجوه وأقربها وأظهرها الحاقهم بقرابتــه المؤمنين به فيما يجب لهم من الحرية والتعظيم والصون عن الابتــذال فان هذا مقتضى الدليل مع عدم المانع .

ولقــد ظن بعض الــكتاب أن تمثيل احدى الروايات المتضمنة لتمثيل بعض شخصيات آل البيت العظــام وبعض الصحابة الــكرام مباح لايجوز حظره بحجة العمل بمبــدأ حــرية الفكر . وقد فات ملاحظة هذا الــكاتب الفرق بين حرية الفكر التى لا تتجاوز الاعلان عن الرأى وتنفيذ الموضــوع أو البنــاء الذى يتعلق به ابداء الرأى . أما الاعلام بالرأى فهو داخل فى نطاق حرية الفكر لا نزاع فى ذلك ، أما تنفيذ المشروع أو البناء الذى تعلق به الرأى فليس داخلا فى مفهوم حــرية الفكر فهو لا يصح ابرازه الى حيز الوجود الا بموافقــة أغلبية من تتعلق حقوقهم المــادية أو المعنوية بهذا الموضــوع » .

والمعروف أن التمثيل سيكون صورة ناقصــة بآلاف الدرجات لهؤلاء الصحابة وهــذا يؤدى ان لم يكن يعنى الى وضع السلف فى نقط الخلف فى صورة أقل من مستواهم الحقيقى .

( ٣٤ )

## شبهات حول مفهوم القوميات والاقليميات

ان طرح نظريات القوميات والاقليميات فى محيط وحدة عالم الاسلام وفكره انما تستهدف تمزيق هذه الأمة والقضاء على روح الاخاء الاسلامى والتعارف الجامع للشعوب التى ضمها الاسلام .

وفى رأى الفيلسوف المسلم اقبال : ان الانسانية لن تستريح أبدا مادامت تسودها هذه النظرية المشئومة التى تقطعها اربا اربا بحيث لايكاد الصدع يلتئم » .

لقد أخذت نظرية القوميات مفهوم العنصرية وايقاع الخلاف والصراع بين الجيرة المتلاقية ، واثارة العصبيات التى أدت الى الحروب والعداوات

لقد كان رواد اثارة دعاوى القوميات والاقليمات هدف بعيد المدى هو غرس العنصرية الصهيونية على أنها قومية تضارع العروبة ، وقد سبقتها الدعوة لاخراج الدولة العثمانية من وحدتها الجامعة بين الترك والعرب بالدعوة الى الطورانية التى حملت لواء العنصرية البغيضة ، ولما كانت تركيا هى صاحبة النفوذ الحاكم فقد تعرضت العروبة لخصومة شديدة من الاتحاديين الذين حملوا لواء الطورانية لتمزيق وحدة المسلمين عربا وتركا وكان ذلك لحساب الصهونية .

لقد كانت فكرة القوميات فى الغرب محاولة للقضاء على الوحدة المسيحية الأوربية من أجل ادخال نفوذ اليهود الذين كانوا محصورين فى الجيتو ، وكان قضاؤهم على الوحدة المسيحية عاملا لاعلاء شأن الاقليمية أو القومية التىيتمكنون من خلالها من الوثوب الىمراكز النفوذ والسلطان . ثم جرت المحاولات للقضاء على الوحدة الاسلامية التى كانت تمثلها دولة الخلافة لفتح الطريق أمام الصهيونية الى فلسطين .

ولقد جرت المحاولات لادخال مفهوم القومية الغربى الى تصوير العلاقة بين العروبة والاسلام مع الاختلاف البعيد ، فالاسلام هو الذى صنع وحدة العرب .

وقد خدعت دعوة القوميةكثيرون وظنوا أنها طريقموصل لعزة العرب ولكن التجربة كشفت عن فساد هذا الخط الوافد حين انحرف عن مفهوم الترابط الجامع بين العروبة والاسلام ، وحين تسلطت قوى التغريب ففرغت العروبة من مفهومها الأصيل والتمست مفهوما علمانيا خادعا مفرغا من كل القيم .

وقد كانت دعوى القومية العربية كما يقول الأستاذ محمد رشاد خليل حربا على الأمة العربية الاسلامية ومنها مصر ، وكانت دعوة العروبة هى الشرك المنصوب لاصطياد السذج باسم حقائق التاريخ حين عجزالقوم عن فهم حقيقة النوايا المستترة وراءها فالعروبية المعاصرة هذه تعنى ماكانت تعنيه الشعوبية فى القديم ، والشعوبية مصطلح أطلقه المسلمون الواعون بحقائق دينهم وأمتهم وتاريخهم ممن حسن مسلامهم من العرب والفرس والترك على جميع الذين حاربوا الاسلام تحت ستار عصبية الجنس . فالعروبية الحديثة لاتضرب الاسلام فقط ولكنها تضرب العرب، وقد نشأت القومية العربية ( العروبية الحديثة ) نشأة مركبة فى حجر المدارس الارسالية الفرنسية والأمريكية ذات الأهداف التبشيرية والاستعمارية وعلى أيدى المسيحيين اللبنانيين والسوريين خاصة والمارونيين اللبنانيين على الأخص . وكانت الوجهة تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التى ازدهرت فى البلاد التى يشغلها المسلمون الآن وكان للكلية السورية الانجيلية دورها فى بعث النعرة العروبية التى أصبحت الآن الجامعة الأمريكية فى بيروت فمن هذه المدرسة خرجت كل رءوس الثعابين التى نفثت سمومها فى الشام ومصر تحت ستار القومية العربية ، وأول جمعية سرية كان كل أعضائها من المسيحيين اللبنانيين وكان هدفها الأساسى هو التفرقة بين العرب والترك . وكانت تستهدف احداث انقلاب داخلى ضد الاسلام والجماعة الاسلامية تحت ستار الخدمة التعليمية مجندة لهذا العمل أبناء الطائفة المسيحية المارونية . وكان الموارنة بحكم انتمائهم المشبوه وعلاقاتهم التاريخية المدموغة بالخيانة مع الصليبيين قديما هم أصلح العناصر لتنفيذ مخططات الصليبية الجديدة وبذلك كانت أول جمعية عروبية غير عربية . كانت مكونة من أناس ليسوا عربا لا من ناحية الانتماء ولا من ناحية الغايات والأهداف .

ومن سمومهم قولهم بأن الاسلام نفسه هو تراث عربى شأنه شأن الشعر الجاهلى واللغة العربيـــة وظهر البعث العربى الذى يشيد برسول الله باعتباره بطلا عربيا ويشيد برسالة الاسلام باعتبارها رسالة عربيـــة انسانية وهذا هو خط حزب البعث .

وقد صب مفهومهم اللبنانى المسيحى فى قالب الأمة : الدعوة الى أمة عربيـــة تكون منفصلة فى أساسها الدينى الذى قامت عليه وتسوى تسوية كاملة ومطلقـــة بين المسلمين والمسيحيين فى جميع النـــواحى ، على أن يكون الضامن لاستمرار هـــذه المساواة حماية أبدية من قبل أوربا الليبرالية وفرنسا الكاثوليكية . وكان جرجي زيدان ونجيب عازورى من كبار المزيفين لمفهوم العروبة ، فقـــد نادى الأخـــير بأمة عربيـــة واحـــدة للمسيحيين والمسلمين على السواء وجعل حـــدود الأمة العربية مقصورة على الناطقين بالضاد فى آسيا فقط دون مصر وشمال أفريقيا . وفى نطاق هذا التفكير العروبى : دعوة عزيز المصرى للجمعيـــة القحطانية والعربية الفتاة التى شكلها فارس الخورى وشكرى القوتلى وجمعية العهد التى شكلها عزيز المصرى بعد فشل القحطانية .

وقد كانت العروبيـــة حركة علمانية موجهة من المسيحيين اللبنـــانيين والسوريين ومن الغربيين واليهود ضـــد الاسلام والجامعة الاسلامية وقد نشأ جميع الداعين اليها اما فى مدارس تبشيرية خالصة واما فى جامعات غربية خاصة فرنسا ، أو فى مدارس عربيـــة ذات منهـــاج غربى مشبع الى أقصى حد بالعـــداء ضـــد الدين وبفكرة فصل الدين عن السياســـة وبالاعتقـــاد بأن الروابط القومية هى التى توجـــد المجتمع سياسيا على عكس المعتقـــدات الدينيـــة التى تفرق بينهم ، من اجل ذلك عملوا على يكون الحكم الوطنى مستقلا عن الدين . وقـــد دعم هـــذا المبدأ العلمانى فوز كمال أتاتورك ومؤيديه فتشجع العروبيون والقوميون والاقليميون على السير فى الطريق الى نهايته .

ولقد سقط فى مصر قناع العروبة كما سقط قناع الفرعونية .

ويقول الدكتور محمد على الزغبى فى كتابه حقيقة الماسونية :

الدعوة للقومية المدخولة نتاج ماسونى اذ هما سكين شق بها أتاتورك العرب عن الترك ونفذ لما دعاه فصل الدين عن الدولة وفرض العلمانية وجعل الخمسين الف مسجد فى تركيا عديمة الأثر فى الواقع .

( ٣٥ )

## شبهات حول المسرح

لن يكن المسرح فى البلاد العربية نتاجا عربيا أصيلا ولكنه أسلوب وافد لم يعرفه العرب ولا المسلمون وقد استطاع المسرح الوافد أن يدخل سموما كثيرة الى العقلية المصرية وأن يطرح مفاهيم متعارضة تماما مع مفهوم الفكر الاسلامى القائم على التوحيد .

ولا ريب أن فكرة المسرح الوافد تقوم على مفاهيم الفلسفة اليونانية فى المأساة وهى مفاهيم تستمد أساسا من فكرة الخطيئة الأولى التى لا يعترف بها الفكر الاسلامى ولا يقرها ، كذلك فان المفاهيم الماديه التى يقوم عليها الأدب المسرحى والقصصى يعتمد أساسا على تصور الانسان تصورا ماديا خالصا وفق مفهوم النظرية المادية ونظرية فرويد وعلى أنه محكوم بالجبرية التاريخية فلا ارادة حرة له وكل ذلك مما يرفضه الاسلام.

ولم تكن المسرحية العربية التى عرفت طوال هذا التاريخ الا مسرحية غربية قد غيرت فيها الأسماء والأماكن وبقيت فى جوهرها الاجتماعى قصة مجتمع غربى بتحدياته ومشاكله ، وهذه كلها تختلف تماما عن قضايا المجتمع الاسلامى ومشاكله ومواجهته لهذه المشاكل وأسلوب حله لها .

وقد تبين أنه حتى فى نطاق المسلسلات الاسلامية فان الهدف المسموم المبيت واضح فيها من حيث ابراز جانب الجاهلية وحوارها وفكرها أكثر من ابراز جانب الاسلام .

ولقد كان لدى بعض المتفائلين رغبة فى اقامة المسرح الاسلامى أو تمثيل المسرحية الاسلامية ، ولكن تبين أن هناك قوى خطيرة تحول دون تحقيق ذلك وتعمل على تشويه المسرحية الاسلامية بحجة عدم فنيتها

أو عدم خضوعها للمفهوم الوافد القائم على الدراما والحبكة والتبعية فى مفهوم الصراع بين الاله والانسان الذى هو عقدة المسرحيات الغربية .

ولقد كشف توفيق الحكيم وزكى طليمات فى وضـــوح فساد اتجـــاه المسرح فى البلاد العربية وعدم قابلية الروح العربية الاسلامية لهذا اللون من الفن الوافد .

## ( ٣٦ )

## شبهات حول الأساطير

الأساطير فى القاموس ( لسان العرب ) هى الأباطيل وفى تاج العروس ( الأكاذيب ) كانت شائعة بين العرب وكان المشركون اذا سموا شيئا من القصص الوارد فى القرآن قالوا : ان هذا الا أساطير الأولين . أما كلمة خرافة وجملتها خرافات فقد أطلقها العرب على الحـــديث المستملح من الـــكذب .

وقد نسب العرب بنـــاء تدمر الى الجن بينما لم ينسبوا بناء الأهرام اليهم مع أن الأهرام أحق أن تنسب الى الجن لغرابة بنـــائها وضخامتها ولكن العرب جاءوا الى مصر بعد الاسلام وبعد أن وضح تفكيرهم بالرسالة السامية وغربت عن عقولهم الخرافات .

وكان من حسن حظ الاســـلام أن بدأ تاريخه مكتوبا أو مرويا رواية تقرب من أن تكون مكتوبة ، ثم جاء الاسلام بالعلم والحث على التفكير قبل تسرب الخرافة اليه حتى ان أسلافنا لـــا رأوا عددا من المبالغات فى ثنايا التـــاريخ الدينى والسياسى والثقافى سموها بالاسرائيليات اذ جزموا أنها من وضع بنى اسرائيل اليهود فى محاولتهم تشويه الاســـلام .

وكان أعظم تحول أحرزه الانسان القـــديم هو التحول من تضحية الحى الى رمز فنى يجسمه : ففى فيضان النيل استبدل القاء فتاة بالقاء تمثال لفتـــاة ثم جاء الاسلام بالغـــاء الخرافة نهائيا ، وذلك بالقاء رسالة عمر بن الخطاب .

اذا كنت تفيض من عندك .

لقد جرت المحولات الضخمة فى العصر الحديث فى ادخال الخرافة والأساطير فى الأدب العربى والفكر الاسلامى بعد أن نقى المسلمون مختلف فنون القول منها وخاصة السيرة النبوية ، فكانت محاولة طه حسين الخطيرة فى كتاب ( على هامش السيرة ) فى اعادة الأساطير الى السيرة النبوية بعد أن نقاها علماء المسلمون منها وحرروها كما حرروا الحديث النبوى من الوضع والدخيل والاسرائيليات .

وفى ابان النهضة الاسلامية فى القرن الثالث رفض المسلمون ترجمة أساطير الأمم وقالوا انها أهواء الشعوب وأنهم لا حاجة لهم بها اذ لكل أمة فنونها وللمسلمين فنهم وهو الشعر ، ولكن العصر الحديث جاء فى اطار النفوذ الأجنبى ففرض على المسلمين ترجمات الالياذة الاغريقية والشاهنامه الفارسية والرامايان الهندية والأساطير المصرية والأساطير الهندية .

هذه الأساطير التى تمثل ركام الفكر البشرى القائم على أهواء النفوس والمشبع بالاباحية والمادية وفساد الذوق وتصورات الطفولة البشرية ، وكلها مما جاء الاسلام للقضاء عليها وهدمها ، وهى فى مجموعها تختلف على مفهوم الاسلام الجامع ، ومفهوم الدين الحق سواء باشاعة روح الفساد الخلقى ، أو تغليب الوجدان المترف أو المادية المسرفة أو تمجيد القوة أو عبادة الأجساد وكلها تصور الآلهة وهى فى صراع مع الانسان وتجمع الى قدرة الآلهة حماقات البشر وتجعل قانونها شهواتها وتخبط كيفما قادتها البداوات والنزوات وتميز أساطير الأغريق بعبادة الطبيعة والفن والجمال والنشوة بالحركة العنيفة التى لاتقر ولا تهدأ .

وكل هذا يختلف عن الفطرة الانسانية الأصيلة وطبيعة النفس الانسانية الجامعة بين أشواق الوجدان ومطالب المادة والتى تتطلع الى الايمان بالله الواحد الأحد .

## ( ٣٧ )
## شبهات حول القرامطه

ان أول بحث عن الحركة الباطنية فى الاسلام هو ماكتبه الطبرى فى تاريخه كما دون المسعودى فى كتابيه التنبيه ومروج الذهب حوادث القرامطه ،

ويعد المقريزى فى طليعة المؤرخين الذين بحثوا الحركة الباطنية القرامطية وكذلك فعل ابن حزم والشهرستانى ويرى الأب انستاس مارى الكرملى أن ( قرمطه ) لفظة ارامية نبطية من قرمطونا أى المدلى أو الخبيث أو المكار أو المحتال .

يقول محيى الدين عزوز : لقد كان لأصابع ابن سينا دورها فى اذكاء نار الفتنة التى صدعت الخلافة الاسلامية أيام عثمان وعلى ، ولما كان الحزب العلوى يمثل جانب المعارضة فقد آزروه بكل مااستطاعوا من مال ودهاء وسعوا الى تقوية هذا الحزب بكل الفئات الغاضبة فى المجتمع ليجعلوا من غضبتها ثورة عارمة تدك صرح الحكم الاسلامى كما اتضح ذلك من ثورة القرامطة التى هيأ لها اليهود أخلاقيا بالاكثار من الحانات وتشجيع روادها من الخلفاء وقد أفرد ماسبتون بأحد كتبه الدور اللعين الذى قامت به البنوك اليهودية فى الطور الأول والثانى من العصر العباسى فى سعيها لتخريب البيئة التى مكنتها من العيش المريح ، وقد تغلغلوا فى صفوف العمال وهيجوا العبيد وفرقوا بين الأجناس حتى تبرز الأقليات منها واذكوا ماقد يكون لديها من نقمة ولما لاحظوا أن كل محاولاتهم هذه لم تنجح فى القضاء على القوة الاسلامية من الداخل اتصلوا بالدول المسيحية ليصارع عملاق عملاقان . جاء هذا العمل فى وقت انفصلت فيه بعض الأقاليم عن الحكومة المركزية واشتد فيه ساعد الضعفاء والمحررين من الناس الطامعين فى أسباب الخلافة وقد اعترف المسيحيون بالمساعدة التى لقوها من اليهود ، فعد اليهود هذا انتقاما من العباسيين الذين تجاسر أحد خلفائهم وهو القادر بالله ( ٣٨١ — ٤٢٢ ) على حل حكومتهم وحدد نشاطهم بشكل ملحوظ .

وقد أخطأ الكاتب الفرنسى جارودى حين ربط بين نحلة القرامطة وبين العدالة الاجتماعية فى الاسلام وقد رد عليه الدكتور محمود قاسم ( الهلال — يناير ١٩٧١ ) .

## القرامطة والحلاج والباطنية والماسونية

### وقد واجه الدكتور محمود قاسم هذه الأفكار ( الهلال يناير ١٩٧١ )

لم تكن دعوة القرامطة تسعى الى تحقيق كرامة الانسان تمهيدا

لاحترامها بل كانت حركة انفصالية تمت فى عصر تحلل الدولة العباسية الى دويلات .

كانت حركة القرامطه استمرارا لثورة الزنج التى قامت قبيل منتصف القرن الثالث الهجرى ، وكانت نوعا من الأخذ بالثأر وقد حرص هؤلاء العبيد الذين حرروا أنفسهم على اذلال العرب عن طريق استرقاقهم والتنكيل بهم .

أما حركة القرامطه التى قامت فى الشمال الغربى لبلاد العراق ثم اتخذت مراكز لها فى منطقة الكوفة وفى بعض بلاد الشام وفى سواحل الجزيرة العربية المطلة على الخليج الفارسى ثم استقرت آخر الأمر فى البحرين .

كانت حركة القرامطه على صلة وثيقة بالحركة الاسماعيلية فى دور الستر وان اختلفت معها فى دور الظهور فان الفاطميين رأوا بعد ظهور دولتهم فى الغرب أن يستهلوا بتوجيه السياسة فى ذلك العصر باسقاط الدولة العباسية ومن جانب آخر يمكن القول بأن الحلاج المتصوف المشهور كان من أكبر الدعاة لتحطيم الدولة العباسية اذ كان على صلة بالقرامطه وقد روى عنه أنه أقسم فى أحد أحاديثه القدسية التى يزعمها لنفسه لسنة ٢٩٢ هجرية وهى السنة التى شهدت ثورة القرامطه الكبرى .

ولقد كانت حركة القرامطه حركة طائفية ، فقد أقر القرامطه شيوع المال فى مجتمعهم ولكن طبع العبيد التى يتكون من الأسرى لم تكن تتعامل على قدم المساواة مع الأخرى .

تظاهر أصحاب هذه الحركة بالتشيع والميل الى البيت العلوى ، ولكنهم سلكوا من الناحية الأخرى اذ اعتدوا على الأماكن المقدسة وجرحوا صحابة الرسول بل الرسول نفسه — وقتلوا نحوا من ثلاثين الفا من هؤلاء الحجاج وانتزعوا الحجر الأسود من الكعبة صرفا للناس عن الحج ، وهذه الوقائع تؤكد صلة بين هذه الطائفة وأمثالها وبين الحلاج الذى كان معاصرا لحركة القرامطه ، ومن الطريف أن الحلاج قد أدين وقتل بتهمة صرف الناس عن الحج وقد ورد فى تاريخه أنه كان يستعيض

عن الحج بكعبة مصــغرة فى بيته يطوف بها أتبــاعه طوافا يغنيهم عن الذهاب الى مكة وكان يطلب اليهم أن يقدموا بدل الهدى شيئا من المال .

وقد تكشفت الصلات الظاهرة والخفية بين الباطنية وبين الصليبيين فى القرنين الخامس والسادس الهجريين وهى ترسم فى وضــوح عن بذور انتقلت الى أوربا جنوب ايطاليا أدت الى ظهور الماسونية فى البلاد الأوربية وعن علامات بين الباطنية فى الاسلام وبين الماسونية فى الغرب وان الماسون يصفون الحسن بن الصباح رئيس الاسماعيلية الشرقية فى القرن الخامس الهجرى بأنه من أسلافهم ، ويقولون انه كان الأستاذ الأكبر للماسونيه فى العالم الاسلامى .

## ( ٣٨ )

## حول اخوان الصفا

وقد كشف البــاحثون عن العــلاقة بين اخوان الصفا والاسماعيلية وتشيعهم ودعوتهم الى المهدى المنتظر وقال كازنوفا اننى على أتم الثقة من أن آراء اخوان الصفا هى برمتها آراء الاسماعيلية ومحور هذه الآراء هو الاعتقاد بعودة الامام الذى سوف يملأ الأرض سعادة .

وهم يؤمنون بوحدة الــكون ( وحدة الوجود ) .

ويعتقد جولدزيهر ان رسائل اخوان الصفا كانت الأساس الذى نبتت عليه معتقدات الاسماعيلية . وان هنــاك اتفاقهما فى مذهب الحلول . وتفسير القرآن تفسيرا غير مايدل على ظاهر اللفظ . وهو الأسلوب الباطن الذى جرى عليه البــاطنية ويقول اخوان الصفا فى رسائلهم :

« واعلم ان للــكتب الالهيــة تنزيلات ظاهرة هى الألفاظ المعهودة المحــدثة ولــكن لها تأويــلات خفيــة باطنــة وهى المعــانى المفهومة والمعقولة » .

وقد أفاض الباحثون فى الــكشف عن وجهة الاسماعيليــة الملقبون بالحشاشين فقد أتاحوا لتــابعيهم كل أنواع اللذات وأطلقــوا لشهواتهم

العنـــان وأباحوا لهم زواج الاخــوات وكل من يحرم الدين الزواج بهن وعكفت على تعــاطى الحشيش فئة طاغية مجرمة تحلل المحرمات وتحض على المسكرات وترى فى القتل عملا مشروعا يثاب عليه فاعله .

وفى أثناء الحروب الصليبية كان لهم يد سوداء ، قاموا أثناءها بأفظع الأعمال الوحشية فأطلق عليهم الفرنجة اسم ( أساسيين ) وجعلوه لـكل قاتل مجرم ، وقــد قاموا بعديد من فظائع الأعمــال رسمت بلون الدماء الأحمر ، وقــد أشــار المسعودى وأبو الفــداء الى أنه بلغ من جــراة الحشاشين أنهم كانوا يخطفون النــاس من الشوارع والحارات بأغرب الطرق وقد توفى الحسن الصباح ٥١٨ وظلت الزعامة قائمة فى قلعــة الموت حتى ٦٥٤ نحو قرنين ، ولا يزال للاسماعيلية الى وقتنــا هذا صوت وزعيمهم اغا خان والطائفة موزعة بين الهند وفارس .

( ٣٩ )

## شبهات حول الزنج والقرامطه

استغل دعاة التفســير المــادى للتاريخ بعض المواقف الهدامة فى التاريخ الاسلامى لمحاولة وصفها بأنها حركة تقــدمية أو ثورية ومن ذلك حركة القرامطه وثورة الزنج كما حاولوا اضفاء صفة البطولة على ( على ابن محمد ) الذى تجمع المصادر على عدم صحة ما ادعاه من نسب علوى ويرون أنه انما ادعى هــذا النسب خدمة لمآربه وليضفى على حركتهطابع الشرعية ، وقــد بدأ حياته مشعوذا يشتغل بالتنجيم والسحر ، وانتقل من سامرا الى البحرين وجعل منطقة البصرة مركز نشاطه ،فجمع حوله الزنج فى البصرة فى ثورة عارمة اشعل نارها سنة ٢٥٥ .

وادعى خلال ذلك أنه المهدى المنتظر وادعى النبوة .

وقد اســتغل بالنسب العلوى مالدى الشيعة من تأييــد وعطف بين الجماهير فقــد أصابت دعواه المهــدى وترا حساسا فى نفوس المعــذبين فى الأرض فأطاعوه فيما ذهب اليه وأحرقوا البصرة وأعملوا السيف فى أهلها واستباحوها ثلاثة أعوام وصعد الزنج فى حركتهم نحو بغداد فدخلوا واسط عام ٢٦٤ والنعمانية فأحرقاها واستمر لغطهم عشرسنوات وهميحتلون

منطقــة شاسعة تمتد من الأهواز وواسط وتصل الى مشارف بغداد، وقــد شلت هــذه الحركة الزراعة والتجارة والمواصــلات ولــكن الأمر انتهى بأن سقطت عاصمة الزنج « المختارة » بعد أن دافعوا عنها وبعد أن قتل على بن محمد .

وقد فشلت ثورة الزنج لأنها لم تكن لها منهاج واضح للاصلاحووقعت فى نفس الخطأ الذى ثارت من أجله اذ أقبل الزنج بعد نجاحهم المؤقت على إقتناء القصور واسترقاق النساء واستعباد سادتهم .

وكذلك فعل القرامطه فقد خدعوا النـــاس عن طريق الأدعاء بأنهم من آل البيت وكانت أكبر أعمالهم الغارة على مكة وقتل الناس وسرقـــة الحجر الأسود ، وكانت دعوتهم الى شيوعية الأموال ، فقــد أســقطوا الحدود بين الحلال والحرام وأحلوا زواج الاخوات وتقــديس الخمر وكانت لهم تفسيرات باطنيـــة للقرآن والحديث ، وقــد لعب اليهود وراء هذه الحركات وكانت الاسرائيليات هى مادة فــكرهم . ويذهب بعض المؤرخين الى أن القرامطه وغيرها من الدعوات الباطنية يهودية الأصل والفروع .

( ٤٠ )

## شبهات حول الحرف اللاتينى

كانت أهواء الاستشراق متعلقة بالدعوة الى كتابة اللغـــة العربيـــة بالحرف اللاتينى وقــد دعوا الى ذلك طويلا وقام من آزر دعوتهم فىمجمع اللغة العربية فى القاهرة بطرح هــذا المشروع المسموم » وكان عبدالعزيز فهمى من جيل الرواد ( سعد زغلول ولطفى اسيد ) أتبـــاع كرومر ودعاة التغريب وصناع الاقليمية والتبعية الغربية فى مجال السياسة والاجتماع والتربيـــة والفكر . ثم جاءت محاولة سعيد عقل تطبيقـــا لهذه الدعوة التى أذاعها ماسنيون كجزء من خطة لهـــدم اللغـــة العربية تقوم على تشجيع العاميات وكتابتها بالحرف اللاتينى وقد أصدر سعيد عقل ديوانه ( يارا ) جامعا بين عامية لبنـــان والحرف اللاتينى وقد استهدف سعيد عقل القضاء على التراث العربى الاسلامى ثم القضاء على كل مايربط لبنـــان بالعرب ، وخلف تراثا خاصا بلبنان يبــدأ من حرف سعيد عقل ، يقول الدكتور عمر فروخ ولقــد باءت هذه المحاولة بالفشل لأنها استهدفت تغيير واقع ثابت

خطير ولم يكن ممكنا اعادة الكرة للصورة التى عرفت عن اللاتينية فى القديم وانفصال اللهجات الأوربية عنها وقد تبين أن ماحدث لبعض اللغات القديمة لا يحدث اليوم ، وقد كان الإنقطاع بين اللاتينية القديمة وفروعها فيما بعد لأن اللاتينية لم تكن استقرت على أسس نهائية ، كانت جذرا لا قواعد ثابتة لها وحين تبلورت شخصيات الأقوام والقبائل التي كانت تتعلم اللاتينية فى شعوب ، بدأ الإنقطاع تدريجيا بين تلك الجذور ، والفروع التي تكاملت قواعدها يوما بعد يوم واستقرت نهائيا . ومن ذلك الحين لم تتبدل تلك الفروع التى أصبحت لغات كاملة كذلك تختلف اللغة العربية عن اللغة الفرنسية فى منبعها الاشتقاقى فهى — أى العربية — ذات بنية متواصلة الأطراف متسجمة الحلقات لا زيادة لمستزيد عليها . ومن هنا كانت منبعاً ثرا لاينضب مسايراً أقوى الحركات العلمية ، بل كانت لغة العلم الوحيدة فى العالم قرونا عديدة وكانت اللغة العربية أول تعبير عن امكانات العربى وعمق وعيه لذاته وللوجود . ومن هنا فان كل حرف فى لفظه لم يوضع اعتباطا ولا رمية من غير رام وانما كان ذا صلة مباشرة بالاحساس العربى بما حوله أو بما يعتمل فى داخله .

كذلك فان اللهجات العامية ليست لغات ولا يوجد لها قواعد ولا ضوابط ولا أسس مما يتيح كل يوم خلق لهجة جديدة فهى وليدة التفسخ والشذوذ فى حياة الغرب ووليدة انهيار شخصيتهم ابان عهود مظلمة طويلة ..

ولا ريب أن هناك مؤسسات أجنبية تثبت حرف سعيد عقل وأنها فى طريق ترجمة أمهات الكتب الأجنبية الى العامية وواضح أنه كلما تقدم العرب واقتربوا من استعادة شخصيتهم عادوا شيئا فشيئا الى اللغة الأصيلة . وحرف سعيد عقل وليد المجتمع المتفسخ والشخصية التي لم تجد نفسها بعد .

( ٤١ )

## شبهات حول الفاظ القرآن

حاول بعض المستشرقين ارجاع بعض الألفــاظ القرآنية والاسلامية الى أصول عبرية وآرامية وحبشية وسريانيــة وكلدانية حتى أن أعــرق الألفــاظ العربيــة والاسلامية من مثل ( الله — الصــلاة — الزكاه — النبى — الرسول — السجود — التجارة ) ومصطلحاتها حاولوا التماس أصولها من اللغات السامية وفى العهد القديم .

ذهب الي ذلك فنسنك وشاخت وربنان وهولشر ، وشميدث وهفنج وغيرهم كثير تملأ افتراءاتهم بعض مواد دائرة المعــارف الاسلامية .

والواقع ان هذا كله ادعاء بالباطل .

قال السيوطى ( نقلا عن أبى عبيدة ) من زعم أن فى القرآن ماليس بلغــة العرب فقد أكبر القول . وقد يوافق اللفظ اللفظ ويغايره ومعناهما واحد فأحدهمــا بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها . فمن ذلك الاستبرق وهو الغليظ من الديباج وهو استبره بالفارسية وغيرها .

وقال السيوطى : وليس فى كتاب الله سبحانه شىء بغير لغة العرب لقوله تعالى : « انا أنزلناه قرآنا عربيا » وقوله تعالى : « بلسان عربى مبين » وادعى ناس أن فى القرآن ماليس بلغــة العرب حتى ذكروا لغــة الروم والقبط والنبط وترجع أصالة العرب وصفاتها الى نشأتها فى أقــدم موطن للعرب وبقائها فى منطقة متصلة منعزلة فقلت بذلك فرص احتكاكها باللغات الأخرى .

يقول الأستاذ عبد الجليل عبد الرحيم : ان مزاعم الدخيل من لغــة القرآن الــكريم هو مااستغله أعداء اللغة الحاقدون على الاسلام للطعن فى فصاحة القرآن وبلاغته مع فساد المنهج الذى سلــكوه فى تبرير فقر اللغة العربية باسناد هذه الــكثرة من الالفاظ التى استعمل القرآن قسما كبيرا منها فقــد اعتبروا معظم الألفاظ العربيــة التى توجد بينهــا وبين

الألفاظ اخوتها من اللغات المسماة بالسامية نوع من الشبه أنها من الدخيل فى العربية من تلك اللغات .

قال جرجى زيدان : اننا نستدل على تكاثر الألفاظ الأجنبية فى اللغة العربية بخلو اخواتها من أمثال تلك الألفاظ فاذا رأينا فى اللغة العربية لفظا لم نر له شبيها فى العبرانية أو السريانية أو الحبشية ترجح عندنا أنه دخيل فيها ( آداب اللغة العربية ج ١ ص ٣٦ ) وبناء على هذا الدليل الواهى يستدل على عجمة كلمات هى فى الواقع من صميم اللغة العربية . ولم يقتصر الأمر على هذا بل نجد منهم من قد اعتبر الألفاظ المتعلقة بالحضارة كلها من الألفاظ الدخيلة الى العربية من غيرها زاعمين أن الناطقين بهذه اللغة لم يعيشوا حياة حضارية فى جزيرتهم بل ان جميع الألفاظ الدينية عندهم دخيلة الى العربية بحجة أن العرب لم يكونوا أصحاب دين سماوى ، ويرجعون هذه الألفاظ الى اللغة العبرية أو الحبشية لأن اليهود والأحباش من أهل الكتاب . ان اعتبار كل لفظ فى اللغة العربية شبيه بلفظ آخر من لغة من اللغات المسماة بالسامية دخيلا الى العربية من تلك اللغة منهج خاطىء لايقوم على أساس علمى ، ذلك أن اللغات السامية كما هو مقرر عند العلماء ترجع جميعها فى الأصل الى لغة واحدة أطلقوا عليها اللغة الأم ثم بمرور الزمن ونزوح الناطقين بها الى مناطق مختلفة ومجاورتهم لأصحاب لغات مختلفة تشعبت هذه اللغة الى لهجات مختلفة أخذت تتباعد فيما بعد حتى استعمل كل منها عن الأخرى وأصبح لغة مستعملة .

والنتيجة المترتبة على ذلك هى ترجيح أصالة هذه الألفاظ المتشابهة بين هذه اللغات فى اللغة التى ترجح أصالتها وترجح أنها من الدخيل فى غيرها وقد رجح كثير من الباحثين أن اللغة العربية هى أصل اللغات السامية جميعا ولذلك فان استدلال جرجى زيدان ومن لف لفه باطل وحكم مناف للصواب فقد استطاع الباحثون فى اللغات المسماة بالسامية أن يثبتوا لنا أن اللغة العربية هى أكثرها احتفاظا بالكلمات القديمة التى يرجح أنها كانت مستعملة فى اللغة الأم عن طريق جمع الكلمات القديمة والمقارنة بينها . وعلى هذا يكون من الراجح أن هذه الألفاظ العربية التى لا يوجد لها شبه فى اللغات السامية الأخرى مما احتفظت به اللغة العربية من اللغة الأم بينما سقط من تلك اللغات باهمال

الاستعمال أو الاستعاضة عنه بلفظ يدل دلالته . ولذلك فان من خطأ القول بأن أكثر الدخيل من أسماء المصطلحات الدينيــة منقول من العبرانية أو الحبشية لأن اليهود والأحبــاش من أهل اللغات ولا يمكن القول بأسبقية لغة من اللغات على اللغــة العربية التى نبتت فى جزيرة العرب بالقول بأن بعض الـكلمات من هذه اللغــات . وكذلك أخطأ الأب نخلة فى القول بأن الـكلمات العربية المختصة بالزراعة أرامية الأصل فقد كان العرب فى جزيرتهم أهل ديانات سماوية قبل غيرهم من أصحاب الديانات فقــد بعث الله تبــارك وتعالى من يلقنهم رسالة السماء قبل أن يسمع الناس بالديانة اليهودية والمسيحية ، ذلك أن نبى الله هودا ونبى الله صالحا قد بعثهما الله برسالة سماوية الى عاد وثمود قبل بعثــة نبى الله موسى وعيسى بل وقبل بعثة الخليل ابراهيم .

وكذلك خطأ دعواهم بأن أكثر الـكلمات العربية المختصة بالزراعــة أرامية الأصل مع أن المعروف أن الجزيرة العربية كانت جنات غناء ابان نبوة هود وصالح وشهادة القرآن فى هذا واضحة ففى نبى الله هود :

« فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام وبنين ، وجنات وعيون » ( سورة الشعراء ) .

وفى نبى الله صالح : « اتتركون فيما هاهنا آمنين ، فى جات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين » ( سورة الشعراء ) .

## ( ٤٢ )

## شبهات حول الداروينيــه

ماتزال فكرة الداروينية القائلة بأن الانسان والقرد من أصل واحــد شائعــة فى دوائر التعليم بالرغم من ظهور نشرات الأبحــاث فى هدمها وتدميرها ومن ذلك كتاب تحت عنوان : ( هــذا التقــدم : مأساة مذهب النشوء ) للـكابتن الوارت أي مذهب دارون الذى ينكر الخلق الفجــائى ويقول ان أنواع الحيوان والنبــات حتى الآن متسلسل بعضها من بعض وان بيننــا وبين القرود لذلك لحمة نسب وصلة قرابة . ولا يزال مذهب

داروين ناقصا ماليسمونه الحلقة المفقودة التى تثبت قرابة الانسان للقرد وماداامت مفقودة يبقىمذهبا افتراضيا ويبقىلذلك خارج دائرة اليقينات المثبتة اذ يعوزه البرهان. يقول الوارت: أن الداروينية كذبة كانت السبب الأول فى تدهور الحضارة الغربية بانيا حكمه هذا على اكتشاف اكتشفه وبرهن فيه على أن نشوء الطيور خرافة لا كما يقول المذهب الداروينى . ان النشوئيين لم يهتدوا بعد الى الحلقة المفقودة التى تصل الانسان بالقرد كما يزعمون مع أنهم قلبوا باطن الأرض يبحثون عنها ولكن الجيولوجيا تضحك من بحثهم عن شىء لا وجود له .

وقد اعترف داروين فى زمانه بأن الجيولوجيا لا تؤيد وجود تلك السلسلة الدقيقة المتدرجة التى يبطلها ناموس النشوء نفسه بل الضد من ذلك ثبت أن الداروينية غير صحيحة لأن وجود بقايا الحيوانات فى الصخور لا يمكن تعليله بأى مذهب من المذاهب .

وقد هدم مندل بناموسه عن الوراثة ناموس الانتخاب الطبيعى الذى هو أساس الداروينية. ان الداروينية زعزعت أسس الدين فلو أمكننا التخلص منها لمهدنا الطريق الى احياء الايمان بالخالق . ومن الغرابة بمكان أن يبنى الناس تزعزع ايمانهم بالله مدة قرن كامل على مذهب لم يثبت بالبرهان ولا يمكن اثباته .

فالايمان بالله أسهل من الايمان بخدع العلم وأوهامه وهكذا نجد أن العلم ورجاله أخذوا يدحضون هذه النظرية الباطلة التى استغلها الفلاسفة الماديون فى هدم العقائد . كما استغلها رجال السياسة فى خلق جو مضطرب من العنصرية ، حين حاولوا تطبيق نظرية الانتقاء الطبيعى فى المحيط الانسانى .

ولا ريب أن نظرية داروين هى مجرد افتراض وصل اليه داروين استنادا على جزئيات مختلفة شاهدها وان لم يكن قد استوعب الا ماسمحت الظروف به فى عصره ، ولقد مضى العلم والبحث والكشف عن الحفريات الى مراحل كثيرة وخطوات واسعة وتبين أنه لم يستوعب كل ماهو بسبيل اليه لتقييم نظريته التى وصفها بأنها ينقصها الحلقة الأساسية التى تربط دعواه فى القول بأن الانسان والحيوان من أصل واحد ، وقد جاءت

الحفريات المتوالية مكذبة لدعواه ومثبتة أن كل خلق مستقل عن غيره وأن الحيوان مستقل عن الانسان وأن الانسان منذ ظهر على وجه الأرض وهو صاحب قامة مستقيمة ، ولكن الخلفيات التى كانت وراء نظرية داروين كثيرة فقد استغلها اليهود الذين كانوا يطرحون نظرية تدمير عالم الجوييم فقد أخذوها لبناء نظرية الانسان الحيوانى الأصل واستغلوها فى الدعوة الى التطور الشامل الذى لا يرتبط بأى قاعدة من قواعد الثبات وقد نقلوا الدعوة من مجال البيولوجيا الى مجال الاجتماع عن طريق هربرت سبنسر الذى حاول تطبيق التطور على الانسانيات والأخلاق وكانت الدعوة الى تحطيم الضعيف والقضاء عليه سلاحا بتارا للمستعمرين فى البلاد التى احتلوها من أجل القضاء على أصحاب الأرض واقامة شريعة الغاب .

ويقول العلماء أن كل ما استند اليه داروين هو مجرد ظنون وافتراضات لايسندها واقع علمى أو تأكيد حسى فى أى عصر من العصور، منذ خلق الله الدنيا الى يومنا هذا ولم يشهد أحد بل لم يسمع بحادثة واحدة من حوادث التطور والارتقاء ولم يثبت قط أن عصفورا قد تحول الى ديك أو أن حمارا قد ارتقى الى حصان ، أو أن قردا قد تحول كما يزعمون الى انسان ، ولو حدث شىء من التطور لبعض الحيوانات فى أى عصر من العصور لظل مدى الدهر خبرا متواترا ، وحديث لأجيال متعاقبة . كما أعلن أن الاعتماد على الحفريات فى اثبات التطور والارتقاء لايجوز الاعتماد عليه لأنه ليس فى مقدور أحد أن يدعى أنه قد أكمل التنقيب فى جميع طبقات الأرض وتحت الجبال والبحار . كذلك فان عملية التطور التى شرحها داروين التى أخضعها لناموس الحياة مبنية على المصادفة أو العوامل الطبيعية وهى أمور باطلة بالأدلة الأكيدة والبراهين القاطعة .

أما بالنسبة للاسلام الحنيف كما يقول الدكتور حامد محمود اسماعيل فانه يرفض نظرية التطور جملة وتفصيلا : ذلك أن القرآن الكريم قد أوضح لنا كيف خلق الله الانسان الأول ومم كان خلقه ، وخلق ذريته من بعده ومم كانوا أو كيف كانوا « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون » هذا بالنسبة لخلق الانسان الأول وهو آدم عليه السلام أبو البشر أما عن خلق أبنائه من بعده فقد قال الله تعالى عنه « يا أيها

النـــاس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وقال جل شأنه « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر » .

وفى معرض الأطوار التى يمر بها خلق الانسان يقول الله تعالى :

« يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقـــة ثم من مضغة مخلقـــة وغير مخلقة لنبين لـــكم ونقر فى الأرحام مانشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم » هذه الآيات تبين أن الانسان خلق نوعا مستقلا وليس متطورا من نوع آخر من أنواع الحيوانات ، أيا كان هـــذا النوع ، وكيفما كان التشابه بينه وبين الانسان فى بعض الخصائص وبعض الأوضاع الجسيمة ، فلو كان خلق الانسان بطريق الارتقاء والتطور لكان ما أخبر به القرآن عن خلقة لا يطابق الحقيقـــة ولا يتفق مع الواقع . وهـــذا أمر باطل من أساسه . ثم ان نظرية دارون تفترض أن الانسان ليس الا طورا من أطوار الترقى الحيوانية وتفترض كذلك أن الحيوان يحمل خصـــائص التطور الى مرتبـــة الانسان والواقع المشهود يكذب هذا الفرض لتفسير الصلة بين الحيوان والانسان، ويقرر أن الحيوان لا يحمل هذه الخصائص بل يقف دائما عند حدود جنسه الحيوانى لا يتعداه ، ويبقى النوع الانسانى متميزا يحمل خصائص معينـــة تجعل منه انسانا . هـــذه الخصائص ليست نتيجة تطور آلى أو انتخاب طبيعى بل هى مقصودة ليخرج على الصورة التى كرمه الله بها وفضله على سائر مخلوقاته .

ودارون ونظريته انما ينفى تلك النفحة الالهية عن الانسان ومنجهة أخرى فان مسألة خلق الانسان الأول من الأمور الغيبية التى لا يتنـــاولها الحس ولا التجربة ولا المشاهـــدة ، كما أنه ليست هنـــاك مقدمات عقلية تهدى العقل الى معرفة واقعها ، وانما سبيلنا الى العلم بها هو اخبـــار الوحى الالهى الذى يرتقى فوق الشكوك والشبهات وقـــد نص القـــرآن الـــكريم أن يكون مبدأ الخلق علمة مما يعلمه الانسان بنفسه أو بما منح من قوى الادراك والتفكير قال تعالى : « ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا » .

من أجل هذا فان الاسلام يرفض هـذه النظرية التى أبطلها الواقع وكذبها العلم وفنـدها العلماء ، ومما يذكر أن هذه النظرية لم تنتشر الا كسلاح شهره بعض علماء الطبيعة فى وجه الـكنيسة التى ظلت تحارب العلم وتحد من حرية البحث والفكر ، كما أنها تستخدم من قبل أعـداء الاسلام كسلاح آخر لزعزعة عقائد الشباب وصرفهم عن الايمان بحقـائق الاسلام مع أن الاسـلام دين علم ومعرفة وتوحيد ، ومن هنـا كانت هذه النظرية وغيرها عاملا من عوامل الالحاد فقيد أدت الى أن أصبح الشباب يتشككون فى بعض حقـائق الدين واستهوى بعضهم القول بأن الانسان وليد المصادفة البحتة ومن ثم وجد الالحاد .

وعلى المسلم أن يكون فى حذر من مثل هذه الأباطيل التى يكمن وراءها القول بأن الانسان خلق عن طريق المصادفة أو أن الحياة نشأت عن المادة ذاتيا أو أن تولد الأحيـاء جاء عن الطبيعة وكل هذا كفر صريح .

« ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا » .

## ( ٤٣ )

## شبهات حول الجهاد

أثار الاستشراق والتغريب شبهات كثيرة حول الجهاد الذى هو شرعة الله الماضية الى يوم القيامة بهدف دحض هذه الفريضة الأساسية .

والجهاد — لا الحرب بالمفهوم الاسلامى هو قتـال فى سبيل الله وحده واقامة حكم الله فى الأرض وتحرير الانسان من عبودية الانسـان والأهواء ودفاع عن المحرمات والمقدسات وتحقيق السلام العادل والجهاد هو ذروة سنام الاسلام وهو بالمفهوم الاسلامى العام : وضع قدرات المسلم ونشاطه وتعامله وجهوده فى سبيل الله تهذيبا ودعوة وعلما وانفاقا وقتالا وبناء حضارة فاذا هو جماع حياة المسلم مع الاسلام .

قد عرض المستشرقون للجهاد فى صورة قاتمة بهدف افراغ الانسان الغربى وتطويره على أنه زحف همجى ، أو أن الاسلام يغفل آداب المجتمعات قبل القتال وأثنـائه وبعده ، وأكثر المستشرقين يعرض الجهاد على أنه

سيف الاسلام المصلت الذى لم ينتشر الا به ، وأن الاسلام لم يتمكن من اجتياح العالم بالسرعة الخاطفة الا بالعنف والقسوة .

ويقول ماكدونالد : ان الجهاد هو نشر الاسلام بالسيف وقد حرصت تشويهات الكنيسة وشبهات المبشرين المغرضين على اذكاء روح العداء فى عوام الناس ومثقفيهم .

وقد درج المستشرقون على تصوير فتوحات المسلمين على أنها أعمال عدائية وقتالية أجبرت المواطنين على الاستسلام للاسلام والدخول فيه .

كما وصفوا معاملة الأسرى بأنها معاملة غير انسانية ، وعبر المستشرقون عن كلمة الجهاد بالحرب المقدسة فأصبحت عندهم عبارة عن شراسة الطبع والخلق والهمجية .

## ( ٤٤ )

## شبهات حول التوراة

كشفت الدراسات العلمية الدقيقة فساد نسبة « الكتاب المقدس » أو العهد القديم كما يسمونه الى أنه الكتاب الذى أنزل الى موسى عليه السلام وهو التوراة .

وقد تبين أنها من كتابة اليهود ابان السبى البابلى ، وانها حملت معها أحقاد اليهود على العالم وتصورهم بأنهم شعب الله المختار ، وقد تجمعت أدلة كثيرة على تحريف التوراة وبطلان مزاعم اليهود منها :

أولا : وصف الله تبارك وتعالى بأنه قد تعب من خلق السموات والأرض ولذلك احتاج الى يوم راحة وقد دحض القرآن الكريم هذا الزعم بقوله « لا تأخذه سنة ولا نوم » وقوله « وما مسنا من لغوب » .

ثانيا : ظاهرة عدم العدل التى اعتبرها اليهود قاعدة التعامل مع أنفسهم ومع الغير « للاجئين تقرض بربا ولكن لأخيك لاتقرض بربا »

ثالثا : ظاهرة الاستعلاء بالجنس على العالم ، ودين الله الحق لايقر

الاستعلاء بالجنس فالناس كلهم سواسية وجعل الأفضلية للعمل الصالح « وكذلك جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

رابعا : فساد صورة الأنبياء فى العهد القديم ، فقد رماهم بأشنع القبائح وأفظع الجرائم ( شرب الخمر والقتل والزنا والغش والاحتيال والانسياق وراء الشهوات ) وما نسبته من أكاذيب الى نوح ولوط ويعقوب وداود وسليمان .

ومنذ أصدر الدكتور ريتشارد منجستون عام ١٦٧٨ كتابه عن التاريخ النقدى للعهد القديم ونفى فيه نفيا قاطعا نسبة أسفار الشريعة الى موسى عليه السلام مؤكدا أنها مجموعة من مدونات مختلفة الأصول عكفت أجيال متعاقبة من الأحبار على اعادة تسجيلها باجتهاد وهوى ، تحويرا وحذفا واضافة ، حتى يتوفر لها آخر الأمر ( عزرا ) ومريدوه خلال القرن الرابع قبل الميلاد فتستقر على الوجه الذى تطالعنا به اليوم . منذ بدأ هذا البحث وقد نشأ تيار علمى صحيح يقف على رأسه الدكتور بوكاى اليوم يكشف زيف هذا الكتاب ، ومنذ ذلك الوقت تابع هذا وأيده علماء آخرون منهم أوربيل اكوستا وباروخ سينوزا وغيرهم .

ويرجح الخبراء أن أسفار التوراة تعود الى توليفات مستقاة من أربعة مصادر رئيسية على الأقل غير عديد من روافد فرعية . وربما عاد بعضها الى مأثورات لم تكن تمت الى بنى اسرائيل أو بنى يهوذا بأصول، الا أنها بمرور الزمن كانت شائعة بين شعوب المنطقة جميعا ، ويقول حسين ذو الفقار صدى أن التوراة أسقطت عمدا أربعة قرون من التاريخ. ويقول ان هناك فجوة بين قصص الآباء الأولين امتدت أربعمائة وثلاثين عاما ، فقصص الآباء تسجل بدقة تفصيلا بينما نجد أنه قد نسخ من ذاكرة القوم جميع مايتعلق بفترة ربما كانت أعصب فترات حياتهم القومية لو أننا بصدد أمة كان لها بالفعل كيان من قومية متصلة . ويقول ان هناك قصدا معينا وراء طمس معالم تلك القرون الأربعة تسترا على أحداث كان لها دلالتها أو فجوة تفصل فصلا قاطعا بين أزمة غابرة وبين واقع فعلى هو الميلاد الحق لاركان من عقيدة توحيدية حين اصطفى موسى شعبه من بين

مستضعفين ومن لاذ بهم من متـــذمرين فخـــرج بهـــم من أرض مصر الى صحراء التيـــه .

وقال : ان رهط موسى هم أول من يطلق عليهم بنى اسرائيل ، وتجد فى سفر الخروج أنه يتحاشى فى نصوصه ذكر كلمة عبرانيين وهى التى كانت علما على القوم طيلة سفر التكوين بينما قصر اسم اسرائيـــل على شخص معين هو يعقوب ولم ينسحب قط على أى من أقوام » .

وهذا الذى يقوله حسين ذو الفقار صـــدى وارد فى جميع الأبحاث التى صدرت فى السنوات الأخيرة لتكشف زيف هـــذا الــكتاب ودعواه العريضة الباطلة .

## ( ٤٥ )

## شبهات حول مفهوم الانسان

الانسان عقل وجسد وروح : ليس روحا فقط كما صـــورته بعض الفلسفات الغنوصين الشرقية ، وليس عقلا فقط كما صوره الفكر اليونانى القديم وبعض الفلسفات الحديثة وليس جسدا كما اعتبرته دولة الرومان وأسبارطه بوجه الخصوص فركزت على ابراز مفاتنـــه والتمتع بجمـــاله وعضلاته لينازل الوحوش المختلفة .

فالانسان جمـــاع ذلك ( عقل وجسد وروح ) وان أى تجاهل لأى من هذه يبعد الباحث عن التصور الصحيح وقد خلق الله تبـــارك وتعـــالى الانسان وأعلن مولده بنفسه ( انى خالق بشرا ) وقلده أمر الاستخلاف فى الأرض واسجد له ملاكته وعلمه الأسماء كلها وهداه الى الطريق المستقيم ، ووضح له طريق الخير والشر ( وهديناه النجدين ) ومنحه حرية الاختيار وأعطاه الارادة ليفرق بين الحق والباطل والفجور والتقوى وزوده بالادراك ووسائله ( وجعل لـــكم السمع والأبصار والأفئدة ) .

وهو بهذا قد خرج من طين الأرض فهـــو من صنع الله وهو ليس خلاصة التربة الأرضية كما تقول الداورنية ولـــكنه قبضة من طين الأرض ونفحة من روح الله فالانســـان فى الدارونيـــة مبتوت الصلة بالسماء ،

والانسان فى منهج الاسلام مستخلف فى الأرض ودنياه طريق الى آخرته ( وان الى ربك المنتهى )وتختلف عن فرويد صاحب الشواذ والذى قرر أن الطاقة الجنسية هى المحرك والموجه للانسان . ان منهج الاسلام لايهمل الطاقة الجنسية فى حياة الانسان ولكن لا يعطيها أكثر مما تستحق وهى وسيلة وليست غاية ، الجنس فى منهج الاسلام وسيلة لاستمرار النوع .

( اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ) والجنس وسيلة للسكن والراحة والمودة والرحمة .

( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ) .

والجنس دافع ولكنه ليس كل الدوافع .

ويختلف الانسان فى الاسلام عن التفكير السيكولوجى الذى حصر الانسان فى شعور التفوق كما قرر أدلر أو شعور النقص كما قرر يونج . فليس هذا هو الانسان على أى حال ولكنها جزئية من جزئياته فقط . والانسان ليس هو المدرسة التجريبية ولا من شأنها أن نضعه على المشرحة لأن أدواتها داخل المعمل تعجز عن استيعاب تكوينه .

وليس هو حيوان المدرسة السيكولوجية التى تفسر على أنه مجموعة من العادات لردود الفعل المنعكسة لأن هذا ينطبق على الحيوان .

وليس كما تخيله ماركس وانجلز صاحب التفسير المادى للتاريخ : يفسر الانسان من الخارج وحصر تاريخ البشرية فى البحث عن الطعام .

وليس كما صورته الوجودية أو الشيوعية ، ليس هو الانسان الذى ترتبط حياته بالقهر الاجتماعى الذى لايراعى مشاعره كما قرر دوركايم .

الانسان فى منهج الاسلام كما قال تعالى ( ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك ) ( عبد الرحمن عميرة )

ارادة الله تبارك وتعالى خالق الكون هى التى جعلت للانسان

فعالية معينة في هذه الأرض ولذلك فان من أكبر أخطاء تفسير التاريخ انكار مشيئة الله أو اثباتها مع انكار فعالية الانسان .

ولفهم ذلك علينا أن نعرف أن الله تبارك وتعالى خلق هذا الكون فأودع فيه سننا تعمل عملها ، فكل مافى الكون هو تحت سيطرته وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وشاء الله أن يتمتع الانسان بخيرات هذا الكون ويحالفه النجاح اذا أحسن استعمال هذه السنن بعد التعرف عليها واكتشافها ويصيبه الفشل اذا لم يحسن استعمالها أو التعرف عليها . ومع ذلك فطاقة الانسان محدودة وهناك أمور لا خيار فيها وتخرج عن طاقته وكل مايستطيع أن يفعله هو أن يتبع أساليب الوقاية منها لا منع وقوعها ، كالزلازل والبراكين والأمراض والموت والليل والنهار والفصول . وهناك أمور أودع فيها للانسان ميزة الاختيار فى حياته وباستعمال حواسه لاختيار الهداية أو الضلال والاستماع الى الحق أو الاستماع الى الفسق والفجور والانحياز الى معسكر الفئة المؤمنة أو المروق الى معسكر الفئة الكافرة وذلك باستعمال أسباب الفلاح أو أسباب الخسران .

قال تعالى « يضل من يشاء ويهدى من يشاء » .

ومشيئة الله هى المشيئة الموافقه لعدله والله لا يهدى القوم الظالمين ومع ذلك فما نسميه أسبابا لاتقيد ارادة الله فالارادة الالهية حرة تعمل حرة طليقة فيستطيع خرق هذه السنن وحصول نتائجها من دون حدوث أسبابها المقدرة لها ، كما يحدث العكس ، فقد لاتحدث النتائج بالرغم من حدوث أسبابها فالله هو الذى خلق هذه السنن وهو القادر على تعطيل مفعولها . ( قيس القرطاس )

( ٤٦ )

## شبهات حول المنهج الغربى والاسلامى

ان المنهج العلمى الغربى يقوم على الهوى والاستعلاء ولا يصلح المنهج العلمى الا اذا قام على ضبط النفس والاخاء البشرى .

وقد واجهت المناهج والايدلوجيات الفرعية هزائم متوالية فى التطبيق لأنها عارضت الفطرة وطابقت الأهواء ولأنها لبشريتها لم تتمكن من متابعة تحولات الزمن والبيئات . ان أخطر حقائق المنهج العربى هو النظرة الجزئية والانشطارية ولا ريب أن انطلاق المسلمين على كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية لا يمكن أن يتم بدون الارتكاز على قاعدة أساسية تكون المصدر والمنطلق ونقطة البدء ونقطة النهاية . الواقع أن هذه القاعدة ليست سوى المنهج الأصيل الذى قدمه الاسلام لبناء المجتمع، وعلى هذه القاعدة تقوم الثقافة ويقوم النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى والتربوى .

لقد وصل الفكر البشرى الى حد التحدى لرسالة السماء ودين الله حين أعطى الانسان لنفسه حق التشريع وتحويل أهوائه ومطامعه الى منهج فاسد .

ان الفكر الغربى الآن محاصر بنظريات ثلاث : هى النظرية المادية والدوافع الاقتصادية والدوافع الجنسية ، وأهواء الوجودية ، وكلها تحتقر الانسان احتقارا شديدا ، وهناك الجبرية التى تريد أن تخلى الانسان من المسئولية الفردية وتلقى تلك المسئولية على المجتمعات وتلقى هذه النظريات على المجتمعات الغربية طوابع مختلفة : طوابع المتعة الحسية: طوابع العنف والقسوة ، طوابع الحقد والبغض ، الاهتمام بالكم وتضحية النوع والتكيف .

وقد ثبت أن التجربة الغربية والتجربة الشيوعية مرفوضتان فى أفق المجتمع الاسلامى وان التجربتين كانتا لمجتمع تختلف عن مجتمعنا وان الماركسية ماهى الا جزءا من نظام غربى ، وانها رد فعل لواقع الرأسمالية التى عجزت عن اقامة مجتمع سليم ، ولا ريب أن الرأسمالية والماركسية كليهما من منبع واحد ، من حيث سيطرة مفهوم الربا ومن حيث التفسير المادى للتاريخ .

ان أبرز مظاهر النظريات البشرية هو التصدع السريع حيث يعتريها الفساد بمرور الزمن فيصبح فى حاجة الى التعديل بالحذف والاضافة وهنا يظهر الفرق الواضح والعميق بين منهج القرآن الثابت الفطرى

الربانى المصــــدر الانسانى الطابع وبين منــــاهج الفكر البشرى حيث نرى نظريات ترضى التطلعات والغرائز .

ولقــد استغلت القوى النــازية هــذا الاضــطراب حيث يقــول البروتوكولات : لــكى نطمئن الى الرأى العــام يجب بادىء ذى بدء أن نربكه تماما ، فنسمعه من كل جانب وبشتى الوسائل آراء متناقضة لدرجة تضل معها الطرق ، فيدركون حينئــذ أن أقوم سبيل لهم الا يكون لهم رأى.

ان الهــدف هو القضاء على وحدة الفكر الجامع التى أقامها القرآن فى الأمة الاسلامية وخلق الصراع الفكرى حيث نجــد ذلك الغزو المتتابع الذى لاتثبت معه أى قيمــة أو فــكرة ، والذى ينقل الانسان الحــديث من نظرية الى نظرية ومن وضع الى وضع ، وأخطر من ذلك أن كل نظرية تقدم للانسان الحــديث لا تلبث أن تواجــه بنظرية مضادة ، ومن هنا يجرى الجــدل والحوار حولها ثم ينشأ الفراغ النفسى والاجتمــاعى فى الولاء حول احداها ومعارضة الأخرى فاذا اســتغلت نظرية قريبــة من الفطرة الانسانية سحقت بقوة وظل الاعلاء والانتشار للنظرية المنحرفــة وأعلى شأن فرويد ودوركايم وماركس فى نظر معارضيه .

وقد تحمل النظرية على غير محاملها وتنقل الى أجواء وأوضــاع لم يكن يقصدها صــاحبها ، كما نقلت نظرية دارون من كونها نظرية بيولوجية الى نظرية اجتماعية كاملة . فاذا جرت محــاولة للتوفيــق بين النظريات المتصارعة على طريق البحث عن الفطرة والأصالة رمى صاحبها بالتلفيق والقسر ، رغبة فى أن يظل الصراع قائما .

وتكون نتيجة صراع النظريات المختلفة فى مجالات الفكر والتــاريخ والاجتماع أن تؤدى الى خلق روح اللامبالاة والعزلة والانفصال فتتعمق روح الشك والسخرية واحتقار القيم .

ويقع الصراع فى المجتمعات بقــدر الاجابات المختلفة عن ســؤال واحد أو المواقف المتعددة ازاء قضية واحدة .

وميزة الاسلام أنه صــنع وحــدة الفكر الأساسية التى تحول دون

الصراع الفكرى وليس للانسان أن يضع مفهوما ويحمل الناس عليه ولكن على الانسان أن يتبنى مفهوم الاسلام نفسه .

ثبت أن البضاعة الفكرية والثقافة التى قدمها الغرب بشقيه الى الأمة الاسلامية ليست مجردة من الأهواء والتخطيط المرسوم للتغلب على خيرات البلاد التى يتوفر فيها مصادر الطاقات دون أن يقابل ذلك تقدم صناعى تكنولوجى وأنها حافلة بالمعضلات والقلق والتناقض فى كل مذاهبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وأنها فوق كل ذلك تدعو للسلام باللفظ وتلوح بالحرب بالأيدي والسواعد وبريق العيون والأسنان وتريد من العالم المتخلف أن يستجدى اذنها فى كل خططه فى التقدم وأن يتقبل الوصاية الجشعة وهو مسلم بالأمر الواقع والقوة وكل ذلك مسلم به فى القانون الدولى الذى فرضت أعرافه على الشعوب الجديدة كشرط أساسى فى دخول العائلة الدولية يوم كان الغرب المسيحى متفوقا متقدما يصرف شئون الشعوب المختلفة فى أفريقيا والهند .

وعلينا أن ندرك أن الفكر الأوربى فى السياسة والفلسفة والاقتصاد بعد أن كتبت له الغلبة والانتشار وبهر أنظار الشعوب الأخرى فى كل من آسيا وأفريقيا عجز عن الاحتفاظ بوميضه وبريقه الخلاب حين تبين للشعوب الأسيوية والأفريقية ان مايفد اليها من الغرب الأوربى والأمريكى من فلسفات وأفكار ساسية واقتصاد وفلسفة لايمكن تقبله والانتفاع به واستيراده دون تحفظ كما تستورد السيارات والعدد والماكينات .

لا اختلاف فى أن العلوم النظرية والعملية تراث انسانى قابل للنقل والتصدير والاستيراد ، أما الأفكار الفلسفية والسياسية والعقائدية فلها مجال آخر لأن هذه الأفكار تتأثر بالذات القومى والتاريخى لكل أمة وبالعقائد والمثل الدينية والتاريخية والأخلاق السائدة لقد كانت رسالة الاسلام أعمق حركة من حركات التحرر والتجديد لأنها بادرت منذ اللحظة الأولى الى تحرير الانسان من ربقة الوثنية والثنوية ، والطاغوت وكل سلطان مارسته العقائد البدائية ، وأعلنت مساواة الأجناس البشرية

أمام العدل الالهى وأزالت ضروب التباعد بين الشعوب فلم تقو عروش كسرى وقيصر على صد تيـار التحرر الذى تدفق من جـزيرة العـرب وتحطمت الطبقـة الساسانية الفـارسية المغلقـة على صخرة المساواة وانجلى الاستبداد البيزنطى عن سواحل حوض البحر الأبيض المتوسط .

ثم داهمت أوربا العالم الاسلامى باسم الصليب وتحالفت مع الموجـة المغولية الشرسة القـازية لتقويض العـالم الاسلامى ، فتقوضت الدولة الإسلامية وأصبح العالم بحاجة الى من يدعوه للعدل على أوسع نطاق .

ولـما كانت رسالة المسلمين عالمية الأهـداف أعلنها الاسلام عقيدة ونطقت بها العربية لغة وتقبلتها الشعوب التى اعتنقت الاسلام وانضوت تحت لواء الأخوة الاسلامية ولـكننا نسينا تراثنا حقبة طويلة من الزمن . ووقفنـا مبهورين أمام التقـدم الغربى الالحادى المـادى فخيل الينا أن كل تقدم رهن بتقـدم الغرب وجهلنـا أن الحضارة والتقـدم تغـيرات وتحولات متقلبة وأن جوهر تراثنا الاسلامى هو فى التعـامل الحضارى والتبـادل مع جميع أنواع الحضـارات والعقائد والفلسفات والأخذ منها والعطاء اليها نستقبل منها مايفـد الينـا لنمحصه ونعرضه على معـايير النقد والعقل ونصدره تراثا انسانيا جديدا .

( صلاح النـاهى )

## المنهج العلمى الاسلامى

رسم علماء الحـديث أصول المنهج العلمى الاسلامى : فالبحث فى الحديث يقوم على اساسين :

( أولا ) النظر فى السند من ناحية اتصاله أو انقطاعه ويقوم على سلامة الرجال من الطعون واتصال السند ان يسلم سلسلة الحديث من سقوط راو فى أثنائه وذلك بأن يكون كل واحد من سلسلة السند قد روى الحديث عن شيخه .

( ثانيا ) النظر فى المتن . وقد تميز بطريقة التبويب على الموضوعات: البخارى ومسلم والترمزى كما تميز بطريقة المسند ولـكل إمام مسنده : أحمد بن حنبل وعثمان بن أبى شيبه .

وصحيح مسلم يفضل صحيح البخارى لجودة الترتيب وسهولة التناول بالاضافة الى أنه اقتصر فى كتابه على ذلك الحديث المرفوع الى النبى ولم يمزجه بغيره من الأحاديث الموقوفة على الصحابة والتابعين كما صنع البخارى .

والبخاري يفضل بأنه من حيث الثقة برواته أقوى من الثقة برواة مسلم واشتراطه فى الراوى للحديث لقاءه بمن روى عنه ولو مرة واحدة

أما مسلم فقد اكتفى بمعاصرة الراوى لمن يروى عنه وان لم يلقه وقد اتفق على أنه ينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل لبدعة فلا يؤخذ حديثهم ، وقام علماء الجرح والتعديل ببيان قال الرواة من حيث الضبط والعدالة والاتفاق فمن عدلوه قبلت روايته ومن جرحوه ردت روايته وكان التاريخ خير سلاح يتسلح به العلماء تجاه الكذابين .

ولقد عنى المحدثون بالنقد الداخلى للحديث كعنايتهم بالنقد الخارجى أما ماذكره المستشرقون أمثال جولد زيهر ومن تبعهم أمثال أحمد أمين فى ضحى الاسلام من أن العناية اقتصرت على النقد الخارجى فهو كلام لا يقصد به الا مجرد التشكيك فى جهودهم العلمية فهذا من الصلاح فى كتابه ( علم الحديث ) يقول :

وقد يفهمون الوضع من قرينة حال الراوى والمروى فقد وضعت أحاديث طويلة تشهد بوضعها بركاكة ألفاظها ومعانيها ويمكنا القول أن نقد المتن كان أول علوم الحديث وجودا وذلك يعرض المرويات على نصوص وقواعد الدين .

وقال ابن الصلاح ان معرفة علل الحديث هى من أجل علوم الحديث وأرفعها وأشرفها وانما يضطلع بذلك أهل الحفظ والفهم الثاقب .

ويمكن اجمال موقف الفكر الاسلامى مما يلى :

أولا : لا يعترف الاسلام بأى نظرية عن تطور الأديان وينكر انكارا باتا النظرية القائلة بأن البشرية مرت بثلاثة أدوار بالنسبة للتسلسل الزمنى وهى دور الخرافة ودور التدين ثم دور العلم ، كما ينكر النظرية الأرسطوية الطوطمية ، عن نشوء الأديان التى تدعى أن الابن أراد الاعتداء جنسيا

على أمه فمنعه أبوه فقتله ثم ندم فنشأت المحرمات وأن فكرة الألوهية ابتدأت بعبادة الحجر ثم الحيوان ثم الانسان ثم الآلة ثم العلم ، وذلك أن القرآن يقرر أن الاسلام ابتدأ ببداية البشر وكانوا لايحيدون عن التوحيد ثم حدثت انحرافات بتقديس بعض الأشيا ثم نسوا بمرور الزمن أن هذه مجرد واسطة فعبدوها من دون الله وبما أن هذه الانحرافات قد حدثت فى عصور ممتدة سحيقة فلا دليل على مايقولون والحكم للقرآن وحده فى هذا المجال بحكم العقل والواقع لا بحكم الايمان وحده .

« تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للصابرين » . ( قيس القرطاس )

ثانيا : لا يقر الاسلام مفهوم الجبرية اللاهوتية التى تقول أن الانسان ليست له ارادة وانه مسير غير مخير فقد شاء الخالق تبارك وتعالى أن يكون الانسان قوة مريدة فعالة فى هذا الكون . وقد أعلن القرآن أقراره بأثر البشر وفعاليتهم : « ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس » وأن التعلل بمشيئة الله باطل ( وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شىء ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شىء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسول الا البلاغ المبين ) .

كذلك لا يؤمن الاسلام بالجبرية المادية التى تقول ان الانسان ليست له ارادة وانما الوسيلة المادية هى التى ترسم التطور الاقتصادى ثم الواقع الاجتماعى الذي يجب أن يعيش فى حياته فما ينحته الانسان من أصنام وتماثيل لا تتحكم فى حاته كما يزعم هذا التفسير :

« أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون »

صحيح أن الآلة تدل على مدى الرقى الذي قطعه الانسان فى الميدان المادى كما أنها تسهل له حياته بمشقة بسيطة وهذا هو أثر الآلة وما سواه مبالغة .

ثالثا : لا يؤمن الاسلام بفلسفة هيجل التطورية للتاريخ التى تقول بارتقاء الحضارات حضارة بعد حضارة وبعد أن ترتقى الحضارة الى أرقى مايمكن تظهر فى حضن الحضارة أفكار معادية لها وتشرع فى محاربة الأفكار القديمة وتكون نتيجة هذه المحاربة حصول الامتزاج بين بعض

العناصر القديمة وأخرى جديدة تكون موجودة من السابق ولكنها تقوى فى دور الاعتلال ، وأن الحضارة لا تزول الا بزوال الأسس التى قامت عليها أو بهزال الأسس التى تستند عليها .

رابعا : لا يقر الاسلام النظرية الفردية لتفسير التاريخ ولجعل التاريخ من رسم أفراد معدودين ولكن الاسلام لا ينكر أثر الأفراد كعامل من عوامل رسم التاريخ بما أودع فيه من قوة سواء في الطريق الصحيح أو الطريق الخاطىء .

فأثر فرعون وهو فرد لا ينكر : « ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين » وأثر ابراهيم لاينكر في انقاذ أمة من عبادة الأصنام وان وزنه يعادل وزنها بل يزنها : « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » .

كما لا يقر الاسلام النظرية الجبرية للمجتمع لأنه لاينكر أية نظرية تثبت الجبرية على الانسان وتعطل ارادته حث انه يؤكد مشيئته الانسان ومسئوليته عن أعماله ومع ذلك فانه لا ينكر أثر المجتمع فى سير التاريخ .

خامسا : لا يؤمن الاسلام بالنظرية الجغرافيةوالطبيعية المتطرفة التى تبالغ فى اعطاء الأثر للأنهار والجبال والتضاريس وانهـا هى التى تسير التاريخ . أما أن تكون هى احدى العوامل المؤثرة فهذا مالا شك فيه فى كثير من الأحيان . فانهزام نابليون فى زحفه على موسكو تدخل العامل الجغرافى بالمناخ كعامل من عوامل انهزامه وليس معنى ذلك أنه سبب الانهزام الوحيد ، فقد تدخلت عوامل أخرى منها عبقرية القائد الروسى الفردية . وأما انتصار المسلمين فى فتحهم للاندلس فقد ذاب فيه العامل الجغرافى أمام العقيدة .

## البهائيـــة

كشفت الدراسات الاستشراقية الروسية الحديثة الكثير من الحقائق حول قيـام الماسونية والبهائية حيث تحفظ المتاحف الوثائقيـة اليوم فى روسيا وثائق كثيرة تبين جهود الضباط الروس ورجال السفارة الروسية

فى طهران وتروى أدوارهم فى تأسيس الحركة البابية البهائيـــة والأموال والخبرة التخطيطية ، ودفع الأرمنى الروسى ( منوجهرخان ) الى اشهار اسلامه واستيطان نحلتـــه ليمكنه الاشراف المبـــاشر على الحركة البابيـــة ورعايتها وتكشف هـــذه الوثائق كما يقول الدكتور حسن بغدادى ان البابية والبهائية المتطورة عنها : ابتكارا روسيا أراد به القياصرة الروس منافسة المساعى الغربيـــة فى ديار الاسلام ، فاذا عرفنـــا أن المـــاسونية ابتكار يهودى صرف استفاد من امكانيات الانجليز والفرنسيين والألمـــان ، وان القادنية ابتكار انجليزى صرف استخدموه للقضاء على دعوة الجهاد الاسلامى الذى كان يمارسه علماء الهنـــد الابرار عرفنا الى أى حد يجرى التخطيط لاحتواء الاسلام والمسلمين .

وقد جاء تخطيط الروس فى انشاء الحركة البهائية نتيجـــة لطموح القياصرة للاستيلاء على البلاد العربية مهد الاسلام وتطويق الدولة العثمانية من الجنوب من بعـــد ما ضربوا الاســـلام ضربتهم الأولى فى بلاد القوقاز والتركستان وازبكستان واستولوا على عواصم الاسلام الـــكبرى هنـــاك ( بخارى — سمرقند — مرو ) وانهوا قصص المجد التى سطرتها .

وما البهائية والقادنية والماسونية فى هذا العصر الا حركات بديلة ووريثة للقرامطة واخوان الصفا والاسماعيلية والنصـــيرية ( مع تعـــدد الاسماء واختلاف الأزمان ) والهدف واحد ، كمـــا ســـخرت فلول الدولتين المجوسية والرومانية طوائف الهجيمة والقرامطه واخوان الصـــفا لتهـــديم الدولة العباسية فى العصر العباسى كمـــا استغل الصليبيون الاسماعيلية والنصيرية لمحاربة آل زنكى وصلاح الدين والتجسس عليهم . وقد أستغلت دول الغرب هـــذه الحركات الجديدة لهـــدم الخـــلافة الاسلامية والدولة العثمانيـــة .

وقد أنهت ثورة البلاشفة على روسيا هذه المخططات مما اتاح للانجليز فرصة وراثة القيصر فى رعاية الحركة البهائية منذ ذلك الحين وحتى اليوم وقد استعان البلاشفة ببعض من سايرهم من البهائيين وتدرجت حالهم الى اعتنـــاق الشيوعية . وبانتقال الوصاية على الحركة البهائية الى الانجليز فتحت صفحة جديدة من ازدهارها . وقد أوصلوا من دسوه من عملائهم الى مناصبهم القيادية . وجددت البهائية نشاطها فى ايران ونمت محافلهم

فى عكا وأنحاء فلسطين كجزء من تخطيط اليهود الروس لاستغلال هذه الحركة بواسطة القيصر للتمهيد للهجرة اليهودية الى فلسطين . وهكذا دخلت الماسونية والوكالة اليهودية هذه المحافل البهائية ضمن قواها العاملة فى فلسطين لانشاء الدولة اليهودية .

وقد وصلت طلائع التبشير البهائى الى العراق المجاورة لايران لتنتشر بها خلال القرن الماضى حيث ظهرت داعية البهائيين المسماة قرةالعين مستخدمة ذلك الاغراء الانثوى وتقديم جسدها بأساليب شيطانية لجر الشباب الى الطائفة .

كما أن الحكومة البريطانية حملت الملك فيصل للتدخل لابطال حكم قضائى صادر ضد الطائفة البهائية فى دعواها ملكية مبنى محفلها فى بغداد .

وقد شاع خبر التعاون العميق بين المحافل البهائية فى عكا ودولة اسرائيل بعد انشائها حيث نهج اليهود بدور البهائية المساعد فى تمكينهم من انشاء دولتهم ، ودور نداء الميرزا حسين رأس الحركة البهائية وابنه عبد البهاء ليهود العالم بالتجمع فى فلسطين خلال القرن التاسع عشر .

وقد بدلوا بعد ذلك خططهم وابتكروا للماسونية نوادى الروتارى والليونز تمويها وخداعا للسذج ، وابتكروا للبهائية أسماء جديدة تحت اسم الجهاد المقدس .

هذا التبديل فى الأسماء والأساليب هو ثمرة مباحثات المؤتمر البهائى العالمى المنعقد برعاية الانجليز فى لندن ١٩٦٣ .

وفى مارس ١٩٧٢ هدم المحفل البهائى فى مصر واعتقل أكثر من مائة بهائى مصرى من الرجال والنساء وضبطت بحوزتهم خطابات خطيرة تدعو الى نبذ الشريعة الاسلامية وقد اتخذوا من طنطا مركزا عاما وكانت لهم مناصب ولا يخفى أن امرأة بهائية عريقة فى زيفها من أصل عراقى كانت تخدم المصالح البهائية من خلال سلطة زوجها الواسعة وقد ذكر كراتشوفسكى فى كتابه عن المخطوطات الدينية خبر لقائه ١٩٠٨ ببهائى يعمل نساخا بدار الكتب بمصر ذكر له بعض أخبارهم اطمئنانا له لكونه من روسيا راعية البهائية اذ ذاك .

## الفرعونيـــــة

قال أرنولد توينبى : عبثا بحثت عن الحضارة الفرعونية فى كيان مصر الحديثة وأعلن أن الحضارة الفرعونية قد ماتت من قـــديم ، وهذه حقيقة يجب أن تكون موضع نظر الخادعين والمخــدوعين على السواء ، فليست الفرعونية الا تلك التماثيل المــكدسة فى المتـــاحف أو المعلقة على سفوح الجبـــال ، أما فى الوادى فقـــد انقرضت كما يقول دكتور جمال حمدان كما انقرضت من قبل تماسيح النيل فى النهـــر ، وان انتقـــال مصر الى الاسلام بعـــد أن مرت بها الدعوة الابراهيمية الحنيفية ودين موسى ودين عيسى ليعطى الصورة النهائيـــة لحضارة كونها الاســـلام ولثقافة بنـــاها القرآن واللغـــة العربية ويمثل وضعها هـــذا انقطاعا طبيعيا لا سبيل الى استفادته مع العصـــور الحديثـــة والديانات القـــديمة ولم تـــكن العروبة والعربية حديثة على مصر بدخول الاسلام بل كانت موجات متوالية خرجت من الجزيرة العربيـــة قبل آلاف السنين ووسدت هـــذه المنطقة وأعدتهـــا للنقلة الى المرحلة الأخيرة .

## ( ٤٧ )

## التفسير المادى للتاريخ (١)

يحاول التفسير المادى الاقتصادى للتـــاريخ أن يصور للنـــاس أن الارتقاء المدنى يسير الى جنب الارتقاء فى الوسائل المادية ، بينما التاريخ بين لنـــا خلاف هـــذا الأمر فى بعض الأحيـــان بل فى كثير منها . فان تعلم الوسائل المـــادية والمعلومات العلمية تسير على خط غير الذى تسير عليه المبادىء فى ارتقائها المزعوم .

ومصـــداقا لذلك نرى المبـــادىء البشرية تنتكس انتكاسات فظيعـــة وبعضها ينـــادى بالهمجية الأولى وسبب الانتكاسات الفظيعة فى المبادىء البشرية لأن الجماعة الأولى التى تمثل المبـــدأ البشرى الأولى عندما تعلن الحرب على الجماعة الثانية التى تمثل المبـــدأ البشرى الثانى تشوه كافة أفـــكار المبدأ للجماعة الثانية بينما تستفيد من الوسائل المادية والمعلومات

العلمية ، بل قد تستعمل نفس الوسائل اذا حصلت محلها فى حربها مع الجماعة الأخرى .

ليس من مهمة الانسان أن يقوم بوضع المبادىء والنظم حتى لا يحطم البشرية خصوصا وأنه لم يخلق لهذا الأمر ، ولكن من المفروض أن تظل مبادئه فى مستواها على الأقل ان لم تتقدم قليلاً بل الأصح أن تتقدم ولو قليلا جدا وتستمر فى تصحيح أخطائها كلما واتتها الفرصة . وهذا السبب فى ارتقاء الوسائل المادية ارتقاء كبيرا بينما تنتكس المبادىء والنظم بينما تسير الوسائل المادية فى خط مائل ارتقائى تسير المبادىء فى خط منحنى ترتقى ارتقاء بسيطا على شكل منحى ثم تتكس انتكاسة فظيعة، صحيح أن بعض الحالات تصادف فيها الوسائل المادية انتكاسات مع تهديم ولكنها على كل حال فترات بسيطة بل حتى عملية التهديم بسيطة ، ولا تنال من كافة الوسائل كما تنال فى المبدأ بكامله .

( ٤٨ )

## أهل السنة والجماعة

( ٧ )

ان مذهبنا هو مذهب أهل السنة والجماعة وليس مذهب الفلاسفة أو الباطنة أو المعتزلة الغلاة أو التصوف الفلسفى ، ولقد كان من عظمة الاسلام وكماله أن جمع بين العقل الذى عرفه المعتزلة ، والقلب الذى عرفه الصوفية ، واذا أردنا أن نتخذ نموذجا لنا فان هذا النموذج موجود فى انسان واحد هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو التطبيق العملى للاسلام : القرآن هو المنهاج ، هو القانون والرسول هو النموذج ، هو التطبيق « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » .

فاذا ماعدوناه فالكل بشر وفى درجة واحدة ، ونحن نؤمن بتتابع الصحابة حسبما جاءوا أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، لانفضل أحدا على أحد فكلهم له عمله ودرجته وسابقته فى الاسلام ومفهومنا الاسلامى واضح صريح ، وهو أن الاسلام لم يورثه الرسول صلى الله عليه وسلم أحدا من آل بيته ، وانما قدمه للمسلمين جميعا ولم يكتم شيئا عن الناس منه

لو اختص به أحدا ، وانما قدم الإسلام للناس جميعا فليس لفئة ما من المسلمين ميزة خاصة ولا شريعة خاصة ولا نظام خاص .

ولم يجعل الرسول لأهل بيته من الأمر شيئا يزيد عما ما للمسلين عامة وقال قولته المشهورة : يا عباس ، يا على ، يا فاطمة : اعملوا فانى لن أغنى عنكم من الله شيئا . وقال لأسامه حين توسط فى رفع الحد عن المخزومية : أتشفع فى حد من حدود الله ، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ، فلا امتياز لأحد لقرابته لرسول الله ومفهومه أن القرابة قربة هى أبو بكر وقرابة هى على ، ولقد قال الله تبارك وتعالى لنوح عن ابنه الذى خرج عن مفهوم الايمان : انه ليس من أهلك فالصلة فى الاسلام بالعمل وليست بالنسب ، ولقد أدخل المسلمون مفهوم التشيع داخل فكرهم فأحبوا أهل البيت حبا صحيحا ولكنهم احتفظوا بمفهومهم الكامل بأن الله هو خالق كل شىء وان الرسول بشر يوحى اليه ( قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى ) والمسلمون بعد ذلك متساوون ليس لأحدهم امتياز وليس فى الاسلام ارتفاع للقلب عن العقل أو العقل عن القلب وكل الذى قالوا بذلك بعدوا عن فهم توازن الاسلام وتكامله ومن هنا فنحن ندرس الفلسفة ولكن الفكر الفلسفى ليس هو الفكر الاسلامى وانما الفكر الاسلامى قرآنى المصدر ، ونحن نحب الرسول ونحب أهل البيت ولكننا نحرك دائما داخل اطار التوحيد الخالص للحق تبارك وتعالى لا شريك له . ونحن نكبر العقل ونراه مصدر التكليف ولكن لانؤمن بأنه قادر على أن يفصل فى كل الأمور فهناك الوحى هو هادى القلب وهو الضوء الكاشف أمامه ولا ريب أن هناك نظريات من غير مفهوم الاسلام القائم على القرآن تلمع وتعجب ذوى النظر القاصر ولكنها ليست من الأصالة بل هى من هوى النفس .

٢ — أن أخطر مايعتمد عليه الاستشراق والتغريب فى دراسة الاسلام أو الكتابة عنه ثلاثة مصادر :

أولا : الفكر الباطنى الذى كتبه اخوان الصفا والرازى الطبيعى .

ثانيا — الفكر الفليسفى الذى كتبه ابن سينا والكندى والفارابى وابن مسكويه فقد تعلم ابن سينا على أيدى الاسماعيلية وابن مسكويه اتصل

بابن العميد ثم بعـلاء الدولة الديلمى وكذلك ماكتبه أبو البركات البغدادى صاحب كتباب المعتبر فى الحكمة وهو يهودي اعتنق الاسلام توفي ٥٦٠هـ .

ثالثا : الفكر التصوفى الفلسفى الذى كتبه أمثال البسطامى والحكيم الترمذى والحلاج والسرروردى فى فلسفة الاشراق .

والمعروف أن فلسفة الفارابى فى تفسير النبوة تقوم على أساس مفاهيم الباطنية وقد استقى الفارابى والباطنيـة النظرية من مصدر واحد هو جمهورية أفلاطون وفلسفة ارسطو .

وأخطر ماهنـاك الفرق الغالية من الشيعة الذين لايؤمنون بالقرآن الذى بين أيدينـا وتبدأ الشبهات من قولهم الباطل بأن لآيات الله ظـاهرا وباطنـا وان هـذا العلم الباطن لايعلمه الا أئمة الشيعة القائمون منهم والغائبون وانهم المهيمنون على التأويل ، وكذلك القول بأن القرآن كتاب له ظاهر وباطن فهو كتاب مستور ومحجوب عن الجمهور وبينما كتب السنة تورد الرأى وضده ، وحجج كل فريق فان فى كتب الشيعة أصولا لا تقبل المناقشة لأنها مستورة وباطنه وخاصة مبدأى العصمة والرجعة .

٣ — هناك حقيقتان أساسيتان هما :

أولا : ان دعاة السلفية يعيشون الآن موقف الانفصال من دعاة التربية الروحية مع أن كليهما مكمل للآخر فان دعاة التوحيد ينقصهم تكامل الاسلام شريعة وخلقـا ودعاة التصوف ينقصهم تكامل الاسلام توحيدا وشريعـة ان المفهوم الجامع عقيـدة وشريعة وخلقا لم يعرفه الا الاسلام ، ولذلك فلابد من ان يتسلف الصوفية ويتصوف السلفيون ويلتقى الجميع حول حلقة أساسية تجمعهما هى تطبيق الشريعة .

والاسلام يرتفع فوق جدلية الفلاسفة والمتكلمين والمنـاطقة والمعتزلة فى العقيدة كما يرتفع عن صوفية الأعاجم القـائمة على وحـدة الوجود والاتحاد والحلول .

ثانيا : ان مفهوم التوحيد الخالص لم يعرفه الا الاسلام .

أما دعوات التوحيد التى عرفتها كتب التاريخ فانها لم تستكمل الجمع بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية .

ومفهوم التوحيد الخالص لا يكفى بتوحيد الربوبية الى الايمان لوجود خالق العـــالم فحسب بل لابد من توحيد الألوهية الذى يعنى توحيد العبادة أى عبادة الخـــالق وحده لا شريـــك له من الأهـــواء والأنداد والأشباه والأوثان ( فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ) فلا نكون « ممن يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله » هذا التوحيد الذى لا يعقل التمثيل والنسبة والتعطيل كما حدث فى الفلسفات والأديان التى سبقت الاسلام .

ومن هنـــا فان مايقال عن توحيد اخناتون أو غيره من ديانات أو نحل موحدة كله باطل فان الاســـلام وحـــده هو الذى حرر الانسان من عبـــادة غير الله .

٤ ـــ أعظم مافى الاسلام تجرده من وراثة النبوة .

فان حقيقة أن النبوة لاتورث التى قدمها الاسلام هى التى أعطت هذا الدين دفعتـــه القوية حين عرف الناس فى آفاق العالم أن الذين قاموا على الدين بعد النبى ليسوا من أهله أو قربته لقد وضع الاسلام قاعدة ذهبية هي أن خلافـــة الرسول من بعـــده انما تكون للاقرب فى الأخذ بكتاب الله وأسوة الرسول ومن بين هؤلاء الذين قربهم الرسول اليـــه من أصحابه وأهل مشاورته وذلك لفضلهم ورأيهم وسبقهم الى الاسلام .

فالنزعة الى توريث الملك هى أصلا نزعة فارسية تظهر فى النسق الـــكسروى كما يرث أبنـــاء الملك فى فارس ملك أبيهم فان لم يكن له ولد ورثه أقرب أهله اليـــه .

أما الاسلام فقد دعا الى الاختيـــار للاصلح ورأى ذلك أكثر عدالة ورحمـــة .

٥ ـــ علينا تصحيح الفكرة القائلة بأن الاسلام لم يحكم واقع الحياة الا فى فترة محدودة من عصر الراشدين بينما تبين الدراسات الاجتماعية والنفسية أن الاسلام وان تخلى عنه الحاكمون بدرجة أو بأخرى فانه ظل يحكم المجتمعات ويوجهها وتتغلغل روحه فى أعماق النفوس وتصبغها وقد استمر الاســـلام يعطى هـــذه الفاعلية الاجتماعية والنفسية الى عهـــد قريب حيث نجحت المؤامرات الغربية فى تجميد قدرته على التوجيه النفسى والاجتماعى .

## ( ٤٩ )

## شبهات حول الوثنية

قطع الاسلام الامتداد الفكرى والثقافى بين ماقبل الاسلام وبعده عن العرب أولا ثم فى كل مكان ذهب اليه ، وقد ذهب الى كل مكان واثر فى جميع النحل والأفكار ثم قطع امتداد الوثنية فى العالم كله .

وقد صدق من قال أن الاسلام أحدث رقيا عظيما فأطلق العقل الانسانى من قيوده التى كانت تأسره حول المعابد وبين أيدى الكهنة من ذوى الأديان المختلفة فارتفع الى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة .

وقد خلص الاسلام الفكر الانسانى من وثنية القرون الأولى .

وكان من أبرز خصائص الاسلام أنه حرر الانسان من زيف الفكر البشرى والوثنى والمادى الذى تشكل نتيجة استعلاء الدعوة العنصرية أو خطأ تفسير الرابطة بين الألوهية والبشرية أو محاولة اثارة الشبهة حول وحدة البشرية ووحدة الدين وثبات الأخلاق أو حول الفصل بين الأخلاق والدين أو بين العبادة والشريعة . والدعوة الى انكار الغيب والجزاء أو الدعوة الى سقوط التكليف أو الفيض والاشراق والاتحاد والحلول ، أو فصل الدين عن المجتمع والدولة . أو طرح النظرية المادية المنكرة لوجود الخالق أو الدعوة الى التحلل والاباحة والتحرر من الضوابط والحدود .

ولقد كشف القرآن وجه الحق فى هذه القضايا جميعا وحررها ولذلك جاء الاسلام مصححا لكل هذه المفاهيم الزائفة التى استشرت وتمثلت فى فلسفات ومذاهب ودعوات سواء منها ماذهب مذهب العقلانية الخالصة أو الروحية الخالصة ، ولما كان الاسلام ممثلا للفطرة ، وجمع بين قوى الروح والمادة ، والعقل والقلب ، والنفس والجسد والحياة والموت والدنيا والآخرة فى اطار التوحيد الخالص لله ، كما جمع بين الثبات والتطور ، فأقر ثوابت هى بمثابة الدعائم وسمح بالتغير والتطور من داخلها وفى اطارها وأقر المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى وعارض

التناسخ والاشراق ووحدة الوجود والحلول . والاسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع فانه يقرر الاعتراف بالرغائب البشرية واباحتها فى اطار الشريعة والأخلاق والضوابط الحافظة للشخصية الانسانية من الانهيار والتحلل ومن الربط بين الرغائب المادية والأشواق الروحية ، والاعتراف بالطاقة والجهد حيث لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، كذلك يقرر الاسلام منهج المعرفة الجامع الذى يرفض الفصل بين القيم ويدعو الى تكاملها فى توازن دقيق ، واقرار مفهوم التقدم على أنه تقدم مادى ومعنوى معا خالص لله ، وحيث يقوم منهج المعرفة على القرانية الخالصة وليس المنهج الفلسفى أو المنطقى ، باعتباره أصدق المناهج واقربها الى الفطرة البشرية وقد جاءت الشريعة الاسلامية ذات قواعد كلية واطارات مرنة ومن هنا صلاحيتها لتكون شريعة انسانية عالمية صالحة لكل زمان ومكان ، وقد قامت على البرهان وتحكيم العقل والنهى عن الهوى وفتح باب الاجتهاد . وكذلك أنكر الاسلام القول بغير دليل وقرر عدم كتمان العلم ودعا الى التحرر من التبعية والتقليد واقر مبدأ الأصالة وفرق بين العقائد والمعارف عامة وفرق بين المعارف الجوهرية والمعارف غير الجوهرية ودعا النظر الى ما يقال ودعا الى معرفة الرجال بالحق وفرق بين مقاييس العلوم المادية ومقاييس العلوم الانسانية كالنفس والأخلاق والمجتمع ، كذلك قرر الاسلام أن كون عمل الانسان خالصا لله ولحساب الله وبالوسائل التى أرادها الله وفى الحدود التى حددها وفى الاطار الذى رسمه وعلى الطريق الذى سار عليه الأبرار والمجاهدون .

كذلك فقد أقام الاسلام قاعدة التوازن بين مختلف القوى البشرية ، وخاصة بين الروح والجسد والعقل والقلب ورفض التطرف ممثلا فى الاباحية والرهبانية على السواء ، وممثلا فى الترف والحرمان فحال بذلك بين خطرى الكبت والانحلال ، وهو اذ يوازن بين المادية والروحية فى الانسان يوازن بينه كفرد وبنه كعضو فى المجتمع فالفرد جزء من المجتمع والمجتمع هو كل الأفراد ، وبذلك تفادى الاسلام انحرافات الشطط وأخطار التطرف وقضى على مايسمى بالصراع أو التناقض أو الضياع النفسى وحفظ للانسان وجوده بعيدا عن الانهيار الذى يفرضه الانطلاق والتدمير الذى يفرضه الجمود وأعلن أن كل معطيات الحياة مطبوعة

بطابع الأخلاق والتقوى ، وأخلاقية الحياة من أكثر أسس الاسلام والتقوى قمة الأخلاق الاسلامية وهى تحمل معنى الكظم والامتناع عن الدنايا والارتفاع فوق السيئات .

والاسلام هو الذى أقر سقوط عبودية الفرد للفرد وعبودية الفرد للمجتمع وعبودية النفس الانسانية والعقل البشرى للاوثان والمادة وحرر الانسان من كل عبودية لغير الله تعالى . وقرر تضامن المجتمع فى المسئولية عن كل اقرارة وأقام العدل الاجتماعى على أساس التضامن والمساواة والأخوة . وفى الاسلام التقى العلم بالدين والاسلام هو الذى دفع البشرية الى الخروج من دائرة المنهج اليونانى القياسى الى منهج التجريب فأنشأ المسلمون المنهج التجريبى ثمرة دعوة القرآن لهم بالنظر فى الكون والتأمل فى الكائنات ومعرفة أسرار الوجود وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وحث على العناية بتنمية العقل الانسانى وفضل العلم على العبادة ، وأقر مفهوم العلم على أنه علم الدنيا والدين، والعلم فى الاسلام يزكو بالاتفاق .

وأقام الاسلام الفطرة ودعا الى نقائها وشدد بالنهى عن افسادها بالتعاليم الضارة ودعا الى التحرى عن الحق والى أن يغير المسلم رأيه متى تبين له وجه الصواب ولا يصر على الباطل ، ولا يأنف من أن يأخذ الحقيقة من أى وجه يأتيه والا يتعصب لرأى تعصبا يحول بينه وبين النظر

كذلك دعا الاسلام الى الانتصاف من النفس واقرار الحق بالنسبة للقريب والبعيد والصديق والغنى والفقير . واليوم اذ تواجه البشرية هذا الفكر الوثنى المادى ممثلا فى مذاهب جديدة وفلسفات براقة تحاول أن تخطف الأبصار فان الاسلام قادر على أن يقدم الحقائق التى تحرر العقول وتشفى الصدور ، ومازال الاسلام هو الأمل المرجى للبشرية للخروج من أزمتها وهو الحقيقة القادرة على العطاء الصحيح للنفس الانسانية والعقل البشرى بما يحقق للانسانية القدرة على التماس الصراط المستقيم بعد أن تفرقت بها السبل .

( ٥٠ )

## شبهات حول الرقيق

لقد حفلت كتب التاريخ المقررة على مدارسنا بأخطاء كثيرة منها أن تجارة الرقيق فى أفريقيا كانت تجارة عربية يحترفها العرب الذين يشترون أو يخطفون الأولاد والبنات ويصدرونهم الى الجزيرة العربية وما وراءها من بلاد المسلمين ليكونوا الرقيق والجوارى .

ولقد كشفت الأبحاث الجديدة أن تجارة الرقيق كانت فى أيدى الاستعمار وان كتاب « جذور » الذى الفه الباحث المنصف ( اليكس هيلى ) يكشف عن أن الذين مارسوا هذه التجارة على نطاق واسع وبأساليب متقنة على مدى قرنين أو أكثر من الزمان هم الانجليز الذى تخصصوا فى فرق مختلفة للذهاب الى أفريقيا لشراء الرقيق واختيار الأصناف المطلوبة فى رحلات بالغة القسوة والعنف أو فى تولى بيع الرقيق على الشواطىء الأمريكية لأصحاب مزارع القصب والقطن والذرة وان هذه المرحلة السوداء جاءت فى أعقاب المجد الاسلامى الذى عرفته أفريقيا ابان امبراطورية غانا وامبراطورية مالى وملوكها المسلمين الذى كان العالم المتحضر يتحدث عن قصورهم ومدارسهم وجامعاتهم ورحلاتهم فى الحج الى مكة فلماضعفت هذه الدول الاسلامية وتفككت بدأ الأوربيون يتسللون الى أفريقيا ومارسوا تجارة الرقيق ثم بلغت أوجها على أيدى الانجليز ، وقد أثرى الانجليز واستثمروا أموالهم فى تجارة الرقيق وتكدست الأموال وأصبحت أحد مصادر الثورة الصناعية .

وهناك من التقديرات مايذهب الى أنه خرج من أفريقيا عشرون مليونا من الشباب والصبية والفتيات عصفت الأمراض الأوبئة بعدد كبير منها وربما وصل نصف هذا العدد وقد أضعفت تجارة الرقيق أفريقيا لأنها أخذت أقوى عناصرها .

( ٥١ )

## الشيعة والسنة

لا ريب ان التقريب بين السنة والشيعة هدف من أكبر أهداف الوحدة الاسلامية وسوف يحدث أثرا لا مثيل له فى تاريخ اليقظة الاسلامية فقد كانت المحاولات للتفريق وتعميق الخلافات من جانب النفوذ الأجنبى عاملا خطيرا خلال القرن الماضى للحيلولة دون الالتقاء بين شقى الأمة ممن يقولون لا اله الا الله . غير أن الأمر يقتضى اعادة النظر فى مسائل كثيرة أهمها الالتقاء على حب رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصفه هو وحده المعصوم بالنبوة والرسالة والوحى وأن تكون العاطفة موجهة الى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم متابعة له واستئناسا به وأن تكون المساجد أكثر أهمية فى نظر المسلمين من المشاهد بعيدا عن الزخرفة الشديدة المسرفة في استعمال الذهب والفضة وأن يكون هناك حرص شديد فى أن لا تكون الامامة منافسة للنبوة أو مشاركة لها فى كثير من الصفات .

وأن تكون الصلة بالنبى وآل البيت هى صلة متابعة على طريق الدعوة وأداء الفرائض والدفاع عن بيضة الدين .

والملاحظ الآن فى العواصم الشيعية أن الزحام يستأثر بالمشاهد دون المساجد فهذه المشاهد غاصة بالزوار عامرة بالرجال والنساء حيث لايوجد فى المساجد مثل هذا الاقبال على الصلاة والعبادة ، كما أن الصلة العاطفية والحماس الداخلى فى حب أهل البيت وتعظيم الأئمة يكاد يشغل كل فراغ فى النفس والعاطفة والعقل والضمير ، ويخشى أن يكون قد أخذ الشئ الكثير من حق النبوة ومن شخصية الرسول الأعظم الذى نال به أهل البيت الشرف واستحقوا الحب والتعظيم .

بل ان الشعر الذى قاله شعراء ايران فى مدح أهل البيت وخاصة أمير المؤمنين على بن أبى طالب ينافس ويزيد على ماقيل فى الرسول صلى الله عليه وسلم .

بل ان هذا الهيام بأئمة أهل البيت قد وصل الى حدود عالية بظهور صور لأئمة أهل البيت وأمير المؤمنين على بن أبى طـــالب فى المساجـــد والبيوت .

وزيارة الأضرحة والمشاهد وشد الرحال اليها مما نهى عنه الاسلام ويخشى أن يكون العـــامة قـــد جعلت منافسة للنبوة أو مشاركة لها فى كثير من الصفات .

وفى مجال التقريب بين المسلمين أن يوجه التيار الى النبوة التى هى ملتقى كل مسلم وأن تتغير نظرة اخواننا أهل الشيعة الى صحابة رسول الله وأزواجه أمهات المؤمنين فلا يقوم تقارب حقيقى الا بالاحترام المتبادل الشخصيات التى نصرت النبى ونشرت الاسلام .



# الباب الثانى

## الأدب

الأدب العربى •

الاباحــة •

الأدب المــكشف

التجــديد

الفكر والأدب

القصــــة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

# الأدب العــربى

أبرز مظاهر الأدب العربى هى انسانيته وطوابعه القائمة على الحق والخير والعدل ، وقد وجهت للأدب العربى اتهامات متعددة وأثيرت شبهات كثيرة ، من أبرزها القول بتفشى السجع فى القرن الرابع الهجرى ، ومن الحق أن يقال أن السجع لم يجد قبولا من الكتاب العلماء ، ولدينا شهادة المقدسى فى هــذا « لم يلق البــديع قبولا من الــكتاب الــكبار ، وانما نسب حب السجع والقوافى الى العامة » وقد استشرى السجع فى مرحلة ضعف الأدب العربى وتأثره بالآداب القديمة وان ظلت الدراسات الثقافية فى مجال الاجتماع والأخلاق والساسة وغيرها من الجوانب الايجابية فى الفكر الاسلامى قوية . وقــد جاء هــذا الانحراف نتيجــة لآثار الغزوة الشعوبية ، فقــد استمد الأدب العربى مفاهيمه أصلا من الفكر الاسلامى الذى يعد « القرآن » قاعدته الأصيلة ، وبقى حريصا على ألا يجنح عن أرض الواقع الصلبة ، فلم يكن مهملا للقضايا الحيوية ، ولــكنه تأثر فى مرحلة من مراحله بالآثار الواردة من الآداب القديمة والدخيلة فاضطرب أمره حينا ثم عاد الى أصالته .

وقد كان الأدب العربى قادرا دوما على مغالبة أمرين : الأسطورية والخيال المغرق ، والاشراقية . وهى طوابع وفــدت الى الأدب العربى من الآداب الفارسية والهندية وغيرها ، وكان الأدب العربى فى واقعيته وارتباطه بالطابع الفعلى والحياة أقرب الى مفهوم الاسلام وجوهره .

وحيث لم يكن هنــاك بد من هــذا التأثر فقــد كان الأدب العربى كالفكر الاسلامى حريصا على ألا يغرق فى الطوابع الدخيلة ، وكان قادرا على أن يتحرر منها وأن يأخــذ مايزيد قوة دون أن ينصهر فى أى بوتقة تخرجه عن أصالته .

وقد انحرف الأدب العربى فى مجالين : مجال الشعر عندما أخرجه الشعراء الفارسيون الذين تأثروا بالمجوسية من أمثال بشار بن برد وأبى

نواس وغيرهم ، أخرجوه من مفهومه الأصـيل الى الانحراف نحو الغزل الحسى والخمريات والغلمانيات وهو تيار بدأ غريبا ودخيلا مدموغا بالاتهام، والمجال الآخر مجال النثر حين انحرف الى السجع والمحسنات البـديعية والمقامات وأسرف فى ذلك اسرافا انصرف به عن طبيعته الأصيلة .

ويمكن القول بأن « الأدب العربى » فى مفهومه الحق قد تكون بعد الاسلام ، وأن ماسبق ذلك لم يكن سوى تلك الحصيلة من الشعر الذى ضاع أغلبه وما أثر من بعض الحكم وسجع الـكهان ، فلما نزل القرآن تأسست القاعدة الأصيلة للأدب العربى بمفهومه الصحيح القائم على قيم التوحيد والحق والعـدل ، وكان القرآن بأسلوبه ومضمونه معا هو المصدر الحقيقى للأدب العربى الاسلامى الذى تشكل فى ظل القرآن وجرى فى مجراه ، فقـد جاء القرآن معجزا ، هز النفس العربية ببلاغته ومضامينه معا ، ولم يستطع بلغـاؤهم أن يصلوا اليه ، وسقطت كل محاولاتهم فى تقليـده ، ومن هنـا نشأ الأدب العـربى من خلاله ، وبدأ النثر العربى الاسلامى يسيطر ويأخذ طريقه ، متحررا من سجع الـكهان ، كما تحول الشعر ، فى مضامينه ونظمه ، وان كان النثر القرآنى قـد أخذ المـكانة الأولى ، وكان للقـرآن نظرته الى الشعر والشعراء ، محررا اياهم من الغرور والوثنيـة ومفاهيم الجاهلية ، وفى خلال ذلك نشأ أدب واسع الآفاق حوته كتب السنة والشريعة والعلوم والتربية والتصوف .

غير أن مدرسة النقد الغربى الوافد التى تسلطت على الأدب العربى الحـديث قـد حاولت أن تعزل هـذا التراث عن مراحله الجديدة ، وأن تقصره على جوانب معينة من شعر الشعراء وما وصف بالنثر الفنى لتحجب تلك الثروة الضخمة من الأدب العربى الاسلامى ، ثم كان لها أن أعلت من شأن الأدب ووسعت دائرته وأذاعت شعر الشعراء المـاجنين المسرفين واهتمت به وحاولت أن تتخذ من الأغانى وكتب المحاضرات مراجع أدبيـة وتاريخيـة ، وحاولت الحكم على العهود الاسـلامية الزاهـرة من خلال هؤلاء الشعراء .

وكان هذا انحرافا خطيرا بالأدب العربى الحديث عن طبيعته وعن اتصاله الوثيق بالأدب العربى الاسلامى فى مراحله المتعـددة ، بوصفها حلقات متصلة ، يسلم بعضها الى بعض ، وكان إعلاؤها لجوانب الكشف

والغزل الحسى والاباحة هـدفا من أهـداف التغريب والغزو الثقـافى لاخراج الأدب العربى من مضمونه الأخلاقى الذى لا ينفصل عنه ، ومحاولة لدفعـه الى الانصهار فى مفهوم الآداب العالميـة ، بينما تستحيل آداب الأمم وثقافاتها عن التـذويب والانصهار فى آداب الأمم الأخـرى لأنهـا تستمد وجودها وكيانها من النفس والذات والمزاج الخاص ، الذى يختلف من أمة الى أمة والذى يختلف فى الأمة العربيـة الاسلامية فى الجوهر والمضمون كثيرا وعميقا عن الآداب الأوربية التى تستمد جذورها ومصادرها من الآداب اليونانية الوثنية .

## الاباحة ( فى الأدب )

كلمة « الاباحة » تعبير اشتقه الأستاذ محمد فريد وجدى معبرا به عن التحلل والخروج عن العرف ، وقد اتسع نطاق كلمة الاباحة فى مجال الـكتابات الأدبية والاجتماعية على أثر موجة الدعوات المستجدثة الوافدة من الغرب والداعيـة الى اطلاق حـرية المجتمع فى مواجهة الضوابط الأخلاقية والأدبية . ولقد صنعت هذه الفلسفات المستحدثة للاباحة تبريرا متصلا بها لفقته المـذاهب النفسية والاجتماعية التى تدعو الى أن للانسان مطلق الحرية فى القول والعمل . وهذا الاطلاق وهذه الحرية لاغبار عليها اذا ماصدرت فى حـدود قاعدة واضحة أساسية فى بنـاء المجتمعـات وقانونية ، وهى « عدم الاضرار بالغير » وترى مختلف الدعوات العقائدية سواء منها المستمدة من الأديان السماوية أو الدعوات الأخلاقيـة البشرية أن للجماعة أصولا عامة تعلق بها الحـريات ولـكنها تحول دون تحطيم انسانية الانسان أو ازهاقها أو تدميرها بالاسراف أو الانحراف أو التمزيق ، وقـد ربطت هذه الدعوات بين واقع الانسان الروحى والمـادى معـا ، وحاولت أن تخلق له « توازنا » قادرا على بنـاء شخصيته والمحافظـة عليها وانمائها . غير أن دعوات جديدة ظهرت فى الفكر الأوربى والغربى على السواء فى مجال استعلاء الفلسفة المـادية حاولت أن تدعو الى تحرير الفن والأدب الغربى والفن الأوربى الى الاباحة بمثـابة رد فعل على موقف المسيحية والكنيسة والقسيسين فى الغرب من مقاومتهم لحرية الفكر ، فكانت تلك الاندفاعة التى أخرجت الفنـان والأديب من ضـوابط الأخلاق وقيم المجتمع ، مما فتح البـاب لموجة طاغية من موجات الاباحة

فى المجتمع نفسه ، وكان ذلك فى الحضارة الحديثة متصلا أوثق اتصال بالحضارة الاغريقية ومفهومها الاباحى المتحلل من مختلف القيم والضوابط الأخلاقية قبل الميلاد .

فالفكر الغربى حينما يندفع الى موجات الاباحة والتحلل انما يجد من من مصادره وتاريخه وسوابقه وجذوره مايؤصل له هذا الاتجاه ، أما فى الفكر الاسلامى العربى فان الأمر يختلف اختلافا كبيرا .

ذلك أن المجتمع العربى الاسلامى كان مرتبطا طوال حلقات تاريخه بمقومات وقيم ذات طابع أخلاقى فى مختلف مجالات العلاقة بين المرأة والرجل ، ومختلف علاقات المجتمع والسياسة والتجارة وغيرها وأن موجة القرن الثالث الهجرى خلال العصر العباسى التى كشفت عن جوانب من التحلل والاباحة تمثلت فى شعر بالعض الشعراء لم تكن الا مرحلة عارضة وغزوا شعوبيا التمس مصادره من الفلسفات اليونانية والفارسية وديانات المجوس ومذاهب المانوية والزرادشتية وغيرها ، وقد جاء هذا الطابع من الاباحة المتمثل فى أبى نواس وبشار وغيره في ظل تحديات خطيرة واجهتها الحضارة الاسلامية والمجتمع ، وهي تحديات اضطربت فيها معايير الفكر الاسلامى وتطبيق الشريعة الاسلامية حين ظهر طابع الترف العاصف وطوابع التسرى وأسواق الجوارى وغيرها مما كان مخالفا فى حركته لمفهوم الاسلام نفسه ، ومما أدى الى رد فعل قوى من الناحية الأخرى بظهور فلسفات الزهادة والتصوف الفلسفى الى جوار مذاهب الباطنية وغيرها .

وقد انبعثت هذه الدعوات والحركات علي أيدي رجال كانت لهم صلات سابقة بالديانات الفارسية والفلسفات الدخيلة ولم يكونوا فى حقيقة الأمر منطلقين من مفهوم أصيل للفكر الاسلامى بما غير به مفاهيم المجتمع والحياة .

وما يزال مفهوم الفكر العربى الاسلامى الأصيل أن تقوم الضوابط الى جوار الحريات موازنة للكيان الانسانى ، ويرى كثير من الباحثين — حتى فى الغرب نفسه مثل تولستوى — أن كل فكرة فنية لاتستقيم والشعور الدينى فهى ليست فنيا أصيلا ، وان شأن الفن أن يعلى من أمر الانسان ويسمو به ويقيم الناس صلات المودة والاخاء وأن يدفع البشرية نحو الوصول الى الانسانية .

## الأدب المكشوف

تجرى الدعوة التغريبية الدخيلة على الأدب العربى والفكر الاسلامى والثقافة العربية الى القول بأن الأدب فن حر يصور النفس الانسانية وليس له أن يعطل عمله ليسأل عن قواعد الأخلاق . وهذا مفهوم غربى خالص ، وبعيد كل البعد عن الذوق والضمير والمزاج العربى والاسلامى ، فالمفهوم العربى الاسلامى للأدب أنه وحدة من وحدات الفكر الكلية لا تنفصل عنها ولا تستقل ، بل تتكامل وتتلاقى مع وحدات الأخلاق والدين والمجتمع على نحو لا يضحى فيه بأى قيمة من القيم فى سبيل اعلاء قيمة أخرى ، وهذا مايختلف مع المفهوم الغربى الذى يستقل فيه الأدب بانطلاقته وحرية الحركة بعيدا عما يتأثر به المجتمع أو الأخلاق أو الدين: بل ان الفن والأدب فى الفكر الاسلامى والثقافة العربية والأدب العربى يلتقى مع الدين والأخلاق ولا يتعارض معهما ليؤدى دوراً بناء متساميا لحياة الجماعة والفرد معا . فليس هناك تعارض أصلاً بين الأدب والأخلاق ، أو الفن والدين بل هناك تطابق واتفاق ، مثل ذلك التطابق القائم بين العلم والدين . وفى هذا يقول العلامة محمد أحمد الغمراوى « ان للفطرة كلها منشئا واحدا هو الله والعلم والدين كلاهما اجتمعا على استحالة التناقض فى الفطرة فاذا كانت هذه الفنون من روح الفطرةوجب الا تخالف أو تناقض دين الفطرة ، ودين الاسلام فى شىء . فاذا خالفته فى أصوله ودعت صراحة أو ضمنا الى رذيلة من أمهات الرذائل التى جاء الدين لدفعها عن الانسان حتى يبلغ ماقدر له من الرقى فى النفس والروح ، واذا خالفت الفنون الدين فى شىء من هذا فهى بالصورة التى تخالف بها الدين فنون قد جانبت الحق وذابرت الخير وأخطأت الفطرة التى فطر الله عليها الناس والخلق » ومعنى هذا أن الأدب والفن يتطابقان مع الدين والأخلاق فى الفكر الاسلامى والثقافة العربية ، ولذلك فان الأدب المكشوف المستورد الغربى الأصل يبدو وافدا غريبا لا جذور له ولا أصالة لأنه معارض للمزاج والذوق والفطرة جميعا .

فاذا قيل أن الأدب العربى القديم قد عرف الأدب المكشوف قلنا أن ذلك لم يكن بدافع الفطرة بل كان غزوا شعوبيا على النحو الذى نواجهه اليوم ونسميه بالغزو التغريبى ، وأن هذا اللون انما دخل على أيدى

المتصلين بالثقافات والديانات والفلسفات القديمة السابقة للاسلام وفى مقدمتها وثنية اليونان ومجوسية الفرس وفلسفات الهند .

وأن الذين انصهروا فى أصالة الفكر الاسلامى انصهارا تاما من الفرس أو الترك أو العناصر الأخرى قد استجابوا لفطرة الفكر الاسلامى أما الذين ظلوا على مفاهيمهم القديمة وابتعثوها من جديد معارضة الدولة الاسلامية أو الاسلام أو خصومة لهما فانهم هم الذين عرفت لهم هذه الألوان من أمثال : بشار وأبى نواس وغيرهم ، هذا هو الطابع المكشوف الذى أدخل على الأدب العربى فى باب المجون والفحش واستشرى فى الهجاء والخمريات والشعر الخليع ، غير أن أدبنا العربى كان دائما قد حدد موقفه على نحو يختلف عن الأدب الغربى فقال « الشعر الرفيع لا يقاس بحسن الديباجة وبراعة المعنى فحسب ولكن بشرف الغرض » وهذه نظرة تختلف اختلافا بينا عن مفهوم الأدب الغربى الذى يرى أن الأدب هو الأداء الفنى بصرف النظر عن غايته وطابعه : مكشوفا كان أو غير مكشوف .

وروح الفكر الاسلامى والأدب العربى تقوم على القول الكريم ، دون الهجو ، وعلى الاشارة العابرة الى الأمور المبتذلة دون الكشف والافاضة فى التبذل والتهتك وتصوير المحرمات الجنسية والميول المنحرفة ، وذلك بالقدر الذى يدل عليها ، أما هذا اللون من تصوير أخفى الغرائز البشرية والتحدث عن تطوراتها وتقلباتها على النحو المثير الذى تكون له آثاره البعيدة فى نفوس الشباب والفتيات فهو غير مقبول ، هذا فى نفس الوقت الذى يستبيح فيه العلم كعلم دراسة قضايا الانسان والنفس البشرية ومعرفة أهوائها عن غير طريق الأدب .

فالفكر الاسلامى والثقافة العربية انما تلتمس عناصر الوحدة والتكامل فى جزئياتها على نحو يحقق لها بناء الفرد السليم والمجتمع السليم . حيث لا تعارض بين الروح والمادة ولا تصادم بين الأدب والأخلاق ، أو بين الفن والمجتمع ، ومقياس الجمال النفسى الانسانى انما يتمثل فى الوسطية بعيدا عن منحدر الشهوانيات واللذات ، وبعيدا أيضا عن الجمود ، فالفكر الاسلامى قد أعطى الحرية فى متاع الحياة دون اسراف أو تبذل على هدى الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، والأدب المكشوف

لا يقدم السعادة ولا السلامة ولا يرسم للنفس الانسانية أسلوب الجمال والخير والحق ولـكنه يكشف جوانب موغلة فى الاباحة والتهتك على نحو من شأنه أن يدمر النفس الانسانية لا أن يحييها ويسمو بها .

ولا شك أن الاتجـاه الى الـكشف فى الأدب فن غـربى له جذور أغريقية قديمةوله طوابع متصلة كل الاتصال بالوثنيـة وعبـادة الأجساد والانفصال فى مجال الفن والأدب عن المجتمع وعن الدين ، واذا كانبعض الفلاسفة الغربيين قـد عارض كل فن لا يستقيم مع الشعور الدينى فان الفكر الاسـلامى يرى أن التوازن بين هـذه القوى جيما هو عامل قوة للشخصية الانسانية وحماية لها من التحطم والانهيار ودفعا لها الى الخير والقوة ، وعندنا أن هذه المذاهب التى تحمل طوابع لها مظهر علمى براق انما هى دعوات مستترة الى الهـدم وعوامل تغريبيـة ذات هدف بعيد فى محاولة القضاء على مقومات هـذه الأمة وتحطيم روحها الايجابى ذى الطبيعة المتكاملة دينا ودنيا ، وروحا ومادة .

## التجـديد

كانت كلمة « التجديد » أحد الاصطلاحات الخطيرة التى اتكأ عليهـا النفوذ الاستعمارى والتغـريب لشجب التاريخ واللغـة والتراث والدين ومختلف فنون التراث القديم واتهامها بعدم الصـلاحية للوجود ، ومعنى التجديد في كتابات دعاته هو الانفصال الـكامل عن كل قـديم والاتجاه الشامل الى الجديد ، دون تحفظ .

وفى مواجهة التجديد كانت هنـاك الحملة على الجمود والسلفيـة والتقليد والرجعية . غير أن استطراد هذه الدعوى وبلوغها أقصى مدى من التحدى . كشف عن خطأ الداعين لها ، حتى من وجهة نظر التقـدم والنهضة ، وربطهـا ربطا أكيدا بالتغريب والنفـوذ الاستعمارى ، فان الدعوة الحقـة الى النهضة حين تدعو الى التجديد لاتفصله عن القديم . ولا تعزله عن المـاضى بل تجعل من المـاضى سـبيلا الى الجـديد ومن التطور رابطة بين القـديم والحديث ، والغربيون أنفسهم الذين يلتمس بعض الـكتاب منهجهم انما يفهمون التجديد على هذا النحو ، فلا انفصال مطلقا بين الـكلاسيكية والعصرية ، أو بين الأصالة والتجـديد ، أو بين

الماضى والحاضر ، وقد عرف أصحاب النهضات والحضارات بذلك الترابط الأكيد بين الماضى والجديد ، فالأصول الأولى لها قيمها الأساسية فى بناء كل جديد ، وهى ذات معنى بعيد يشمل كل شىء تقريبا ، فالأسس والأرض والجذور كلها معالم طبيعية لكل حركة تدعو الى التجديد .

وقد ذهب العلماء العقليون والتجريبيون معا وهم أبعد الناس عن أوهام الفلسفة ، ودعوات الغزو الثقافى والتغريب واقتلاع الأمم من مقوماتها وجذورها ، الى أن المعنى الحقيقى لكلمة ( جديد ) هى فكرة نقد شىء فى طور التحول ، فى حين أن كلمة قديم تعنى الموجود الساكن الموضوع مسبقا . وأن كلمة قديم استعملت عند العرب بمعنى الموجود لم يزل ، وتجمع المفاهيم العلمية للتجديد على أن التجديد فى الآداب كالتجديد فى العلم لا يمكن أن يقوم الا على أساس تعاون الماضى والحاضر ، وينبنى العقل فى حاضره على أساس العقل فى ماضيه .

ويصور مصطفى صادق الرافعى التجديد فى الأدب على نحو علمى غاية فى العمق حين يقول أن التجديد يتمثل فى قاعدتين :

( الأولى ) ابداع الحى فى آثاره بفكره بما يخلق من الصور الجديدة فى اللغة والبيان .

( الثانية ) ابداع الحى فى آثار الميت بما يتناولها به من مذاهب النقد المستحدثة وأساليب الفن الجديدة ، وفى الابداع الأول ايجاد مالم يوجد ، وفى الثانى اتمام مالم يتم ، فلا جرم كانت منهما معا حقيقة التجديد بكل معانيها ولا تجديد الا ثمة ، فلا جديد الا مع القديم .

ولا شك أن التجديد قانون طبيعى وقانون ثابت فاذا لم يكن تجديد فتدهور وانحطاط وهو فى الفكر شأنه فى الكائنات الحية ، بيد أن له أصوله ومقوماته وقواعده فهو لا ينفصل عن أرضيته وقاعدته . ولا ينقطع عن تطوره الطبيعى .

## الفكر والأدب

هناك خطأ كبير مشهور ، نبه اليه كثير من الباحثين ، وما يزال فى حاجة الى التذكير ، ذلك هو تحرير دائرة الآداب ، وتحديد مكانها من دائرة الفكر الأوسع والأشمل .

فالفكر هو الوحدة الأساسية التى تصدر عنها جميع الفروع والأجزاء ، ويضم الفكر فى بوتقته : الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية والقانون والأدب . وكلها فى مفهوم الفكر الاسلامي تتكامل ولا تنفصل ولا تستقل ، فالأدب قطاع من الفكر بوصفه أدبا له مفاهيمه وطبيعته ودوره الطبيعى ، ولكنه فى حركته هذه لا ينفصل عن دائرة الفكر ولا يخرج عن مهمته وطبيعته فيفرض نفسه على دوائر أخرى ، فيسيطر عليها ويتكلم باسمها .

غير أن الأدب العربى الحديث قد دفع دفعا الى هذه المخاطرة ، وأطلقت له الحرية فخاض فيما ليس من اختصاصه ، فأخطأ كثيرا وجاوز هدفه ومهمته . وليس فى هذا ما يفهم منه معنى الحد من حرية الأدب ولكن فيه دعوة الى الارتباط بالقاعدة الأساسية التى قام عليها الفكر الاسلامى وهى قاعدة التكامل بين الفروع والأجزاء التى تشكل فى مجموعها عملا متكاملا ، ذلك لأنه اذا أطلق للأدب حريته على النحو الذى تدعو اليه الآداب الأوربية لكان فى ذلك عدوان على دائرة الدين والأخلاق والمجتمع ، والأدب العربى المستمد من الفكر الاسلامى هو أدب ملتزم بالعمل على ترقية المجتمع واعلاء شأن الأخلاق ، فهو لا يستطيع أن يتحرر من مهمته تلك .

ولذلك فان الأدب العربى بقيمه ومفاهيمه لا يستطيع أن يتقبل بسهولة نظرية تحرير الأدب من أخلاقيته . هذه النظرية التى دعا اليها الأدب الغربى واستمدها من الأدب اليونانى الذى فصل بين الأدب والأخلاق . وقد زاد هذه النظرية قوة ظهور نظريات فرويد ومذاهب الفن للفن ، وهى نظريات ثبت خطؤها العلمى وانحرافها ، ولقد حاول دعاة التغريب فرض هذا المنهج على الأدب العربى ، ولكن الأدب العربى الذى يتصل بالفكر الاسلامى اتصالا عضويا ضمن دائرة متكاملة ، يقوم على أساس أن الفكر

فى مجموعه انما يعمل من خلال الشخصية الانسانية المسلمة فى بنائها وتركيتها والسمو بها واعلائها . هذا الأدب العربى رفض هذه الدعوة . ايمانا بأنه لا يمكن أن يتجه فرع من الفكر الاسلامى للبناء بينما يتجه فرع آخر الى الهدم .

ولقد دعا الباحثون المنصفون الأدب ( أى أدب ) أن يلتمس طريقه الأصيل معليا قانون الأخلاق القائم على حراسة الاجتماع .

ولقد كانت هناك آثار سيئة لتعدى الأدباء دائرة عملهم والتداخل فى دوائر أخرى بينما هم يؤمنوا أساسا بتكامل الفكر الاسلامى ولم تتح لهم الفرصة لدراسة الجوانب الأخرى على النحو الذى يمكنهم من استعراضها والحكم عليها .

وذلك أن بعض الأدباء عرضوا فى العقد الثالث والرابع الى الدين والأخلاق ، وتناولوا هذه المباحث على طريقة الماديين فأثاروا شكوكا كثيرة، وكان لانتشار الأدب فى الصحف أثره فى نفوس القارئين ، هذا الأثر السيء الذى قصد اليه التغريب من طرح قضايا الفكر الاسلامى عن طريق غير المتخصصين فيه ، وفى هذا يقول العلامة محمد فريد وجدى « كيف يرجى من أديب كل همه منصرف الى تحليل عاطفة الهوى ودرس ثارات الجوى ، وتصوير الوعود الكاذبة وفضول العذال واللاهين وعدوان المنافسين والمعاكسين ، أن يتناول بالبحث أعلى عواطف النفس وهى عاطفة الدين ، بمثل أسلوبه الذى مرن به عليه واستولى على شعوره ، وهى تستدعى أسلوبا يجافى هذا الأسلوب ولا يمت اليه بصلة من درس النفس فى حالة عزوفها عن الشهوات وترفعها عن الغرائز، رأيناهم يثيرون شكوكا ويجرون فى مباحثهم التاريخية والاجتماعية على غير الأسلوب العلمى من التحقيق والتمحيص » .

من هنا نعرف الفرق بين دائرة الأدب ودائرة الفكر ، وأن دائرة الأدب تقتصر على تصوير النفس الانسانية ، أما الفكر فانه الدائرة الأوسع التى تتصل بالشخصية الإنسانية من جوانبها المختلفة العقلية والروحية والقانونية والاجتماعية والاقتصادية .

وفى مفهوم الفكر الاسلامى أن الأدب حلقة من حلقات الفكر لا تنفصل ولا تتحرك فى غير اتجاه التوازن والتكامل مع الحلقات الأخرى .

## القصـــة

« القصة » فن من فنون الأدب : كالشعر والنثر والترجمة ، وهو فن قـديم ومستحدث وهو فى حاجة الى القاء اضواء كثيرة عليه ، حتى ينكشف موقفه الصحيح من الأدب العربى وفيما قبل ظهور الاسلام ونزول القرآن كان هناك كثير من الأساطير التى أطلق عليها من بعد اسم القصة: وهى أساطير اليونان فى الغرب وأساطير الفرس والهند ، وهناك أساطير العرب فى الوثنية العربية .

وكانت هنـــاك الملاحم والمسرحيات التى عرفتها أوربا فى ظل الوثنية الأغريقية ثم فى ظل المسيحية الغربية ، وقد استمد كثير منها من الـكتب الدينيـة القـديمة ، فلما جاء الاسلام ، ظهر عصر جـديد وفهم جـديد للقصة ، ذلك هو ما القاه القرآن الـكريم المنزل حيث عرض لعـدد من قصص الأولين ، على نحو له طابعه الخاص المتميز ، بالصدق والشمول والايجاز والاستعلاء على التفاصيل واستخلاص العبرة والتماس حكمـة التاريخ ورسم نواميس الحضـارات وقوانين قيـام الأمم وسـقوطها ، والعوامل ذات الأثر فى تطوير المجتمعات وانهيارها ، وذلك من خلال تاريخ الأنبياء والأمم والدول التى مرت بها البشرية من قبل .

وقد وصف القرآن قصصه بانه ( القصص الحق ) القائم على الواقع الصادق البعيد عن الخيـال والتزيد والتفاصيل ، وذلك جريا مع منهج الايجاز والشمول والقصد .

ومن هنـا فان مفهوم القصـة الحديثة الذى عرفـة الأدب الغربى مستمدا اياه من التراث الهلينى اليونانى ، أو ماعرف من قصص مثل كليلة ودمنة أو الف ليلة وليلة ، أو غيرها مستمدا من التراث الفارسى الهنـدى القـديم ، هذا المفهوم لايتفق مع مفهوم الأدب العربى الحقيقى المستمد من القرآن للقصـة .

والفكر الاسلامى لا يقبل من القصـة غير لون واحد هو ( القصص الحق ) ذلك أن الأدب العربى قـد اتسم منذ ظهوره والى اليوم بخاصية واحدة تتمثل فى الصـدق والوضوح والايجاز ، وهى عناصر تكاد تكون مضادة للقصـة الحديثـة بل ومعارضة لها .

ذلك أن العربى الذى كان يفكر فى أفق مفتوح مشرق طليق ، من النور فى ضوء الشمس التى تطلع على أرض الصحراء الواسعة ، فضلا عن طبيعتـه الحرة الجريئـة ، طبيعـة الفارس المقـاتل ، الذى يقول كلمته فى صراحة ووضوح ، هـذه الملامح فى الطبيعـة والانسان لم تكن فى حاجة الى فن القصة القائم على الرموز والمبالغة والظلال والاستخفاء، أو على الشرح الواسع والتفصيل الـكثير ، ذلك أن العقيـدة الاسلامية كانت أيضا بسيطة سمحة وهى تقوم على التوحيد أساسا فلم تكن فى مثل حاجة المـذاهب والعقائد الأوربية أو الشرقيـة القـديمة الى مزيد من التفاصيل والى ادخال فلسفاتها المعقدة فى قصص ومسرحيـات تقام فى المعابد أو الأديرة لتشرح للناس مقاصدها .

والفرق بين مفهوم القصـة فى الأدب العـربى ومفهومه فى الآداب الأخرى ، هو فرق فى ذاتيـة الأمة العربيـة ومزاجها النفسى وتركيبهـا الاجتماعى والجغرافى والعقـائدى البسيط السهل السمح الطليق ، ومن هنـا فقد اختفت من الأدب العربى القـديم المسرحيـة والملحمة والقصة والأسطورة ، وحين ظهـرت قصص مثل ألف ليـلة أو كليلة ودمنـة أو المقامات كانت كلها دخيلة على الأدب العربى ولم تكن تصور النفس العربية فى حقيقتها وربما كانت تصور النفس الشرقيـة التى مازالت تحت تأثير وثنيـات المجوسية أو نظريات وحدة الوجود الهندية أو غيرها .

أما النفس العربيـة حتى فى وثنيتها القـديمة وأساطيرها الجاهلية فقد كانت بسيطة غير مسرفة حيث لم تكن الا انحرافا عن التوحيد القديم الذى جاء به ابراهيم .

ومن هنـا فان القصة فى مفهومها الغربى اليوم قائمة على الخيال والوهم ، وعلى العقـدة والحل ، وعلى الاسراف فى التفاصيل ، وعلى انتفاء الصـدق ، وعلى طوابع الرمز والظلال انما تجنح بعيدا عن جوهر النفس العربيـة ولا تكون الا صورة مقلدة للآداب الغربية ، ولذلك فانها تسقط وتختفى مع اشراق المفهوم الأصيل للذاتية العربية والمزاج النفسى الاسلامى الذى هو مصدر الأدب فى الحقيقة .

# الباب الثالث

## الفقـــه

السنـة

الشريعـــة

الاجتهـــاد

التقليــــد

الربـــا

الرقيـــق

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

## السنة

السنة هى تفصيل ما أجمل القرآن والتطبيق العلمى للاسلام . وتشمل السنة : الحديث النبوى وأعمال الرسول نفسه . وقد أثيرت الشبهات منذ وقت طويل حول السنة . وترددت دعوات كثيرة تطلب الاكتفاء بالنص القرآنى وتتهم الحديث النبوى بانطوائه على كثير من الدخايل ، والحق أن الدعوة الى رفض السنة أو انتقاصها والاكتفاء بالنص القرآنى وحده انما هى دعوى تغريبية خبيثة ترمى الى الفصل بين النص والتطبيق وبين القانون والواقع العملى الذى جرى عليه الاسلام منذ أقام مجتمعه وانفذ نظامه .

فالسنة هى التطبيق الواقعى العملى المتمثل فى الأسلوب الذى اتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم فى تنفيذ النص القرآنى ، ومن هنا فالنص القرآنى وحده لا يكفى المسلمين اليوم ولا يحقق لهم اسلاما حقيقيا ، وهذا فضلا عن أن ( السنة ) جزء من القرآن نفسه بنص القرآن : « وانزلنا اليك الكتاب لتبين للناس مانزل اليهم » .

فهذا البيان الذى يفسر القرآن ويطبقه هو باقرار القرآن جزءأساسى، وفى هذا يقول العلامة ليوبولد فايس ( محمد أسد ) :

ان رفض الحديث يرجع الى استحالة الجمع بين حياتنا الحاضرة المتقهقرة وبين روح الاسلام الصحيح كما يظهر فى سنة النبى — فى نظام واحد . ولكى يستطيع نقدة الحديث المزيفون أن يبرروا تصورهم وتصور بيئتهم فانهم يحاولون أن يزيلوا ضرورة اتباع السنة لأنهم اذا فعلوا ذلك كان بامكانهم حينئذ أن يتأولوا تعاليم القرآن الكريم كما يشاءون على أوجه من التفكير السطحى ، أى حسب قبول كل واحد منهم وحسب طريقة تفكيره هو ، وهذا هو الهدف الكامن وراء مهاجمة السنة واثارة الشبهة حول الحديث .

وقضية التقليد قضية قديمة قدم الفكر الاسلامى وهى فى نفس الوقت

قضـــية أساسية يتخذ منها الاسلام موقفا واضـــحا أساسه التحـــذير من التقليد ومدى الخطر المترتب عليه . وفى هذا يؤثر عن رسول الله قوله: « لتتبعن سنن من قبلكم حذو القذة بالقـــذة : حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » ره.

قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ، قال فمن !

والمسلمون والعرب فى العصر الحديث خرجوا من تقليد قديمهم الى التقليد الغربى فكأنهم عادوا الى السنن السابقة حيث يقوم الفكر الغربى فى جوهره على الفلسفة اليونانيـــة أو القانون الرومانى ، ويعتنق نفس النظريات القديمة المتصلة بالوثنيـــة واعلاء الأجنـــاس والألوان والتفرقة العنصرية واعتبار مادون اللون الأبيض ( صاحب الحضارة ) عبيدا وأتباعا! ومن الخطر أن يظن المسلمون والعرب أنهم بخروجهم عن قـــديمهم وفيـــه الـــكثير من قيمهم الانسانية الفطرية المتجددة ، الى تقليد الغربى المستحدث الذى يرجع فى أساسه الى قـــديمهم الســـابق للتوحيـــد والأديان ، انما يتجددون ويتطورون ، ذلك أنهم فى الحق انما يتركون أصلح مافى القديم الحى المتصل بواقعهم وتاريخهم ، الى القديم المتجـــدد من تراث الوثنيـــة القائم على غير التوحيد ومفهوم الدين الحق .

وهو ظن فاسد كل الفساد بعيد عن طبيعة الفطرة الانسانيـــة التى يمثلها الاسلام أعظم تمثيل .

## الشريعـــة

يطلق لفظ « الشريعة » على النظام الذى شرعه الاسلام فى التعامل بين الناس ، وهو القانون الذى كان مطبقا فى العالم الاسلامى والبـــلاد العربية الى حين قـــدم النفوذ الاستعمارى فأزاله وأقام بـــدلا منه قانونه الأوربى المعروف الذى مازال تتعـــامل به أغلب بلاد العـــالم الاســـلامى الى اليوم .

وقد جرت أبحاث عديدة خلال العقود السبعة الماضية حول المقارنة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضـــعية ، وقام دعاة التغريب باثارة الشبهات حول الشريعة الاسلامية واعلاء شأن الأنظمة الغربيـــة ، وكان

لورد كرومر فى مقدمة من حمل على الشريعة الاسلامية فى مصر منذ عام ١٨٩٢ وقد أورد هذه المعانى فى كتابه ( مصر الحديثة ) الذى صدر عام ١٩٠٧ وهاجمه كثير من أساطين الفكر فى مصر والعالم العربى ، وكشفوا وجه الحقيقة فى أمر الشريعة الاسلامية ، ولم يمض على ذلك أكثر من ثلاثين عاما حتى اعترف أساطين القانون فى العالم أجمع بايجابية الشريعة الاسلامية واستقلاليتها وأصالتها وقدرتها على أن تقدم للعالم كله وللانسانية أصلح نظام ، وذلك فى مؤتمر القانون الدولى فى لاهاى سنة ١٩٣٧ الذى قرر بأن الشريعة الاسلامية نظام قانونى مستقل غير مأخوذ من التشريع الرومانى وبذلك تقرر تمثيل الشريعة الاسلامية فى محكمة العدل الدولية كنظام مستقل من النظم العالمية الكبرى ، وفى خلال هذه الفترة هوجمت الشريعة الاسلامية ومن بعد هذا المؤتمر أيضا ، وفصل الاسلام عن أنظمة الحكم ، وفصل المجتمع عن الشريعة فى حياة المسلمين ، ومن هنا انطلقت دعوات الفصل بين الدين والسياسة ومحاولة القول خطأ بأن الاسلام دين عقدى ولا صلة له بالمجتمع والحياة ، جريا وراء المفاهيم الغربية التى رددت ذلك فى أوربا بالنسبة للمسيحية ، وكانت هذه الدعوات والمحاولات ترمى فى الأغلب الى تصوير الاسلام بصورة مختلفة عن حقيقته وجوهره ، باعتباره الدين الوحيد الذى قصد الى بناء مجتمع وفق نظام كامل ، وليس قاصرا على العبادات وحدها ، ولا على الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وارث ، وانما يشمل مختلف جوانب المعاملات فى المجتمع، سياسية واقتصادية وتربوية وأخلاقية .

ولقد جرت محاولات متعددة خلال فترة الاحتلال البريطانى لمصر وفى خلال فترة الحماية وقبلها تهدف الى الغاء الشريعة الاسلامية من أنظمة الأحوال الشخصية الخاصة بأحكام الزواج والطلاق .

وقد واجه المفكرون المسلمون هذه القضية باهتمام كبير ، وأصدر ( على أبو الفتوح ) أول كتاب عن الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية عام ١٩٠٥ ، كما أجرى كثير من الباحثين بعد ذلك مقارنات حول ما أثير من شبهات عن صلة بين الشريعة الاسلامية والقانون الرومانى واشارت ( المنار ) الى واقعة دخول القانون الفرنسى الى البلاد المصرية فى أواخر عصر اسماعيل وقالت :

« انه لما أريد تنظيم القضاء لم يتمكن العلماء المصريون من الكشف عن جوهر الشريعة الاسلامية واضطروا تحت ضغط النفوذ الأجنبى الى ترجمة قانون نابليون ، وقد واجه الفكر الاسلامى منذ يقظته كل ما أثير ضد الشريعة الاسلامية وما يوجد من أوجه نقص فى القانون الأوربى فيما يتعلق بالزنا والربا والخمر والميسر ومسائل زواج المسلمة بغير المسلم ومسألة الميراث واباحة البغاء ، وظهر علماء من رجال القانون وممن درسوا القوانين الأوربية والشريعة الاسلامية وكشفوا عن الفوارق والميزات بين الشريعة والقانون ، وأشار الكثيرون الى ماجرت عليه تركيا فى عصر مصطفى كمال من تبنى القانون المدنى السويسرى ، وأبانوا عن أن هذا القانون ليس مستحدثا ، وانما هو مزيج من القانون الرومانى القديم والروح المسيحية ، وأنه وضع تصميما خاصا بعادات وتقاليد أمة من الأمم ، وكيف أن ذلك يكشف عن مخالفته لدين وتقاليد وعادات تركيا .

وفى عام ١٩٥١ عقدت شعبة للحقوق الشرقية من المجتمع الدولى للقانون المقارن مؤتمرا للبحث فى الفقه الاسلامى فى كلية الحقوق بجامعة باريس تحت اسم ( أسبوع الفقه الاسلامى ) ودعت عددا كبيرا من المستشرقين وأساتذة القانون فى الدول العربية لبحث كثير من النظريات وأبدى نقيب المحامين فى باريس عجبه حين قال :

« لست أدرى كيف أوفق بين ماكان يحكى لنا عن جمود الفقه الاسلامى وعدم صلاحيته أساسا تشريعيا يفى بحاجات المجتمع العصرى المتطور وبين مانسمع الآن ، فقد ثبت بجلاء : أن الفقه الاسلامى يقوم على مبادىء ذات قيمة أكيدة لا مرية فى نفعها ، وأن اختلاف المذاهب الفقهية وعلى مجموعة من الأصول الفنية البديعة التى تتيح لهذا الفقه أن يستجيب بمرونته لجميع مطالب الحياة الحديثة » .

وقد عرض الكثيرون للفروق والمخالفات بين الشريعة الاسلامية والقانون الرومانى وأبرزها أن الشريعة الاسلامية لم تفرق بين الروح والجسد ولم تهمل واحدا منهما ، وأن الانسان مركب منهما جميعا ، وأن المسلمين قسموا الفقه على أساس العبادات والمعاملات والعقوبات بينما قسم القانون الرومانى لى أساس الأشخاص والأشياء والخصومات .

وأن أساس القانون الاسلامى مستمد من كلام الله المنزل بالوحى ، أما أساس القانون الرومانى فمستمد من مشيئة الانسان ، وان خلاصة القانون الاسلامى : ( لا اله الا الله محمد رسول الله ) بينما بنى الرومان أحكامهم اما على أوامر رئيس الحكومة أو العرف والعادة ، وقد أهملت كتب الفقه الرومانى المسائل العمومية كالأمور الدستورية وأحكام القانون الدولية وجعلتها من أمور السياسة ، بينما الامام عند الفقهاء المسلمين حسب النية من حيث العمد والخطأ ولا توجد هذه عند الرومانيين ، وكذلك الدية والقصاص عند المسلمين، وكذلك الحدود التى تتعلق بالقتل والسرقة والزنا والقذف وشرب الخمر والارتداد ، بينما الزنا والقذف وشرب الخمر ليست محرمة عند الرومانيين ومن ثم فلا عقاب عليها .

وليست هناك مشابهة بين الشريعة الاسلامية والقانون الرومانى فى الزواج وهو عقد يجمع الزوجين برضاهما بينما يوجد عند الرومانيين أصناف عديدة للزواج الجائز يعتبر أكثرها عند المسلمين كالزنا ، وقانون الوراثة وتقسيم التركة عند المسلمين يغاير ماعند الرومانيين ، وكذلك نظام القضاء وأدوات القصاص ، والقانونان يختلفان حتى فى المعاملات المالية ، فمثلا الربا غير محرم عند الرومانيين ، وحتى أساس التجارة يختلف بينهما ، فالبيع عند الفقهاء المسلمين ( عقد برضا المتعاقدين ) وهو عند الرومانيين عقد يتعلق بالمال الخ .

وأضافت هذه الأبحاث ومنها البحث الذى اعتمدنا عليه للدكتور محمد حميد الدين أن الفقهاء المسلمين ماكانوا يعرفون اللغة اللاتينية التى كتب بها القانون الرومانى ، ولم تترجم هذه القوانين الى العربية قبل أوائل القرن العشرين ، ومن المعروف أن المقنن عند الرومانيين هو موظف الدولة ، أما عند المسلمين فالفقيه لم يكن ابدا الا رجلا من عامة الناس تعلم وتفقه فأفتى ودون كتب الفقه .

## الاجتهاد

الاجتهاد : كلمة جامعة تشمل جميع أنواع السعى وبذل المجهود فى استنباط الأحكام من النصوص الشرعية ، واستخلاص الفروع من الأصول .

ويمثل الاجتهاد طابع الحركة ومواجهة التغير والتطور فى البيئات والعصور تجاه المسائل والقضايا الاجتماعية والمعاملات المختلفة . ويكشف عن قوة الحيوية والحركة فى الفكر الاسلامى والثقافة العربية ، فهو عامل مؤثر يحول بين الفكر والجمود أو التخلف أو التوقف عن مواجهة العصر أو التجارب معه ، وهو علامة على طبيعة الفكر الاسلامى القادرة على التحرر من قيد التقاليد ، وينسحب طابع الاجتهاد على الفكر الاسلامى كله فيكون علامة من علاماته البارزة بما يحقق له القدرة على النماء والقدرة على مواجهة كل جديد .

والفكر الاسلامى يقاوم التقليد ويرى فيه آفة الجمود وعلة التخلف . ولذلك فان الاجتهاد قانون أصيل يتمثل فى القدرة على التجدد والحركة فى مواجهة الأمم وحضاراتها وثقافاتها والملاءمة بين قوة الفكر وحركة المجتمع .

و « الاجتهاد » اصطلاح فقهى يعنى بذل الوسع للحصول على رأى أو حكم فى مسألة من مسائل الشريعة ، وهو أحد طوابع الاصلاح والتقدم والتجديد فى الفكر الاسلامى .

وقاعدته أن يهتدى بالقيم الأساسية والقواعد العامة ويتحرك فى اطارها بما يحقق العصرية والتطور ويحفظ الطريق الطبيعى للمجتمع داخل الشريعة .

وقد حرص الفكر الاسلامى وربيبته الثقافة العربية على سلامة المجرى المتصل خلال التاريخ الطويل باقرار ركيزتين أساسيتين :

أولاهما : حماية القيم الأساسية والمفاهيم الأصيلة لهذه القيم من أن تتوارى أو تذبل أو تتحرف .

ثانيهما : فتح باب الاجتهاد لمطاولة العصور المتوالية والمجتمعات المختلفة مع القدرة على الاستجابة والمعاصرة وايجاد حلول واجابات لكل ما يتصل بها من قضايا ومشاكل وتطورات .

وبذلك يكون الاسلام والفكر الاسلامى متحررا دوما ومتخلصا دوما من الزيوف الدخيلة والأفكار المغايرة والمذاهب الوافدة ويظل محتفظا بقوته

وذاتيته فى نفس الوقت الذى يكون فيه قادرا على الحركة والانفتاح على الفكر البشرى أخذا وعطاء .

ولا شك أن المجتمع الاسلامى فى العصر الحديث فى حاجة الى أمرين أولهما : اقتباس العلم والتكنولوجيا ومشاركة الأمم فى هذا التراث الحضارى .

والأمر الثانى هو أن يتحقق له ذلك دون أن يخرج عن اطار فكره وذاتيته وثقافته ، ومن هنا فان قانون الاجتهاد هو الأداة المشروعة لتحقيق هذا العمل ، بوضعه على مستوى الأمم الحية ، دون أن يذوب فىثقافات الأمم وبوتقة مذاهبها وأفكارها .

ان حاجة الأمة الى الحياة والتطور تجعل لها من قانون الاجتهاد حافزا للحركة وضابطا لحياتها ، بحيث تستطيع أن تتحرك فى حرية داخل نطاق فكرها وقيمها ودون أن تدع الحضارة العالمية لتفقدها ذاتيتها وشخصيتها وقيمها الأساسية .

والاجتهاد قادر على أداء هذه المهمة ، من خلال الجوانب المفتوحة والمطلقة للاجتهاد ، دون أن يخل ذلك بالقوانين الأساسية العامة مما رسمت الشريعة الاسلامية من حلال وحرام ، والمعروف أن القوانين الثابتة فى الشريعة الاجتهاد فيها ولا تحايل على الخروج عنها .

والشريعة الاسلامية هى مناط التنظيم الاجتماعى ترسم اطارا واسعا له حدود وضوابط ، وتدع للمسلمين الحق فى أن يتحركوا فى داخل هذه الحدود والضوابط ويلتمسوا من الأنظمة أو الأساليب ما يتفق مع عصورهم وبيئاتهم .

ولقد برز الأشعرى وابن حزم وابن تيمية فى أزمات حضارية اجتماعية شبيهة بأزمة عصرنا فاستطاعوا أن يحطموا الزيوف ويدحضوا الشبهات ويقضوا على الدخائل التى تحاول أن تفسد الجوهر أو تؤثر فى طوابع الفكر الاسلامى وملامحه وقيمة الأساسية .

ولقد كان مفهوم الاجتهاد فى الفكر الاسلامى هو مفهوم التجديد فى مجال تصحيح الفهم الناقص أو الفهم المنحرف بالاضافة الى الحقيقة الأصلية ، وكان الاجتهاد والتجديد طابع الفكر الاسلامى والثقافة العربية

جميعا وليس طابع الفقــه وحده ، التماسا للمنــابع الأصيلة ، وبنــاء عليها مما يتصل بالحضارة والعصر والتقدم ، واعطاء أجابات صحيحة لكل القضايا الجديدة التى يفرضها العصر بحيث يظل الفكر الاســلامى قادرا على مواجهة تطورات الحضارة .

ومفهوم الاجتهاد لا شك هو مفهوم التجديد وهو فى أعمق صــوره ايجاد حلول للقضايا الجديدة مع حماية الأصول العامة والحيلولة دون أن يفقد الفكر الاسلامى طابعه وروحه وذاتيته المتمثلة فى التكامل والشمول والامتزاج بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة » .

وتجمع الآراء الأصيلة أن باب الاجتهاد مفتوح فلا يجوز سده ، وأن الفترة التى وصفت باغلاق باب الاجتهاد فيها ، انما هى فترة الغزو التترى الصليبى للمجتمع الاسلامى وقد كان القول بتوقف الاجتهاد فيما انما يعنى المحافظة على الشريعــة من أن يدخلها ماليس متسقا مع أصولها فى ظل نفوذ أجنبى يخشى من حقده وخصومته ولذلك كان ذلك العمل فى حقيقته من أعمال الحفاظ على أصول الشريعة من أن ينالها ضير .

## التقليــــد

« التقليد » هو المتابعة بغير يقين عقلى أو اقتنــاع برهانى . وهى مرحلة ضعف تمر بها حياة الأفراد والأمم . والمقلد فى مفهوم الفكرالاسلامى لايعد عالما ، لأن العلم هو المعرفة الحاصلة عن دليل ، وقــد ذم الاسلام أصحاب الرأى الذى لا يستند الى دليل ، وقد رفض الاسلام مبدأ التقليد والتبعية ، يقول الامام الغزالى :

« ان التقليد يمنع من الأصالة ، والمعرفة التبعيــة ليست معرفــة حقيقيــة » ..

وعندنا أن التقليد ليس هو تقليد القــديم وحده وانما تقليد القــديم والوافد جميعا وهما سيان : تقليد القديم بغير برهان ، أو الأجنبى بغير ضرورة واتساق ، وكلاهما تتحرر منه الأمم التى بلغتمرحلة الرشد الفكرى وتسقط فيــه الأمم الضعيفة . وأخطر الأمور أن تدعى الأمم الى التحرر

من تقليد قديمها لتقع فى تقليد الأجنبى عنها ، وكلاهما يفسد الشخصية والذات .

ولكل أمة ثقافتها وقيمها وذاتها ومزاجها ، فلا تحتاج الى تقليد أمة غيرها فى أسلوب تفكيرها أو تعتنق قيمها ومفاهيمها ، ولكن الفكر الاسلامى والأمة العربية كانت متفتحة دوما على ثقافات الأمم دون أن تتخلى عن مقوماتها ، والاستعمار يستهدف من دعوته الى ترك تقليد القديم ودفع الأمم الى تقليد الوافد الأجنبى ، وذلك فى محاولة التغريب الجادة إلى اخراج الأمم من مثلها وشخصيتها وتمييعها فى الأممية والشعوبية .

ولكل أمة فطرتها وثقافتها الخاصة التى تقوم على أساس تراثها .

يقول أحد كبار المؤرخين : « لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة ، المنتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء اليها . وتكون أفئدتهم مهبط الدسائس نتيجة لتعظيم الذين قلدوهم ، ويكون هؤلاء المقلدون طلائع الجيوش الغالبة وأرباب الغارات يمهدون لهم السبيل ويفتحون الأبواب ، ويثبتون لهم الأقدام ويمكنون السلطان » .

## الربا

الربا معناه الزيادة وكان العرب يطلقونه على نوع خاص من معاملاتهم وهو أن يؤجل الدين أو ما يتبقى منه الى تاريخ معين بحلوله يرد المدين ما أخذه مع زيادة معينة ، والربا فى لغة الاقتصاد الحديث الفائدة ( Interet ) ويرجع استعمالها الى القانون الرومانى وكان يعنى بها التعويض الذي يدفعه المدين الى دائنه عندما يقصر عن الوفاء .

فالربا هو ربح المال المقدم للعرض عن طريق المصارف أو المقرضين بالربا ، وهو قاعدة من قواعد الاقتصاد الغربى العصرى وللاسلام منه موقف واضح هو موقف التحريم القطعى ، وقد أقر الاسلام قاعدتهالأصيلة فى الأمر « وأحل الله البيع وحرم الربا » .

والتعريف العام للربا يمكن أن يكون بتبادل سلعتين من نوع واحد

أو من نوعين متقاربين كالقمح بالقمح أو القمح بالشعير ، والربا فى القرآن له ثلاث عناصر :

١ — اعارة مال أو اغذية أو بضائع أخرى معينة .

٢ — فائدة باهظة . ٣ — وفاء مؤجل للدين .

فقد أراد الاسلام أن يجعل من التجارة عملا أخلاقيا لاأساسا اقتصاديا للتقايض ( تبايع السلع ) أما النهى عن أكل الربا فواضح فى قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة « وكذلك لا يقر الاسلام أن يدفع المدين مبلغا من المال الا اذا تأخر فى وفاء دينه ، ذلك لأن الزمن ليس سلعة تجارية تباع وتشترى ، من أجل ذلك لا يرى الاسلام أن يزاد الدين على المدين اذا تأخر عن تسديد ماعليه من المال .

وهكذا يتضح أن الربا متعلق بالدرجة الأولى بالديون المعقودة الى أجل مسمى .

ولما كان الذين يستدينون هم الذين يكونون فى حاجة ملحة الى مايستدينونه سواء أكان مالا عينيا أو عرضا من عروض التجارة ، شاء الاسلام أن تكون جميع الديون قروضا حسنة ( بلا زيادة على مبلغ الدين الأساسى ) .

وتقدير الربا فى الاسلام لا يقتصر على الديون المعقودة فقط ، ولكن هناك عددا من أوجه البيع العادى يمكن أن ينقلب ربا فى أحوال معينة .

وقد حرم الربا فى القرآن تحريما واضحا صريحا ولم يعقب تحريمه تفصيل أو تفريق بين الربا الفاحش أو الربا المعتدل ، وليس فى هذا التحريم ما يعوق النهضة أو النمو الاقتصادى فى العالم الاسلامى أو الأمة العربية ، التى تقوم أنظمتها ومشاريعها وحركتها على عوامل مختلفة عن عوامل مدنية الغرب .

فالمعروف أن المدنية الغربية تقوم على الصراع وتوفير اللذات ، ويغلب عليها الترف وحب الذات ، وفى ظل المدنية الغربية ومن منطلقات الربا والصراع ظهرت المزاحمات والمضاربات .

ولـــكن مفهوم المدنية الاسلامية ومفهوم المجتمع الاســـلامى الصحيح لايقوم على مثل هذه البواعث بل يقوم على احقاق الحق وازهاق البـــاطل والسعى لاقرار حكومة عادلة تقوم على الأمر بالمعروف وبذل الصدقات ، والمواخاة والتعاون والتكافل ، لترقية النفس الانسانية واعدادها للكمال. ولذلك فإن الإقتصـــاد الاسلامى لايقوم على أساس التزاحم والتنـــافس والمضاربة ، بل التراحم والتساهل والملاينة .

وبالجملة فإن شكل الحضارة الاسلامية لا يقتضى وجود الربا فيه .

وحكمة تحريم الربا في الإسلام : الا يتمانع الناس بالمعروف .

يقول لورد كيتس الأستاذ بجامعة كمبردج : من الممكن أن تنسب جميع الآفات الاجتماعية الى الربا - وبقـــدر مايزداد مجتمع ما تقدما فى المدنية والثقافة فانه ينقص عنه نصاب الربا فى عين المقدار والنسبة بحيث انه فى مجتمع مثالى سيكون المبلغ « صفرا فى المائة » .

## الرقيـــق

أقرت الحضارة الرومانية « الرق » واعتبرته أساسيا لبناء المجتمع الرومانى ، ونصت جمهورية أفـــلاطون على تقسيم الناس الى قادة وعبيد، ودافع أرسطو عن اقامة نظام العبودية والرق .

والقانون الرومانى لم يكن يعتبر الرقيـــق انســـانا له شخصية ذات حقوق على الانسانية ، بل يعتبره شيئا من الأشياء كسائر السلع التى يباح الاتجار فيها . أما الاسلام فانه وضع قانون تصفية الرق ، بعد أن حصره فى دائرة ضيقة . وأقام بين الانسان ورقيقه علاقات جديدة كريمة لم تكن موجودة من قبل ، وحبب اليه العتق وقرر للأرقاء حقوقا لم تكن لهم من قبل .

كما قيد الاسلام الاسترقاق ، بحرب شرعية على أن يكون المحاربون من غير المسلمين ، ودعا الاسلام المسلمين الى رعاية أرقائهم ، ونها النبى عن أن يقول « هذا عبدى » وأمر باحترامهم والانعطاف لهم .

ولم يبطل الاسلام الاسترقاق لأنه كان واقعا من أنظمة المجتمع القائم. ولم يكن من اليسير الغاؤه الا بالتدريج كما أعطى الاسلام الأرقاء حقوقا لم يحلم بها أحرار الأمم السابقة « اخوانكم خولكم » .

يقول الدكتور جورج يوست فى كتابه قاموس الكتاب المقدس (١) أن المسيحية لم تعترض على ( العبودية ) من وجهها السياسى ولا وجهها الاقتصادى ولم تحرض المؤمنين على منابذة جيلهم فى آدابهم من جهة العبودية حتى ولا على المباحثة فيها ، ولم تقل شيئا ضد حقوق أصحاب العبيد ، ولا حركت العبيد الى طلب الاستقلال ولا بحثت عن مضار العبودية ولا عن فسادها ، ولم تأمر باطلاق العبيد حالا ، وبالاجمال لم تغير النسبة الشرعية بين المولى والعبد بشيء ، بل بعكس ذلك قد أثبتت حقوق كل من الفريقين وواجباتهما . وهكذا كانت عبودية الانسان فى أمم الأرض عندما ظهر الاسلام فهو نظام كان معترفا به من كل الأمم ، وأسواقه قائمة فى كل مكان وآثاره موجودة فى بيوت الناس ومجتمعاتهم .

وقد أمر الاسلام :

أولا — بحسن معاملة من تحت أيديهم من الرقيق الى أقصى ما يمكن أن تسمو اليه الفضائل الانسانية .

ثانيا — الترغيب فى تحرير الرقيق الى أقصى ما ينتظر من دين عالمى جاء لعلاج عيوب المجتمع وبحسن توجيهه نحو الفضائل .

ثالثا — وضع قاعدة المعاملة بالمثل فى الحروب الدولية فيما يتعلق بالأسرى ومبدأ الاسترقاق .

وقد نص القرآن على ايجاب تحرير الرقيق فى سورتى التوبة والنور، وجعل من مصارف الزكاة تحرير الرقاب ( أى تحرير المملوكين ) وجعل من حق الرقيق أن يطلب من مالكه التعاقد معه على مبلغ من المال يدفعه له لسعيه فى سبيل التحرر من الرق « فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا » كما جعل الاسلام تحرير الرق فدية عن أمور كثيرة .

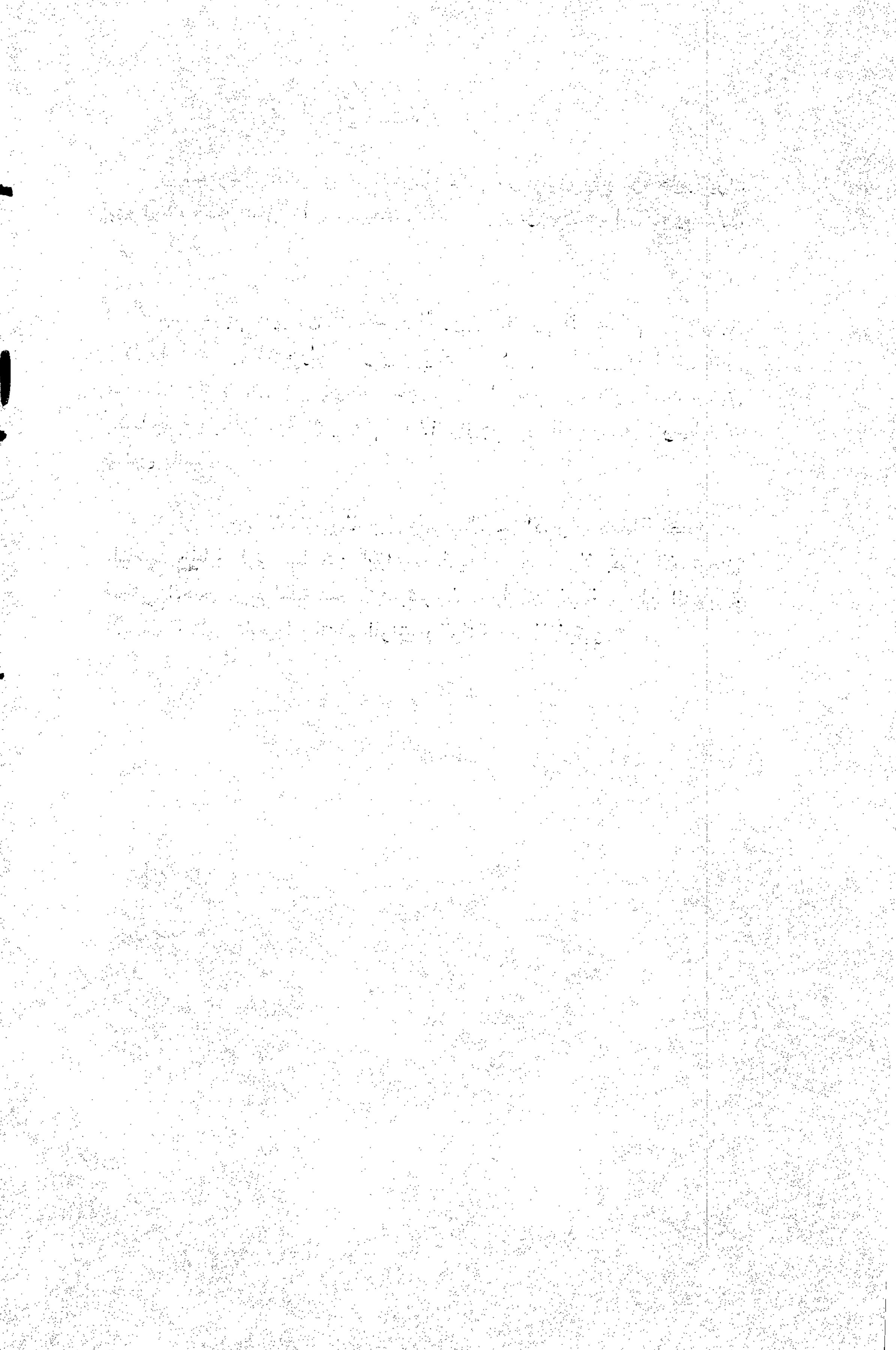
---

(١) ( ص ٦٠ — ٦١ طبعة بيروت ١٩٠١ )

والاسترقاق الشرعى فى نظر الاسلام هو الذى يقع فى حرب يراد بها اعلاء كلمة الحق على أن يعامل المترق بالرفق والاحسان كما يعامل الابن والأخ .

وقد هاجم كثير من الكتاب الغربيين مفاهيم الاسلام فى الرقيق وأثاروا الشبهات حولها ومن هؤلاء الكردينال لافيجرى الذى ألقى محاضرة عام ١٨٨٨ فى باريس هاجم فيها الاسلام ورد عليه أحمد شفيق باشا بكتاب بالفرنسية نشر عام ١٨٩٠ وترجم الى العربية . ومما قاله شفيق باشا :

« ان الدين الاسلامى لا يبيح بأى حال من الأحوال معاملة أحد من الناس معاملة الرق اذا كان أبواه مسلمين حرين ، ولا يكون الاسترقاق الا فى الحرب ومع ذلك فهو مقيد بشروط وروابط معلومة . وأن الشريعة الاسلامية تأمر تابعيها بالتزام الرفق والرأفة مع المملوكين » .



# الباب الرابع

## قضايا الفكر والاجتماع

- الأصالة
- الأحجار والبطولة
- الأساطير
- الاستشراق
- الاقتباس
- الالحاد
- التسامح
- التطور
- التعقيل
- التعريب
- التقدم
- التكامل
- التوراتية
- التوحيد
- الثورة الفرنسية
- الجرح والتعديل
- الجبرية
- الجهاد
- العروبة والاسلام
- العصرنة
- العصور الوسطى
- عصر الانحطاط
- علة تأخر المسلمين
- الغيبيات
- الفلكلور
- الفكر والعنصر
- القيم
- الكتب الصفراء
- كتب المحاضرات
- اللاتينية
- اللاهوت
- المنهج العلمى التجريبى
- المرأة وتحرير المرأة
- المحافظة
- المعرفة والعقيدة
- المثل الأعلى

حرية الفكر

الخطيئة

الدولة الثيوقراطية

رجل الدين

العلم والدين

العقل العربى

الوسطية

منطق أرسطو

المسرح والفكر الاسلامى

القرآن والأدب

هزيمة المعتزلة

وحدة الوجود

وحدة الحضارة

## الأصـــالة

ماتزال « الأصالة » هى أخطر التحديات التى تواجه المجتمع الاسلامى والفكر الاسلامى بعد طرقات تحديات « التغريب » التى تحاصرنا من كل جانب ولا تدع مجالا واحدا دون أن تواجهه بالشبهات والزيوف .

ان المحاولات كلها تستهدف اثارة « ضباب » شديد يحجب الرؤية الحقيقة أو يموه الواقع ، أو يحدث تداخلا بين الحق والباطل ، فلا يجد المسلم الأخيرة شديدة يحتاجها الى الضوء الكاشف والنور الهادى ازاء هذه الظلمات المتراكبة التى تحاول أن تجتـــاح الأصالة وتحتوى هذه الأمة وتصهرها فى بوتقة الأممية لتفقد كانها الخاص وذاتيتها التى بها تسمت أمة الاسلام .

ومن هنا جاءت المحاولات المسمومة التى تحاول أن تصور الأصالة بغير مفهومها الصحيح أو تزيف أبعادها الحقيقية مع المعاصرة ومع التغريب، ومع التراث ، كذلك فاننا نجد أنفسنا أمام تفسيرات عديدة لـكل قيمة من القيم أو مفهوم من المفاهيم نجد تفسيرا ماديا خالصا ، ونجد تفسيرا ماركسيا ، ونجد تفسيرا « فرويديا » أو تفسيرا وجوديا وتضيع «الأصالة» بين هذه التفسيرات لأن أحدا لا يقول ماهى وجهة نظر الاسلام الذى هو نظام مجتمع ومنهج حياة .

وفى هذا يصدق قول المستشرق « هاملتون جب » لقـد اسـتطاع نشاطنا التعليمى والثقافى عن طريق المدارس العصرية والصحافة أن يترك فى المسلمين ولو من غير وعى منهم أمـرا يجعلهم فى مظهرهم العـام « لا دينيين » الى حد بعيد ، ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر فى كل ماتركت محاولات الغرب لحمل العـالم الاسلامى على الابتعـاد عن حضارته من آثار .

ونرى وكأن الاسلام معزول عن الحياة والعلم والثقافة ، كأنما ليس له فى كياننا وجود ، وحين نواجه الحضارة الغربية يقولون أن هناك من

يرفضها وهنـــاك من يراها الطريق الوحيد ، ويحاولون القول بأن هناك مدرسة تتوسط ذلك وتحاول أن تجمع بين التراث والمعاصرة ، هذا الــكلام مازالت تردده دوائر التغريب منذ أكثر من خمسين عاما .

وهذا من التمويه الذى يريد أن يصطنع مذهبــا انتقائيا ، يريد أن يجمع شيئا من التراث الى شىء من الحضارة ، وهى محاولة تدرج نحو فقدان ملامح الشخصية الأصيلة بالتنازل عن أشياء وقبول أشياء ثم تعصف العواصف مع استعلاء النزعات الغربية بما بقى من التراث ، ويحـــدث الانفصال المأمول عن التراث ، عن الماضى ، وبذلك تنتهى قضية الأصالة ، ويحدث مايسمى بالانقطاع الحضارى .

والواقع غير ذلك ، فان الفكر الاسلامى لم يقبل طريقة الانتقاء التى قـــدمها بعض الباحثين أمثال رفاعة الطهطاوى أو محمد عبـــده أو غيره ولـــكنه دعا الى أن يقام ( أساس ) من الدعائم الأصيلة للاسلام ثم تعرض معطيات التراث ومعطيات الفكر الوافد جميعا على هذا الأساس ، وفى ضوئه يمكن تقبل ما يقبل شريطة ألا يكون ذلك معارضا للأصالة أو معطلا لها أو حاجبا لأى ملمح من ملامحها .

وجاء اليوم من يدعو الى تجديد الفكر العربى ، بتجديد دعوة الانتقاء من الترث ومن الحضارة ، وهى محاولة زائفة يراد بها اعلاء عناصر معينة من التراث ليست هى العناصر الأصيلة فيه .

اعلاء الفكر الباطنى والغنوصى واليونانى والمجوسى القـــديم الزائف الذى حطمه ( التوحيد الاسلامى ) وكشف عن زيفه والذى جاهد المصلحون ( أحمد بن حنبل والأشعرى والغزالى وابن تيمية وابن حـــزم ) فى سبيل تقديم التصور الاسلامى الأصيل ، خروجا على مفاهيم الفارابى وابن سينا وابن الراونـــدى وابن عربى والسهروردى والحلاج وغيرهم من خصـــوم الاسلام الداعين الى هدم مقوماته .

ولقد كشف ابرار المسلمين وقادتهم عن أن الطريق الوحيد هو التماس المنابع الأصيلة وهى الضوء الهادى والكاشف الى ( الأصالة ) .

نحن لا نطلب من حضارة الغرب الا ( العلوم التكنولوجية ) وحدها ، ومن حقنا ان نأخذها دون ان نأخذ معها ( أسلوب العيش الغربى ) الذى

يختلف عن قيمنا وأخلاقنا ومفاهيمنا .. ولا صحة مطلقا للزيف الذى يدعيه التغريبيون من أن هناك ارتباطا بين العلوم التكنولوجية ، وأسلوب العيش الذى هو منهج خاص بمجتمع مختلف .

وأمامنا تجربتان سابقتان : الأولى تجربة المسلمين حينما نقلوا علوم اليونان والفرس والهنود دون أن يأخذوا ثقافتهم وآدابهم .. والثانية هى تجربة الغرب حينما نقل علوم المسلمين فى عصر النهضة دون أن يأخذ عقيدتهم أو أسلوب عيشهم .

وكل مايقال فى هذا الصدد فهو من قبيل التمويه الزائف الذى لاتقره قوانين المجتمعات ولا نواميس الحياة .

أما العلم التكنولوجى فهو ملك البشرية كلها ، وكانت لنا فيه مشاركة ، وكنا من بناة دعائمه الأولى ، فالمسلمون هم الذين قدموا أصول المنهج التجريبى ، ولذلك فان من حقنا أن نأخذه متى توافرت لنا الامكانيات العملية والخبرة ، على أن نصهره فى بوتقة الفكر الاسلامى واللغة العربية حتى يدخل مرحلة الأصالة وحتى تنطبق عليه قوانين الاسلام فى العلوم والحضارة : « سلاما وأمنا ورحمة وعطاء للبشرية واخاء » .

* * *

وهناك قضية : « الأخلاق والتقاليد » وهى قضية يموهها التغريب ويحاول أن يفسد الفوارق العميقة بين الأخلاق التى هى جزء من الدين والتى هى قائمة بالحق ، لها طبيعتها الثابتة التي لا تتغير ، وبين التقاليد التى هى من صنع المجتمعات والتى تتغير مع تغير الزمان والبيئات .

ولقد حرص التغريب والاستعمار على اعلاء التقاليد واضعاف الأخلاق حتى سيطرت على مجتمعاتنا تماما ، وأن من حق الاسلام علينا أن نكشف هذه الآفات والعلل التى دخلت على مجتمعاتنا من العادات القديمة فاختلطت بالدين حتى كادت تغلب عليه .. وان علينا أن نعزل عن جوهر ديننا تلك البدع والخرافات والعادات التى تحاول اليوم أن تسيطر على مجتمعنا وتزيح الأخلاق الاسلامية الأصيلة .

ونحن في هذا كله علينا أن نهتدى بهدى القرآن .

ولا ريب أن المحافظة على شخصيتنا من أن تجتاحها عوامل التحول والاحتواء والاذابة هو أكبر الأمانات فى هذه المرحلة من حياتنا ، ذلك أن المحاولة التى تجرى الآن عن طريق الصهيونية والفكر التلمودى ومفاهيم العلوم الاجتماعية والايدلوجيات وعن طريق التبشير والاستشراق والتغريب تستهدف ( اذابة ) المسلمين فى الفكر الأممى ، بخلع ذلك اللبـاس الذى يميزهم عن العالم ، بالقضاء على تلك القيم والأخلاق والمناهج وأساليب الحياة وطرائق العيش التى تجعلهم فى النـاس شامة ، وتميزهم عن الأمم الغربيــة والشرقية على السواء ، وتلك ( ميزة ) أصـيلة دعاهم اليها دينهم وحرص عليها نبيهم ، وثبتها كتابهم « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » .

وستظل الأسس التى بناها الاسلام لهذه الأمة هى الدعائم الحصينة التى تحول بينهم وبين الانصهار فى بوتقة الأممية أو الاحتواء ، وسيظل فى مأمن من كل خطر ما استمسكوا بهذه الأسس وعلى ضوئها استقبلوا من أمرهم كل جديد وكل تغيير ونظروا فى كل ما يعرض عليهم من أمور العصر أو الحضـــارة .

ان كل هذه المحاولات التى يرسمها التغريبيون والتلموديون من وراء الماركسية والفرويدية والوجودية والبرجماتية تحاول أو تضع أهواءها فى مناهج وتضع أحلامها فى السيطرة على هذه الأمة فى مخططات . هــذه المناهج سينكشف زيفها ، وهذه المخططات سوف يتحطم هدفها .

ولقد تحطمت فى السنوات الأخيرة مناهج ومخططات ، وتبين فشل احتواء الاسلام وفكره وأمته ، وبعد سنوات طويلة من محاولات الليبرالية من ناحية ومحاولات الماركسية من ناحية أخـــرى ، ومن بين ذلك دعوات تختفى وراء الفرويدية والوجودية ومذهب العلوم الاجتماعيـــة وغيرها من دعوات تختفى وراءها التلمودية صاحبة مخططات بروتوكولات صهيون . كان الظن أن درة تاج الاسلام قـد أوشكت أن تسقط فى مصيدة ( الأممية ) ولـــكن هل توقف التغريب عن الغزو ، وهل توقف عن اتخــاذ أساليب جديدة ، فى سبيل هـــدفه الخطير فى اذابة المسلمين فى الفكر الأممى ،

وتمويه الأصـول الأساسية للفكر الاسـلامى باثارة الشبهات حول القيم الانسانية وحول قضايا العصر .

ان حقيقة واحـدة لا سبيل الى تجاوزها : أن المسلمين ( أساسا ) يعرضون عليه ما سيقدم اليهم من التراث أو من الفكر الوافد ، وان كل محاولات الفكر الليبرالى والفكر المـاركسى فى التطبيق قـد أثبتت فشلها وزيفها ، وان المجتمع الاسلامى قـد أعلن ، رفضه للجسم الغريب وأنه بعد تجربة استمرت الآن أكثر من مائة عام نستطيع أن نعلن فى وضـوح وصراحة فشل التجربة الغربيـة فى مجال التعليم والسياسة والاجتماع والقانون .

وان طريقا واحدا ليس غيره هو الطريق المفتوح أمامه الى استعادة مقدراته مع الاحتفاظ بشخصيته وذاتيته وأصـالته : هو طريق القـرآن والشريعة الاسلامية .

## البطولة

يخطىء كثير من باحثينا عندما ينساقون وراء مفهوم غربى للبطولة فى تقدير طابع من طوابع الفن كالتماثيل أو ما يطلق عليه تجسيد البطولة فى المهرجانات والاحتفالات الاستعراضية .

فنحن فى التماسنا لأى جانب من جوانب الفكر أو قضاياه يجب أن نلتمس جوهر قيمنا وذاتيتنا حتى لانقع فى فى خطأ كبير هو التماسنا لمفهوم دخيل علينا وهجر لمفهومنا الأصيل أو تجميد له .

« البطولة » قيمة من القيم التى تتمثل فى مختلف الثقافات والأفكار الانسانية ، شرقية وغربية ، أوربية أو أسيوية أو أفريقية ، وهو أمر متصل بكل المذاهب والأديان والدعوات ، ولـكن هذه القيمة الانسانية الكبرى يختلف الرأى فيها أو يختلف مفهومها ، فى كل ثقافة عن الأخرى ، ولكل أمة عن غيرها ، استمدادا من تراثها وجوهر فكرها .

وفى فكرنا العربى الأسلامى يبدو الأمر واضحا وضوحا لايحتاج الى خفـاء فنحن فى فكرنا الاسلامى وثقافتنا العربية نـكرم البطولة ونضعها

موضع التقدير ولكنا نختلف عن الفكر الغربى فى أساليب تقديرها وتكريمها، ان هذه القيمة عندنا لها مفهوم يختلف ، والتماثيل تجسيد مادى للبطولة يتفق مع ثقافات أمم مختلفة ، ولكن الفكر الاسلامى العربى يعق فطرته وجوهره وذاته وطبيعته ومزاجه اذا تقبلها ، وتقدير البطولة فىثقافتنا يكون بتكريم العمل الذى قدمه البطل وبنشر الفكر واعزاز الرأى وهو تخليد معنوى ، يقوم على تقدير الكلمة ولا ينصب أبدا على تقدير الفرد أو تقديسه أو وضعه فى صورة يبدو منها فى مجال التأليه أو مايشبهه على النحو الذى عرفه الأغريق قديما حين رفعوا أبطالهم الى مصاف الآلهة وأنصاف الآلهة . والأمم الغربية مستمدة من نظرتها ومن تراثها الأغريقى القديم تجسد الأبطال فى أشكال مادية ، ويرجع هذا أصلا الى الطابع الوثنى المستمد من فلسفات اليونان والهنود . ولكن الاسلام والفكر الاسلامى له طابعه ومفهومه لهذه القيمة الانسانية . فبطولة الاسلام : بطولة فكر لا بطولة تماثيل وأحجار ، وليس فى الاسلام هياكل تدمر ولا بعلبك ولا الأهرام ، وقد عرض لهذا الرأى كثير من الباحثين ، وفى مقدمتهم الدكتور عبد السلام العجيلى الذى يقول : ربما عد البعض هذا الفهم نقصا ولكنى أعتبره من مزايا العبقرية فلم يخلف العرب ( والمسلمون ) ماخلفته الأمم الأخرى ، فاوابد الحضارة العربية لم تنحتها من حجارة أو تسجلها الصخور بل سجلتها الأعمال الحية .

ويبدو هذا المعنى واضحا من وراء الوعى فى قول عمر بن عبدالعزيز لرجل كتب يستأذنه فى بناء سور للمدينة ، قال عمر ( حصن مدينتك بالعدل ) وكممن سور يزوره السائحون وهو مبنى على أساس من الظلم والجور . ويمتد أثر هذا الفهم الى الفن الاسلامى .

يقول الدكتور العجيلى : ان فن العمارة العربية لم يتميز بالضخامة والرسوخ بينما تميز بالجمال والدقة وخفة الظل فهو لم يقصد به أن يطاول الدهر وانما أريد به أن يكون متعة للعين والروح ، ومعنى هذا غلبة المعنويات على الماديات فى طابع الفن والبطولة ، ويصل هذا المعنى الى غايته بالقبول بأن الذوق الاسلامى العربى لم يتعلق بالتصوير كفن من الفنون الجميلة ، ليس لأن الدين نهى عنه بل لأن الروح العربية الاسلامية لا تميل اليه ولأنه لا يتفق مع فطرتها التى تجد مجالها الفنى فى «الكلمة»

وليس هذ مفهوم الذوق العربى وحده ولكنه فى الحق انما يمثل مفهوم الفكر الاسلامى الأصيل المستمد من جوهر الاسلام والقرآن أصلا وربما أخذ به العرب وعمقوه ، وان تخلف فى أجزاء أخرى لغلبة الفلسفات الوثنية السابقة للاسلام .

والفن الذى تعلق به العرب وأخلصوا له قبيل نزول القرآن هو الشعر ، لأنه أرضى رغبتهم فى الحيوية والاستثارة وجاءت الموسيقى امتدادا للشعر واتصالابه والفارق بينهما هو الفارق بين السذاجة والترف، وجملة الرأى أن الطابع العربى الاسلامى فى الفن والحضارة هو طابع الحيوية والروح العلمية ، ملخصا فى كلمات قليلة « أعمال خالدة لا آثار خالدة » .

## الأساطير

كلمة ( Historia ) كلمة يونانية معناها « خرافة » وهى التى دخلت الى العربية فى عصورها الأولى فأصبحت الأسطورة أيضا كلمة ( Mythology ) الميثولوجيا ، وقد كان لدى الأغريق القدماء قصص كثيرة عن ماضيهم تدور حول أبطال عظماء ، هذه الأساطير كانوا يفسرون بها الحياة والطبيعة والخير والشر ، وكانوا يؤمنون بأن هذه الأمور بأيدى آلهة وآلهات ، وقد آمن الرومان بآلهة الأغريق وأطلقوا عليها أسماء رومانية كما أضافوا الى الأساطير الأغريقية كثيرا من أساطيرهم، وتستعمل كلمة ( أسطورة ) فى التعبير عن الأعمال الخارقة وتدور حول الآلهة وتختلف عن الملاحم التى تسجل أفعالا انسانية ، ويرى الغربيون أن بين الأسطورة والدين علاقة ، وكثيرا ماتحكى الشعائر أحداث أسطورة والأسطورة فى الأغلب تحكى بمنطق العقل البدائى ظواهر الكون والطبيعة والعادات الاجتماعية ، وثمة تفسير يرى أن الأسطورة ابتكرت للابانة عن الحقيقة فى لغة مجازية ، ثم نسى المجاز المقصود وجرى تفسيرها حرفيا .

ولا يسلم العلماء الآن بنظرية واحدة تطبق على الأساطير ، والأصح عندهم التفسير الخاص بأساطير كل امة ، ومن حق أن يقال أننا حين نتحدث عن لأساطير انما نتحدث عن عالم مختلف عنا وربما لا يتطابق تطابقا كاملا معنا ، فاختلاف الثقافات والأمزجة بين الشرق والغرب يؤكد

وجود خلافات عميقة فى مختلف مفاهيم الفنون والآداب والقيم الاجتماعية والنفسية ، وعلينا حين نتحدث عن الأساطير أن ننظر أيما لهـا عالمها وتجدياتها ، وكذلك الأمر فى القصـة والفن والدين ، والأغريق واليونان لهم فى هـذا طوابع وقيم تخالف جو الشرق الذى عرف بأنه مبعث الأنبياء ومتنزل الديانات والذى طبع منذ القديم بطابع الايمان بالله .

والخرافة لم تكن واضحة تماما عند العرب ، ومن هنـا فان الأساطير التى عـرفت عنهم قليـلة ، أما الفراعنـة والفرس والهنود فـكانت لهم أساطيرهم المشتركة الأصل الوثنية الطابع ، ويجمع العلماء أن هذه المجموعة من الخرافات انما كانت تهدف الى تعليل خلق الـكون والله والأبطال . ويمكن أن يطلق على الميثولوجيا : « علم الانسان القـديم » ، وقد اعترف الأغريق بأن أسماء الآلهة رموز لقضايا طبيعيـة وفلسفية ( ابولو ) يرمز الى النـار و ( ميرا ) ترمز للهواء و ( بوسيدون ) للماء و ( أرتمس ) للقمر ، وما حروبها ومغامراتها سوى اشارات الى حرب العناصر الطبيعية .

وترى بعض النظريات أن هذه الآلهة ليست الا أسماء أفراد من البشر قاموا بأعمال باهرة ألبستهم التخليد الذى رقى بهم فى نظر الأغريق الى مقام الآلهة وأنصـاف الآلهـة ، وهو نوع من عبادة الأموات أو عبـادة الأبطـال .

وهذا المعنى غريب على الفكر الاسلامى كله ، هذا الفكر الذى عرف بوضوحه وصراحته وبساطتـه منذ جاء الاسلام ، حيث يقوم الفكر كله على قاعدة التوحيد الخالص لاله واحد ، لا يتعدد ، ولا يموت ، ولا يحارب البشر ، ولا يصارعهم ، ومن هنا تختلف مفاهيم عديدة من القضايا الخاصة بالطبيعة والخلق والتاريخ بين مفهوم الاسلام ومفهوم الهلينية .

فالبطولة فى الاسلام هى بطولة العمل والكلمة ، وليست بطولة الفرد نفسه ، ولذلك فان الأبطال فى الاسلام ظلوا فى درجـة الانسان ومكانه حتى بالنسبة لأعظم شخصية فى التاريخ الاسلامى كله وهو النبى محمـد صلى الله عليه وسلم ( وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ) ، ( قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى ) .

وهكذا يقطع الفكر الاسلامى قطعا ببشرية الرسول ، وبانعدام عبادة الأبطال أو ترقيتهم الى آلهة وأنصاف آلهة . وتبـدو هذه التفرقـة بين الفكر الهلينى والفكر الاسلامى فى تصوير الاله ، فضلا عن تعدد الآلهة .

فالهلينيون يصفون الآلهة بالمخامرة والضراوة وبالشراسة والجنون، فهم يتزوجون أمهاتهم وأخواتهم ثم يقطعون أجسادهم ويزنون ويأكلون لحوم البشر (١) .

وهناك آراء تقرر أن وضع الأساطير عند الهلينين وغيرهم انما كانت للذة والامتاع والايناس ، وليس للاخبار أو لاعطاء المعلومات ، ويقول الباحثون المتخصصون أن الميثولوجيا تصور خلق الانسان والكون وخلق النجوم والشمس والقمر ، وأصل الموت وتغنى بسير الأبطال ، وأكثرها يدور حول قصة واحدة فى روحها ، ومبدؤها عاشق ومعشوق يقترف أحدهما خطيئة فيتوارى عن الأنظار أو قد يكون سبب الافتراق خيانة أو فعلا متسببا عن غيره (١) .

وقد قذف الغربيون : الفكر الاسلامى والأدب والثقافة العربية بقدر ضخم من هذه الأساطير ، وعنى كثير من الكتاب والأدباء بترجمتها ومحاولة اغراق الأدب العربى فيها ، وجرى البحث حول الأساطير فى الأدب العربى نفسه وكان من أهم هموم المستشرقين والمبشرين للبحث عن الأساطير ، وقال رينان أن العرب ككل الأمم السامية ليس لها أساطير فى شعرها ولا فى عقائدها ، وأن هـذا يدل على ضيق الخيـال لديهم ، وقد عمد البعض الى بعث الأساطير العربيـة فى عصر ماقبل الاسلام ، وفيها وصف العرب لآلهتهم ، وقـد وجدوا من ذلك شيئا ليس بالكثير ، ولا بهـذه الصورة الهلينية ، ومرجع هذا فى الأغلب الى أن الوثنيـة العربية كانت وثنيـة تقليدية ، وليست فلسفية وأنها لم تتعمق هذه الألوان ، فقد كانت العرب على دين ابراهيم وهو دين التوحيد ثم انحرفت الى وثنيـة طارئة ، فلما جاء الاسلام قضى على هذه الآثار ، وقد حاول طه حسين وغيره انتحـال أساطير حول سيرة الرسول وألف عنها كتابا هو على ( هامش السيرة ) وقـد عارض الدكتور هيكل هـذا الاتجاه ووصفه بأنه اتجـاه خطير من حيث حرص المسلمين طوال العصـور على تنقيـة سيـرة الرسول من الأساطير وابعادها عن الروايات الخيالية والوهمية التى حاولت الاسرائيليات الصاقها بها (٢) .

---

(١) أنيس فريحه ، مجلة الأبحاث . م/٤

(١ ، ٢ ) راجع المعارك الأدبية لأنور الجندى .

واذا جرت المحاولة للربط بين الأسطورة عند العرب قبل الاسلام وعند الاغريق فقد ثبت أن هنـاك فارقا بعيدا بينهما يستمد أصـوله من مزاج الشعبين وطبيعتهما المتباينة فضلا عن اختلاف الجغرافيا والتاريخ فضـلا عن الوضوح الموجود فى البيئـة العربية . وفى هذا يقول الشوباشى : بينما الشعر الأغريقى الملحمى يصور عالما وهميا لاتكاد تقود صلة بينـه وبين الحياة الحقيقية للمجتمع الأغريقى وتصف آلهتـه وعمالقته وفرسانه بأنهم يتميزون بقـدرات غير آدميـة ويحققون الخوارق ويتسـامون وراء شهوات وأطمـاع وأحقاد ويأنفون أن تغلب عليهم الرحمة أو تحس قلوبهم بحب أو حنان ويرتكبون فى سبيل تحقيق غايتهم أثاما تتقزز منها النفوس ولا يعتمـدون على الأجسـاد فحسب ولـكنهم يمثلون بالجثث . والمرأة قاسية كالرجل فهنـاك امرأة تشترك مع عشيقها فى قتل زوجها والتنكيل بأبنائها وأخرى تتزوج بأبنائها .

وبينما كان ذلك الشعر يرسم تلك الصور المشوهة المخيفة ، حرص الشعراء العرب القدامى على تصوير عالمهم الحقيقى بما فيه من خير وشر وتحليل عواطفهم كما أحسوها ، ووصف الأحداث على نحو ما وقعت لهم، وهنـاك فارق آخر أشار اليه الشوباشى وهو أنه بينما كان الشعر العربى ديوان علوم العرب وأخلاقهم وأخبارهم ، كانت حكمـة الشعر الأغريقى أقرب الى أن تكون مواعظ تربوية .

وبينما كانت الملاحم الأسطورية اليونانية تقوم على شطحات الخيـال والتهويل والأغراب ، يان رواة الشعر العربى يحرصون على صيانته من كل تغيير أو تحريف .

ويتصل بالفوارق البعيدة بين مفهوم الغرب للأساطير ، فارق الطبيعة النفسية الواضحة الصريحة فى العربى والجو المـكشوف فى الصحراء، بينما هنـاك وحشة الجبـال وقسوة الطبيعـة ، ولهذا الخلاف الجذرى

---

(١) ص ١٣٨ رحلة الأدب العربى الى أوربا للشوباشى .

(٢) الرسالة م ١٩٤٩ ص ٨٢٤ .

(٣) نفس المصـدر .

لم يترجم العرب والمسلمون الميثولوجيا والأساطير والالياذة اليونانية وقالوا : أنها تعبير عن النفس الانسانية الهلينية ، ولهم تعبيرهم الأصيل عن النفس العربية .

وتختلف الميثولوجيا اليونانية عن الميثولوجيا المصرية القديمة أيضا كما تختلف عن العقيدة الاسلامية « فالآلهة في الميثولوجيا اليونانية والميثولوجيا الاغريقية تدفعها حيوية عارمة الى كل تصرفاتها ، حيوية لا تفرض العدل والحق والخلق والضمير لأنها حيوانية عاتية شهوانية باطشة ، والآلهة فى الميثولوجيا المصرية القديمة تسيطر عليها فكرة العدل والخلق والحق فى الغالب » .

أما الاسلام فينبذ نهائيا فكرة الشهوة والظلم عن ذات الله ، وفكرة القدر في الاسلام لا تتفق مع الفكرة الاغريقية ولقد حاول كثير من الكتاب ترجمة الميثولوجيا الاغريقية ولكنهم كانوا يحسون أنهم ينحتون الصخر، وذلك للفوارق الواضحة بين النفس العربية والنفس الاغريقية ، وقد أشار الى ذلك كاتب الرسالة حين قال ان الصعوبة الأساسية فى الأساطير واستلهامها ليست فى الحاجة الى الفهم . فالفهم قد يكون ممكنا بالشرح ولكن الصعوبة الحقيقية كامنة فى الشعور بها فى أعماق الضمير . أن الأسطورة تنبع من ضمير الشعب لا من رأسه ، وتعيش كامنة فى دمه واحساسه وهى تراث شخصى لكل شعب لايمكن نقله الى ضمائر الشعوب الأخرى ، كما لا يمكن نقل الثقافات الى الرؤوس بل كما يمكن نقل الاعمال الأدبية التى لاتقوم على أسس وراثية كالأساطير، ولابد أن تعيش الأسطورة حياتها فى تاريخ الأمة وضميرها حتى يستسيغها ذوقها وتنبض لها قلوبها . لهذا لم يكن ممكنا أن يشعر العرب بجمال التراجيديا الاغريقية والمستندة فى صميمها الى الأساطير لأن تنقل الى تراثهم كما نقلت الفلسفة لأن الفلسفة تراث ذهنى فى الأغلب والأسطورة تراث شعورى فى الصميم .

## الاستشراق

ان أبسط تصوير للاستشراق وأعمقه هو أنه « استخدام العلم فى خدمة السياسة » والاستشراق بعضه متصل بالنفوذ الاستعمارى وبعضه متصل بالثقافات الغربية والمسيحية ، وبعضه متعصب .

ومن هنا فقد كانت مادته فى الأغلب ناقصة لتغذية حركة التبشير وكانت آراؤه وملتقطاته انما تمثل « مادة » خاما يستطيع التبشير استعمالها فى دعم خططه ، وفى اثارة عوامل الخلاف وتأريث الشبهات بما يحقق مخططه ، والاستشراق اذا كان خاضعا لنفوذ دينى أو سياسى فانما يدرس القضايا بوجهة نظر مسبقة وبأحكام مقررة وبأهداف واضحة : أساسها خدمة النفوذ الاستعمارى ، وقوامها التعصب والاتهام للشرق والاسلام والعروبة ، ومهما صيغت كلماته فى أسلوب له طابع علمى فانها تنطوى على عدم الحيدة وعلى لا انحياز . وقد عمل عدد كبير من رجال الاستشراق فى مجال التبشير ، وكانت كتاباتهم وقودا خصبا فى أيدى المبشرين ومن هؤلاء مرجيعلوت وماسليون وهنرى لامنس ولويس شيخو وفنسنك وجولدزيهر فهم من أشد المستشرقين تعصبا على الاسلام واللغة العربية .

وقد كانت كلمة ( الاستشراق ) فى نظر الكثيرين وما تزال تحمل طابع البحث المجرد من الهوى ، غير أن النصوص التى يقدمها علماء الاستشراق فى مختلف البحوث تكشف عن غير قليل من القصور فى الفهم أو الهوى فى القصد ، وأخطر ما يتصل بتاريخ الاستشراق أن رجال الارساليات التبشيرية قد خلعوا أثوابهم فى السنوات الأخيرة بعد أن انكشف أمرهم وتخفوا وراء أستاره كما أن هناك كثيرين تحولوا من الاستشراق الى التبشير وفى مقدمة هؤلاء : لويس ماسنيون الذى كان تابعا فى عمله لوزارات الاستعمار وقد عاد فى سنواته الأخيرة فعمل فى معسكر المبشرين جهرة اعتمادا على اسمه اللامع المحيط بقدر كثير من سمت العلماء .

وقد يتحدث الكتاب ببساطة وحسن نية عن الدور الذى حققه الاستشراق فى بعث التراث العربى الاسلامى . ونحن نعرف أن مصدر اهتمام المستشرقين بالشرق والاسلام ليس مجردا ولا خالصا لوجه العلم

والحق انما يرجع الى أن العالم الاسلامى واقع فى قبضة استعمارهم فهم يدرسون تاريخه وأدبه بهـدف محدد ، وهو التعرف الى نفسية هذه الأمم ليكيفوا مواقفهم ومعاملاتهم وعرفوا من أى جهة يستطيعون اخضاعه . وما هي جوانب الضعف فيـه للتركيز عليها وما هي جوانب القوة فيه للقضاء عليها ، وذلك بهـدف أن يبقى نفوذهم ويستمر . وهم فى كل ماكتبوه قد عمدوا الى وضع : ( الاسلام واللغـة العربية والثقافة والتـاريخ ) فى قفص الاتهام ، وحملوا كتاب العرب والمسلمين على الوقوف موقف الدفاع ورد السهام .

واذا كان المستشراق خالصا لوجه العلم فلماذا يركز على الجوانب الضعيفة والروايات المدخولة والشبهات ، ولمـاذا يركز على النصـوص الفلسفية حين يدرس التصـوف وعلى الباطنيـة حين يدرس التـاريخ ولمـاذا يولى اهتمامه للحلاج والسهروردى فى الدراسات الصوفيـة وأبو نواس وبشار فى الدراسات الأدبيـة وأبو بكر الرازى وابن الراوندى فى الدراسات الفلسفية ، ولمـاذا يهاجم بعنف المتنبى وابن خلدون والغزالى ولمـاذا لا يعنى بالأصـالة فى الفكر الاسلامى ويهملها ثم يركز على الآثار الفارسية والهنـدية واليونانية ؟ ولماذا يبعث من جديد تلك الشبهات التى أثارتها الشعوبية قـديما ويعيد النظر فيها ولماذا يركز على الخلافات بين السنة والشيعة وبين المسلمين والنصارى ، وذلك كله فى محاولة تأريث الخـلافات بين المسلمين والعرب حتى لا تتم لهم وحدة فـكر ولا نداء الى تجمع ؟ ولماذا القول بأن هنـاك اضـطهادا للمفكرين ومحاولة لمنع حرية الفكر ، ولماذا الاهتمام بأخبـار الزنج والقرامطة والمجوسية ولماذا تكتب الأبحاث المطولة عن مسيلمة الـكذاب ولماذا ينكر وجود عبد الله بن سبأ .

ولقد ركز استشراق على الأفـكار الدخيلة فى الاسلام والفلسفات الوافـدة فى محاولة لتصويرها بنها جوهر الفكر الاسلامى مع الاغضـاء المتعمد عن القيم الأساسية والدور الذى قام به أمثال ابن حزم والغزالى وابن تيمية والقـاضي ابن العربى وابن الجوزى وغيرهم فى تحرير الفكر الإسلامى من هذه الدخائل .

ويولى المستشرقون عناية كبرى بفكرتى وحدة الوجود والحلول . وهناك ذلك الاهتمام الدائب بالعاميات والفلكلور والأمثال الشعبية والأغانى

والمواويل وكلها محاولات لخلق تصور وجود لغة عامية قائمة بذاتها .

وقد جاهد المفكرون المسلمون هـــذه الاتجاهات وكشفوا عنها وحالوا بين هؤلاء المستشرقين وبين تحقيق أهدافهم ، وكان عبـــد العزيز جاويش وأحمد زكى باشا وأحمد تيمور وغيرهم فى مقدمة هـــذا الرعيل ، وكانت فى مصر عنـــد انشاء المجمع اللغوى محاولة أخرى لرد المستشرق فنسنك عن عضوية المجمع ، وقـــد هاجمه الدكتور حسين الهوارى وقـــدم صورة لآرائه فى الاسلام والنبى والقرآن وكشف عن اتجاهه واتجاه المستشرقين عامة . ومن بين ما قاله « انه اذا أراد أحد منهم أن ينـــال من الاسلام أمرا فانه يفرض فرضا ثم يبحث عن الآيات القرآنية التى تتناسب مع هذا الراى الذى فرضـــه ، فاذا وجد آية تدحض رأيه حذفها وانـــكرها انكارا حتى يخرج بالنتيجة التى تزرع الشك فى فؤاد من يطلع على أقواله من غـــير تمحيص بحجج شبه منطقية يزعزعون بها عقائد المسلمين ، وهى احـــدى الطرق التى وضعها الاستعمار من زمن قـــديم ، وكانت احدى وسائلهم مع تقوية اللغـــات العاميـــة التى لايتفـــاهم بها المسلمون ولا يفهمون لغـــة قرآنهم » .

ولا شك أن من أخطر أعمال الاستشراق هو وضع موسوعات كاملة أمام الباحثين العرب والمسلمين تمكنهم من أن يجدوا مايريدون البحث عنه فى سرعة وسعة ، فيلجأون اليها دون ان يكلفوا انفسهم مؤنة البحث عما تتضمنه من حقـــائق او اباطيل وذلك اعتمادا على طبيعـــة بعض المؤلفين والباحثين والعلماء من الثقة بالـكلمة المطبوعة ومن الاعتمـــاد على شهرة الأسماء التى وضعت على صدر هذه الأبحاث .

ومن هذه المراجع التى يجب مراجعتها فى حيطة وحذر لاحتوائها على كثير من الشبهات « دائرة المعارف الاسلامية » والمنجد والموسوعة العربية وبرو كلمان فى الأدب العربى » والهدف الأكبر من مثل هذه الأعمال الهادفة الى تشويه الحقائق هو خلق شعور بالنقص واحساس بالازدراء من شأنه أن يسيطر على نفوس المسلمين والعرب ، ويصدق فى هذا قول الدكتور عرفان عبد الحميد من أن هدف الاستشراق هو خلق جيل يتنكر لتراث هذه الأمة ليصير الى حيرة واضطراب فكرى فيسهل عنده غزو المجتمع الاسلامى بالفكر والمبادىء والمفاهيم والتصورات الغربية .

وقد أشار العلامة مالك بن نبى الى أنه فى أى قضية أو مسألة أو معضلة تواجه المسلمين فان الاستعمار والتبشير والاستشراق والتغريب قادر على طرح اجابات مستمدة من محاولته المستمرة لتغيير مجرى التفكير الاسـلامى .

وقد أجمعت كتابات المنصفين على أن المستشرقين لم يتخلصـوا بعد من تعصبهم ، وأن عملهم لم يتحـرر من الهوى وقـد سجل لويس برنارد وهاملتون جب مثل هـذا المعنى حيث أشار برنارد الى أن ظاهرة التعصب الدينى واضحة فى مؤلفاتهم ، وقال جب أن ظاهرة الأحكام المسبقة على الاسلام لا تزال تحكم أعمـالهم بالرغم من محاولة التحرر منها ، ولا شك أن الزعم الجديد الذى يروج له المستشرقون فى السنوات الأخيرة من أن أبحاثهم قـد أخذت شكل الموضوعية والتجرد من الأهواء والأخذ بأسباب البحث العلمى ، هذا الزعم لا يثبت أمام الصـورة المشوهـة والعبارات الحاقدة والأهواء الدفينة التى تظهر هنا وهناك من وراء السطور بالرغم من محاولة اخفائها ، هـذا الاخفاء هو الذى جد على هذه الأبحاث .

ومجمل آراء المستشرقين منحرفة، وهى منصبة على القرآن والرسول والاسلام ، وعندهم أن القرآن صورة من الكتب السابقة عليه وأنه منقول منها ، وأن له لغـة فى مكة تختلف عن لغة المـدينة ، وأن الاسلام جملة مستقى من الديانتين اليهودية والمسيحية ، وأن الرسول كان راهبا رومانيا غضبت عليه البابوية فخرج عليها ودعا الى دين آخر ، وما تزال كتابات ورسوم دانتى وفرجيل وفولتير وديدرو وهم من أقدر كتاب الغرب وفنانيه تحمل صـورة التعصب ، وما تزال تؤثر فيمـن تبعهم من أمثـال لامنس ومرجليوث ولويس شيخو وسنوك وفنسنك ، وقد انتقلت الى طه حسين وعلى عبد الرازق ومحمود عزمى وسلامه موسى وما تزال تنتقل الى طبقة جديدة من أتباع المبشرين والمستشرقين .

## الاقتبـــاس

« الاقتبـــاس » ضرورة لا محيـد عنها بين الأمم فى محيط الثقافات والحضارة والنظم ويجب أن تتم فى حرية كاملة وفى حالة من حالات الرشد الكامل والايمان العميق بالجذور والمقدرات الأساسية ، ودون أن تفرض

أو يلتزم بها المقتبس تحت ضغط نفوذ سياسي أو استعمارى أو سيطرة من نوع ما ، وقوام الاقتباس المعرفة الكاملة بالفروق الواضحة بين المعرفة والثقافة وبين العلم والفلسفة ، وبين الجوانب العقلية والروحية ، وبين الحضارة والثقافة ، وأن تجرى فى اطار كيان الأمة وشخصيتها ومزاجها وطوابعها الأساسية ودون أن يتعرض أى مقوم من مقوماتها للخطر أو الاضطراب .

ومن المعروف أن العالم الاسلامى يتعرض للاقتباس وهو تحت ضغط نفوذ استعمارى عات جبار يستهدف تحويل الأمم عن قيمها واخراجها من مقوماتها وصهرها فى بوتقة العالمية والأممية التى تستهدف افقاد هذه الأمم قدراتها وكيانها الخاص حتى تستسلم عن طريق الفكر للغزو الثقافى والنفوذ الأجنبى .

وأهم شروط الاقتباس (١) نقل الايجابى الصالح النافع (٢) الجرأة فى نقل العلم (٣) التحفظ فى نقل الثقافة والأدب مع الايمان الكامل بأن العلم ليس ملكا للغرب ولا للشرق ، أما الثقافة ( والأدب جزء منها ) فهو ملك خاص لكل أمة . ولكل أمة قيمها الاجتماعية والأخلاقية والمدنية وهى من أهم المجالات التى تبرز فيها طبائع الأمم ، والمعروف أن القيم الأساسية بالنسبة لأى أمة أو ثقافة كالتربة بالنسبة للنبات والبذور ، فكل تربة لها مقوماتها التى تستطيع أن تنقل حضانة نبات بعينه أو بذرة بعينها ، بينما لا تتقبل عشرات من البذور التى لا تستطيع أن تنمو فى غير تربتها ولابد أن تموت اذا انتقلت الى تربة أخرى ، اذ أن لكل تربة عوامل خاصة تحوطها تختلف عن غيرها ، من جو وماء ومكونات جيولوجية كذلك لكل أمة تربة فكرية لها مقوماتها التى تصلح لبذر دون بذر .

يقول وليم مرسيه : ان البشر والشعوب لا يتقبلون من التأثيرات والعوامل الا ما كان ملائما للخلاصة الخالصة من عقليتهم ، مسايرا لما فيها من حركة وتوثب ، وفى ايجاز فانه لا يجوز أن يقتبس الناس من غيرهم ولا الشعوب من بعضها البعض الا ماكان حيا فى قرارة أنفسهم متوثبا للوجود .

واذا كان هناك مفهوم باحث غربى بالنسبة لموقف الفكر الغربى

من الاقتبـــاس ، فلماذا يكون مفهوم الاقتباس عندنا عاقا للفطرة ، خارجا عن القوانين الطبيعية والاجتماعية التى تسلكها الأمم ، وما تزال الأصالة التى عرفها الفكر العربى الاسلامى طوال تاريخــه تفرض عليه أن يرفض تلك النظرية الفجة التى ينادى بها دعاة التغريب والتى تقول بتقبل الحضارة الأوربية بفكرها : وخيرها وشرها ، ما يحمد منها وما يعاب .

ان أمامنا تجــربة أصيلة هى تجربة المسلمين فى القرن الرابع من ترجمة واقتبـــاس ، فقــد أخذوا مايتفق مع مقوماتهم وقيمهم الأســاسية وردوا مايختلف معها وعندما أخذوه صهروه فى بوتقتهم وصاغوه وحولوه الى كيانهم فلم يغير من معالم شخصياتهم ، وانما أضاف قوة الى حياتهم وكذلك فعل توماس الاكوينى حينما ترجمت آثار الفكر الاسلامى الى اللغات الغربيــة ابان حركة النهضة فانه عمد الى غربلة طوابع الفكر الاسلامى وحرر منها الفكر الغربى المتجدد .

وعندما ننظر نظرة موضوعية منصفة لأولئك الذين يفرضون علينـــا الاقتبـــاس غير المشروط نجد علامة كبيرا مثل الأستاذ هنرى بوردو يقول لقومه : لا شىء أقتل من تغلغل الأفــكار الأجنبيــة لأن الغاية التى تصل اليها هذه الأفــكار انما هى جرح مواطن حسنا وشــعارنا فاذا أردنا أن تكون ثقافتنا ضربا من الموالا من التشويه لزمنا أن نجعل هــذه الثقافـــة عاجزة عن تغيير طبيعتنا وروح عنصرنا . يجب علينـــا قبل كل شىء أن ندرس أنفسنا فاذا وثقنا بأنفسنا بعد هذه الدراسة وتمكنا من اســـتخدام قلوبنا وأفكارنا كما يستخدم القائد جيشه الأمين الذى يترفع عن الانضمام الى العدو . فحينئذ نحاول فتح العالم اى الاتصال بآداب الأمم . فالوطن كما عرفه أحد كتابنا انما هو اجتماع الموتى والأحياء فى بقعة واحدة .

ويبدو خطر الاقتباس والاستعارة واضحا حين نرى أمما كبرى تخشى خطره بينما نحن ، ونحن بين شقى الرحى وفى قلب خطر صراع الثقافات نستهين بالأمر وننظر إليه فى بساطة بل ربما عددنا ذلك أمرا لا اهميـــة للاحتياط له . يقول جون بول سارتر « لو افترضنا أن شعبا أوربيا صغيرا اضطر بحكم الظروف السياسية والاقتصادية أن يستعير من الأيدلوجيـــة الأمريكية أو السوفيتية شيئا فهـــذا الشىء المستعار لن يبدل جوهره بعد

الاستعارة الا بعملية هضم صحيحة سليمة ، وذلك لأن أصوله مستمدة من طبيعة الاقتصاد والوضع الاجتماعي والسياسي في أمريكا أو روسيا أما حين يكون المستعين سطحي الثقافة فلن يستطيع أن يبدل طبيعة هذا الوضع فيبقى الشيء المستعار في جوهره أمريكيا أو روسيا يفرض على ثقافة صغيرة لا قبل لها بتحويله أو طبخه من جديد ، وذلك لأسباب تتعلق بطبيعة ضعفه السياسي والحاجة الاقتصادية والفقر الثقافي » .

وهكذا تبدو مسألة الاقتباس في ضوء الواقع وينكشف مدى الخطر الكامن من ورائها ، ان النتيجة الطبيعية هي ضياع مزاج الأمة وكيانها وطابعها وشخصيتها فعلى الأمم أن تحتفظ بخصائصها . التي تتميز بها والتي تستمدها من جذورها وتراثها ودينها وعليها أن تستوحى تاريخها وتستلهم أجواءها ، والتقليد أقل باعا من الأصالة وأضعف شخصية ، وهو لن يستطيع أن يكون ذلك الأجنبي ولا أن يعود ذلك الأول . ومن هنا فان ذاته سوف تمسخ مسخا وتضيع في بوتقة العالمية والأممية التي تنصهر فيها الأمم الضعيفة التي فقدت مقوماتها .

## الالحـــاد

الالحاد في التعبير الغربي ( Athéisme ) هو نفى وجود الخالق المبدع للكائنات ، وهو تعبير عن نفي وجود الله . والالحاد ضد الايمان . وقد بدأ الالحاد في القرن السابع قبل الميلاد على يد الفيلسوف طاليس وتتلمذ له كثيرون وكان مرماهم جميعا التدليل على قيام الوجود بنفسه مستغنيا بقواه الذاتية عن مدبر حكيم فوق عالم المادة وقد دارت بين الالحاد والأيمان منذ ذلك الوقت والى اليوم معارك متعددة .

ولا شك أن الايمان من طبائع الفطرة الانسانية التي لا مفر منها ولا مرد عنها والالحاد عارض وهي ظاهرة طبيعية في البشرية لا تتوقف ولا تنتهي وقد جاء العلم الحديث فأعطى ظاهرة الالحاد مفاهيم جديدة نتجت عن قدرة الانسان على استكشاف المجهول والسيطرة على الطبيعة مما دفعه الى الامعان في انكار وجود الله .

وهناك عوامل أخرى دافعة الى اذاعة مفاهيم الالحاد والتأكيد عليها وترديدها تتصل بأصحاب الحركات الهدامة الرامية الى القضاء على التوحيد أو سيطرة نفوذ معين .

وتكاد تجمع الأدلة على أن تفشى ظاهرة الالحاد فى الفكر الغربى انما ارتبطت الى حد كبير بعوامل تتصل بالدعوة الى القضاء على الأديان، أو على نفوذ الكنيسة والمسيحية فى أوربا ، وقد اصطنع الاستعمار ومؤسساته من تبشير وتغريب وشعوبية أساليب الالحاد وأمعنوا فى اذاعتها وتوسيع نطاقها كجزء من الهدف المرسوم للقضاء على الاسلام فى نفوس معتنقيه واثارة جو من الريب والشبهات وخلق أجيال ضالة بعيدة عن مفهوم الايمان والدين والتوحيد ، لتكون الأمم بهم فريسة سهلة تمهد الى التهام النفوذ الأجنبى لها .

وقد قامت فى أوربا خصومة ضخمة بين العلم والدين ، وغلبت نزعة العلم وسيطرت وحملت لواء الهدم العنيف للدين ومفاهيمه وقيمه ومن بينها القيمة العليا وهى وجود الاله الخالق الأكبر .

ولكن هذه الحملة تركزت على الكنيسة وعلى مفهوم معين للدين أساسه المسيحية الغربية وطقوسها ومفاهيمها التى تختلف كثيرا عن مفهوم المسيحية المنزلة من السماء أو المسيحية الشرقية الأصيلة ، فالأوربيون لم يأخذوا المسيحية كاملة وانما أطلقوها اطارا للفلسفة اليونانية الوثنية والقانون الرومانى . ومن هنا فقد كانت الحملة على الدين فى أوربا مسألة مستقلة تدور فى دائرتها ولا تتصل بأى دين آخر ، وخاصة الاسلام الذى ليس هو دينا فقط ولكنه دين ومنهج حياة . وقد نقلت هذه المعركة الى العالم الاسلامى كأسلوب من أساليب الاستعمار فى اثارة الشبهات وتحريف المفاهيم ولكن الواقع يثبت أن الاسلام يختلف فى موقفه من العلم والحضارة عن غيره من الأديان وأنه يقوم أساسا على مفهوم الانفتاح فى مواجهته على العلم وفى ظل دعوته نشأ المنهج العلمي التجريبى .

ومن هنا فان الحملة على الدين استتبعت فى أوربا ظهور ظاهرة الالحاد والحملة على الله بمفهوم الغرب .

والمعروف أن أول من إجترأ فى هـذا السبيل هو نيتشه حين قال « لقد مات الله » وقد ارتبط هـذا الاتجاه فى الفكر الغربى بخيطه الأول والقـديم فى الفكر اليونانى حين قال الفلاسفة « ان الآلهـة المقيمة فى المـكان المقدس قد ماتت » .

وقد تنوعت فلسفات الالحاد فى العصر الحـديث وتطورت ، ومنها مايدعو الى الوهيـة المـادة أو الوهية الانسان ، ومنها ما يجعل الغريزة محور تفسير الوجود ، وقد اختلف مفهوم الاله نفسه فى الأديان التوحيدية، فالاله فى عرف اليهود اله قومى لهم وحـدهم دون غيرهم من الأميين وهو اله شرير ، وعند النصارى واحد من ثلاثة والتفسير المـادى للتاريخ ينكر فكرة الالوهية ويربط الانسان ومصيره بالمادة ويفسر حركة التاريخ بعوامل ليس فيها ارادة الله . والملحد يرى أن الكون مادى يدار من داخل نفسه.

أما المؤمن فيرى أن وراء هذا النظام الدقيق وهـذه القوانين الثابتة والنواميس الدقيقة خالق مدبر موجه « وأن هذه النواميس التى اكتشفها العالم ليست مستقلة فى ذاتها ولـكنها مظاهر مختلفـة لقوة واحدة هى المهيمنة على الوجود كله ، وانها لو لم تكن كذلك لمـا كان هذا الترتيب البـديع ، وهـذا التضامن المتبـادل بين العوامل الكونية ومعنى اتحاد نواميس الوجود كلها فيما بينهـا أنها مظاهر مختلفـة لقوة واحـدة عامة مهيمنة على الوجود بأسره حافظة له من التلاشى » ( دائرة معارف القرن العشرين ) فالالحاد ضد الايمان ، والالحاد انكار وجود الله ، وهو مفهوم قام على المذهب المـادى الذى يرى أن كل ماليس محسوسا فهـو ليس موجودا أصلا .

ونفى الألوهيـة يتضمن نفى النبوة والـكتب المنزلة وعالم ماوراء الطبيعة والجزاء والحساب والقيـامة والجنـة والنـار ، ويرجع بعض الباحثين الالحاد الى نظرية أصل الأنواع لدارون ولـكن المتمعن فى الأمر يجد أن دارون لم يخالف مبدأ الايمان بالله ، ولـكن الذين تلقفوا هـذه النظرية من بعده بهدف هـدام ، هم الذين فسروها واستخرجوا منهـا مايدفع الى خلق طابع الالحاد ، ويتمثل هذا المعنى واضحا فى بروتوكولات صهيون .

ومن حق أن يقال أن هجوم الفلسفة الأوربية على الأديان وعلى كل القيم الأساسية التى تمثلها ومنها وجود الله انما كان منظوراً فيــه الى الكنيسة والاقطاع وأثرهما فى تعويق النهضة وفى تحرير الانسان وأن جميع المذاهب الفلسفية : سواء منها الفلسفات الاجتماعية أو الطبيعية أو النفسية ( نيتشه ، ماركس ، فرويد ، دوركايم ) انما كانت تضع أمام أنظارها هدفا ضخما تريد هدمه هو الدين الغربى ، وذلك نتيجة التحدى الذى واجهته النهضة الأوربية مع الكنيسة من ناحية ، والدور الخطير الذى لعبته الصهيونية منذ الثورة الفرنسية وبعدها فى تصديع المسيحية والكنيسة والقضاء على فكرة الايمان والدين والقيم الأخلاقية والاجتماعية وذلك طبقا للمخطط الذى كشفت عنه بروتوكولات صهيون فى الاستيلاء على العالم ، وفى ضوء هذه البروتوكولات يمكن اعادة النظر فى كل خطوات التاريخ الغربى وثوراته وفى ظهور الماركسية وغيرها .

ومن الواضح أن تنتفى تماما بالنسبة للعالم الاسلامى والاسلام والأمة العربية كل هذه التحديات التى واجهت الفكر الغربى ، ولكن التبشير والتغريب والنفوذ الاستعمارى قد اتخذ من هذه الشبهات سلاحا هاما فى مواجهة الاسلام وزلزلة مفاهيمه فى قلوب المسلمين عن طريق عرض هذه القضايا والتركيز على بعض الجوانب منها واثارة الشبهات ، فليس فى الاسلام بالحق قصة خلاف بين العلم والدين ، ولا قصة صراع بين الشعوب والعلماء وليس فى الاسلام كنيسة ولا كهنوت ولا طبقة رجال دين ، ولا توجد فيه بالقطع ما يسمى بالكهانة اطلاقا فذلك شىء لم يعرفه التاريخ الاسلامى بجملته ، ولقد كان علماء الدين على العكس من ذلك دعاة النهضة والعلم واليقظة وهم الذين أشعلوا نيران المقاومة والجهاد والنضال فى وجه النفوذ الأجنبى ، والذين أوقدوا شعلة العلم والحرية .

واذا كانت نزعة الالحاد يمكن أن يتسع نطاقها فى الغرب حيث تمتزج المسيحية المثلثة بالوثنية الاغريقية فانه فى الشرق لا توجد هذه النزعة اذا سارت الأمور على طبيعتها الا صدى خفيفا ، فالمسيحية الشرقية والاسلام الموحد يبعد اذا سارت عن الالحاد كثيرا ولكن الأمور لم تتوقف فى ظل التغريب ونفوذ التبشير عند هذا الحد بل نقل ميدان المعركة الى

عالمنا الإسلامي وفرض علينا فرضا ذلك الصراع . والنفس الاسلامية الشرقية بطبيعتها نفس مؤمنة بالله ، عميقة الايمان بالخالق ، وفى رحابها نزلت الأديان السماوية الثلاثة فهى تعق فطرتها حين تتعلق بمفاهيم الالحاد الغربي الأصل الوثنى الجذور .

وقد واجه الفكر الاسلامى والثقافة العربية تجارب قليلة فى هذا المجال منها ماكتبه اسماعيل ادهم تحت عنوان ( لماذا أنا ملحد ) وقد كشف فيه عن تحدى نفسى خاص وشخصى يتعلق بالأمر الذى دفعه الى هذا الانهيار ، فقد كان والده مسلما متزمتا يضربه فى الصباح ليصلى الفجر قسرا بينما كانت امه تأخذ أخته الى الكنيسة يوم الأحد فى رفق ، وكان هذا هو التحدى الذى دفعه الى الالحاد بعد صراع نفسي حاد .

وهذه تجربة فردية لا تتصل بجوهر الدين نفسيه ولا تمثل افكارا أساسيا للتوحيد ، ولكنها نوع من الانحراف دفع الى مهاجمة كل القيم في سبيل الانتصار وتأكيد الذات . وقد ذكر اسماعيل أدهم ذلك فى وضوح حين قال « أما الأسباب التى دفعتنى للتخلى عن الايمان بالله فهى كثيرة منها ماهو علمي وما هو فلسفي ومنها مايرجع لبيئتى وظروفى ومنها مايرجع لأسباب سيكولوجية: لقد كان أبى لايعترف لى بحق تفكيرى ووضع أساس عقيدتى المستقلة وكان يفرض على آراء الاسلام والقيام بشعائره وقد ثرت علي هذه الحالة وامتنعت » لقد خرج اسماعيل أدهم عن جذوره فى سبيل التحدي الشخصى وتأكيد ذاته ، وآمن بالعلم وحده ولكنه فى النهاية كانت ماذا ! عندما تعرضت الاسكندرية للغارات أيام الحرب العالمية الثانية وفرغ المنزل الذى كان يعيش من ايراده ، انتحر لأنه أحس بأن مورده قد انقطع . وهذا مفهوم الالحاد . والفرق بينه وبين مفهوم الايمان بالله .

والمعروف أن الالحاد كسائر أنواع الشر طارىء على النفس ، أى أنه ليس من طبيعتها .

ولقد كشف درس الطبيعة الانسانية عن أن في أعماق النفس حاجة الى التدين بدين ما ، وقد اكتشف الرواد الذين زاروا مجاهيل الأرض أنه لاتوجد قبيلة من البشر بغير دين ، فالذين لم يعرفوا الله مثلوه حسب

تصوراتهم فى الآلهة التى اتخذوها لأنفسهم وقد ظهر فى كل جيل ملاحدة وهراطقه وأعـداء للدين ولـكنهم كانوا ولا يزالون غير ذات فاعلية وما تزال الكتلة البشرية وستظل متدينة .

والأمر الجديد الذى تكشف عنه الدراسات العلميـة اليوم ، مع تفتيت الذرة واقتحام الفضاء ، ومع انهيار النظريات العلمية القديمة هو أن وراء هـذا الكون خالقـا وصانعا ومدبرا . وقـد ظهرت فى السنوات الأخيرة مؤلفات كثيرة لعلمـاء المعـامل الذين يعيشون كالرهبـان خلف الواجهات الزجاجية وبين أدق دقائق الأجهزة العلمية تكشف عن توصلهم باليقين الى هذه الحقيقة . لقد انتهت مرحلة توقف العلم عنـد المحسوس والمعقول . ولذلك فان العلماء المعمليين ليسوا هم دعاة الالحاد وانما تنطلق دعوى الإلحاد من محيط الفلاسفة . والفلسفة نظرية وافتراض وليست علما ، وهى افتراض يقوم فى نفس أصحابه أولا ثم تلتمس له الادلة ، وهو قابل للإنتقاض والتحول باختلاف العصور والبيئات .

وهناك فلسفات معاصرة ترى أن التحـديات الأساسية لها هى فى مهاجمة الدين واثارة النفس الانسانية ضده وخلق جو من الالحاد والاباحة لأهـداف سياسية ورغبة فى التسلط على العـالم البشرى والسيطرة عليه . وقد أستفاد الاستعمار والنفوذ الأجنبى من هذه الموجات والدعوات وحاول استخدامها فى الأقطار التى يسيطر عليها وقـد كانت الفلسفات المادية أساسا بعيدة عن العلم الخالص ، وقد حاولت منذ ظهور نظرية أصل الأنواع لداروين أن تنحو بالمفهوم العلمى منحى فلسفيا وتتخذ منه ذريعـة لتأكيد المذهب المادى القـائل بأن الـكون يدير نفسـه بنفسه ، ولم يكن داروين ولا واحد من العلماء التجريبيين أو المعمليين قـد قال بذلك ، ولكنها الفلسفة التى كانت تواجه تحديات معينة فى مقدمتها الـكنيسة ومفاهيم المسيحية الغربية وقضـايا متعددة تتعلق بالنفوذ السياسى للبابوات وأمراء الإقطاع . ثم كانت الفلسفة المادية المتمثلة فى التفسير المـادى للتـاريخ الماركسى أعلى مراتب الدعوة الى مخاصمة الدين ، والدين الذى تخاصمه الماركسية هو دين أوربا .

## التسامح

لم يعرف فكر بشرى معنى التسامح كما عرفه الفكر الاسلامى وخاصة فى مجال العقائد المخالفة ، وقد كتب العرب والفوا فى الملل والنحل وكانوا بواسعى الصدر تجاه العقائد الأخرى ، وحاولوا أن يفهموها وأن يدحضوها بالبرهان والحجة ، ثم انهم اعترفوا بما أتى قبل الاسلام من ديانات توحيدية ويحظى ابن حزم فى هذا المجال بالنصيب الأوفر ، وقد كتب أبو الريحان البيروتى عن أديان الهند فى القرن الخامس للهجرة فلم يمس عاطفة أحد من أهلها ، وكان اذا كتب عن نحلة يشعرك أنه هو احد أبناء تلك النحلة لتلطفه فى وصف شعائرها ، وكان كتاب العرب يذكرون جميع المخالفين بكل حرية ، وفى كتاب طبقات الأطباء لابن أبى أصبعة وطبقات الحكماء لابن القفطى وطبقات الأدباء لياقوت وفى الوافى بالوفيات للصفدى ، وفى تاريخ حكماء الاسلام للبيهقى ، أمثلة لهذا التسامح فقد ترجم المؤلفون للنصارى واليهود والسامين والمجوس كأنهم أبناء ملة واحدة ( هامتون جب فى كتابه الأدب العربى ) .

وفى مختلف مجالات المجتمع والفكر ترى هذا التسامح واضحا فقد بلغ أرباب الديانات الأخرى فى الحضارة الاسلامية مكانا عاليا فكان منهم أطباء الخلفاء وأعوان الأمراء ، ويرجع ذلك الى مفهوم الاسلام فى التسامح مع أهل الذمة وأصحاب الكتاب من الملل المختلفة .

غير أن كلمة التسامح لم تلبث أن استعملت فى العصر الحديث على نحو آخر جد خطير ، فقد استعملها دعاة التغريب وخصوم العرب والمسلمين على نحو يدعو الى تساهل المسلمين عن القيم الأساسية لفكرهم فى سبيل اتاحة الحرية للحضارة ومن ذلك قولهم : الشرط الأول للحضارة وهو التسامح للآراء المخالفة وحرية الرأى ، ويذهب البعض الى القول بأن السياسة والاجتماع والدين لن ترتقى حتى تشملها الحرية شمولا تاما كما شملت العلوم المادية ، والمقصود من ذلك أن يتجاوز الفكر الاسلامى عن قيمه الكبرى أو مفاهيمه للقيم الانسانية العامة ليفسح المجال للقيم الغربية فى السياسة والاجتماع والدين وهى مخالفة للفكر الاسلامى مخالفة جوهرية وتامة .

ان الفكر الاســلامى كان دائما متفتحا على الفكر الانسانى وعلى مختلف المذاهب والآراء والفلسفات والأديان ولــكنه كان حريصا على أن تبقى جذوره وقيمه الأساسية القائمة على التوحيد ، ولم يمتنع عن تقبل اشياء كثيرة من هــذه المــذاهب ما التمس فيها قوة ايجابية وتقــدما ، ولــكنه لم يقبلها على علاتها ، بل صهرها فى بوتقتــه واذا بها فى كيانه وأساغها أصـــلا بحيث أصبحت عاملا مجددا له ، دون أن تخرجــه من ذاتيته وطوابعه ومزاجه الأصيل .

ومن هنا فان مثل هــذه الدعوى الى التسامح ، على هــذا النحو لاغراق الفكر الاسلامى والثقافة العربية فى أتون التيــارات والمــذاهب الغربيـــة التى تمر الآن فى مرحلة الانهيار ، وحيثتسيطر أممها وحضارتها على العـــالم وتحاول أن تفرضـــها بقوة هـــذا النفوذ ، وحيث ان الفكر الاسلامى والثقافة العربية لاتزال بعد لم تصل الى مرحلة الموازاة التامة. كان من حق كل ثقافة أصيلة أن تحتفظ بمقوماتها وأن لا تمكن أى ثقافـــة أخرى من أن تجتاحها أو تقهرها أو تحتويها .

فمفهوم التسامح والتساهــل اليوم فى هذا المجال ، مفهوم جـــدير بالنظر والاعتبار والتوقى . والغربيون فى صدر حضارتهم لم يتقبلوا الفكر الاسلامى كاملا بل أخذوا منه ماجدد فكرهم ولكنهم لم يقبلوا التسامح معه الى الحد الذى يغير ذاتيتهم .

## التطور ( التطور والثبـــات )

التطور قانون طبيعى يعترف به الفكر الاسلامى على نحو ما يعترف به الفكر البشرى كله ، وهو يقوم على أساس واحد هو أنه لا يعنى التغير الـــكامل ، فالفكر الاسلامى يؤمن بثبـــات الأصول العامة والقواعد العليا وتطور الجزئيات والتفاصيل والفروع ، وفـــكرة التطور لا تتعـــارض مع الفكر الاسلامى الا اذا استهدفتالقضاء علىالجذور والمقومات الأساسية، أما فيما عدا ذلك فهى طابع من طوابعه : يتمثل فى المرونة والقدرة على الحركة والتجاوب مع ظروف البيئات والعصور ، والقدرة على امتصاص عصارات الثقافات والتفتح على الحضارات دون الانفصال عن جـــذورها

أو فقدان ذاتيتها ، ومفهوم الفكر الاسلامى هذا عن التطور أقرب وأوثق اتصالا بالعلم من المفهوم الغربى الذى أوجدته الفلسفة وفرضت به — انبعاثا من المادية الخالصة — عدم وجود شىء ثابت مطلقا .

ومفهوم الفكر الاسلامى فى التطور والثبات هو مفهوم العلم فى شأن الكون والوجود نفسه ، الثابت الأصول والطوابع المتطور الجذور والفروع ».

ومفهوم التطور فى الفكر الاسلامى يستمد وجوده من قانون الاعتدال والتوازن فكل تجاوز لحدود الصورة أو الغاية ينقلب بحكم هذا القانون الى نقص أو اضطراب أو اختلال — وهنا اجماع بين الباحثين على أن التطور ليس قانونا أخلاقيا وليس كل طور أفضل من الذى سبقه، بل ان التطور قانون اجتماعى واقعى لا يقتضى مطلقا تفضيل الطور الأخير على الأطوار السابقة ، ذلك أن فكرة التطور الاجتماعى أخذت من فكرة التطور الحيوى ( البيولوجى ) والتطور فى الحياة يكون تحسنا وارتقاء وقد تكون ضعفا وانقراضا .

وهنا يبدو الفارق بين التطور والتطوير . فالتطور يشمل أى تغير يحدث فى أوضاع الجماعة سواء فى اتجاه تصاعدى أو فى اتجاه عكسى تنازلى . ثم هو فوق ذلك ينبنى على أن دوافع هذا التغيير وعوامله انما يكون منشؤها ذات الشىء ومردها الى مافيه من طاقات طبيعية .

أما التطوير فهو على عكس ذلك . يختص أولا بالتغيير التصاعدى الذى يهدف دائما الى طلب الكمال والحياة الأفضل ويتأثر بدوافع خارجة عن طبيعته والقوة الخارجية هى القيادات الاصلاحية والدعوات التقدمية (١) .

وهو يعنى المواءمة بين مقتضيات الفكر الاسلامى بما يتضمن من فلسفات وتشريعات، وبين ماجد فى المجتمع تحت الحاح من عوامل التطوير الضرورى فى مختلف نواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ومن

---

(١) راجع بحث الدكتور محمد بيصار عن ( العقائد والأخلاق ) .

هنـــا فان التطور لا يمكن أن يكون قانونا تقدميا : أى أن كل طور أفضل من الطور الذى سبقه . ورجال النظرية يقولون أن التطور يبــدو كحركة دائرة ، الى أمام والى أعلى ، وتطور من البسيط الى المركب ومن الأسفل الى الأعلى ومن الــكمية الى النوعية .

غير أن التطور هو القانون الذى تتمثل فيه الجهود الانسانية وتبدو فيه أعمال المــكلفين الاختيارية والارادية التى هى مناط الحكم عليهابالخير والشر والصواب ثم بمبلغ ملاءمتها أو عدم ملاءمتها لصـــالح المجتمع ورقى الانسانية .

ولمـــا كان مفهوم التطور قـــد ارتبط أساسا بالمفهوم المـــادى الذى استخلصه الفلاسفة من نظرية داروين فقد قام على مفهوم انــكار وجــود الخالق ، ويرى أن نشأة الــكائنات الحية هى نشأة طبيعية أو من ذاتها . ولــكن الفكر الاسلامى يرى اثبـــات الخلق لله لا للطبيعـــة ووقوع البعث فى الآخرة ، مع الايمان الــكامل بالغيب ، ولذلك فان التطور الذى التمسته المــذاهب الفلسفية المادية بمعنى اطلاق الحريات الاجتماعيـــة والفكرية على النحو الذى يصل الى الالحاد والاباحة ليس من مفهوم الفكر الاسلامى ولا هو متقبل فيـــه . وان ذلك النحو من الفهم انما قام فى أوربا فى ظروف محلية خاصة ، وليس له قيمة حقيقية فى مجال القيم الانسانية وقد وردت حكمة التطور بمفهومها الاسلامى فى الطبقات الــكبرى للسبكى وفى مقدمة ابن خلدون وفى كتاب البدر الطالع للشوكانى . قال السبكى ومن كرامات هذه الأمة التطور بأطوار مختلفة وهذا الذى يسميه الصوفية بعالم المثال ويثبتون عالما متوسطا بين عالم الأجسام والأرواح ، وأشار ابن خلدون الى أن أهل الدول أبدا يقلدون فى طور الحضارة الدول السابقة قبلهم .. الخ .

ولقد دارت مناقشات متعددة حول التطور والثبـــات ، بافتراض أن هنـــاك تناقضا حتميا بينهما ، والواقع أن الثبات يبدو نظريا نقيض التطور والحركة ولــكن اذا أنعمنا النظر من الناحيـــة العلمية والواقعية وجدنا أن للتطور والحركة ضوابط ، هذه الضوابط بطبيعتها ثابتة باعتبار المقومات والدوافع الأســـاسية للحركة والتطور ، فالقطـــار والسيارة والطـــائرة والصاروخ كلها أجسام متحركة ولــكنها فى نفس الوقت محكمة الصنع

بضوابط ثابتة ، تنظم حركتها وتيسر اندفاعها باستمرار ، ولولا هذه الضوابط الثابتة لكانت الحركة عشوائية أقرب الى الفوضى ولما تولدت الحركة قط ، فالقطار يخرج عن مسارة اذا أهملت صيانته ، واختلت ضوابطه ، وفقد أحكام صنعه ، والصاروخ ينفجر فى قاعدته اذا اختلت تلك الضوابط .

كذلك المجتمع الانسانى مجتمع دائب الحركة والتطور ولكن هناك ضوابط أساسية تنظم حركته ، هذه الضوابط هى القيم الدينية والخلقية ومن هنا لا يجوز أن نقول أن هذه القيم ثابتة ومن ثم فهى تتناقض مع الحركة ، والواقع أنها ضوابط للحركة ، وليست بالقيود المعوقة لها ، أما هؤلاء الذين يحاولون تصويرها كذلك استنادا الى نظرية المتناقضات فهم لا يتعمقون الحقائق .

## التعقيل

عبارة وردت على لسان بعض المفكرين فى معارضة الحماسة والعاطفة . والتعقيل هو العمل الذى يحتكم الى العقل ويستند الى شواهد الحس والتجربة .

والمعروف أن ( مصطفى كامل ) داعية الوطنية المصرية الكبير كان مصدرا من مصادر الوعى واليقظة ظهر بعد أن أصاب المصريين الجمود واليأس على أثر الاحتلال البريطانى . ومن هنا فقد كانت صيحته عاملا هاما فى ايقاظ الوعى وتحريك المشاعر ودفع النفوس الى التطلع العاطفى والروحى بالحرية والوطنية ، ومن هنا كانت حركته مطبوعة بطابع الحماسة والوجدان والعاطفة ولم يكن فى الامكان أن تبدأ حركة بعث الأمة بعد يأس الا عن طريق تلك الشعارات المثيرة التى تهز النفس من أمثال قوله « بلادى بلادى لك حبى وفؤادى ، لك حياتى ونفسى أنت أنت الحياة ولا حياة الا بك يا مصر » .

هذه الدعوة التى حمل لوائها مصطفى كامل بعد عشر سنوات من وقوع الاحتلال البريطانى كانت مبعث ثقة ويقظة عارمة بين طبقات

الشعب المتطلع الى الحرية ، وقد ظل مصطفى كامل يشدو بمثل هذه الأنغام منذ ١٨٩٣ تقريبا الى أن توفى ١٩٠٨ وفى عام ١٩٠٧ ظهرت الجريدة ونشأ حزب الأمة وطلع لطفى السيد بتلك الصيحة الداعية الى « التعقيل » والمهاجمة للحماسة والعاطفة ، انطلاقا من مفهوم التفاهم والمصالحة والالتقاء فى منتصف الطريق ، على النحو الذى كان يطمع كرومر فى تحقيقه ، بايجاد طبقة تحمل لواء الحكم فى مصر وتوالى النفوذ الأجنبى ولا تعاديه وتتقبل أوضاعه وتجرى مع الأمور مجرى الاصلاح على مراحل ، دون أن يشوبها هذا الطابع من الوطنية الجارفة التى اتسم بها مصطفى كامل وصحف وكتابات الحزب الوطنى ، والذى كان يتطلع الى المطالبة بالجلاء والحرية كاملة .

ومن حق أن يقال ان طابع الحزب الوطنى لم يكن طابعا عمليا ولكنه كان ضرورةوطنية لابد أنتستهل بها الحركة الوطنية بعد الاحتلال الأجنبى .

غير أن التعقيل الذى دعا اليه لطفى السيد لم يكن قاصرا على هذا المفهوم وحده ولكنه كان مخططا كاملا معارضا تمام المعارضة لاتجاهات الحزب الوطنى السياسية والاجتماعية التى كانت تتسم بالايمان ، بالوطن وحرارة الدفاع عنه .

## التغريب

التغريب فى أبسط مفهوم هو حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب ومحاولة غرس مبادىء التربية الغربية في نفوس المسلمين حتى يشبوا مستغربين في حياتهم وتفكيرهم ، وحتى تجف فى نفسهم موازين القيم الاسلامية : ويستهدف تحقيق ذلك ايجاد شعور بالنقص فى نفوس المسلمين والشرقيين عامة وذلك باثارة الشبهات وتحريف التاريخ الاسلامى ومبادىء الاسلام وثقافته واعطاء المعلومات الخاطئة عن أهله وانتقاص الدور الذى لعبه فى تاريخ الثقافة الانسانية ، ومحاولة انكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية التى تتمثل فى ماضى هذه الأمة مع توهين القيم الاسلامية والغض من مقدرة اللغة العربية وتقطيع أوصال الروابط بين الشعوب العربية والاسلامية .

ومن مخططات التغريب الحيلولة دون قيـــام ( وحدة الفكر ) التى هى مصدر وحدة الأمة وبلبلـــة العقول والنفوس بعشرات من المـــذاهب والدعوات ، وتجميد الفوارق الثقافية والاقتصادية فى الأمة الواحدة ، بما يحول دون قيام الوحدة .

وحركة التغريب ( Westernism ) دعوة كاملة لها نظمها وأهدافها ودعائمها ، وتخدمها مؤسسات مختلفة أهمها التبشير والاستشراق .

ويقول أصحاب هذه الدعوة أن للمسلمين والعرب قيما ومثلا وذاتية خاصة تحول بينهم وبين الاندماج فى الأمم الأخرى وتخلق فيهم قدرة قوية على مقاومة النفوذ الأجنبى والغاصب ، ولا سبيل للقضاء على هذه المقاومة الا بصهر هؤلاء فى بوتقـــة الفكر الغربى واخراجهم من قيمهم لينصهروا فى قيم الغرب هنـــاك لايجدون فى أنفسهم مشاعر الخصومة معه ، بل يجدون طابعا من التقبل والانضواء تحت الوية النفوذ الغـــربى وفـــكره والرضى به .

ومن هنا يجرى العمل على اخراج الفكر الاسلامى والثقافة العربية من قيمها وجذورها ومفاهيمها بمحاولة فرض قيم متباينة لا تلتقى مع الذوق والنفس والطابع والمزاج العربى الاسلامى ويجرى تحقيق ذلك عن طريق ايجاد النخبـــة والقـــادة الذين يتعلمون فى مدارس التبشـــير ومعاهـــد الارساليات .

## التقـــــدم

مفهوم التقدم فى الاسلام أنه يدفع الانسان دائما الى الامام ، والتقدم فى الاسلام هو تأكيد القيم الانسانية المطلقة ، وهو تقدم كامل شامل ، يعنى التقدم المادى والروحى معا ، وهو تقدم سياسى واقتصادى ومعنوى ، وفى مجال التقدم المـــادى يتحتم أن يكون هـــذا التقدم مشروطـــا بالقيم الأساسية الأخلاقية بغير اذلال للخلق ، وذلك انطلاقا من مفهوم الاسلام بأن الحوافز الروحية تعطى المادى مثلا أعلى .

وقد علت أصوات غادرة تدعو المسلمين والعرب الى ان الدين معوق عن التقدم ، مانع من النهضة وان عليهم أن ينفصلوا عنه حتى يتقدموا ،

هذه الأصوات ليست خالصة فى دعوتها وليست صادقة فيما رتبت من نتائج . ذلك أن الاستعمار انما كان يريد بذلك أن يخرج المسلمين والعرب من دينهم ليكونوا أسلس قيادا ولينصهروا فى بوتقة العالمية فتضيع شخصيتهم وطوابعهم .

وهى ليست صادقة لأنه اذا كانت أوربا قد فعلت ذلك ، ونجحت بالانفصال عن دينها ، فان المسلمين يفشلون دائما اذا تحقق لهم هذا الانفصال . ذلك أن أوربا كانت بطبيعتها لا دينية وكانت المسيحية دخيلة عليها ولذلك سرعان ما لفظتها أو حرفتها ، أما الشرق الاسلامى العربى وهذا العالم الوسط بين الشرق والغرب قد تشكل والدين جزء من ذاته وتكوينه ، فهو عنصر أساسى جذرى لا سبيل الى التخلص منه الا اذا أعيد تشكيل الأمة من جديد ولأمر ما نزلت الأديان الثلاثة الكبرى فى هذه المنطقة .

ولذلك فان محاولة اخراج المسلمين والعرب من الدين بعامة أو الاسلام بخاصة انما هى تجربة مستحيلة ، ذلك لأنها مضادة لاتجاه التاريخ مخالفة لروح التقدم متعارضة مع مزاج المسلمين وذوقهم والاسلام لم يحل مطلقا خلال تاريخه دون التقدم وليس الاسلام الذى وقف أو يقف أمام التطور أو النهضة والحضارة ، لأنه كان بطبيعته مصدرا للبحث العلمى ومنشئا للمذهب العلمى التجريبى الحديث . وأن الحضارة التى أقامها كانت نتاج ايمان المسلمين به وتحقيقهم لدعوته الدالة الى النظر فى الآفاق واستطلاع أسباب القوة والعمارة فى الأرض .

وقد أكد المنصفون من الباحثين أن الاسلام قادر على التطور والحركة فى مجال التقدم ولكن ليس الى الحد الذى يراد به من تبرير القيم الغربية، فان ذلك يفتح الباب لذوبان المسلمين وتلاشى شخصيتهم .

والواضح أن مفهوم التقدم فى الفكر الاسلامى مختلف عن مفهومه فى الفكر الغربى ، وتاريخ الاسلام وحضارته ونهضته يستطيع أن يرسم هذا المفهوم فى وضوح ويقرر حقيقة دور الاسلام والفكر الاسلامى فى التقدم الانسانى وفى هذا يقول العلامة الفرنسى منسر :

« ان تقدم العلوم فى الغرب فى وقتنا هذا حصل رغما عن الدين ، أما دين الاسلام فبالعكس من ذلك . أى لا يمكن أن يبقى على قيد الحياة الا بانتشار العلوم ، فان بين الاسلام والعلوم رابطة كلية . والغربى اذا صار عالما ترك دينه أما المسلم فانه لا يترك دينه الا اذا صار جاهلا وبأى وجه يمكن نسبة التقدم الحالى الى الدين النصرانى والحال أنه ماجاء الا بعد خمسة عشر قرنا من ظهوره وبأى وجه يمكن نسبة تأخر المسلمين الحالى الى دينهم وفى عام ٧٤٢ م أى بعد مائة واحد عشر سنة من وفاة ( محمد ) كانت دولة الاسلام أكبر من دولة الاسكندر المقدونى وفى عام ١٥٠٦ عند وفاة السلطان سليم كانت أكبر من مملكة الرومانيين » وبذلك يتضح أن عظمة الاسلام مكثت ألف سنة وكل منا يعرف أنه لايمكن الوصول الى مثل هذه الدرجة من الأمور السياسية والحربية الا بالعلوم والتجديد » .

وقد أشار الى مفهوم التقدم وارتباطه بالاسلام العلامة جوستاف لوبون حين قال للشبان المسلمين الذين زاروه فى بيته بباريس فى أوائل هذا القرن : ان السبب فى انحطاط الشرق هو تركه روح الدين وتشبعه بالعقائد الباطلة وأن قوة الدين قوة أدبية كما أن الشعب الذى يريد الرقى يجب الا يقطع الصلة التى تربطه بماضيه ، وقال ان العلوم لا تفيد المسلمين الا اذا اقترنت بدينهم .

## التكامل

هذا مصطلح اسلامى اساسا يكشف عن فوارق عميقة بين الفكر الاسلامى العربى والفكر الغربى . فالفكر الاسلامى يؤمن بتكامل وحداته وعناصره المختلفة والتقائها على الهدف الأساسى للفكر وهو بناء شخصية الفرد وبناء المجتمع .

وأبرز مميزات التكامل فى الفكر الاسلامى هو التوازن والمواءمة والتنسيق بين تيارات الوحدات المختلفة واتجاهاتها ، بحيث يحميها من التعارض أو التضارب أو التخلف ويحول بينها وبين خلق جو من الصراع، بحيث تلتقى فروع الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية والقانون على

مفهوم متكامل أساسه بنــاء الفرد والجماعة ودفعها الى التقدم والبنــاء والنمو وأداء الرسالة الانسانية الأساسية التى يقوم الفكر الانسانى من أجل بنـائها وحمايتها ودفعهــا الى الأمام ، عنــدما يتم هذا اللقاء يمكن لهذه الرسالة أن تحقق غايتها ، وهــذا لا يتم الا بوجود جو من التكامل بين هذه الفروع المختلفة من الفكر تستهدف غاية موحدة وتقوم على أساس فهم واحد مستمد من القرآن والاسلام .

أما الفكر الغربى فقــد قام أساسا على غير ذلك ، بل على عكس ذلك ، قام على أساس الانفصــال والتخصص والتباعد بين كل من أعمال العاملين فى مجال الاجتماع والسياسة والاقتصــاد والتربية والقانون ، أو أنه حين دفع هذه الفروع الى العمل لم يخلق بينها ذلك الرباط الأساسى والحتمى الذى يربط أجزاء الفكر الاسلامى وهــو الأخلاق ، والارتبــاط بالتوحيــد والايمان برسالة السماء التى يمثلها الاســلام ويرسم القرآن منهجها وطريقها ، بحيث يظل الفكر الاسلامى يستمد منها ويسير فى فلكها ويستهدف الغاية من عمله تحقيق منهج ربانى فى مجال الفكر والحضارة. ان الفكر الغربى ليس مرتبطا فى حركته بمسئوليــة عقائدية أو أخلاقيــة تنتظم وحداته كما التزم بذلك الفكر الاسلامى استمدادا من الاسلام ولذلك فقد حاول دعاة التغريب التــأثير فى طــابع التكامل الذى يتسم به الفكر الاسلامى بمحاولة تجزئة هذه الفروع . ومن ذلك اعطاء الأدب مثلا حرية خاصــة تخرج به عن هــدف بناء المجتمع ، أو الفصل بين الدين والمجتمع فى مجال الحضارة ، أو تفريغ السياسة من القيم الأخلاقيــة ، أو بنــاء الاقتصاد على الأساس المــادى الخالص بينما هو فى الاسلام لا يقوم الا على أساس التكامل بين المادة والروح ، والدنيا والآخرة .

ومحاولة التجزئة هذه لها أبعاد خطيرة حين يحاول الفكر الاســلامى الأخذ بها فانها تصرفه عن منهجه الأصيل وتخرجــه عن مساره الحقيقى المهتدى بأهداف الاسلام ومنهج القرآن .

ولذلك فان الدعوة الى التكامل ولفت النظر اليها انما هى من الأسس التى لا شك فيها لتحرير الفكر الاسلامى والثقافة العربيــة من التبعيــة والغزو والتغريب ووضعها على الطريق الصحيح .

## التوراتيـــة

ليس هناك رأى واحد فى كتابات من كتبوا عن التوراة من الباحثين والعلماء الغربيين يجزم بأن التوراة المتــداولة اليوم هى كتاب سماوى، وأحدث ماكتب فى هــذا الصدد عــدد خاص من مجلة لايف باسم الكتاب المقـــدس صـــدر فى أبريل ١٩٦٥ ومن قبل ذلك صدر عديد من الدراسات والأبحاث فى الشرق والغرب تشير الى أن التوراة لم تعد كتاب علم وتشريع بعد أن وكل الغربيون أمر العلم وسن الشرائع للانسان — على حد تعبير الدكتور أنيس فريحه ، الذى يرى أن ذلك قد حرر الانسان — الأوربى من تقديس الحرف — فشعر أنه حر طليق من كل قيد ينظر فى الكون بعقله ويحس الجمال فى روحه . ويرى الدكتور فريحه فى بحثه باسم « نقد التوراة » أن هذا النقد هو ظاهرة عامة فى هذا العصر ، من أجل اعادة النظر فى الدين والتوكيد على الانسان وعظمته والتقليل من أهمية الحرف وهى عوامل أساسية فى الفكر الغربى المعاصر ، حيث الانسان ســيد نفسه له أن يفهم الـــكون بعقله . ويرى هذا البـــاحث نقلا عن عدد كبير من البـــاحثين أن نقد نصـــوص الكتاب المقـــدس أصبح اليوم ضرورة من أجل معرفة كتابها وأزمنة وضع مختلف أقسامها ، وقد أدى هذا النقد الى اكتشاف فوارق فى الأسلوب وتناقض فى الروايات عن الحادث الواحـــد وتباين فى الأوامر التى يفترض أنها من مصـــدر واحد ، ويعقب على ذلك بقوله « مما جعل القول بأن كل كلمة وكل نقطة من النصوص المقدسة هى وحى الهى حرفى أمرا بالغ الصعوبة » ، ويقول : لقد كان الناس يعتقدون جيلا بعد جيل أن الكتب الخمسة الأولى من التوراة ( تكوين ، خروج ، لاويين ، عدد ، تثنية ) كتبها كلها النبى موسى مع أن مثل هذا القول لايرد فى التوراة ذاتها ، وأنه حين طبقت مقاييس البحث العلمى التى استعملت فى دراسة وثائق القرون الوسطى ثبت بما لايدع مجـــالا للشك أن الأمر خلاف ذلك ( مجلة المعرفة (٤٥) ١٩٦٥ ) .

و « التوراة » كلمة عبرية الأصل معناها توجيــه وتعليم ، ثم شرع وقانون ، وقــد أطلق لفظ التوراة على الأسفار الخمسة المعروفة بأسفار موسى بحسبان موسى هو صاحبها ، وعبارة الدكتور أنيس فريحة فى

هذا الصدد هى ( توهما أن موسى مؤلفها ) أما فى العربية فان لفظ « توراة » يطلق موسعا على الكتاب المقدس بجملته : أى بعهديه القديم والجديد ( ٦٦ كتابا ) .

ويقول الدكتور فريحة : لا يعلم بالضبط متى كتبت التوراة « ليس لدينا أدلة تاريخية سوى تلك التى جاءت نتيجة التحليل اللغوى والتاريخى للنصوص ذاتها . والنص العربى الذى ضبطت أحكامه بين القرن ٦ ، ٨ الميلادى فقد حدث فى هذه الفترة شبه تسابق الى ضبط حرف السريانية والعبرية ، وذلك بسبب ظهور الاسلام وحرصه العجيب على الحفاظ على اللغة التى نزل بها الوحى . ويقول الدكتور فريحة أيضا : ان ترتيب الكتاب الذى استقر عليه يعود الى زمن أبعد من الزمن الذى ضبط فيه النص ( والمجمع عليه هو بدء القرن الثانى للميلاد ، ويرجع زمن تأليفها — أى التوراة — الى ماقبل المسيح ، وقد اعترف بقدسيتها فى القرن الخامس قبل المسيح ) ( ٤٤٤ ق.م ) وكتب الأنبياء ( ٢٥٠ — ٢٠٠ ق.م ) والكتب المقدسة بين ( ١٥٠ ق الى ١٠٠ ب.م ) ولا يعرف أسماء المؤلفين ولا زمن التأليف بالضبط .. وهناك اجماع على أن أقدم كاتب قد ظهر فى يهوذا فى القسم الجنوبى من فلسطين فى القرن ( ١٠ ، ٩ ق.م ) وحاول أن يكتب قصة الخليقة ويتميز أسلوب هذا الكتاب بدقة الوصف والحرارة الدقيقة التى تشيع فى كتاباته وجاء بعده كاتب دينى آخر دون تاريخ شعبه ( شمالى ) فلسطين وجاء كتاب آخرون متعددون » .

ويقول الباحثون ان الشروع فى دراسة التوراة دراسة نقدية لم يبدأ الا بعد القرن السابع عشر حيث جرى تطبيق قواعد النقد الأدبى على التوراة وان ذلك جاء نتيجة مباشرة للثورة الانجيلية ضد الكنيسة البابوية « بهدف التخلص من ربقة التقليد الكنسى وزعمهم أن تقدم العلوم ساعد على نقد التوراة حيث أثار التناقض الواضح بين ماأثبته العلم وما جاء فى التوراة شكا وقلقا روحيا وأبرز هذه التناقضات ان التوراة قالت أن الأرض ثابتة . وعندما اتجهت أفكار الغربيين الى الأدب الاغريقى والرومانى أحدث ذلك رد فعل ضد الكتاب المقدس وظهرت الدعوة الى أن الفكر الشرقى لا يتلاءم مع روح أوربا ، وقد أشار الدكتور

أنيس فريحه الى ما أصاب التوراة من تغيير وتحريف ، وقال ان هناك أغلاطا منشؤها السهو والكسل والملل ، أو ضعف النظر ، واذا كان الناسخ غير أمين فى عمله عندما يعرض كلمة لا يستطيع قراءتها فانه يعمد الى تغيير الكلمة أو تحوير النص بكامله ليستقيم المعنى فضلا عن أن كثيرا من هوامش المعلقين والشرائح كانت تحشر فى المتن ولم ينج نص التوراة من كل هذه الآفات ، فجاء نصها مشوها قلقا غامضا فى كثير من الأسفار » وقد جرت الدراسات الى نقد التوراة وهل هى شعر أم نثر أم تاريخ أم دين . وجرى البحث حول شخصية المؤلفين وهل هىشخصيات تاريخية أم أسماء وهمية .

واعتبرت التوراة « أدبا » فى نظر الباحثين أو قسما كبيرا منها اعتبر من الفنون الأدبية. ويرى بعض النقاد أنها دراما بطلها « يهوه » يبدأ الفصل الأول بقصة الخليقة ، وظهور الانسان الأول فيقع فى الخطيئة ويطرد من الفردوس . ويرى قسم آخر أنها أقرب الى الملحمة « ملحمة الخلاص » ويقول الدكتور فريحة ان من نتائج هذه الدراسات النقدية للتوراة أن أخذ الانسان فى اعادة النظر فى نشأة الدين .

وقد جاء فى دراسات الكتاب المقدس فى مجلة لايف أن التوراة أوسع الكتب انتشارا ومن أكبرها أثرا فى تاريخ البشر ، ولكنها مع ذلك كتاب كتبه الانسان وأن مؤلفيه يحملون أسماء ذائعة الصيت مثل : ( بسياه ، ايزيكييل ، جريمياه ، القديس بول ) . ولكن أغلب كلماته كتبها أشخاص آخرون لايعرف أحد من هم ولا يمكن معرفتهم فى يوم من الأيام ، فقد ظل الوحى الالهى الى الانسان ينتقل من الأب الى الأبن ألف سنة تقريبا بعد ابراهيم من غير أن يكتب ، وبعد ذلك فقط بدأ اليهود فى تدوينه ، وكان ذلك قبل ألف سنة تقريبا من ميلاد المسيح فأخذوا يسجلون القصص والقصائد القديمة وأضافوا اليها قصص وقصائد أخرى جديدة . .

وقد استلزم الأمر أن تعاد كتابة لفائفهم عدة مرات وأن ينقل وينسخ ، مما أوجد فرصا عديدة لا تحصى لتغييرات كثيرة لا حد لها ، بعضها مقصود والبعض الآخر غير مقصود ، ولما بدأت المسيحية تنتشر

بسرعة ازدادت الحاجة الى عمل نسخ جديدة لاسيما العهد الجديد ، وأخذ كثير من المؤمنين يصنعون نسخا لأنفسهم بأنفسهم أو كان أحدهم يقرأ بصوت مرتفع فى ( النسخ ) بينما كان يتلقى عنه ما يقرب من أثنى عشر ناسخ ، وهذا ما مهد الطريق لأخطاء أكثر وأكثر ، لذلك فانه لا يوجد اليوم أى نص ( أصلى ) لأى جزء من الكتاب وربما حوى العهد الجديد تغييرات أكثر وأبلغ من العهد القديم (١) .

وقد أشارت هذه الأبحاث الى أن الكتاب المقدس كتب أول ماكتب باللغة العبرية القديمة واللغة الكؤينية أى الاغريقية الا أنه عاش أكثر ما عاش فى الترجمة : وقالت الأبحاث أن كل الترجمات ناقصة قاصرة ، وكانت طريق المترجمين محفوفة بالمخاطر والصعوبات فقد عجز القديس جيروم نفسه عن ارضاء الكنائس المعاصرة ، والتمشى مع ذوقها وميولها » .

وبعد فان هذه الدراسات ( الأوربية وما قيل فيها يفوق ما أوردناه ) انما تمثل موقف الفكر الغربى نقدا واثارة للشبهات حول صحة التوراة الموجودة الآن وصلتها بالتوراة المنزلة من عند الله ، وهذا كله معروض للقول فى مواجهة الحملات الاستعمارية والتبشيرية والتغريبية الخطيرة ومحاولاتها فى اذاعة التوراة وتوزيعها في العالم كله من حيث أنها وثيقة تاريخية ودينية ، ويؤخذ من احصاء جمعية التوراة فى نيويورك أن الكتاب المقدس نقل الى ٤١٢ لغة غير اللغات الأوربية ( عام ١٩١٨ ) ويقدرون عدد النسخ التى وزعت من التوراة فى العالم وفى جميع اللغات التى ترجمت اليها بأكثر من ٣٠ مليون نسخة . وقد عمد كثير من الكتاب وخاصة الأدباء المهجريين وفى مقدمتهم جبران خليل جبران وميخائيل نعيمه الى نقل أسلوب التوراة الى الأدب العربى . وقد وصف ميخائيل نعيمه بأنه ربيب التكوين الذى تغذى بالعهد القديم من آيات شعرية نافذة العبير السحرى مثل المزامير وشعر الجامعة وسفر أيوب ونشيد الانشاد حيث لايخلو مقال من مقالات نعيمة من تعبير شعر دينى أو من آية أو بضع آيات

---

(١) عن بحث الدكتور أمير رضا — الوعى الاسلامى — مايو١٩٦٦ .

برمتها ويطلق على هذا النهج : الأسلوب التوراتى ، وهو أسلوب عرف منذ راجع ابراهيم اليازجى ترجمة الأناجيل التى قام بهـا الأمريكيون فى أوائل القرن . وقـد رغب اليازجى أن يتصرف فى بعض كلمات الترجمة ويتخير الفاظها ويزيل عجمتها ويخلصها من فساد التركيب وسوء التأليف فحيل بينه وبين ذلك ومنع منه ، وبذلك نشأت لغة توراتية عامية ركيكة التركيب ، وقد حاولت هـذه اللغة غزو اللغة العربية الفصحى بمحاولات جبران ونعيمة ولـكنها تراجعت بعد فترة من الزمن عاجزة عن تحقيق أى تحول فى الأسلوب العربى القرآنى المصدر .

وكان المستشرق كاممفاير قد أشار فى ترجمته لجبران الى أن تأثير الترجمة العربيـة للتوراة ظاهر فى أسلوبه وخاصـة فيما يتعلق بالرموز والاستعارات والمجازات .

ومن الحق أن يذكر أن ( التوراة ) كانت مستوحى لـكتاب فى الغرب أمثال فكتور هيجو ولامرتين وجوتيه وتوماس مور والفردي دى فنى وملتون .

أما فى اللغة العربية فان الدكتور أنيس فريحه يشهد بأنه ليس لها أثر كبير فى الأدب العربى فيما عدا محاولات جبران ونعيمة التى أخفقت ، فليس هناك غير محاولات ساذجة من بعض الشعراء الذين يكتبون قصيدة النثر يستعملون فيها عبارات الخلاص والخطيئة وغيرها وهى كلمات ليست أصيلة فى الفكر العربى وفى نفس الوقت يمكن القول بأن القرآن الكريم والحديث النبوى قد كانا ولا يزالان المصدرين الهامين من مصادر الأسلوب الأدبى والأداء الفـكرى والموضوعى ، وفى مجـال الدراسات العلميـة والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وليس فى مجال القصة أو التاريخ وحدهمـا .

وفضلا عن ذلك فقد ظل القرآن بعيدا عن كل اتهام بالخلط والاضطراب أو الشك حول نصه أو مضمونه فضلا عن أنه لم تثبت قط أى معارضة فى نصوصه لأى نظريات علمية حديثة أو اختلاف مع المنهج العلمى الحديث من ناحية مصدره أو مضمونه أو النصوص الواردة فيه .

وقد حاول الدكتور طه حسين أن يقف منه موقف كتاب الغرب من

التوراة بنقد النص الأدبى أو التاريخى ولـكنه فشل فشلا ذريعا وتحطمت محاولته ومحاولة تابعيه أمام وثاقة النص القرآنى وسلامتـه ، وعجزت الشبهات التى جمعها الدكتور طه حسين من المبشرين والمستشرقين عن أن تقـدم شيئا له أهميتـه أو من شأنه أن يثبت أمام التحقيـق العلمى أو العقلى .

## التوحيـــد

يتسم الاسلام بسمة واحدة كبرى أصلية تمثل محور عقيدته وشريعته ونظامه الاجتماعى كله تلك هى « التوحيد » وعليها تقوم القواعد الأخلاقية والفكرية والعقلية والوجدانية جميعا « هو الله الذى لا اله إلا هو عالم الغيب والشـهادة هو الرحمن الرحيم » والتوحيد هو مفهوم الفطرة السليمة التى تتمثل فى أنه لا معبود ولا خالق ولا رازق ولا ضار ولا نافع غير الله سبحانه وتعالى .

والتوحيد فى مفهومه الأصيل هو أن يتقى الانسان ربه فى كل أعماله ولا يرى سوى الله وحده سيدا وهـدفا ، فليس غيره من يخشى أو اليه يلتجىء أو يستند ، فاذا عرف الانسان مفهوم التوحيد معرفة كاملة دفعـه ذلك الى الصدق والخير والشجاعة فلا يرى غير الله ولا يخشى سواه . ومن هذا المفهوم نفسه يقوم كيان الفكر الاسلامى كله فى مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وقد وقعت البشرية فى أخطاء الوثنية والتعدد والشرك والانكار الكلى وتأليه البشر وغيرهم نتيجة لقصور فى الادراك وخطأ فى التصور . وقد وصل بها ذلك الى مراحل عديدة من الاضطراب والتخبط والبعد عن مناهج العدل والحق .

ذلك أن مفهوم التوحيد فى الاسلام انما يرسم دائرة كاملة للمجتمع والفكر الانسانى كله قوامها سيادة الانسان للـكون تحت حكم الله والتقاء القيم الروحية بالقيمة المادية ، وارتباط القلب بالعقل ، والدنيا بالآخرة ،

ومن هنـــا فان جوهر الأديان فى مفهوم الاسلام واحد لا يتغير وانما نشأت الانحرافات بمرور الزمن ، والدين واحد على لسان جميع الأنبياء والرسل « شرع لـــكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » وقوام التوحيد اعلاء الله سبحانه عن الشريك والشبيه وشجب عبادة الأصنام والاتجاه الى الاعتقاد بوجود الله عنطريق التأمل والبصيرة والعقل والدليل والايمان بقوة عليا مسيطرة .

والتوحيد غير الثنـــوية وغير التثليث مما تقول به بعض المـــذاهب الأخرى .

والتثليث ليس خاصا بدين معين فان بعض الأديان القديمة غيرالمنزلة فيها تثليث خاص بها . وهنـــاك الثالوث الفرعونى والاغريقى والهندى .

أما فى الاسلام فان الله منزه عن المشابهة والمشاكله وأنه لا يجوز عليه اتحاد وتركيب بل لا يجوز أن نتناول التكلم فى ذاته المقدسة بعقولنا القاصرة « ليس كمثله شىء » « ولا يحيطون به علما » ولا شك أن الأديان كلها قامت على التوحيد « ولكن بعد وفاة الرسل أدخلت الأمم الى تعاليمهم جميع أهوائها الموروثة لها من الوثنية الأولى من التشبيه والتجسيدوالتعدد فى ذات الخالق ، أما الأديان فى مبادئها فكانت بريئة من ذلك كله وكان اتباعها الأولون على غير ماعليه أشياعها الآخرون » ( محمد فريد وجدى: كنز العلوم واللغة ) .

ويقول الدكتور حسن صعب ان قاعدة الاسلام الأزلية هى الاعتقاد بوجود الله الذى لا يتغير بتغير الزمان والمـــكان .

وحقيقة كونه واحدا هى حقيقة لا يأتيها البـــاطل من قريب ولا من بعيد وكل الدعوات الباطلة تتحدى هذه الحقيقة بالانكار والمبالاة وتتحداها بالنفى والاستهزاء .

وتعطى عقيدة التوحيد للمسلم اعلاء الله سبحانه على كل عظيم ، فلا تعبد الأفراد ولا الأبطال ولا الصالحين ولا الأولياء وتقدر الناس بأعمالهم

لا بأحسابهم ولا مكانتهم الماديةولا أصولهم ولا أنسابهم . والتوحيد هو الذى يقرر المفهوم المطلق الذى يفتح البـــاب بين الانســـان والله سبحانه على مصراعيه بغير واسطة أو وصاية .

« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب » وفى ذلك قول الرسول واذا ( سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله ) .

فالله خالق كل شيء واليه يرد كل أمر ولا يقطع قضـــاء الا باذنه ( والله فى العقيدة الاسلامية وجود كامل متصف بالحيـــاة والعلم والقوة والارادة ) « ولله المثل الأعلى » وليس كمثله شيء ، وهو واجب الوجود — والانسان وفق هذا المفهوم من التوحيد : حر مسئول ، لا يقر بالجبرية ولا يقبل بالقدرية .

## الثـــورة الفرنسية

شغلت الثورة الفرنسية حيزا كبيرا فى الفكر الاســـلامى الحـــديث وعدها كثيرون مصدر النهضة واليقظة فى العالم الاسلامى والأمة العربية ورتبوا على وجودها كل مظاهر التقدم الفكرى والاجتماعى . ولم يكن هذا هو الحق بوجه من الوجوه ، فقد بدأت اليقظة فى العالم العربى كحركة طبيعيـــة تلقائية داخلية عرفها التاريخ الاسلامى فى عديد من مراحله ، حيث تنبعث الحركة من الداخل ولـــكن أصحاب هذا القول كانوا دائما هم دعاة التغريب وصنائع المستشرقين والمبشرين والعاملين على محاولة صبغ اليقظة العربيـــة الاسلامية الحديثة بطابع غربى بينما تتسم هذه اليقظة بعروبية واسلامية المصادر والبواعث والمراحل المختلفة .

والثورة الفرنسية حركة غربية مرتبطة بالمجتمع الأوربى ولها بواعثها التى من أهمها : محاولة حصول طبقات معينـــة من المجتمع كانت معزولة عن الحياة على حقها فى الحرية والعمل والمشاركة فى النشاط السياسى وأهم هذه الطبقات هم اليهود واليهم يعزى قيام هذه الثورة .

ويمكن القول بأن الثورة الفرنسية كانت بمثابة رد الفعل الذى واجه الفكر الغربى فى العصر الحديث بعد اتصاله بالفكر الاسلامى فان الحرية

والاخاء والمساواة وهى شعارات الثورة انما استمدت أساسها من الاسلام وهى حلقة من الحلقات المتصلة بتأثيرات الاسلام فى الفكر الغربى والمجتمع الأوربى والتى بدأتبحركة لوثر وكالفن وقد تمثلت فى أولا : الغاء الوساطة بين الله والناس ثم تمثلت في الثورة الفرنسية ثم فى الدعوة الى الغاء نفوذ الأشراف ورجال الدين ومحو الفوارق بين الطبقات .

وقد أشارت الى هذا المعنى وأكدته أبحاث كثيرة ، مالت الىالاعتقاد بأن الثورة الفرنسية بروحها كانت وليدة للتعاليم الاسلامية والتراث العربي .

ففى القرن الثامن عشر كانت الثقافة الاسلامية قد أثرت الى حد كبير فى أذهان مفكرى أوربا وأدبائها والفرنسيين منهم خاصة . وكانت كلمات عمر بن الخطاب من مثل قوله « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » هى الأصل فى قول رجال الثورة الفرنسية « يولد الناس ويعيشون أحرارا متساوين في الحقوق » وقد ثبت أطلاع مفكرى فرنسا وفلاسفتها على التراث الاسلامي اطلاعا كبيرا يقطع بهذه الصلة التى لا ريب فيها وهى أنهم تأثروا بما وقفوا عليه من مفاهيم الاسلام فى الحكم والشوري والعدل والمساواة .

ويتصل بهذا ماذكره رئيف خوري فى كتابه عن الثورة الفرنسية نقلا عن رفاعة الطهطاوى حيث يقول : وقرأت جزأين من كتاب روح الشرائع لمؤلفه مونتسكيو ويلقبعندهم بابنخلدون الافرنجي ، فمونتسكيو اذن اطلع اطلاعا مؤكدا على آراء فيلسوفنا الاجتماعي ابن خلدون فما الذي يمنع أن يكون روسو وسواه من مواطنيه قد اطلعوا أيضا على شيء أكثر من التراث الاسلامي .

ويقول « أوليس من المعجب أن يستعمل المفكر الفرنسي روسو كلمة جارية ابن قدامة « عهدا وميثاقا » في جبين كتابه الذي كان انجيل الثورة الفرنسية كما لقبوه » أوليس المعجب أن تقول جارية للخليفة : ( أعطينا عهدا وميثاقا وأعطيناك سمعا وطاعة فان وفيت لنا وفينا لك وان نزعت الي غير ذلك فاننا تركنا وراءنا رجالا أشداء والسنة حدادا )

وفى هذه الكلمات المعدودات زبدة المساواة التى ارتكزت عليها الثورة الفرنسية .

ومعنى هذا أن الفرنسى الحديث تتلمذ على المسلم العربى القديم ، ومن غير شك ان اطلاع فلاسفة فرنسا وكتابها على الفكر الاسلامى قد خلق فيهم استعدادا نفسيا كبيرا للثورة — هذا هو الواقع الذى أنكره كتابنا العرب والمسلمون حين كتبوا عن الثورة الفرنسية وصوروها على أنها كانت بعيدة الأثر فى الفكر العربى الاسلامى دون أن يذكروا أنها استمدت وجودها منه أصلا ، ومن الحق أن يقال ان كتابات أدبائنا عن الثورة الفرنسية انما كانت تحاول أن تصور عظمة فرنسا وتأخر العرب والمسلمين لتلقى ظلا من التبعية والاعجاب بالغرب والولاء الفكرى والسياسى دون أن يعرف هؤلاء أبعاد الهدف الذى اتخذوا مخدوعين كمخالب قط له ، ذلك الهدف هو اعطاء الثورة الفرسية مسحة قداسة حتى تخفى بواعثها الحقيقية التى كان من ورائها اليهود .

---

حاشية : الثورتان الفرنسية والروسية ( ١٧٨٩ — ١٩١٧ ) يرى بعض المؤرخين أنهما مكملتان بعضهما لبعض الأولى سياسية والثانية اجتماعية ، والثورة الفرنسية أخرجت اليهود من الجيتو وجعلت لهم وضعا اجتماعيا مساويا لوضع المسيحيين ، أما الأخرى فقد وضعت النظرية اليهودية الاقتصادية موضع التنفيذ تحت اسم الشيوعية أو الاشتراكية ، وأن اليهود كانوا من وراء الثورتين . جاءت فى فرنسا انتقاما من النفوذ المسيحى الضخم ، وفى روسيا انتقاما من سحق دولة اليهود الكبرى فى الخزر ومحاولة احتوائهم . بدأت الثورة فى فرنسا بما هيأت له الأذهان: فولتير وروسو وديدرو وسائر رجال الانسكوبيديا فجاءت الثورة وفى الأذهان تربة صالحة لها ، كذلك فان الثورة الفرنسية وما تلاها من ثورات فى أوربا قد قضت على وحدة الجامعة المسيحية واحلت بدلا منها صراع القوميات وكسب اليهود من ذلك السيطرة الاقتصادية والاجتماعية فى كل قطر . وان حرية وأخاء ومساواة شعار الثورة الفرنسية هما شعار الماسونية التى مهدت للثورة الفرنسية لتحقيق هدف اليهود .

ذلك أن ماحققته الثورة الفرنسية باعتراف قطب من كتاب فرنسا هو هو جوستاف لوبون « كان سيتحقق طبيعيا دون قيام هذه الثورة » ولكن الهدف من الثورة فى تقديرنا انما كان فى أن يصل اليهود الى مقاليد الأدوار السياسية ومكان الصدارة ليس فى فرنسا وحدها بل فى أوربا جميعا، واذا كانت مبادىء الثورة الفرنسية ذات أثر فى العالم الاسلامى فان هذه المبادىء أساسا هى بضاعة الاسلام والعرب ولا ضير من أن ترد اليهم، هذا مع التأكيد الواضح على أن ميثاقا لحقوق الانسان قد وقعه أمراء المماليك فى مصر للشعب بقيادة علمائه عام ١٧٩٧ حيث لم تكن آثار الثورة الفرنسية قد وصلت الى الشرق وقبل وصول الحملة الفرنسية مما يؤكد أن يقظة الشرق ونهضته انما كانت مستمدة من أعماقه وأن الاحتكاك الغربى قد وسع الجوانب ولكنه لم يكن المصدر الأول ولا الباعث الأسبق أو الوحيد .

## الجرح والتعديل

كان من أعظم ماقصد اليه مفكرو الاسلام فى سبيل توثيق «النص» وحمايته من هجوم خصوم الاسلام والغزو الفكرى هو انشاء علم الجرح والتعديل أو علم أسماء الرجال وهو ميزان دقيق يكشف خصائص الباحثين والثقاة بصفاتهم ويجعل من سواهم موضع الشك والريبة ومن ثم فلا يؤخذ العلم منهم .

وقد وصف الدكتور أسبرنجر هذا العلم بقوله :

لم تعرف أمة فى التاريخ ولا توجد الآن على ظهر الأرض أمة دققت لاختراع فن أسماء الرجال الذى نستطيع بفضله أن نقف على ترجمة خمسمائة الف ( نصف مليون ) من الرجال المسلمين ، وقد التزم المحدثون الصدق والصراحة فى دراسة هؤلاء الرجال وجميع مايتصل بهم وما يدل على تفوقهم ويقظتهم واحتياطهم وتساهلهم .

ويمكن أن يسمى هذا العلم « الكشف عن الشبهات » التى يدسها أعداء الفكر الاسلامى وخصومه ، والتى تحمل أحيانا طابعا بارعا وظاهرا متقبلا وصياغة براقة ربما خفيت على البسطاء والغافلين عن خطر من

لبسوا ثوب الاسلام وعملوا على هدمه من الداخل من أتبـاع المجوسية والباطنية والديانات القديمة والفلسفات الغنوصية والوثنية .

ومن هنـا فقد حرص مفكرو الاسـلام على وضع قواعد عامة لعلم الـكشف عن الشبهات من شأنها أن تكشف هؤلاء الخصوم وأن تردالناس الى الحقيقة وأن تقيم حصانة دائمة ويقظة مستمرة ازاء مثل هذهالمحاولات فى مواجهة هذه الشبهات .

وقد أصبح هذا المنهج الذى اصطنعه رجال الحديث من بعد ضروريا فى مختلف مجالات الحياة الفكرية العربية الاسلامية وذلك للـكشف عن حقائق الأمور فى حياة الباحثين والمفكرين ومعرفة اتجـاهاتهم وهوياتهم وطوابعهم .

وقد وجه علم الجرح والتعديل اهتمامه الى عدة عنـاصر هامة فى هذا المجال منها :

أولا — لابد من معرفـة تاريخ الرجال وأهوائهم قبل معرفة أقـوال الرجال .

ثانيا — لابد من القاء نظرة شاملة على الأمور ، لا نظرة جزئية .

ثالثا — كل قول يؤخذ منه ويترك الا قول الرسول المعصوم صلىالله عليه وسلم .

رابعا — العلم والمعرفـة ملك للنـاس جميعا ، أما الفكر والثقافة فمرتبطان بالعقول والأرواح ولكل فكر قيمه وأسسه ومفاهيمه .

خامسا — يرفض قول أصحاب البدع والأهواء .

سادسا — لابد من وجود مطابقة أخلاقية كاملة بين حياة كل باحث مفكر وبين فـكره .

سابعا — لا يقبل رأى من لا تتوفر فيهم الثقـة الأخلاقية والعدالة والـكرامة .

واذا نحن راجعنا تاريخ الفكر الاسلامى وتطوره وجدناه قـد واجه نوعين من التحدى .

( النوع الأول ) : التطور الانســانى فى قطاعــه الأفقى والرأسى (١) الأفقى مع تغير الأزمنة (٢) والرأسى مع اختلاف البيئات .

( النوع الثانى ) : يتمثل فى التحديات الخارجية المتمثلة فى الفلسفات والأديان والمــذاهب القديمة التى تحاول فرض مفاهيمها وتقاليدها . وقد حاولت هذه التحديات هــدم أو تدمير مقومات الفكر الاسلامى ، وقــد تمثلت هذه التحديات فى دعوات أو حركات مختلفة : كالراوندية والبابكية والخرمية والمقنعة والباطنية وغيرها .

وقد أثارت هذه الفرق عديدا من الشبهات والقضايا التى نقلتها من الأديان والفلسفات القديمة : كالمجوسية والزرادشتية والمانوية والمزدكية، وذلك لمحاولة تغيير جوهر الفكر الاسلامى وتحويله عن قيمه الأساسية ، وقد انصبت هذه التحديات على تحريف مفهوم التوحيد والنبوة وما وراء المادة والبعث والجزاء وأثارت الى جانب ذلك دعوات الى الالحاد والاباحة، كما أثارت دعوات الى الوثنية والتعطيل . كما أثارت قضية ظاهر الكلمات وباطنها وذلك بقصد قطع الصلة بين المعانى والكلمات والبــاس العقائد الوثنية ثيابا اسلامية تهدف الى زعزعة ايمان الناس فى الاسلام واعادة بعث دياناتهم القديمة وادخالها فى الاسلام .

وقد استطاع المفكرون المسلمون عن طريق علم الكشف عن الشبهات دحض كل هذه المفتريات بعد كشفها وكشف الدعاة عنها ومن ثم فشلت هذه الدعوة كما فشلت دعوات كثيرة من قبلها ومن بعدها .

## الجبريــــة

حاول كتاب التغريب وصف الاسلام بالجبرية لموقفــه من قضــية القضاء والقدر ، وفى ظل مرحلة الضعف التى مرت بالعالم الاسلامى ، هذه المرحلة التى يحاول خصــوم الاسلام عزو أسبابها الى الاســلام ، والواقع أن مفهوم القضاء والقــدر مفهوم ايجابى بنــاء وقد كان مصــدر انتصار المسلمين وقوتهم ، وكان قوة دافعة فى حياتهم فهو الذى حرضهم على أن يهبوا أرواحهم خالصة لله فلا يخشون الموت . ولقد فرق المسلمون دوامًا بين التوكل على الله مع العمل والحركة وبين التواكل ولقــد كانت

الشبهة التى يثيرها خصوم الاسلام دواما تتركز فى القضاء على هذا الفرق الواضح .

ومن هنا كان « اصطلاح » الجبرية التى أريد به اقرار مفهوم التواكل والاستسلام للاقدار وهو غير ماعرفه الاسلام .

وقد انتشرت فكرة الجبرية فى القرون الأخيرة السابقة لحركةاليقظة الاسلامية المصدر ، نتيجة لانتشار مفهوم خاطىء جاء فى أطواء التصوف حين تأثر بالمذاهب الاغريقية والغنوصية الشرقية فيما يتصل بالقول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد وغيرها من المفاهيم البعيدة عن جوهر الاسلام المطبوع أساسا بطابع الوحدانية الخالص .

ولذلك فقد كانت أولى بواعث حركة اليقظة الاسلامية التى انبثقت من الجزيرة العربية والأزهر قائمة على التوحيد وفى مواجهة خطر الجبرية التى ليست من أصول الاسلام . وانما جاءت انحرافا عن مفهوم الاسلام الصحيح ، وأطلق عليها عبارة التواكل والاستسلام للاقدار على النحو الذى خلق شبهات عديدة حول موقف الاسلام الواضح ازاء العمل والمسئولية الفردية التى هى عماد مفهوم الاسلام .

ومن الحق أن يقال أنه ليس فى مفهوم القدر الاسلامى مايميت شجاعة المسلم أو يؤدى الى فتور همته ، وأن هذا القدر مرادف لسنة الكون التى تهيمن على جميع أعمال الناس وقد أكد القرآن حرية الانسان وتأثير ارادته فى عمل الخير والشر .

## الجهاد

الجهاد فريضة من فرائض الاسلام الأساسية : تعنى حماية الفكرة والأمة من عدوان المعتدى والتأهب الدائم والاستعداد المتصل بحماية النفوس واعدادها وحماية الثغور وحراستها ، وليس هو بمفهوم القتال والحرب الا فى حالة واحدة هى العدوان .

وتتمثل فى آى القرآن الواضحة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » فهو ليس قتالا ولا يكون

أبدا عدوانا وانما هو ارهاب واشعار باليقظة الدائمة « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » و «الجهاد» الاسلامية من أن يقتحمه الاعتداء الخارجي وحفظا لحدود الدول الاسلامية من أن يخترقها العدو ، وقد أجمع الأئمة على أنه فرض كفاية يجب على أهل كل ثغر أن يقاتلوا من يليهم من العدو فان عجزوا ساعدهم من يليهم من المسلمين .

ولكن كلمة « الجهاد » فى دراسات المستشرقين والمبشرين قد لقيت عنتا شديدا وأثيرت حولها الشبهات المختلفة ، وحوربت أعنف الحروب ، وكانت آيات الجهاد فى القرآن تلقى من الاستعمار والتبشير وما تزال تلقى حربا عنيفة ، فقد كانت الدعوة الى جهاد المستعمر عن طريق مفاهيم الاسلام من أخطر الأسلحة التى قاومت بها الأمة العربية النفوذ الأجنبى ، حتى لقد حرم المحتلون الفرنسيون فى الجزائر تدريس (الجهاد) فى آيات القرآن أو فى أبواب الفقه .

وقد اتسع هذا المفهوم المنحرف فى الهند ، فقامت دعوات أيدها الاستعمار تفسر القرآن تفسيرا جديدا يؤول فيه مفهوم الجهاد بما لايناقض الوجود الاستعمارى البريطانى غير أن أقطاب الاسلام ما لبثوا أن كشفوا هذه الخدعة .

## الحـــرية

للحرية فى كل فلسفة مفهوم . ولها فى الفكر العربى الاسلامى أرقى مفهوم وأعمق مضمون ، فهى الحرية بمعناها الشامل القائم على حماية حريات الآخرين وعلى تقدير التبعة الى جوار تقدير الحرية . وهى بمفهوم الشريعة الاسلامية « القدرة على عمل كل شىء لا يضر بالغير » والحرية حريات :

١ — فالحرية ضد الرق ، فلا يكون الانسان — رجلا أو امرأة ، مسترقا أو مملوكا لغيره، ولاتكون الأمة محتلة أو مستعبدة بل تملك حريتها .

٢ — الحرية هى حق الدفاع عن النفس أمام القضاء .

٣ — حرية الراى هى حق التفكير والحكم على الأشياء .

٤ — الحرية فى التعليم فى مواجهة الجهل ، والحرية فى التعليم حق للرجل والمرأة .

٥ — الحرية فى الاعتقاد والحرية فى القول .

٦ — حرية التملك ، وشريطة هذه الحريات كلها فى الاسلام أن لا يكون فيها طغيان على حريات الآخرين ، وقد كفل الاسلام حرية العقيدة ( لا اكراه فى الدين ) ودعا الى تحرير الفرد فكريا وتحريره من الرق الاجتماعى فوسع منافذ العتق والحرية وحصر الرق فى أضيق نطاق ، محاولا تصفيته على التدريج .

واعتمد كرامة الانسان قائمة على أساس الاخوة ، وجعل الاسلام الحرية السياسية قائمة على الشورى وجماع نظرة الفكر الاسلامى فى الحرية هى أن الناس جميعا ولدوا أحرارا ، لافضل لعربى على عجمى ولا لأسود على أبيض الا بالعمل النافع ، وما يراه فلاسفة اليسار من أن الحرية هى الغاء استغلال الانسان للانسان هى جانب من جوانب مفهوم الحرية فى الاسلام ولكنها ليست الحرية كلها ، وما يراه بعض فلاسفة الغرب من اطلاق الحرية بغير حدود فلا يقبله الفكر الاسلامى لانه يراه دعوة الى تحطيم قيم المجتمع التى تحميها الحرية .

ومفهوم التوحيد فى الاسلام هو أعلى مفاهيم الحرية حيث تتحرر النفس الانسانية والعقل الانسانى من قيود الوثنية وعبادة الفرد والعبودية لغير الاله الواحد الأكبر ، وقد القت دعوة التوحيد أمام الانسانية الضوء الصادق فحررتها من كل قيود العبودية : عبودية العقل والنفس وخلصتها من عبادة ماهو غير الله وفتحت الطريق أمامها الى فهم الحقائق الكبرى .

فالحرية فى مفهوم الاسلام هى ضد العبودية والرق والوثنية والظلم ، وهى حرية الفرد والمجتمع جميعا ، ليست حرية المجتمع على حساب الفرد ولا حرية الفرد الممتاز على حساب المجتمع والجماهير ، وهى حرية الفكر المنطلق فى طريق الحق ، الى الاجتهاد والابداع والتجديد ، فالمجتهد له

أجر اذا أخطأ وأجران اذا أصاب ، وهى حرية المتدين حيث « لا اكراه »، والعقل هو المنطلق والبرهان هو أداة الجدل والحوار ، وكل مسلم يعود الى الحق متى تبين له ، حتى الرسول نفسه وهو المعصـــوم يقبل الحق ويعود اليه ولا يرى فى ذلك ضيرا فالحق أحق أن يتبع .

والاســـلام ينعى على الذين يستخدمون الحـــرية من أجل الغرض الخاص ، أو الغايات الفردية ، وينعى على الذين يتبعون الرأى من غير أن يعرفوا أدلته ووجه الحق فيه ، ويأخذ عليهم أن يتمسكوا بالباطل متى استبان لهم الحق .

والاســـلام أول من دعا الى الحرية بمعنى التحـــرر من قيـــد الجهل والخرافة والتقليد فى فهم الظواهر والأحداث .

## حـــرية الفـــكر

هناك قضية تثار بين آن وآخر يرددها بعض الـــكتاب ، هى أن حرية الفكر وجدت اضطهادا خلال العصور المختلفة وفى مجال الأديان والأمم المختلفـــة . وأن مفكرين لقوا حتفهم من أجل حرية الفكر أو قول الكلمة. وهذا القول علىاطلاقه لايمثل الحق ، وانما يستهدفاتهام المجتمعالاسلامى بأنه عجز عن حماية المفكرين ، وأن **شأنه فى ذلك** هو شأن المجتمع الأوربى وأنه خاصم حرية الفكر وارتكب من أجلها الاضـــطهاد والقتل ، ويضعون أمثال السهردردى والحلاج فىمجال القتل وابنرشد فى مجال المضطهدين، والحق أن حرية الفكر لم تكن مصدر اضطهاد أو قتل فى الاسلام على أى نحو من الأنحاء أو وجه من الوجوه ، وأن هنـــاك فارقا بعيدا بين ماواجه جاليليو وسقراط وغيره من مفكرى أوربا وما واجه أمثال الحلاج وابنرشد.

ان الكنيسة والدين الغربى قد ضاق بحرية الفكر وبالكشوف العلمية وضاق بمخالفيه فأقام لهم محاكم التفتيش ومذبحة بارتلمى وعقد عديدا من المحاكمات . هـــذا معـــروف وثابت بواقع التاريخ ، ليس هنـــاك مجال لانكاره ، أما مجال الاسلام والمجتمع الاسلامى فلم يضار مسلم واحد مهما بلغ من حرية الفكر واطلاق الكلمة .

وان الذين عوقبوا لم تكن الكلمة هى سبب عقوبتهم ولكنه كان التصرف الخاطىء ، ولولا ثبوت اليقين باتصال السهروردى والحلاج بأعداء المسلمين محرضين أو متآمرين ، لما كانت محاكمتهم ، وان الكلمة وحدها لم تكن مصدر اضطهاد ، فقد بلغ غيرهم من حرية الفكر ماهو أشد جرأة دون أن يمسهم أذى من أمثال ابن عربى وأبى العلاء المعرى ، ولكن الاتهام بالنسبة للسهروردى والحلاج كان واضحا وأكيدا فليست الكلمة هى التى قتلتهم ولكنها المؤامرة ، ولقد كان الاسلام سمحا فى حرية الفكر التى كانت أساسا من أسسه وقاعدة من قواعده ، ومنها استطاع العلماء المسلمون أن يصدروا فىدراسة الفكر اليونانى والرومانى والفارسىوالهندى وأن يصهروا ماقبلوه منه وفق مفهوم التوحيد ، وأن يرفضوا مايعارضه . ولقد أطلق الاسلام لدعاة الأديان الدفاع عن عقائدهم وسمح لهم بالسجال والجدل فى حرية كاملة كما حفظ لهم حرية العقيدة وحرية العبادة .

فاذا ذكر ابن رشد فان تحريق مؤلفاته لم يكن خصومة الفكر نفسه، ولكن الخصومة الشخصية بينه وبين أمير الأندلس هى التى جرت عليه عقوبته واضطهاده ، فلما زالت أسباب الخصومة عادت لابن رشد ولمؤلفاته مكانها فى نفس حياة ذلك الأمير ومجتمعه ، ولم يكن الأمر فى هذا كله متصلا بآراء ابن رشد ولا بحرية الفكر نفسها من قريب أو من بعيد ( راجع فصل ابن رشد فى آخر الكتاب ) .

وعلى الجملة فان المسلمين لم يضطهدوا أحدا ولم يسفكوا دم أحد عقابا له على الأشتغال بالعلم أو الفلسفة ، حيث لا اكراه فى الدين ، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وقد انتفى القتال بين المسلمين من أجل الاعتقاد ، كما عمد المسلمون الى التساهل مع أهل العلم والنظر من كل ملة ، وحيث لم يسمع فى تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفيين أو الأشاعرة والمعتزلة كما حدث بين البروتستانت والكاثوليك فى تاريخ أوربا ، وما كان يقع فى القسطنطينية من سفك الدماء بين الأرثوذكس والكاثوليك فى عهد القياصرة الرومانيين ، بل ان أبا العلاء المعرى قال مالم يقل بمثله فولتير وروسو ، ومات مع ذلك على فراشه ، ولم يرد فى التاريخ الاسلامى علماء يحرقون لأجل معتقداتهم وهم على قيد الحياة كما

صنع الأوربيون فى ديوان التفتيش فى أسبانيا ، وقد جاء ذلك نتيجة لتقدير المسلمين للعلم ولاحترامهم للاخاء الدينى أشد احترام ، وهم لايكفرون من أقر بالتوحيد وان اختلف فى الرأى والفروع .

وحرية الفكر فى الاسلام انما هى حرية شاملة ، تشمل المسلم وغير المسلم ، وهى مطلقة خالصة لوجه الحق وحده ، فالمفكر المسلم يقول الحق ولو على أقرب الناس اليه ، وينصف من هو أهل للانصاف ولو كان من غير ملته ، وغير هذا مفهوم حرية الفكر فى الغرب بشهادة جوستاف لوبون نفسه : الذى يقول : ان حرية الفكر فى الغرب تختفى لدى اوربى عندما يمتد بحثه الى فكر العالم الاسلامى ، فان المفهوم الصليبى العميق الأثر فى النفس الأوربية يحول دون الانصاف .

ومفهوم حرية الفكر فى الاسلام انما يهدف الى تحرير الانسان من رق التقليد الأعمى وتربيته على استقلال الارادة واحتقار التقليد والتبعية العمياء ، وتحريره من عبادة الأهواء ودعوته الى الاقتناع بالدليل ، تحريره من الجهل والظن .

وقد نهى الاسلام عن التقليد الذى يقوم على العصبية الوراثية والنعرة الطائفية .

## الخطيئة

« الخطيئة الأصلية » مصطلح غربى مسيحى ، له أبعاده فى الفكر الغربى ، ويعنى مايسمونه الخطيئة التى ارتكبها آدم وورثها عنه البشر وترتب عليها فى تقديرهم مادعى بصلب المسيح فداء للبشر وتكفيرا لهذه الخطيئة .

وقد كان هذا الاتجاه مفهوما جديدا فى المسيحية أعلنه أحد مفكرى المسيحية بعد المسيح ( بولس ) وأقرته المجامع وأصبح جزءا من الفكر المسيحى والأوربى جميعا وقامت من أجله معارك عديدة فى عصر النهضة الأوربية ، وأصبح من بعد له تأثير كبير فى الفكر الغربى وفى عقلية الأوربيين ، ويعد فى نظر بعض المؤرخين مصدرا لنشوء كثير من المدارس

الالحادية ، وقد تغلغل الصراع من أجل هذه الفكرة فى الأدب الغربى والفلسفة الغربية ، وفى كثير من النظريات السياسية الأوربية .

أما الفكر الاسلامى فان هذا الاصطلاح لا يمثل شيئا معينا ، ومفهوم الاسلام كما أورده القرآن بالنسبة لآدم وعيسى واضح فليس فى عمل آدم مايعد خطيئة عامة شاملة للانسانية كلها ، ويقرر القرآن أن آدم عصا ربه فغوى ، ثم تاب عليه ربه فهدى ، والاسلام بذلك يقرر عدم وراثة الخطيئة ، ويعتبر أن كل أمرىء بما كسب رهين .

وألفاظ الصلب والخلاص والفداء والخطيئة ألفاظ ذات دلالة واضحة فى الفكر الغربى المسيحى ، ترتبط بهذا المعنى ، ولكنها لاتحمل مثل هذه الدلالات فى الفكر الاسلامى وليس لها تاريخ أو أثر ، والفكر الاسلامى يكشف فى هذا عن استقلاليته عن التأثير بما هو خارج عن عقيدته .

## الدولة الثيوقراطية

من الأخطاء التى ينسبها الغربيون للاسلام اتهامه بأنه أقام الدولة الثيوقراطية أو يدعو الى اقامتها ، وتعنى الدولة الثيوقراطية : الحكومة الدينية فى المجتمع الغربى ، ومن الحقائق الواضحة الأكيدة أن الاسلام لم يقم الدولة الثيوقراطية على المفهوم الذى عرفه البابوات فى حكومتهم، والدولة فى المفهوم الاسلامى تجعل جميع المواطنين متساوين أمام القانون فى الحقوق والواجبات ولكل مواطن الحق فى ارتقاء أعلى المناصب ماعدا منصب الرئيس، وحرية العبادة فى الدولة الاسلامية مكفولة لجميع المواطنين، والمبادىء الاجتماعية فى الدستور الأساسى توافق جميع الديانات وان احتوى بنودا تشجع نمو العقيدة الاسلامية دونما تمييز للمسلمين عن سواهم بمنافع خاصة ، والاسلام أسلوب صالح للحياة الكريمة ، تسوده الأصالة ويتفوق فيه الجوهر على المظهر .

ومفهوم الدولة الثيوقراطية ( أى الدولة الدينية ) لا يقوم فى العالم الاسلامى قط ، ان الاسلام ليس عبادة وتدينا ولكنه أسلوب صالح للحياة الكريمة تسوده الأصالة ويتفوق فيه الجوهر على المظهر . والدولة

الثيوقراطية التى يتولى أمرها رجال الدين على المعنى المتعارف عليه فى الغرب لا توجد فى الاسلام . وشريعته السمحاء لاتقر وجود مايسمى رجل الدين ، والعلمانيـــة والثيوقراطية لا وجود لها فى الاسلام حيث فىالدول الاسلامية يتساوى المواطنون أمام القانون في الحقوق والواجبات وحيث حرية العبادة مكفولة لجميع المواطنين على السواء .

ومن هنا فان مايردده دعاة التغريب من وصـــف الحكومة الاسلامية بالدولة الثيوقراطية ليس صحيحا على اطلاقه ، حيث لا توجد فى الاسلام سلطة للــكهانة .

ولم تكن يوما أداة منأدوات الاستبداد علىنمط الحكومات الثيوقراطية التى عرفت فى أوربا . وليس فى التوحيد بين السلطتين الدينية والدنيوية فى الاسلام مايؤدى الى شيء من التضارب ، فليس الاسلام حقائق روحية خالصة ، ولــكنه حقائق روحية ونفسية واجتماعية .

## رجـــل الـــدين

كلمة « رجل الدين » كلمة غربية وافدة يحاول الـكتاب والمفكرون أن يطلقوها على العلماء المتخصصين في دراسات العقائد والفقه والشريعة والتفسير ، والذين تكوندراساتهم فى الأغلب مستمدة منالمعاهد الاسلامية الخالصة : كالأزهر والزيتونة والقرويين ، والواقع أن الاسلام لا يعترف بطبقـــة معينة يمكن أن تسمى رجال الدين لها نظـــام خاص ، أو حقوق معينة ، أو نفـــوذ من أى نوع ، ولـــكن هنـــاك علمـــاء متخصصون فى الدراسات الاسلامية والدينية .

ورجل الدين عند الفرنسيين يوصف بأنه (Relig uienx) ومعنى هذا الوصف أنه لا يصلح لفهم أمور المعاش بسبب انقطاعه عن صحبة الناس.

وقد جاء هذا المفهوم فى الفكر الغربى نتيجة للتحديات التى واجهها الدين في أوربا ، فى صراع الـكنيسة مع العلم ، مما دعا العلماءوالباحثين أن يضعوا الدين موضع الخصومة العنيفـــة ، حتى أن جميع الفلسفات

النفسية والاجتماعية تهاجم الدين وهى لا تقصد الا مفهوم الدين فى المجتمع الغربى وليس المسيحية المنزلة .

ومن هنـــا كان اتهام رجل الدين بأنه منفصل عن المجتمع ، أما فى الاسلام فان عالم الدين ( وليس رجل الدين ) ، له خبرة عميقة بالمجتمع وأدواته ، ذلك لأن الاسلام دين وزيادة ، فهو ليس قاصرا على العلاقة بين الانسان والله بل شاملا للعلاقة بين الناس والمجتمع .

## العــلم والــدين

ان مايقال عن الصراع بين العلم والدين يقصد به الصراع بين العلم التجريبى والمسيحية الغربية ، أما بالنسبة للفكر الاسلامى فليس هنـــاك صراع أو معضلة ما ، فقد ربط الاسلام بينه وبين العلم ، بروابط عميقة ، والاســـلام هو الذى دعا الى حرية البحث وصراحة التفـكير والتسامح الدينى ، فلم ينـــاهض الاسلام العلم ، بل فى أحضانه تكامل الدين والعلم ، فالاسلام كما يقرر المثل الأعلى لقواعـــد الايمان يقرر المثل الأعلى لقواعد العمل ، ويربط بين العلم والعمل ، والاسلام لا يقرر ماليس عليـــه دليل وبرهان ، ولا يقرر المفاهيم والأفـــكار بمعزل عن العمل والتطبيق وانما يرى المفاهيم والأفكار مقدمات دافعة لبناء حياة كاملة .

والعلم فى مفهوم الاســـلام هو العلم المطلق ، وليس العلم الدينى وحده ولـــكن كل مايتصل بالعلم من كيمياء وفلك وتكنولوجيا وقـــد أطلق الاسلام كلمـــة العلم على كل نوع منه ولم يقصرها على نوع معين مه ، وقد وردت مادة العلم فى القرآن بصورة تدعو الى الكشف والنظر وتكررت ٨٦٠ مرة ومادة البيـــان وردت ٥٢٢ مرة ومادة الـــكتابة ٢٢٠ مرة ، ومادة القراءة ٢٨ مرة ومادة الرأى ٣٣١ مرة ومادة السمع ١٨٥ مرة ، ومادة البصر ١٤٨ مرة ومادة النظر ١٣٠ مرة ، ومادة العقل ٤٩ مرة ومادة الفؤاد والقلب ١٩٤ مرة .

وأول كلمة نزلت من القرآن هى « اقرأ » وأول قسم فى القرآن كله ، أقسم به الله سبحانه فى ثانى آية نزلت بعد الأمر بالقراءة صـــدر بحروف من حروف الهجاء وكان بالقلم ومايسطر العالمون « ن والقلم وما يسطرون »

ونقول مع الأستاذ عبد العزيز جاويش أنهم اذا تحـدثوا عن تاريخ النزاع بين العلم والدين فانما يأخذونه من غير تاريخنا واذا ذكروا وضع السلطة بين أيدى رجال الدين فانما يتكلمون عن محيط غير محيطنا وماض غير ماضينا .

وليس فى تاريخ الاسلام أو الفكر الاسلامى مايشير الى أن هنـاك مناهضة بين العلم والدين وقعت ، أو أن الدين ناهض العلم ، ان علماء الغرب وجدوا فى كتبهم الدينيـة المقدسة مايتعارض مع كشوفهم العلمية فخالفوها ، أما القرآن وهو كتاب المسلمين المقدس فليس فيه مايخالف أو يختلف أو يتعارض مع رأى من آراء العلم والعلماء ، بل على العكس من ذلك ان كثيرا من النظريات العلمية الحديثة لها مدلول فى القرآن .

والدين بمفهوم العقائد له مجاله وأسلوبه فى المعرفة ، والعلم بمفهوم الكشف عن الطبيعة له مجاله وأسلوبه ولكن الاسلام يجمعهما معا ولا يجد هنـاك تعارضـا حيث يجمع الاسلام فى منهج المعرفة بين أسلوب العقل وأسلوب القلب معا .

والاسلام هو الذى دفع المسلمين الى ابتداع المنهج العلمى التجريبى الذى قامت عليه الحضارة الحديثة .

## العقـل العـربى

جرى دعاة التغـريب على اثارة الشبهات حول العقل العـربى ، واتهامه بالقصور ضمن نظرية السامية والآرية التى تحاول أن تعلى من شأن العقل الأوربى والغربى وهى احدى النظريات التى يتخذها الاستعمار لتبرير وجوده ، ولخلق جو من التقدير والاعلاء للعقل الأوربى .

أما العقل العربى فى مجال الانصاف فانه يختلف عن العقل الغربى، اذ يجمع بين الأضداد والأشباه فيربط بينها فى انسجام ، دون أن تتصارع أو تختلف ، بينما يعجز العقل الغربى عن مثل هـذا التوحيد ولا يرى الا شيئا واحدا وضده .

ومرجع ذلك أن الاسلام يقوم على التكامل والوسطية ، فيجمع بين الدين والدنيا ، والعقل والقلب والعلم والدين ، والروح والمادة .

ومن هنا كانت استطاعة العقل العربى توحيد الأضداد فى انسجام : المسجد والقصر والمسجد والمصنع ، كما جمع بين العقل والطبيعة وبين الحكمة والشريعة .

والعقل فى مفهوم الفكر الاسلامى أساس ضخم ولكنه وحده عاجز عن أن يصل الى كل الصواب . وللمعرفة فى الفكر الاسلامى طريقان يجريان معا . العقل والقلب ، أما الايمان التقليدى الموروث فهو مرفوض قطعا ، والعقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ولا كاشفا للغطاء فى جميع المعضلات ، وان هناك حقائق لا يدركها الا القلب .

والعقل فى تقدير علماء المسلمين نور فى القلب يعرف الحق من الباطل والخير من الشر والحسن من القبيح ، وقد حدد الامام الغزالى حدود نطاق العقل وانكر الاعتماد عليه كلية فى ادراك الأمور الالهية ، وقد كان هذا المفهوم الاسلامى هو الذى جاوز بالفكر الاسلامى مرحلة الغيبيات وأطل على « التجربة » حين أنشأ المذهب العلمى التجريبى . فالمسلمون هم الذين وضعوا قاعدة : ( جربواحكم ) فى مجال الطب والفلكوالهندسة والكيمياء .

## العروبة والاسلام

من أكثر المحاولات التغريبية خطرا ، تلك المحاولة التى تريد أنتصفى العروبة من مفهوم الاسلام وتفصل بين الاسلام والعروبة ، وذلك فى نطاق النظرية التى تقول بأن الدين ليس مقوما من مقومات الدعوات القومية وكيفما يكون الرأى فى هذه النظرية فان الاسلام ليس دينا بمفهوم اللاهوت القائم على العلاقة بين الله والانسان وانما الاسلام الى جوار ذلك منهج حياة ونظام مجتمع وثقافة وحضارة .

ومن هنا فان علاقة الاسلام بالقومية ، أو علاقة الاسلام بالعروبة هى علاقة عميقة الجذور بعيدة المدى حيث ارتبطت منذ أمد طويل اتباطا

عضويا ، أما مقومات القومية من لغة وتاريخ فى مجال العروبة والاسلام فلا يمكن الفصل فيما بينها . فاللغة والتاريخ العربيان مرتبطان بالاسلام ارتباطا شاملا متصلا على مدى القرون الأربعة عشر ، وليس هذا قولنا وانما هو قول بعض العلمانيين والتغريبيين حيث لا مفر من الاعتراف به ، يقول دكتور نبيه أمين فارس : ان تشابك الاسلام والعربية فى التاريخ تشابك عضوى متفاعل حيث لا مجال الى فصل الواحدة عن الأخرى ، وهل كانت النهضة العربية الحديثة الا تيارا من النهضة الاسلامية فى القرن التاسع عشر. هذا بالاضافة الى تشابك المفاهيم القومية والاسلامية وقوة النزعة الاسلامية فى الجماهير .

ولقد كان مفهوم الوحدة العربية مفهوما اسلامى الجذور منذ بدأت حركة اليقظة ، ولم يكن فى الامكان غير ذلك ، غير أن الدعوة التغريبية ومحاولة القضاء على أصالة الفكر الاسلامى والثقافة العربية كانتدائما تحاول أن تفرغ مفهوم القومية العربية من الاسلام وتجعله علمانيا خالصا مجردا . بينما لم تستطع القوميات فى الغرب أن تنفصل عن مفاهيم المسيحية الغربية التى هى بطبيعتها ليست الا دينا لاهوتيا خالصا ، وقد جرت هذه المحاولة فى الحركة الطورانية ، وفى العالم العربى حاولت بعض أحزاب الحركة العربية أن تتبنى هذا المفهوم فى محاولة خلق قومية عربية علمانية على الطراز الذى عرفته تركيا عن طريق الاتحاديين والماسونية ومن هنا فقد كانت أزمة الوحدة العربية هى ذلك الجفاء الواقع وبين النظرية المستوردة التى لو صلحت للتطبيق فى بيئات الغرب فهى لا تصلح للتطبيق فى بيئة الفكر الاسلامى والثقافة العربية : وفى هذا المعنى يقول ( عيسى البندك ) وهو مسيحى يفهم أعماق الروابط والعلاقات بين الاسلام والعروبة : « ان العربى مسلما أومسيحيا يرتبط بالاسلام والعربية : اللغة التى يتكلم بها والأخلاق التى يتخلق بها والتقاليد التى يزاولها ، وما يعتز به من اباء وشهامة ومروءة ، اننا نؤمن ايمانا قاطعا بأن كيان النصارى العرب جزء من كيان اخوانهم المسلمين» ويقول دكتور محمود عزمى : الاسلام مبدأ يخضع له جميع العاملين فى الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى بلادنا مهما كانت عقيدتهم « عقيدة المسلمين أو المسيحيين أو اليهود ونحلهم والملحدين» ذلك أن بلادنا

قد غمرتها « الاسلامية » بالمعنى الذى نفهمه » وقول الدكتور السنهورى « أنه فى الاسلام الى جانب الدين توجد المدنية والذين يؤمنون بتعاليم الدين هم المسلمون ، أما الذين ينتمون الى الثقافة الاسلامية فهم أولئك الذين يضمهم هذا الوطن الاسلامى الكبير على مختلف أديانهم ومذاهبهم وجنسياتهم ونحلهم — ليس المسلمون هم أصحاب الفكر الاسلامى ولكن كل من استظل براية الاسلام وانتمى الى الثقافة الاسلامية ولو كان غير مسلم » .

## العصرية

من الكلمات التى تتردد كثيرا كلمات العصرنة ، والحداثة ، وهما بمعنى واحد . وتتجه فى الغالب الى مجرى الدعوة القائلة بتطور كل شىء، والتى تحاول أن تشق طريقها الى مجال الأديان وخاصة الاسلام غافلة عن أن الفكر الاسلامى يؤمن بالثبات والتطور معا : لا بالتطور المطلق ، الثبات للقيم الأساسية العقائدية والتشريعية والأخلاقية ثم التطور فى التفاصيل والمسائل الفرعية بما يتفق مع العصور والبيئات . وتحاول شبهات التغريب أن ترمى الاسلام وفكره بالتأخر نتيجة لهذا المفهوم بينما هو فى نظر العقل الراجح أسمى مايمكن التوصل اليه فى سبيل موازنة نواميس الفكر والمجتمع والحياة .

وهناك أصوات تقول بالدعوة الى عصرنة الاسلام أى وضعه فى مجال التطور وهو مايستحيل على الفكر الاسلامى تقبله فى مجال القيم الثابتة .

فالعصرنة فكرة تغريبية خطيرة يراد بها لوى أعناق الأصول الاسلامية لتبرير الواقع الحضارى القائم بما فيه من مخالفات ومعارضات لمفهوم الاسلام أو مفهوم الدين عامة ، وتجرى هذه المحاولة عن طريق مايطلق عليه « التأويل » .

فالعصرنة هى محاولة فرض مبادىء وأهداف غربية تحاول احتواء الفكر الاسلامى وجعله خاضعا للواقع الغربى فى قيمه ومذاهبه وفلسفاته،

فى تجاهل مابين الفكرين الاسلامى والغربى من خلاف وتبـاين عميق فى قضـايا كثيرة وانه لا سبيل للعصرنة الا بأن يخضع الفكر الاسلامى للفكر الغربى ويتقبل اطاره وقيمه وهو مالا يمكن أن يحدث ، ومن الاستحالة أن يقع ، فالفكر الاسلامى بأصوله القائمة على التوحيد كان دائما قادرا على أن يتقبل من الفكر البشرى ويترك ، ولـكنه لم يكن فى وقت من الأوقات — حتى فى أحلك فترات ضعفه — بحيث يمكن أن ينصهر أو يخضع أو يفقد مقوماته ، وقد استطاعت الفلسفة اليونانية أن تحتوى الديانة والفكر اليهودى ، ثم احتوت الديانة والفـكر المسيحى ولـكنها عجزت عن أن تحتوى الفكر الاسلامى ، الذى تأثر بها وأخـذ منها ورفض ، واستطاع بعد صراع طويل أن يتحرر منها وأن يقيم منطقـه ومقوماته مستمدا أصول ذلك كله من القرآن نفسه .

واذا وقف الاسلام موقف « الثبات » أمام محاولة احتوائه أو صهره، كان ذلك معناه فى نظر دعاة التغريب : الرجعية أو التعصب وهى عبارات لايستطيع الخوف منها أن يذل الاسـلام وفـكره للسيطرة الغربية ، وقد أيد كثير من المفـكرين الغربيين أن الاسـلام والفكر الاسلامى والتـاريخ الاسلامى واللغـة العربية لا يمكن تفسيره فى ضـوء المذاهب الغربيـة العلمانية والمـادية .

أما اذا كانت العصرنة بمعنى دفع الاسلام والفكر الاسلامى والثقافة العربية الى مواجهة الحياة العصرية والالتقاء بالحضارة وبالفكر البشرى أخذا وعطاء ، فان ذلك أمر لم يتـأخر عنه الفكر الاسلامى يوما فقد كان دائما فكرا مفتوحا قادرا على الأخذ والعطاء ، وأن له من جوانبه المتطوره مايمكنه من الالتقاء بمختلف النظريات الحديثـة البناءة التقدمية . كما أنه قادر على أن يكتشف لهـذه النظريات جذورا فى أعمـاقه وفى قيمـه الأسـاسية ، ولم يكن الفكر الاسلامى بقيم الثبـات فيه بعـاجز يوما عن التطور والحركة والتقدم ، بل ان هـذه القيم الأسـاسـية من عقيـدة وشريعة وأخلاق ، كانت أقوى الحوافز لاعطاء الحضارة قيمة انسانية أعلى من مفهومها المادى الخالص . ولكن الاسلام ليس من شأنه أن يبرر انحراف الفكر الغربى أو الحضارة الغربية القائمة أو يقبل من مفـاهيمها مايختلف

مع جوهر التوحيد أو يتعارض مع أصوله القائمة على دحض الربا واباحة الالحاد والوثنية .

لقد استطاع الفكر الاسلامى أن يتحرر من أعظم قيود الفكر الغربى وهى قيود الوثنية والعبودية لغير الله وحده وبذلك أطلق مفاهيم الحرية والعدالة والاخاء والمساواة التى عجزت الحضارة الغربية والفكر الغربى المعاصر عن وضع حلول لها فباتت وهى معضلة العصر وأزمة الانسان ، هذا فضلا عن أن جمع الاسلام بين الروح والمادة ، والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة ، قد أعطاه قيما عقلية ونفسية وسعت مجال انسانيته وسماحته وقضت على كثير من الصراعات والأزمات وخاصة أزمات القلق والضياع التى يعانى منها الفكر الغربى ، هذا فضلا عن أن التراث الاسلامى العربى ليس تراثا منفصلا أو مجمدا أو متخفيا ، بل هو ميراث ملىء بالحيوية لم يتوقف عن التفاعل فى المجتمع الاسلامى والفكر الاسلامى خلال أربعة عشر قرنا كاملة دون انفصال أو توقف . وهو تراث بناء تقدمى ، ماتزال مفاهيمه قادرة على اعطاء البشرية خير ماتحتاج اليه

وليس فى مفهوم الفكر الاسلامى — استمدادا من قوماته وقوانينه التى تعطيه القدرة على التجدد من الداخل — ليس فيه جمود أو وثنية أو انحراف أو صراع وما تزال القيمة الأساسية للفكر الاسلامى حية متفاعلة قادرة على العطاء .

## العصور الوسطى

ماتزال كلمة العصور الوسطى في اطلاقها تعنى الفترة مابين القرن الخامس الميلادى والقرن الخامس عشر الميلادى أيضا وهى الفترة التى سقطت فيها الحضارة الرومانية خلال عشرة قرون كاملة الى أن بدأت حركة النهضة الأوربية ( الرينسانس ) وتحاول كتب الغرب أن تصف هذه الفترة بالعصور المظلمة ، وهذا المفهوم صحيح وصادق بالنسبة لأوربا ولكنه كاذب ومضلل بالنسبة للعالم كله وللفكر البشرى عامة . ذلك أنه خلال هذه الفترة ظهر الاسلام فى القرن السادس الميلادى وأشرقت شمسه فعمت العالم كله وامتدت من حدود الصين شرقا الى

حدود فرنسا وقدمت للانسانية مجددا قيم التوحيد والعدل والاخاء كمقومات لحضارة انسانية كانت بعيدة المــدى والأثر فى الحضـــارة البشرية وفى النهضة التى بزغت فى أوربا بعد ذلك .

لذلك فان اطلاق القول بأن فترة العصور الوسطى كانت فترة ظلام دامس ، هو قول باطل ، وهى محاولة لتجاهل العصر الاسلامى الزاهر، وذلك وفق أتجاه الفكر الغربى الذىيحاول أن يربط بين الحضارةالرومانية المنهارة وبين الحضارة الأوربية الجديدة كأنما ليس فى العــالم الا أوربا وحدها .

ولذلك فان اطلاق كلمة العصور الوسطى على العالم كله انما هو اطلاق ظالم ، فالعصور الوسطى المظلمة انما كانت كذلك بالنسبة للغـــرب وحده ، ولــكنها كانت مضيئة مشرقة بالنسبة للعالم الاسلامى ( الهنــد وفارس والأمة العربية والأندلس ) .

وتعبير العصور الوسطى تعبير غربى ينطبق على أوربا وحدها فقد سقطت هــذه القارة فى الظلمات فترة ما بين سقوط الحضارة الرومانية وعصر الرنيسانس ( النهضة ) أما فى العالم الاسلامى فان هــذه الفترة بالذات كانت الفترة الذهبية بالنسبة للاسلام وحضارته .

فاذا أراد دعاة التغريب اذاعة هذا المفهوم فانما يراد به انكار فضل الحضارة الاسلامية على العالم .

## عصر الانحطـــــاط

حاول التغريب والفكر الاستعمارى الغربى أن يصف مرحلة القرون الثلاثة السابقة للقرن العشرين بأنهـــا عصر الانحطاط ، وهو تعبير قاس ظالم ، وكان يمكن أن يطلق عليه عصر الضعف والتخلف ، ولقـــد تجرى الشبهات باتخاذ انتـــاج هذه المرحلة أسلوبا لمحاكمـــة الاسلام به ، أو اتخاذه سندا لرمى الاسلام وفكره بالقصور والتخلف خاصـــة فيما يتعلق بظاهرة « الجبرية » التى سادت مفهوم الصوفية وأثرت على مفاهيمالحياة والارادة الانسانية . ومن الحق أن يقال أن هذه المرحلة لها وجوه ضعفها ولها وجوه قوتها .

أما وجوه الضعف فهى تأثر الفكر الاسلامى بالفلسفات الهندية والفارسية والمجوسية التى حملت مفاهيم معقدة مضطربة كوحدة الوجود والحلول والاتحاد وغيرها من المذاهب التى لاتتفق مع جوهر التوحيد .

والمفروض أن يحاكم الفكر الإسلامى الى أصوله الأولى والى انتاج أعلامه الرواد ولا يحاكم الى انتاج فترة الضعف والجمود التى توقف فيها الابداع والتجديد والاجتهاد وغلب طابع التقليد .

فالفكر الاسلامى فى جوهره الأصيل مازال مضيئا ايجابيا مؤثرا معطيا للأمم المختلفة والعصور المتعددة دفعات التقدم والبناء والحيوية .

أما وجوه القوة فهى تتمثل فى عمليـة « التجميع » التى قام بهـا المفكرون حيث ظهرت فى هذه الفترة الموسوعات الالهية والفنية والعقائدية المختلفـة التى جمعت الآثار المختلفة الموزعة ، وهى عملية رد فعل لمـا حدث نتيجـة الغزو الصليبى والتترى من حرق وتدمير آثار الفكر العربى الاسلامى فقد عمد العلماء والأدباء الى عملية التجميع كوسيلة لمقاومة فناء الفكر الاسلامى وهو عمل نافع ايجابى يدل على القوة لا على الضعف ، وان وجه اليه النقـد بأنه لم يحرر من وجهة التنسيق الفنى أو التحقيق العلمى ولكن التقدير المنصف لأخطار هذه الفترة وظروفهـا من شأنه أن ينصف العاملين فى هذه المرحلة ويقدر لهم هذا الجهد على اطلاقه .

## علـة تأخـر المسلمين

تعددت أبحاث المفكرين المسلمين فى السنوات الأخيرة حول « علة » تأخر المسلمين وتعـددت آراؤهم فى ذلك ، ولـكنها أجمعت على شىء واحد ، ذلك هو ان للمسلمين منهجا فكريا واجتماعيا استمدوه من القرآن الـكريم وأن هـذا المنهج هو سر نجاحهم وظفرهم واتساع ملكهم ، وفيه تكمن قوتهم الحقيقية .

ويدور هذا المنهج حول التوحيد ، والعدل ، والاعداد بالقوة يرهبون بها خصومهم ، وبالجهاد يواجهون به من يعتـدى عليهم . مع الاستمساك بالحق ، ودون الاعتماد على مشورة الغير ، والنهى عن اتخاذ بطانة من غيرهم ، ولقد مضى المسلمون على هـذا النهج فانتصروا وعزوا ، فلمـا

انصرفوا عنه وقصروا فيه ذلوا وضعفوا وكلما عادوا اليـه عادت اليهم العزة والسيادة .

واليوم وهم يراجعـون أنفسهم في ظل تحـديات الاستعمار والغزو السياسي والاجتماعي والثقافي ، يتقدم اليهم كثيرون من غيرهم يناصحونهم بالباطل ويكتمون عنهم سر قوتهم ويردونهم عن طريقهم ، بل ربما ذهب هؤلاء الخصوم الى اتهام الاسلام نفسه بأنه هو مصدر ضعف المسلمين .

وربما قام هذا الاتهام على النظر في واقع المسلمين اليوم وهو ليس من الاسلام في شيء ، وربما كان هذا الاتهام تعصبا وضغنا على العرب والمسلمين حتى لا يعودوا الى مصادر قوتهم ، وليس من شك أن الاسلام محجوب اليوم بالمسلمين ، وان مايحياه المسلمون اليوم ليس هو الاسلام ولـكنه التقليد والمتابعـة ، فالمغلوب مولع دائما في الاقتداء بالغالب ، ولـكن المسلمين لم يقبلوا التبعية ، وأكدوا رفضهم لها أيا كان مصدرها وهم الآن على أبواب الرشد الفكرى ، وقد جربوا مذاهب الغـرب التى فرضها عليهم نفوذه فلم يحقق لهم النصر أو السيادة ، وهم لابد عائدون الى قيمهم ومفاهيمهم الأصلية يستمدون منها وسائلهم في مقاومة الغـزاة واقامة الحق .

## الغيبيـات

هناك عالمان : عالم الشهادة المـكشوف الواضح الذى نراه بالعين وندرسه بالعقل والتجربة من خلال الأنابيق والمعايير العلمية وهو مايسمونه المحسوس . وهنـاك عالم الغيب الخفى الذى لا نعرفـه بالعلم ولـكن بالوحى والايمان والبصيرة . وهدتنا اليه أديان السماء ، وقد جرت بعض الفلسفات منذ قـديم الى انكار عالم الغيب والطعن فى وجوده ، ومن ثم فهى تشك فى الألوهية والنبوة والوحى والأديان والـكتب ، ومن ثم تشك أيضا فى البعث والجزاء .

وقد كان العلم يجرى مع الفلسفة فى هذا الطريق الى أن تحطمت الذرة ، وتبين أن مفاهيم الذرة كلها تتصل بالضوء والنور ، وهما من عالم الغيب ، فآب العلم أو أوشـك الى اليقين وبقيت الفلسفة المـادية تثير

الشكوك والشبهات من أجل اقرار مفاهيم هدامة ترمى الى تدمير المجتمعات وسيطرة نفوذ الاستعمار والصهيونية .

واذا كان الانسان روحا ومادة ، فلابد أن يكون جامعا للغيب والشهادة فى تركيبه وكيانه ، ولما كان الانسان هو سيد الكائنات تحت حكم الله فقد أوتى العقل وعلى أساسه تقوم المسئولية الفردية والتبعية الأخلاقية ، ومن ثم كان الدنيا ليست هى الحياة ، والموت ليس هو نهاية الحياة ، ولما كانت التبعة مسئولية فقد كان لها جزاء ، ومن هنا يتقرر البعث والحساب والجنة والنـــار .

ان النفس الانسانية هى فطرتها تؤمن بالدين وتؤمن بالقوة العليـــا القائمة وراء الحياة الطبيعية ، هذه القوة الممثلة فى الله الواحد الأحد الذى أرسل رسله بالهدى ودين الحق .

ذلك هو الغيب الذى لا يختلف فيـــه العلم والذى تعارضه الفلسفة المادية ، لأنها تدعو الى هدف واضح خطير ، ولا تعتمد على أسلوب المعرفة الحقة القائم على العقل والوجدان .

## الفلـــكلور

كانت الدعوة الى ( الفلكلور ) فى السنوات الأخيرة تستمد وجودها من الايمان بالتراث الشعبى ، تراث الأمم القديم الذى يعطى صورة نفسيتها ومزاجها وطوابعها الاجتماعية . غير أن الدعوة الى الفلكلور قـــد شابتها أهـــداف وغايات انحرفت بها عن هـــدفها النبيل وغايتها الحقة . فقـــد اتخذت وسيلة لاذاعة العاميات وجمع الأزجال والمواويل والأمثلة العـــامية على نحو أراد به دعاة التغريب والغزو الثقافى أن يثبتوا أن العامية ليست لهجة ولـــكنها لغة ، واتخذوا من ذلك سلاحا لمعارضة الفصحى واضعافها وتغليب العاميات عليها .

ولقد بدأت حركة الفلكلور على أيدى المبشرين ودعاة التغريب الذين حملوا لواء الدعوة الى العامية واللغة المحكية فى محاولة لاقصاء الفصحى : لغة القرآن عن مكان الصدارة ، وتعزيز العامية فى كل قطر وبلد . مستهدفين

تفكيك وحدة الأمة العربية وابعادها عن مستوى بلاغة القرآن وآدابه .

كما عمدت دعوة الفلكلور الى استحياء الماضى القديم الوثنى البائد، من وراء عصر الإسلام ، فهي قد ارتبطت بالفرعونية في مصر، وبالفينيقية فى لبنان وكانت تحاول بذلك احياء قيم ماتت وانتهت ، وتقاليـــد ومظاهر واعياد عرفتها الأمة العربية فى وثنيها ثم تحررت مع ظهور الإسلام ، ولم تعد مرة أخرى اليها ، وقد جاءها الاسلام بالتوحيد الخالص فقضى على هذه الوثنيات القديمة البائدة التى تتعارض اليوم مع الثقافة والقيم جميعا.

ولقد جرى الفلكلور اليوم فى مجارى ثلاث كلها بعيدة عن جوهـــر ذاتيـــة الأمة ومزاجها النفسى ، اما باحياء الوثنيات الفرعونية أو العادات الجاهلية العربيـــة أو الوثنيات الاغريقية، وهذه الثلاث لا تتصل مطلقــا بحقيقة الأمة العربية التى تحررت منذ خمسة عشر قرنا من هذه الطقوس والوثنيـــات .

والواقع أن الدعوة الى احياء التراث الشعبى المسمى بالفلكلور لم تستطع أن تحقق نتـــائج حقيقية الى جانب الأصالة وانما امكن استخدامها فى اهـــداف التعـــريب والشعوبيـــة وقـــد تبين انه احيـــاء الفلكلور لكى يكون عاملا فى المحافظة على الشخصية العربيـــة الاســـلامية حتى تنمو وتترعرع وتتمكن من رد كل عدوان عليها لايؤدي وانما الذي يستطيع ذلك هو التاريخ الصحيح ، ذلك أن الفلكلور يقوم على أوهام الشعوب وأهوائها وعلى أدنى قـــدر من العواطف والمشاعر التى تتعلق بها النفوس الجاهلة الضعيفة المحدودة الأفق التى لم تصل الى قدر من الثقافة التي يقـــدمها الدين والتى تقوم على التحرر من الوثنيات والماديات . وفرق عميق بين التـــاريخ وبين الفلـــكلور وبين التراث وبين الفلكلور بل ان الفلكلور نفسه انما يستهدف احياء الاقليميات والوثنيات والتقاليد والعادات التى انحرفت عن مفهوم العقائد الصحيحة مما صنعه الانسان الضعيف فى حالات الفرح والحزن وفى خلال مراحل الالتقاء الاجتماعى العـــام . وهى فى مجموعها خارجة عن أصول الدين الحق الذى هـــدينا اليه ولذلك فان احيـــاء هذا النوع من التراث هو احياء لدعوة التفرقة والجهل والتمزق .

ذلك ان قدرا كبيرا من هذا التراث يتعارض مع القيم الانسانية التى بناها الاسلام فى نفوس أهله .

وبالنسبة للأغانى والمواويل فانها فى مجموعها خواطر ساذجة لاتمثل من النفس الانسانية الا أدنى مراتبها وهى فى مجموعها تقوم على الأهواء وينسى المفهوم الاسلامى الذى يرتقى فى الحزن عن معارضة أمر الله وفى الفرح عن الانخداع وراء مظاهر الأهواء .

## الفكر أم العنصر

فى العصر الحديث علا صوت العناصر والأجناس والعروق والدماء، وجرت الدعوة الى القوميات ، وكانت أوربا هى التى فتحت هذا الطريق حين خرجت من نفوذ الكنيسة الى القوميات المختلفة .

ولقد كانت الدعوة الى الوحدة العربية دعوة مختلفة عن ذلك تماما، متحررة من طابع الأقلية أو التعصب للجنس أو اقامة حواجز الخصومة والخلاف مع القوميات الأخرى على النحو الذى شهدته أوربا فى صراعها القومى .

ذلك أن الأمم العربية والفارسية والتركية والهندية ، قد جمعتها الى أحقاب طويلة ، وحدة فكر ، أساسها الاسلام ومادتها القرآن وقوامها اللغة العربية التى حملت الفكر الاسلامى الى العالمين .

وقد كان هذا الفكر اسلاميا ولم يكن عنصريا ، استمد وجوده من واقع المسلمين ومن تلك البوتقة الروحية والنفسية التى انصهرت فيها الأجناس جميعا وتوحدت على تعاليم واحدة قوامها الاسلام والنبوة والعدل والتوحيد .

ومن هنا فان ذلك التساؤل الذى يثار فى باب الشبهات بين حين وحين ، حين يقال : حضارة عربية أم حضارة اسلامية ، وفكر عربى أم فكر اسلامى ، أو أن الغزالى كان فارسيا والفارابى كان تركيا والكندى كان عربيا أو ابن خلدون كان مغربيا ، فالحقيقة أن هؤلاء جميعا لم يكونوا يصدرون عن عنصر أو دم أو جنس حين كتبوا ذلك الفكر . وانما كانوا

منصهرين فى بوتقة الفكر الذى صنعه الإسلام وقام عليه القرآن والذى لم يكن به شبهة من شبهات العصبية أو العرق . وانما كان استمدادا من مفهوم التوحيد والعدل الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة .

## القيم

تعبير حديث مشتق من قيم الشىء ، ومن القيمة ، وهو اصطلاح اقتصادى ولكنه عمم فأصبح يعنى الأسس التى يستند اليها فى كل ماتصدر الأمم والأفراد من أقوال وأفعال ، وهو يستعمل بمعنى المعيار الذى يقاس به الجهد الانسانى فى أى زمان ومكان ، تقاس به القيم الأساسية: روحية ومادية ، أو عقلية ونفسية ، أو أخلاقية واباحية ، والقيم الآن هى مجال الصراع بين الحضارات والثقافات المختلفة ، فالحضارة الاسلامية والثقافة العربية تؤمن بالقيم الانسانية المتكاملة فى مجال الروح والمادة بينما تحاول النظريات المستحدثة أن تقصر القيم على الجوانب المادية والعقلية فى مجال الاطلاق والاباحة وذلك بدعوى أن العصر والحداثة كلها أصبحت تلقى ظلا على القيم الأخلاقية والروحية ومن الحق أن يقال أنها تتبع الانسان نفسه فاذا كان الانسان روحا وعقلا ، ومادة ونفسا ، فان القيم تكون كذلك ، ومادام الانسان لا يمكن أن يكون مادة خالصة فكذلك القيم التى ترتبط بوجوده وكيانه .

ان مفهوم التقدم ومفهوم الحضارة من شأنه أن يصرف عن الانسان كل مايحطم شخصيته ، أو يدمر كيانه ، وأن يحرره من ربقة الخرافات وسيطرة الجهل ، أما مفهوم المذاهب المدمرة التى أخذت تسيطر على الفكر الغربى فى السنوات الأخيرة سواء فى مجال علم النفس ، أو فى مجال مفاهيم التربية أو فى مجال الفلسفات فانما هى ثمرة المجتمع الغربى نفسه ولها امتداداتها للفلسفات اليونانية والوثنيات الاغريقية والقيم الهلينية التى تستهدف التحرر من قيود الأخلاق والانطلاق فى عبادة الأجساد .

وهذه المفاهيم غريبة كل الغرابة على الفكر الاسلامى والثقافة

العربية ولذلك فانها حين تحاول أن تغزو قيمنا تجد صعوبة بالغة فى تقبلها لأنها تتعارض مع قيمنا الأساسية ومكونات شخصيتنا وجوهر روحنا ومزاجنا وطبيعتنا .

واذا كانت الثقافات الغربية قد عزلت الدين عن منهج حياتها وفكرها ومجتمعها بعد أن وجدته معوقا لها عن الحرية أو النهضة أو الحركة فان الأمر يختلف بالنسبة لعالمنا وأمتنا ، حيث يعترف الاسلام بالنزعات البشرية وفى مقدمتها الجنس ويعالجها علاج المواجهة والصراحة ولا يقمعها قمعا ، ولا يطلقها اطلاقا .

وحين يقع ( الغرب : فكره ومجتمعه ) فى صراع بين الفردية والجماعية يقف الفكر الاسلامى موقف اتكامل والتوازن بين الفردية والجماعية جامعا بينهما .

فالدين فى مفهوم الفكر الاسلامى ليس قيمة رجعية أو متخلفة أو جامدة ، ولكنها قيمة حية ذات فاعلية وحاجز نفسى عظيم فى مواجهة أخطار الحياة وتحديات الاباحة وعامل من عوامل التوازن النفسى والتكامل البشرى ، وضوابطه الأخلاقية من أسباب الايجابية والقوة .

فالفكر الاسلامى والثقافة العربية لا ترى رأى الغرب فى أن المادة وحدها هى معيار القيم ، وانما تراها متصلة بالانسان ووجوده وكيانه، فالانسان هو معيار القيم لا العلم ولا المادة ، والانسان مادة وروح ، ومن هنا فانها تربط بينهما فى توافق وتناسق وتوازن ايجابى بناء .

ومن حق الفكر الاسلامى أن يرى أن القيم المادية وحدها لا تحقق نمو الشخصية ولا اكتمالها وأن القيم المتكاملة هى العامل الأول فى دفع الأمم الى النجاح والتقدم .

والقيم فى مفهوم الفكر الأسلامى لا تتصل بالبيئة وحدها ، ولا تتغير بتغير الظروف والبيئات ، وانما هى قيم ثابتة أساسية مع كل الظروف وقيم أخرى متغيرة مع الأحداث والظروف والبيئات أما القيم الثابتة فهى القيم المتصلة بالعقائد والأخلاق والشرائع وقوامها التوحيد والاخاء والحرية والحق والعدل ، أما ماعدا ذلك من القيم فانها تخضع للبيئات والزمن

ضمورا واتساعا والقيم فى صميمها انسانية ودافعة الى العطاء والرحمة. وقد أثيرت شبهات حول مفهوم الفكر الاسلامى للقيم حين وصف بأنه فكر روحى ومن الحق أن يقال انه فكر ( روحى ومادى ) وأنه لم يغفل من حسابه المادة بل على العكس أقر القيم الدنيوية وطالب الناس بالاقبال عليها وبين أهمية بناء الحياة والعمران فأمر بالزواج والشراب والزينة والطعام ولكنه طالب فى نفس الوقت بعدم الاسراف والنظر الى التقدم على أنه ليس تقدما ماديا شاملا ، وبذلك فان المادة لا تتقدم القيم الروحية ولا تحجبها .

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

بل ان الفكر الاسلامى يسمو بالقيم المادية ويحولها الى قيم انسانية متجاوبا مع طبيعة الانسان التى تتكون من جسم وروح .

ولا شك أن التقسيم الغربى للقيم واعلاء الماديات منها انما جاء استمداد من الفكر اليونانى الذى قسم الناس الى سادة وعبيد ، والسادة لهم الحكم والرئاسة والعبيد للانتاج المادى ، وقد عرف الفرس نفس هذا التقييم حين دانوا بالهين أحدهما للخير والآخر للشر ، وكانت القيم عندهم مرتبطة باللذات والاستجابة للشهوات .

وجاءت المسيحية الغربية معارضة تماما لليونانية والفارسية حين دعت الى الزهد واحتقار المادة ، وانصراف الانسان عن الملذات والعكوف فى الأديرة والتكفير عما وصف بأنه خطيئة الانسان . ثم جاء الاسلام فصحح المفاهيم وعدل الموازين حين دعا الى التوحيد والتقوى والكرامة الانسانية ونادى بالحرية والعمل ودعا الى السلام والعدل وجمع بين الدنيا والآخرة ، ووازن وجمع ونسق بين القوى المادية والقيم الروحية فى وحدة تؤدى الى التوسط والاعتدال فى تحقيق مطالب الجسم ومطالب الروح .

ومن أبرز قيم الاسلام الحرية فى الاختيار وما يتبعها من مسئولية وجزاء ، بما يحقق للانسان الارادة المطلقة فى الترجيح بين الشر والخير على النحو الذى يجعله مختارا مسئولا ، مسئولية حرة ، وهى من اعظم

القيم التى تعطى الانسان كفاءة فى الارادة والتحــرر من أغلال الآخرين واستعبادهم له فضــيلا عن تحرره من اسر الشهوات ومن سيطرة المــال والجاه والناس جميعا .

## القـــديم

تجرى المحاولات التغريبيـــة الى دعوتنـــا ـ نحن وحدنا ( العــرب والمسلمين ) ـ الى ازدراء القديم وكراهيته بل ويسارع فيقم لها الشبهات التى تحمل طـــابع السخرية والاحتقار لهـــذا القـــديم ، ولـــكنه مع الأسف يتنـــاقض مع نفسه فلا يفعل ذلك مع القـــديم الغربى ، بل على العكس من ذلك فهو يعلى من شأن القديم عنده ، بل ويحاول أن يعلى من شـــأن هذا القـــديم الخاص به عنـــدنا فهو يدعونا الى الأدب الاغريقى ويحيط الدراسات الهلينيـــة بهالة من الفخر ، ويحاول أن يربط بيننا وبين اليونانية واللاتينية . وتقرر الأبحاث والدراسات التاريخية أن الغرب لم يجدد نفسه ولم يدخـــل عصر النهضـــة الا من طريق البعث والاحيـــاء للاغريقيـــات واللاتينيات . فلماذا اذن هـــذا التنكر لتراثنا وقـــديمنا ، ونحن نؤمن أن اى أمة لاتستطيع أن تدخل عصر النهضة الا على أساس احيـــاء قديمها والارتباط به ، ومن عجب أن الغرب قـــد أحيا تراثا انفصل عنه ألف سنة، والصهيونية أحيت لغة انفصلت عنها ألفى سنة ، ولكن المقاييس تختلف اذا جاءت للحكم على قـــديمنا وتراثنا الذى لم ينفصل عن أمتنا خلال اربعة عشر قرنا متوالية متصلة ، ولنستمع الى عالم غـــربى هو كارل بيرسون يتحدث عن القديم .

« ان من أقوى المؤثرات التى تحفظ الثبات الاجتماعى وتحول دون تحلله تلك الصفة التى نبغضها : صفة الجمود على القديم ، لا بل نقول أن العـــداء الصارخ الذى تقابل به الجمـــاعات الانسانيـــة كل الفكرات الجديدة لمن أخص تلك المؤثرات ، وهذه الصفات بمثابة الـــكور المتلظية نيرانه ، والتى بدونه لاتستطيع أن تفصل بين المعدن الصحيح والفضلات الزائفة ، وهى تحمى الجسم الاجتماعى من أن يترك معرضـــا لتغـــيرات تجريبية فجائية غير مفيدة آنا ، أو بالغة أقصى الضرر آنا آخر .

ويؤكد الباحثون أن الأمم النـــاهضة توازن بين روح القـــديم وروح

للجديد وتبنى الجديد على أساس من القـديم ، وتجدد من القـديم ماهو صالح وايجابى وترفض من الجديد ماهو غير صالح أو ايجابى أو يتفق مع كيانها ومزاجها وطابعها . وأن الدعوة الى تطبيعـة القديم ، كالدعوة الى تقبل كل جديد ، وكلاهما معارض لناموس الوجود وسنة الحياة التى تبنى الجديد من مادة القديم .

فالتوازن بين القديم والحديث هو طابع النهضة الأصيلة ، فاذا أهمل القـديم ضاعت مقومات الأمة وتعرض كيانها للخطر ، واهتزت شخصيتها، وباتت معرضة لخطر الاحتلال ، وان كل دعوة الى انكار القـديم انما هى دعوة العـدو ، والمستعمر ، وكل طابع فى هـدم هذه الأمة ، والعمل على إفنـاء وجودها ، ولو كانت الأمة العربية حرة لاستطاعت أن تقف موقف الإنصاف من تراثها ، ولـكنها واقعة تحت عواصف شديدة من الغزو الثقافى ودعوات التغريب المنبعثة من داخل الأمة نفسها، ومصدرها معاهد الارساليات التبشيرية التى تحاول أن تخـدم أهـداف المستعمر والنفوذ الأجنبي .

ونحن نحاول أن نجد مثل هذه الدعوة الى تدمير القـديم وسحقـه والتشكيك فى آداب الأمم الغربيـة فلا نجد ، وانما نجـد عكس ذلك ، حرصـا شـديدا واستماتة فى الربط بين القـديم والجديد ، وبين تراث والواقة والحق .

## الـكتب الصفراء

أطلقت عبارة ( الكتب الصفراء ) على كتب التراث العربى الاسلامى لأنها كانت مطبوعة فى العصور الأخيرة على الورق ذى اللون الأصفر ، بيد أن هذه التسمية انما كانت محاولة للسخرية بهذا اللون من الكتب وتحقيرا له ، بينما تمثل الكتب الصفراء عملا مجيدا بالغ الأهمية فى تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الانسانى .

ولقد كانت هذه الـكتب الصفراء مصدر تنافس خطير بين الغربيين الذين نقلوها الى بلادهم وكانت مصدرا للنهضة العلمية والفكرية المعاصرة، بل لقـد بذل المستعمرون منذ وردوا العـالم الاسلامى جهودا ضخمة فى

الحصول على الوقف المخطوطات والكتب المدفونة فى المساجد القديمة ونقلوها حتى عمرت بها مكتبات باريس وبرلين ولندن .

ولقد جهل المسلمون والعرب قدر هذه الثروة الضخمة وتحاموها فترة طويلة تحت ضغط الدعوات المضللة التى كانت تدعوهم الى النظر اليها بعين الاحتقار ، ازاء المؤلفات الغربية الحديثة الباهرة المظهر ، ولكنهم عادوا من بعد الى ايمان عميق بتراثهم وانتقل كثير من أعلامهم الى خزائن الكتب الغربية يصورون هذه المؤلفات وينقلونها الى وطنها مرة أخرى .

ولقد حوت هذه الكتب الصفراء دررا من العلم والفكر ، وخاصة كتب الفقهاء التى ضمت عشرات من حلول القضايا والمعضلات وكتب التاريخ التى جمعت مئات المواقف وتراجم الأبطال وكتب الكيمياء والطب والعلوم الطبيعية المختلفة التى قامت عليها نهضة أوربا الحديثة والتى كشفت للغربيين « أصول المنهج العلمى التجريبى الاسلامى » .

وما تزال هذه الكتب الصفراء مرجعا ثرا للمسلمين والعالم كله ، بما حوت من تراث ضخم حى، لم يستطع المعاصرون استيعابه والانتفاع به.

## كتب المحاضرات

فى فترة من فترات التاريخ الاسلامى ، استشرت كتب المحاضرات التى جمعت ما تجمع لدى العرب والمسلمين من أساطير الأمم السابقة رواياتها وخرافاتها وشعرها وحكمها وقد بدا ذلك على أنه تراث يكشف للمسلمين علامات فكرهم الأصيل المستمد من القرآن والتوحيد ، ويبين الفوارق البعيدة بين التوحيد والوثنية، وبين العلم القائم على العقل ، وبين الخرافات والأوهام .

غير أنه فى خلال مراحل الضعف التى مرت بتاريخ المسلمين ومع ضغط قوى الغزو الأجنبية من مجوسية وباطنية ودعاة الفلسفة اليونانية، فقد جمعت هذه الأساطير والخرافات وشكلت تيارا ليس من الفكر الاسلامى الأصيل ولكنه من الدخائل واضافات التقليد والابتداع .

ولقد حرص كثير من الباحثين المنصفين على الاشارة الى هذه الآثار

والـكشف عن أخطائها وسمومها ، وحذروا من اعتبـارها مراجع أصيلة، أو مصادر سليمة ، غير أنه فى خلال يقظة الفكر العربى الحـديث ، لم يلبث دعاة الغزو الثقافى والتغريب أن عملوا على احياء هذه الكتب واعادة اذاعتها من جديد ووضعها أمام الباحثين على أنها مصادر يرجع اليها . ومن ذلك الف ليلة والأغانى وكليلة ودمنة ورسائل اخواء الصفا وغيرها ، ولقد اعتمد الدكتور طه حسين فى كثير من مؤلفاته على هذه الكتب وكان من العاملين على اعادة طبعها ونشرها والتعريف بها .

كما عمل على احياء كثير من الأساطير التى أحاطت بالسيرة النبوية وحياة المسلمين فى العصر الأول وضمنها كتابه ( على هامش السيرة ) ، هذا بالاضافة الى دعواه المبطلة فى القول بأن القرن الثانى كان عصر شك ومجون اعتمادا على نصـوص استخرجها من كتاب الأغانى الذى لم يكن مؤلفا ليكون مرجعا تاريخيا أو علميا ولـكنه كان من أعمال الترف والتسلية فى جمع شعر الأغانى وسير شعرائه .

ولا شـك أن البـاحث الثبت لا يتخذ من مثل هذه الـكتب مراجع اساسية له .

## اللاتينيـة

جرت محاولات كثيرة فى مطلع هـذا القرن وفى ظل النفوذ الأجنبى الى اعلاء شأن اللغة اللاتينية وفرضها للتـدريس بجوار اللغة العربيـة واللغات الحديثـة وكذلك الى توجيه الاهتمام بالأدب اللاتينى القـديم . والمعروف أن اللغـة اللاتينية قـد هجرها أصحابها منذ وقت بعيد وانها قد ماتت ، ونشأت على أنقاضها اللغات الفرنسية والايطالية والانجليزية الحديثة التى لا يزيد عمرها على أربعمائة عام .

ولقد حاول كثير من دعاة التغريب عقد المقارنة بين اللغة العربيـة واللغة اللاتينية . والعجب من بقاء العربيـة بينما انتهت اللاتينية وانطوت صفحتها ، ولقد جرت المحاولات لاعلاء شأن اللهجات العامية فى العـالم العربى كمحاولة للقضـاء على اللغة العربيـة الفصحى « لغةالقرآن » واحلال هـذه العاميات مكانها ، غير أن هذه المحاولات كلها باءت بالفشل

فليست اللغة اللاتينية كاللغة العربية ، واذا كانت اللغة اللاتينية لغة أمة فقد انتهت بانتهاء امتها ، أما العربية فهى لغة أمة ولغة فكر، وقد ارتبطت بالقرآن الكريم فأصبحت الى جانب انها لغة العرب الذين يبلغون مائة مليون فانها لغة المسلمين الذين يبلغون سبعمائة مليون ، فهي لغة فكرهم ولغة دينهم ولغة هذا التراث الاسلامى العربي الضخم، الذي لا سبيل للعرب والمسلمين الى الاستغناء عنه .

أما اللغة اللاتينية فانها لغة تاريخية تدرس اليوم من أجل احياء نصوص الأدب اللاتيني القديم ، وربما كانت لها اهمية خاصة في دراسات الجامعات الغربية ولكن اهميتها فى دراسة الجامعات العربية قليل، ذلك ان الآداب اليونانية واللاتينية تختلف اختلافا واضحا مع الآداب العربية والإسلامية في مقاصدها ومقوماتها ، ولقد رفض المسلمون فى القديم ترجمة الآداب اللاتينية بينما ترجموا العلوم ، ذلك لأن لكل أمة أدبها المستمد من ذاتها والقائم على اساس مزاجها النفسي والاجتماعي . ولقد ترجمت كثير من آثار اللاتينية الى العربية وحرص هؤلاء المترجمون على اذاعتها بكل وسيلة ولكن الذاتية العربية رفضتها وأحست بالفارق العميق بين طابع النفس العربية القائم على الفطرة والايمان بالله وبين طابع النفس اللاتينية الوثني .

## اللاهوت

أطلقت كلمة اللاهوت فى الاصطلاح المستعمل فى الكتابة العربية على مفهوم الدين الغربى ، أى فيما تمثل العلاقة بين الله والناس ، او مايطلق عليه فى مصطلحات الاسلام : العبادات .

ولما كان مفهوم الدين فى الفكر الغربى قائما على هذا الجانب وحده ، فقد وصف بأنه لاهوت ، ومن هنا تبدو التفرقة الواضحة بين مفهوم الفكر الاسلامي ومفهوم الفكر الغربى فالاسلام ليس دينا فحسب، ولكنه دين ونظام مجتمع .

ذلك ان الاسلام لم يفصل بين علاقة الانسان بربه وعلاقته بالناس والمجتمع بل هما عنصران متكاملان لاينفصلان .

أما فى الغرب فقد تلقى الأوربيون الدين المسيحى فى ظروف كانت الأمم عندئذ أقامت مناهجها الاجتماعية على أساس الفلسفة اليونانية الوثنية ، والقانون الرومانى ومن هنا فقد تقبلت أوربا دين المسيحية كاطار جامع بين وصايا المسيحية وبين هذين التراثين ، ومن هنا بقى مفهوم الدين فى نظر المفكرين الغربيين قائما فى أساسه على العلاقة بين الله والانسان ، أما فيما يتعلق بالمجتمع فقد آثر الغربيون مناهج اليونان والرومان التى كانت سائدة فعلا .

أما فى العالم الاسلامى فقد بدأ الاسلام ببناء جماعة صاغها على مبادئه وظلت هذه الجماعة تنمو حتى تشكلت المجتمع الاسلامى من خلاله مفاهيمه وقيمه ، ومن هنا فقد تكاملت فى مجتمعه عناصر الاسلام عن عقيدة وشريعة وأخلاق ، ومن هنا اختلف مفهوم الغرب عن مفهوم الاسلام فى هذا الأمر ، وكان لهذا الخلاف أثره البعيد فى فهم الغربيين للاسلام أو فى محاولة التغريبيين تحويل المسلمين عن هذا المفهوم ، ودعوتهم الى قصر الاسلام نفسه أو تركيب العقل العربى الاسلامى منذ خمسة عشر قرنا .

## المنهج العلمى التجريبى

جاء الاسلام دينا ومنهجا اجتماعيا ولقد كانت دعوته الى العلم أبرز مناهجه ، فقد حث المسلمين على النظر فى الكون ، والسعى فى آفاق الأرض ، واستخراج ثمرها ودعا الى العلم ونادى بالبرهان والدليل ، وأقام الانسان سيدا على الأرض تحت حكم الله . فكان هذا هو منطلق المسلمين الى النظر والبحث والعمل .

ومن هنا نشأ منهج المعرفة الاسلامى ذى الجناحين القائم على أساس العقل والبصيرة معا ، دون فصل أحدهما عن الآخر أو اعلائه ، ومن هنا أخذ المسلمون علوم السابقين جميعا فنظروا فيها ثم صححوا ماكان فيها من أخطاء وأعادوا صياغة مناهجها بما يتفق مع روح الاسلام وطبيعة المجتمع الاسلامى التى تختلف عن روح اليونان والاغريق الوثنى وعن مجتمع الرومان العبودى ومن ثم أنشأ المسلمون منهجهم العلمى التجريبى

الذى تخطى المنهج الافريقى النظرى ، وتقـدم فى مجـال الطب والفلك والعلوم الطبيعية والكيمائية على نحو حقق كثيرا من نتائج العلمية .

ثم كان أن تتلمذ الغربيون على هذه المنـاهج فى جامعات قرطبـة واشبيلية ونقلوها الىأنحاء أوربا ثم سيطر الأوربيون علىالأندلس وأخرجوا المسلمين والعرب من أوربا جميعا ، واستولوا على هذه المناهج والأبحاث، ثم امتدت أيديهم حتى حققت ثمرات العلم والحضارة العصرية .

غير أن الغربيين أنكروا فضـل العرب والمسلمين على هـذا العمل فترة طويلة ، وظلوا أكثر من أربعمـائة عام يؤكـدون أن المسلمين كانوا يعيشون القرون الوسطى ، وانهم لم يكونوا الا نقلة للفكر اليونانى ، غير أن أصوات منصـفة لم تلبث أن ظهـرت فى السنوات الأخيرة كشفت عن الحقائق واعترفت بفضل العرب والمسلمين ، ليس فى مجال العلم والطب والمنهج التجريبى وحده بل فى مختلف مجـالات الفكر العـالمى من تاريخ واجتماع وسياسة واقتصاد .

## المرأة وتحرير المرأة

كانت الدعوة الى تحرير المرأة أساسا ثمرة من ثمار الدعوة الاسلامية، فقد أعطى الاسلام للمرأة حقوقا فى مجال المجتمع والاقتصاد والعلم لم تكن تعرفها أوربا اذ ذاك ، حيث كانت تعقـد المؤتمرات فى الغرب للنظر فيما اذا كانت المرأة مخلوقا انسانيا أم لا ، فى هـذه الفترة بالذات كان محمد بن عبد الله ينادى فى قلب الجزيرة العربيـة بحرية المرأة ومكانتها ويعلن حقوقها الاجتماعية والاقتصادية التى منحها الاسلام .

وقد كتبت المرأة المسلمة فى ظل الاسلام صـفحة ناصعة فى مختلف المجالات غير أن مرحلة الضعف والتخلف قـد ألقت ظلها على المرأة وعلى المجتمع كله ، فانزوت المرأة ، ثم فرض عليها الجهل والحجاب ، فلما جاء الغرب جعل من بين أهـدافه الاستعمارية تدمير الأسرة واخراج المرأة الى الحياة وخلق أجواء من الحب والغرام والاثم ومحاولة تحرير المجتمع من قيم الغيرة والعرض والكرامة التى قدمها الاسلام للمرأة .

غير أن الاستعمار لم يكن يستطيع ان ينفذ برامجه الا على مراحل طويلة ، فكان من ابرز معاول لاذاعته : « القصة الغربية الاباحية » فاغرى كثيرا من الكتاب الشوام بترجمة القصة فذاعت ذيوعا شديدا ودخلت كل بيت والقت الى العذارى تلك النشوة الخيالية فى صور من الاباحة والوهم ، فأثارت فى النفوس ثائرة الغريزة والهبت فى المشاعر عواطف الجنس وأغرقت البلاد بالأندية الليلية والراقصات . والخمور وأساليب الدعارة وأباحت البغاء وجعلت له أحياء خاصة ودافعت عن وجوده .

ولقد حرص الغيورون على كشف مفاهيم الاسلام فى تحرير المرأة، هذا الفهم القائم على تعليم المرأة واشتغالها بالأعمال التى تناسب طبيعتها بعد دعم شخصيتها بتربية سليمة قوامها القدوة الصالحة، وبتعليم متخصص يدرس لها ما تحتاج اليه ولا يشغلها بما يشغل به الصبيان . غير ان الاستعمار حال دون ذلك بافساد التعليم وبافساد الأسرة نفسها ،ومن هنا فقد استغلت صيحة تحرير المرأة التى نادى بها بعض الكتاب ، فى سبيل تحقيق أهداف الاستعمار نفسه ، ولقد ركز المبشرون فى تقاريرهم على تعليم المرأة فى مدارس الارساليات الخاصة الداخلية واهتموا بتعليم ابناء السراة والأمراء والقادة . وقالت احدى كبيرات المبشرات ان هذا التعليم هو أقرب طريق لهدم الأسرة المسلمة .

## المحافظة

وصفت « المحافظة » فى الأدب العربى الحديث بأنها تقف فى مقابل ( التجديد ) ، وكان هذا خطأ مقصودا ومغالطة تغريبية خالصة ، ذلك أن المحافظة ليست جمودا ولا تأخرا . ولا رجعية الى التقليد ، ولكنها محاولة لايجاد الترابط الصحيح بين الخطوط المختلفة لشخصية المجتمع والفكر جميعا .

فان الدعوة الى التجديد وحدها انما تستهدف اخراج الفكر والمجتمع من مقوماتها الأصيلة بينما الجمود وحده هو دعوة الى التوقف عن النمو وكلاهما ليسا من الخير الذى تترقبه المجتمعات ابان النهضات .

وانما تقوم النهضات على عوامل مختلفة قوامها المحافظة على القيم

الأساسية الثابتة التى بنيت عليها الأمة أساسا ثم تفتح الباب للجديد فتنظر فيه فى وعى ورشد ، فتأخذ منه ماتراه صالحا لنموها وتجديد حياتها .

ولقد كانت تجارب الأمم جميعا من هـذا النوع ، ولم تر أمة أصيلة التاريخ عميقة الجذور ذابت فى فـكر أمة أخرى أو مناهجها وانتقلت كلية الى الجديد الوافد .

ذلك أن هذا الجديد الوافد انمـا يجئ غالاة قسرا وفى ظل ظروف القهر والاحتلال ، ولان هذا الجـديد قـد يكون خاصا بأمته وأهله ، من نتاج فـكرهم وفى مواجهة معضلاتهم ، وتحديات مجتمعاتهم ، ولذلك فان أى تجربة من تجارب النهوض فى الاجتماع أو السياسة أو الاقتصاد فى أى أمة ، لا تكون صالحة للنقل أو الاقتباس من أمة أخرى ، شأنها شأن البذور التى قد تنمو فى تربة ولا تنمو فى تربة أخرى .

ولقد كانت الدعوة الى التجديد واتهام المحافظة ، من التحديات التى واجهت مجتمعنا فى ظل النفوذ الأجنبى الذى كان حريصا على أن يخرج هذه الأمة عن مقوماتها واغراءاتها بالرأى الجديد الوافـد الذى يختلف مع طبيعتها وعقائدها وذاتيتها ، حتى لقد دعا أحدهم الى أن نأخذ الحضارة الغربيـة شرها وخيرها وما يحمد منها وما يعاب ، فاذا تصـدى أحـد لهؤلاء الغزاة وأعلن أن لهذه الأمة مقوماتها وصف بالمحافظة أو الجمود أو الرجعية ، ثم تحرر الفكر العربى من هـذه الدعوة الضـالة حيث تحول بعض هؤلاء الدعاة الى المحافظة والاعتـدال وعرفوا أن قيم الأمم عميقة الجذور يستحيل أن تقصف أو تقتل تحت أى تهديد أو اغراء .

## المعرفـة والعقيدة

كان من أخطر ما واجه الفكر العربى الاسلامى فى مواجهة التغريب والغزو الثقافى : تضبيب المصطلحات وتمويه المفاهيم ووضع الأغشية فى وجه الفوارق بين القيم حتى يظل السذج البسطاء على فهم مضلل ، ودون أن يعرفوا الفرق بين كلمة حق واضحة عميقة وكلمة باطل مموهـة لهـا بريق وخداع .

ومن أخطر هذه المصطلحات محاولة احلال كلمة « المعرفة » بدلا من كلمة « العقيدة » . فالمعرفة : هى الثقافة العـامة والعالمية ( المشاعـة

للناس جميعا ، والتي تمثل التعريف بأنواع المعــارف المنثورة في الثقافات المتعددة وهــذه تختلف اختــلافا واضحا عن العقائد التي تتصل بأمــة بذاتها والتي تتشكل من خلال تراث وقيم وتاريخ ودين ، وهي تختلف اختلافا واضحا في كل أمة عن الأمة الأخرى ، وتختلف بين أمم الشرق والغرب ، وتختلف بين المسلمين وبين غير المسلمين ، وبين العرب والغرب .

ولقد تشكلت الأمم منذ قديم من خلال عقائدها وقيمها ولغاتها ومفاهيمها على نحو جعل لــكل منها طابعها المختلف ، فاذا صنفنا هــذه الخلافات وصلنا الى ثلاثة جذور هي :

* الأمم الشرقية ذات التراث الروحي الخالص التي تستمد مفاهيمها من آراء بوذا وكونفوشيوس والبرهمية وغيرها من العقائد التي تعلى شأن الوجدان والقلب والبصيرة .

* الأمم الغربية ذات التراث اليوناني الاغــريقي الروماني الهليني الوثني من آراء سقراط وأرسطو وأفلاطون وغيرها من العقائد التي تعلى من شأن عبادة القوة وعبادة الجسد وتأليه العقل .

* الأمة الاسلامية ومنها العرب ذات التراث التوحيــدي الخالص القائم على منهج متكامل من العقل والبصيرة ، الرابط بين الروح والمــادة والدنيا والآخرة ، والعلم والدين .

ومن هنا فقد كان من الضروري لأمتنا وهي مفتوحة النوافذ للمعارف المختلفــة والعقائد المختلفة أن تكون على وعي بالفــوارق بين المعــارف والعقــائد .

## المثل الأعلى

يختلف المثل الأعلى في كل دين وعقيــدة وفلسفة ، وقــد صورت المسيحية المثل الأعلى في القــديس المتبتل الزاهــد الوادع ، ويصــور نيتشــه « المثل الأعلى » في السوبرمان الطاغية الأناني المتغطرس المتجبر ، أما في الاسلام فلا نجد المثل الأعلى في الانسان بل نجــده ممثلا في الله سبحانه وتعالى ، وفيه تعالى تجتمع من الكمالات المطلقة أقصى مايستطيع

عقل بشرى أن يتصوره ، ويجد المسلمون فى الله سبحانه وتعالى المثل الأعلى فى صفاته وأسمائه الحسنى « ولله المثل الأعلى » « وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » .

ويرى الدكتور توفيق الطويل : أنه اذا كانت الرحمة فى المسيحية هى رأس الكمالات والقوة عند نيتشه هى قمة الفضائل ، فقد جمع الله تعالى بين الرحمة والقوة فى تعادل وتوازن فهو قادر منتقم وهو غفور رحيم وصفات القوة والجبروت عنده لا تطغى على صفات الرحمة ، ويقول: ان الله هو المثل الأعلى لكل من آمن بالاسلام فمن اهتدى بهدى الاسلام حق عليه الاقتداء بالله ، ومحاولة الاقتداء بصفاته الحسنى ، أو كما يقول الصوفية من المسلمين: « تحقيق الكمالات الالهية على قدر الطاقة البشرية » ويتجلى المثل الأعلى الاسلامى فى مفهوم السلم والحرب بأجلى صورة فالله سبحانه وتعالى حرم البدء بالعدوان ( ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين ) ولكنه أكد رد العدوان ( فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ) .

وهو سبحانه الذى دعا الى المصابرة والمرابطة : يا أيها الذين آمنوا اصبروا ( أى غالبوا الأعداء بالصبر على المكاره فى الحرب ) ورابطوا ( أى اجتمعوا فى الثغور مترصدين للعدو متأهبين للغزو ) ويقول ( وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ) أى قلاع وحصون .

أما فى الغرب فقد أنكر الفلاسفة مفهوم المسيحية للمثل الأعلى ، ودعا نيتشه الى صورة أخرى للمثل الأعلى تتمثل فى الانسان الأعلى : وفى صورة الطاغية المستبد الأنانى الجبار الذى يعتصم بالظلم والقسوة والجبروت ويحتقر الصبر والحلم والدعة ، يطالب بالقضاء على المرضى والمحتاجين ، ويرد الدكتور توفيق الطويل المثل الأعلى الذى رسمه نيتشه الى نظرية التطور التى تأثر بها ، وأصر على تطبيق قانونها على الأخلاق، ودعا الى ترك المبادىء الخلقية والانصراف عنها ، حتى ينقرض الضعيف ويبقى الأقوى ، وكانت نتيجة التطبيق مروعة ، اذ سرعان ماتحولت به فضائل المسيحية من احسان وتضحية ، وأصبحت القسوة والظلم والبغى والعدوان ونحوها فضائل تتجلى فيمن أسماه ( السوبرمان ) وقد قسم

نيتشه الأخلاق الى أخلاق سادة وأخلاق عبيد ، ووصف المسيحية بأنها أخلاق عبيد ، أما أخلاق السادة فتتمثل فى ارادة القوة واحترام الظلم والقسوة والمغامرة .

ويرى الدكتور الطويل أن مرد فلسفة نيتشه الى رجل مصاب فى جسمه وفى عقله وقد أمضى عمرا من حياته يعانى آلام مرض وراثى فى جسمه ، وفى متاعب صرع أصابه فى عقله مما دعاه الى التماس مثله الأعلى فى دنيا المغامرة واقتحام الأخطار .

ولكن نيتشه انتهى ، ومثله الأعلى لم ينته ، بل يكاد يكون المثل الأعلى للفكر الغربى فى العصر الحديث وبه يتمثل الاستعمار والنفوذ الأجنبى والصهيونية .

ويتصل المثل الأعلى الغربى بآراء ميكافيلى ، ومذهبه فى السياسة الذى اعتنقته أوربا حيث يرى أن السياسة لا ترتبط بالضمير ولا بالأخلاق .

## منطق أرسطو

سبقت الفلسفة اليونانية الأديان الكبرى الثلاثة ثم كان لها تأثيرها الواضح على الديانة الموسوية ثم انتقل الى الديانة المسيحية . فلما ظهر الاسلام وتمت رسالته واكتمل منهجه ، وكانت دعوته الى التوحيد امتدادا لمفهوم الأديان المنزلة من عند الله قبل انحرافها ، بدا هذا التوحيد غريبا بالنسبة لمفاهيم الأديان التى كانت قد اختلطت فيها الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية مع الأديان القديمة كالبوذية والمجوسية وغيرها ، ومن هنا بدت مفاهيم هذه الأديان متقاربة متشابهة ، وبدأ الاسلام منذ ذلك الوقت والى اليوم وكأنه يحمل مفاهيم مستقلة تختلف كل الاختلاف فى جوهرها عما وصلت اليه الأديان من تضارب وتحريف .

ولكن الفلسفة اليونانية لم تلبث أن اقتحمت مجال الفكر الاسلامى وأثرت فيه ، لقد استعان الاسلام بمنطق أرسطو فى فترة من أدق الفترات وفى مواجهة مهاجمات الأديان وصيالها ومساجلاتها . ومنه انطلق علم الكلام للرد على شبهات خصوم الاسلام بنفس منطقهم .

غير أن الفكر الاسلامى لم يلبث أن تحرر من منطق أرسطو ، وكشف أعلام هذا الفكر عن منطق للقرآن وكان لابن حزم والغزالى وابن تيمية آراء واضحة فى هذا المجال ، ومما ذكره الغزالى أن منهج الكلام مثل الدواء وهو مما يحتاجه الانسان فى فترة المرض .

أما منهج القرآن فهو مثل الماء والغذاء مما يحتاجه الانسان فى مختلف فترات حياته ، ثم جاء ابن تيمية فألف كتابه ( الرد على المنطقيين ) فأشار الى أن للقرآن منطقا خاصا يختلف عن منطق أرسطو . وقد كشف ابن تيمية فى منطق أرسطو عن خصائص العقلية اليونانية التى تباين الفكر الاسلامى وتختلف عنه فالعقلية اليونانية تقع تحت الطابع النظرى فى التفكير وتعلى من شأن العلوم النظرية وتراها أشرف من العلوم العملية وتهتم بالجانب الصورى من المنطق دون المادى وتجعل القياس أكثر أنواع الاستدلالات يقينا ، بينما يقرر الاسلام أوضاع الحياة العلمية ويعتمد على التجربة . ويقول الدكتور النشار : ان العلوم الاسلامية نشأت تبعا لحاجات الحياة بل ان اهتمام الفكر الاسلامى بالحاجات الانسانية قد دعا الفقهاء فى الأحكام الى العدول عن قياس الغائب على الشاهد الى الاستحسان .

ويقول العز بن عبد السلام أن الله شرع لعباده السعى فى تحصيل مصالح عاجلة وآجلة تجمع كل قاعدة منها علة واحدة ثم استثنى منها مافى ملابساته مشقة شديدة أو مفسدة تربو على تلك المصالح ، ويعبر عن ذلك بما يخالف القياس وذلك جائز فى العبادات والمعاملات وسائر التصرفات.

ومن هنا فقد ناصر ابن تيمية المنطق المادى وانتقد المنطق الصورى، وهاجم أفكار الماهيات والكليات وسائر التصورات التى لم تستند الى وجود غيبى وبذلك يعد ابن تيمية رائدا لكل الاتجاهات الحديثة فى نقد منطق أرسطو من أرجانون فرنسيس باكون الى المنطقية الوضعية لدى ستينج وكارناب وغيرهما كما ترك بصمات واضحة فى المنطق المادى لدى بيكون وميل المنطق السيكولوجى لدى كوزان وقد هاجم ابن تيمية الفلاسفة الذين تشيعوا لمنطق أرسطو أمثال الغزالى وابن سينا وابن رشد.

وكان منهجه الواضح هو الكشف عن أن هناك مباينة واضحة بين الفكر الاسلامى والفكر اليونانى فى أعمق أعماقه وفى قضاياه الرئيسية .

ويرى ابن تيمية أن التسليم بمنطق اليونان يقوض أساس الحضارة الاسلامية اذ سينتج عن ذلك أحكام عامة تهدم ما تبناه المسلمون من أحكام ولا سيما فى نطاق الالهيات . « فكانت عبقرية ابن تيمية لا فى نقد المنطق الارسطاليسى وانما فى استخلاص منطق بعيد عن خصائص العقلية الاسلامية ويحمل طابع الحضارة فيها » .

## المسرح والفكر الاسلامى

يتردد القول كثيرا حول المسرح والقصة فى الفكر الاسلامى والأدب العربى .

لماذا لم يظهر المسرح فى الفكر الاسلامى ، والواقع أن ذلك يتفق تماما مع خاصية النفس العربية الاسلامية بطبيعة تركيبها ومن خلال مزاجها النفسى الذى اتصل بمفهوم الاسلام والقائم على التوحيد فقد تشكلت هذه النفس مطبوعة على الصراحة والوضوح ، وقد فرض عليها ذلك ايمانها بالله ، وجوها الصحراوى الواضح الذى يمتلىء بالضوء منذ الصباح الباكر فاذا أشرقت الشمس عم الكون كله ضياء ونور .

فالنفس العربية واضحة كل الوضوح ، صريحة كل الصراحة ، لا تحتاج الى الرموز ولا الى الايماءات ولا تجد هناك مايحول دون أن تقول الكلمة ، وقد أعطاها فكرها الاسلامى هذه القوة وهذا الوضوح ، فضلا عن بساطة العقيدة الاسلامية التى لا تحتاج الى مسرحية طويلة لتشرحها أو تجلى فى نفوس الناس وعقولهم فلسفتها .

وبالاضافة الى ذلك فقد شكل القرآن منهج البلاغة العربية فأقامها على الوضوح والايجاز ، حتى عد أبلغ الكلام هو السهل الممتنع . وقال النبى عن نفسه . ان الحكمة قد اختصرت له اختصارا . وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها : ان النبى لم يكن يسرد كسردكم هذا ولكنها كلمات موجزة .

كل هذه العوامل كانت بعيدة الأثر فى انتفاء الملاحم والأساطير والمسرح عن الأدب العربى والفكر الاسلامى ، فقد كانت هذه الملاحم والأساطير والمسرح نتيجة لطبيعة الامم التى عرفت هذه الفنون ، فقد اتخذتها وسيلة للافصاح عن فكرها حيث عاشت فى بلاد تميزت بالليل الطويل والظلام والغيوم والسحب ، وعرفت بالجبال العالية والبحار العميقة ، وما يتصل بذلك من مخاوف كانت تملأ قلوب سكان تلك البلاد. ومن هنا نشأت الأساطير والقصص الخرافية ، وكانت الفلسفة الوثنية تحتاج الى تفسير وايضاح ، ومن هنا كان الرمز فى التعبير وكان المسرح للتوضيح فكيف يوجد هذا فى بيئة تختلف كل الاختلاف ، ولا تحتاج الى مثل هذه الوسائل لايضاح فكرها أو تبليغ كلمتها .

ولقد رأى العرب الشعر اليونانى والقصة اليونانية ابان حركة الترجمة التلقائية فأعرضوا عنها لأنها كانت مليئة بالوثنيات والأساطير . وكانت متعارضة مع ذاتيتهم وعقائدهم ، أما ترجمتها اليوم فان ذلك لم يكن بارادة الفكر الاسلامى ، ولكن مما فرض عليه . ومع ذلك لم يسغها ولم يتقبلها .

## القرآن والأدب

جرت محاولات فى دراسات الأدب العربى خلال الثلاثينات ، كانت تستهدف وضع القرآن الكريم موضع النقد وتعتبره أثرا أدبيا يمكن أن يجرى عليه مايجرى على أى قصيدة شعرية أو قطعة بلاغية .

ولقد أخطأت هذه الدعوة طريقتها ، لأنها اعتبرت القرآن كتابا موضوعا ، كتبه محمد ، بينما القرآن ليس كذلك ، فهو من آى الله المنزلة من السماء وليس من صياغة البشر ، ولذلك فان وضعه موضع النقد ليس بالأمر الصحيح علميا حيث تناقش آثار الأدباء والكتاب .

ولقد أجرى الغربيون نفس المراجعات على التوراة والكتب الدينية، غير أنهم أكدوا بطريقة حاسمة قبل أن يقوموا بهذا العمل أن هذه الكتب ليست سماوية ولا منزلة ، وأنها محررة بأقلام بشر ، وقد بلغوا فى ذلك مبلغا بعيدا من التحقيق فذكروا أسماء الكتاب الذين شاركوا فى

كتابة هذه الكتب ، ومن ثم فقد اعتبروها تراثا أدبيا قابلا للمراجعة والنظر وأخضعوها لقواعد النقد الأدبى .

ولكن الذين حاولوا مثل هذه المحاولة فى الأدب العربى كانوا يعرفون أن القرآن نص سماوى موثق ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا خلفه ، وأنه ظل محفوظا دون أن يطرأ عليه ما طرأ على الكتب الدينية الأخرى ولذلك فقد كانت محاولتهم اخضاع القرآن لمثل ما أخضعت له الكتب الأخرى فى الغرب ، كان جرأة ومجازفة وخروجا على مناهج البحث العلمى نفسه .

غير أن النظر فى الدوافع والخلفيات يكشف عن أن هذه المحاولة لم تكن خالصة لوجه البحث العلمى ولكنها كانت ضمن مخطط تغريبى يرمى الى اخراج شباب المسلمين الذين يتعلمون فى الجامعات من قدسية النص القرآنى ، وخلق احساس بالاستهانة به والنظر اليه على أنه كتاب أدبى خالص ، وقد جاء ذلك فى غيبة التربية الاسلامية الصحيحة التى كان الاستعمار قد رفعها من مناهج التعليم حتى لا يبقى فى نفوس الشباب أى قدر من الاحساس بأصالة القرآن وسلامته وأنه منزل من عند الله .

## هزيمة المعتزلة

يردد كثير من الباحثين الغربيين ومن تابعهم من كتاب يكتبون باللغة العربية هذه العبارة « هزيمة المعتزلة » يريدون بها القول بأن هذه الهزيمة انما كانت عاملا من عوامل الضعف الذى حل بالمجتمع الاسلامى .

وهؤلاء الباحثون هم اما مغرضون يعرفون الحقيقة ويتجاهلونها فى سبيل تمويه الأمور وغش القراء وتضليلهم عن حقيقة تاريخ الاسلام وفكره .

واما هم مع الأسف لم يستوعبوا حقائق الاسلام ولم يفهموه فهما صحيحا ، وربما فهموه من داخل دائرة الفكر الغربى الذى كان دائما سيىء الرأى فى الاسلام وفى الأديان عامة .

والحقيقة ان هزيمة المعتزلة كانت نتيجة طبيعية لاختلاف هذه الدعوة مع جوهر الاسلام ومع طبيعة الفكر الاسلامى ومنهج المعرفة فيه ، هذا

المنهج الذى يقوم على جماع العقل والوجدان ، لقد كان الاعتزال أساسا محاولة أصيلة لمواجهة المذاهب الفلسفية التى كانت تحتمى وراءها الأديان المعارضة للاسلام وقد أدى دوره فى هذا المجال على أحسن وجه ، وواجه علماء الكلام فى الأديان والفلسفات الأخرى فى قوة ونال منهم وحقق كثيرا من النتائج وأدخل مئات من الوثنيين فى الاسلام .

غير أن المعتزلة لم يلبثوا أن بلغوا درجة من الغلو فى تأكيد موقفهم وفكرتهم ، وبذلك أعلوا شأن العقل وبلغوا به مبلغا خطيرا ، ولما كان المسلمون يؤمنون بالغيب والشهادة ، ويؤمنون بالوحى والعقل ، ويتكامل ايمانهم هذا ويتشكل فى وحدة واحدة فان اعلاء شأن العقل وحده كان خروجا على مفهوم الاسلام ، وهو خروج عرض المعتزلة للهزيمة وعرض فكرهم للانهيار تحت أضواء الاسلام الصحيح ، ومن هنا جاءت تعديلات وتصحيحات قام بها الامام الأشعرى ومدرسة الامام أحمد بن حنبل اذ كان لابد أن يعود الاسلام الى أصوله، وأن يتحرر مما أصابه عن طريق الفلسفة اليونانية من انحراف .

ولذلك كانت هزيمة المعتزلة نصرا لأصالة الاسلام وتعديلا لمسار فكره وربما كان حزن بعض الغربيين على هزيمة المعتزلة راجعا الى ما حاولوا أن يلصقوه بها من أنها كانت منطلق الفكر اليونانى الاغريقى وانها لو حققت نجاحا مطردا لقضى ذلك على وسطية الاسلام وتكامله بل وربما قضى على ارفع مفاهيم الاسلام واصلها الأصيل « التوحيد » ولذلك فهم يتمسحون بالمعتزلة ويعلون من شأنهم .

## المعتزلة مالهم وما عليهم

أنكر عليهم علماء أهل السنة مافى مذهبهم من الأخطاء بالبيان والحجج . الا أن غلوهم فى التمسك بالعقليات فى الأمور التى لا مجال للعقل فيها من المغيبات ذلك الغلو جعلهم يسيئون التصرف فأغروا الخلفاء بحمل الناس بالقوة عن اعتناق مذهبهم والتبرؤ من كل اعتقاد يخالف مايقولون به وقد شغل السلطات الحاكمة بالقبض على العلماء المخالفين وايداعهم السجون وابعادهم عن بلادهم وأهلهم وضربوهم بالسياط حتى اضطر كثيرا

منهم تحت التهديد والإكراه أن ينطق بخـلاف مايعتقد وثبت الامام أحمـد رحمه الله على قوله فأصابه من ذلك بلاء عظيم وقهر وبقى تحت العـذاب طيلة أواخر عصر المأمون حتى عهد المعتصم والواثق الى أن أطلقه المتوكل الذي انتصر لله ومنع التعرض له بالعودة لمذهب أهل السنة ورفع الأصار عنه وفشل أهل الابتداع فى القضاء على المذهب السنى .

ولم يزل عامة النـاس ينظرون بنوع من الاستنكار والاستنكاف الى مذهب الاعتزال وتجن أهل العلم لمـا وقع فيه رؤساؤه من الاساءة ولمـا تضمنه المذهب نفسه من الاعتقادات المخالفة لـكتاب الله وسنة رسوله .

وكان الحسن الأشعرى من المعتزلة وخرج عليهم ورد على كثير مما ذهبوا اليه بالحجة والبرهان ولم يزل علماء السنة بعد ذلك يردون عليهم ويتربصون ما أخطأوا فيه .

ومن أشهر من رد عليهم ابن تيمية فى كتابه المشهور « منهاج السنة النبوية » وهو الذى اختصره الذهبى فى كتابه المنتقى من منهاج الاعتدال .

## وحـدة الوجود

وحدة الوجود مذهب دخيل على الفكر الاسلامى والثقافة العربية ، وهو من المذاهب القديمة المرتبطة بالوثنية والمجوسية وفلسفات الاغريق والهنود والفرس التى تحرر منها الاسلام بالتوحيد وفصل بينه وبينها .

وتعنى وحدة الوجود تأليـه المخلوقات واعتبار الـكون هو الله ، وقد أثارت هذه الدعوة موجـة من الصراع الفكرى العنيف وشجبها الفكر الاسلامى على لسان كثير من علماء الـكلام والمحدثين والمفسرين والفقهاء والصوفيين السنيين ، على اعتبار أنها دعوى تتناقض مع جوهر العقيـدة الاسلامية تناقضا مطلقا بحيث لا يمكن التوفيق بينها وبين عقيدة التوحيد بأى وجه من الوجوه .

وقد سمى آسين بلاسيوس فى كتابه ( ابن‌عربى ) دعاة هذه الفكرة **بالاسلام‌المتنصر** Ellelam eristianiza وقال انها جاءت من‌المذاهب الباطنية .

وهذا هو سر اهتمام المستشرقين والمبشرين بالدعاة الى هذه الفكرة كابن عربى والحلاج ، وترويج كتاباتهم رغبة فى احداث شبهات عميقة تبلبل عقيدة البسطاء .

ومفهوم الاسلام فى مواجهة وحدة الوجود هو أن الموجود اثنان :

واجب الوجود ، وممكن الوجود .

وممكن الوجود هو هذه الكائنات التى ندركها بحواسنا الخمس مباشرة

وواجب الوجود هو صانعها الواحد الفرد الصمد .

كما أنكر الاسلام عقيدة الاتحاد : أى حلول خالق فى المخلوق ، أو استغراق المخلوق فى الخالق ، وهو أى الاسلام يميز طبيعة كل منهما ولذا أنكر الاسلام فكرة الحلول .

والاسلام لا يقبل وحدة الوجود لأن فيها انتقالا من عقيدته الأصلية ( لا اله الا الله ) الى مايقوله بعض الصوفية ( لا موجود فى الحقيقة الا الله ) وسياق كل منهما ينتهى الى نتائج مختلفة أشد الاختلاف لنتائج الأخرى .

والتصوف السنى فى منهجه يجب أن يبدأ من القرآن وينتهى اليه .

## وحدة الحضارة

هناك دعوات ارتبطت بالاستعمار والنفوذ الأجنبى أطلقت عليها عبارة وحدة الحضارة ، وحدة الثقافة العالمية ، والحكومة العالمية .

وعبارة وحدة الثقافة العالمية : عبارة خلابة المظهر براقة الصورة ولكنها تخفى فى أعماقها التعصب والاحتقار للثقافات الانسانية ومعناها فى الواقع سيادة الثقافة الغربية وحضارتها وتشييدها على ثقافات الأمم وحضاراتها ولا سيما الثقافة العربية والفكر الاسلامى ، هذه التى سادت أفريقيا ، وآسيا ، والتى هى طابع هذه المنطقة التى ماتزال مجال النفوذ الاستعمارى للغرب وهى تسمى هذه الدعوة : دعوة التمدن والتحضير للأمم المتخلفة ، رسالة الرجل الأبيض الى العالم الملون ، والهدف الكامن

فى أعماق هذه الدعوة البارعة الملمس والمظهر ، وهو سوق الناس جميعا الى الولاء والعبودية للسيادة الغربية فى الفكر الغربى واحلال قيم الفكر الغربى ومفاهيمه محل القيم الفكرية الثقافية التى يدين بها الشرق والعالم الاسلامى والعرب وأفريقيا ، وهى قيم ومفاهيم تختلف فى جوهرها عن قيم الفكر الغربى ومفاهيمه .

ومن الحق أن يقال أن هناك دعوات متعددة للحكومة العالمية أو الوحدة العالمية . فالماركسية تدعو الى وحدة قوامها الفكر الماركسى ، والامبريالية الغربية تدعو الى وحدة تقوم على قيمها ومفاهيمها ، وتحمل الصهيونية لواء دعوة الى وحدة تخضع العالم كله للفكر الصهيونى ، وكل من هذه الوحدات تتصارع وتحاول أن تفرض ايديولوجيتها وتعمل كل منها لتضع العالم تحت سلطانها ، والحضارة الاسلامية العربية لها دعوة عريضة الى الوحدة الانسانية ، تحمل أنقى المثل وأنبل المبادىء ولاتتطلع من وراء هذه الوحدة الى السيادة أو النفوذ الاستراتيجى ، ويرى الدكتور غوليلموقرير والكاتب الايطالى فى كتابه ( وحدة العالم ) : ان الوحدة لاتحقق بتغلب أمة على أمة أو جنس على جنس ، ولا يمكن أن يكون فرد واحد سيد العالم. وكذلك الوحدة لنتكون بتوحيد اللغات فهذا غير ممكن.

ويتساءل هنريك رالف فى كتابه ( الانسانية والوطنية )

Hamante et Patria

هل يجدر بالأمم الضعيفة المهضومة الحقوق أن تأخذ بالنزعة الانسانية وتضحى بالنزعة الوطنية ، وهل تفكر فى سعادة الانسانية قبل أن تفكر فى سعادتها .

ويرى هنريك رالف أن النزعة الانسانية يجب الا تعتنقها الا الأمم القوية ، أما الأمم الضعيفة فان لم تتمسك بوطنيتها اعتدت عليها الأمم القوية . ويعتقد هنريك رالف أن أنصار السياسة الانسانية هم طائفة

المنافقين يروجون لها دفاعا عن مصالحهم الخالصة ورغبة فى الاستمرار على بسط نفوذهم وسيادتهم على الأمم المهضومة الحقوق .

ويرى كثير من الباحثين : أن محاولة الغرب فى توحيد البشر انما يعنى صبغها بالصبغة الأوربية وطبعهم بطابعها . وما دام الغرب يؤمن أن ليس الانسان فى مجموعه سيد الخليقة وانما الانسان الأبيض وحده ، هذا الانسان الأبيض الذى ندب لتطهير الأرض وحماية الحضارة ، فانه لا سبيل الى هذه الوحدة ، كذلك دعوة الصهيونية الى امتياز شعب الله المختار وما يرددونه من رسالة انتدبوا لها ، كل هذا من شأنه أن يحول دون وحدة الانسانية التى لاتتجمع الا وفق مفهوم الاسلام وحده : « لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى ، وان الأمم شعوبها وقبائلها تستطيع أن تتعارف وتلتقى على الأخوة والمحبة والمساواة » .

## الوسطيــة

مفهوم الوسطية يرتبط الى حد كبير بالفكر الاسلامى اذا تصـور أن الفكر الشرقى ( البوذية الـكنفشوسية والهندوكية ) بما يوصف بالروحية الصرفة والفكر الغربى ( المادية والماركسية والوجودية ) بما يوصف بالمادية الصرفة ، فى هذا يوصف الفكر الاسلامى بالوسطية الجامعة بين الروح والمـادة .

وقد تنبه الى هذا المعنى كثير من الباحثين الذين يرون أن الخلاف بين أيدلوجية الفكر الغربى والفكر الماركسى لا يحلها الا الفكر الاسلامى فحيث الماركسية تؤله المجتمع والغربية تؤله الفرد، يؤكد الاسلام الرابطة الجامعة المتوازنة بين المجتمع والفرد ، وحيث يقف الغرب عند نزعة الحرية وتقف الماركسية عند نزعة العـدل يجمع الاسلام بينهما فى مزيج يعطى زبدتهما، ومن هنـا يبدو ما يسمى وسيطية الاسلام بين الروح والمادة من ناحيـة وبين الفردية والجماعية من ناحية أخرى ، ويرى العلامة السلجوقى : أن اليهودية انحرفت الى الفردية الطاغية ، واكدت المسيحية على الروحيـة

الصرفة ثم جاء الاسلام وسطا جعل الفرد متفـاعلا مع المجتمع ، وجعل المجتمع متفاعلا مع الفرد على قاعدة التوازن . وتبرز وسطية الاسـلام ليس فقط فى تقريب الفرد من المجتمع وليست في تقريب المجتمع من الفرد وانما في هـذا السلوك الخلقى لأن الوسـط بين التفريط والإفـراط هو فضيلة وهو خلق .

ويقول المستر جب : لخذ المسلمون يسلكون سبيلا وسطا فيـأخذون خير ما فى الشرق وخير مافى الغرب ، وسيؤدى هذه الى ظهور المثل العليا الجديدة للثقافة العربية .

# الباب الخامس

## الدعوات والمذاهب

- البهائية
- التبشير
- الصهيونية
- الطائفية
- العلمانية
- العامية
- العنصرية
- الفينيقية
- الفرعونية
- القومية
- المادية
- الماسونية
- الهدامة ( المذاهب الهدامة )
- الوثنية
- توحيد الأديان
- فرقة النصرية

[illegible]

[illegible]

| | |
|---|---|
| [illegible] | [illegible] |
| [illegible] | [illegible] |
| [illegible] | [illegible] |
| [illegible] | [illegible] |
| [illegible] | [illegible] |
| [illegible] | [illegible] |
| [illegible] | [illegible] |
| [illegible] | [illegible] |

## البهائيـــــة

خدع كثير من البـــاحثين الغربيين وربما قصد بعضهم الى اعتبـــار البهائية دعوة من دعوات الاصلاح والتجديد الاســـلامى توضع فى مجال التقدير والاعتبار فى موازنة دعوة جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ،وقد تابعهم بعض الباحثين المسلمين فى هذا الرأى ، بينما تجمع المصادر المختلفة على أن البهائية حركة مضادة للفكر الاسلامى ومحاولة تغريبية للقضاء على مفاهيم الاصلاح على النحو المستمد من الفكر الاسلامى وقوامه التوحيد ، واحلال مفاهيم أخرى مستمدة من الدعوات الباطنية والمجوسية القديمة. وآية ذلك اهتمام الاستعمار بها وتشجيعها ورعاية المبشرين والمستشرقين ودعاة التغريب بها فى نفس الوقت الذى تقاوم فيه هذه المؤسسات جميعها كل دعوة اصلاحية حقيقية وتخنقها فى المهد أو تجهضها قبل أن تولد .

وتبدو دعوة البهائية واضحة فى أنها محاولة لخلق جو من التضارب الدائم بين الأمم وذلك بالغاء الأديان القائمة واحلال دين جديد يوحد بين الأمم وترك العصبيات المذهبية والجنسية والسياسية .

وقـــد أحاط النفوذ الاستعمارى هـــذه الدعوة بالتشجيع والتقـــدير وفسحت لها الصحف واهتم بها الـــكتاب وركزت عليها الأضواء فى نفس الوقت الذى كانت الصهيونية تحاول أن تسيطر فى فلســـطين وغزوات التبشير تجتاح العـــالم الاسلامى ومصر على الخصوص ؛ وقـــد تردد أن هذه الدعوة انما قصد بها الى تركيز النفوذ الاستعمارى فى البـــلاد التى ظهرت فيها ( ايران ) وانها حاولت أن تستمد مفاهيمها من موروثات قديمة باطنيـــة ومجوسية ولـــكن براعـــة النفوذ الاستعمارى كانت قادرة على الاعلان بها واذاعتها والاستفادة بها فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى لاثارة الشكوك فى النفوس وكسب مزيد من الذين تزعزت عقائدهم .

وحاول كتاب مصر فى العشرينات والثلاثينات الدعوة لها والقول بأنها تقوم على أساس وحدة الأديان وانها جماع المسيحية واليهودية والاسلام ،

وانها تستهدف توحيد لغات العالم ومساواة الرجل بالمرأة ونبذ العصبيات واتحاد الشرق والغرب ، وذلكبزوال الأديان ، ولم تفلح كل وسائل الدعاية فى أكبر الصحف — اذ ذاك — وبأكبر الأقلام فى كسب واحد من المسلمين لهذه الدعوة بل ماتت الدعوة فى مهدها وانكشفتمعارضتها للذوق والضمير والروح الاسلامى .

وقد أولت بريطانيا داعية البهاية اهتمامها ومنحته الحكومة البريطانية لقب سير واحتفل به هربرت صمويل المندوب السامى البريطانى اليهودى الأصل فى القدس ثم كشفت الأيام من بعد تلك الرابطة الأكيدة بين البهائية والصهيونية عندما عقد المؤتمر العالمى للبهائية فى اسرائيل عام ١٩٦٨ بعد وفاة زعيمها عباس البهاء بخمسين عاما وتكشفت تلك العلاقة فى أن دعوة البهائية الى ازالة جميع الأديان اليهودية والمسيحية والاسلام لم تكن تهدف فى الحق الا الى ازالة الاسلام .

وقد حاول البهائيون التشكيك فى آيات القرآن وتأويلها بما يؤيد دعواهم وانكروا عالمية اللغة العربية وكونها اللغة المشتركة — لغة الصلاة والعلوم الاسلامية فى العالم الاسلامى — ودعوا الى ايجاد لغة أخرى تكون لغة الأمم وذلك بالاضافة الى انكار اعجاز القرآن والمعجزات المحمدية .

ويجمع الباحثون المنصفون على أن البهائية بعث جديد للباطنية التى وضعت تعاليمها الأولى على أساس محو الاسلام وازالة سلطانه ، وهم يعدون مؤسس البهائية رسول الله الأعظم ولهم كتاب يسمى الأقدس يرتل بطريقة القرآن .

ولم تتوقف الدعوة البهائية منذ ذلك الوقت بل ظلت تتجدد سنوات بعد سنوات وفى كل مرة تجد من المسلمين من يكشف عن زيفها . يقول فريد وجدى : ان دعوة البهائية الى اتحاد الأديان قد سبق اليها الاسلام واسسه على اقوى الأصول فقرر ان اصل الأديان واحد ، فوحدة الدين هى الأساس الذى يقوم عليه الاسلام وان طموح البهائيين لأن يكون دينا عاما يقضى بالعجب لأنها ليست بدين سماوى وليس فيها من الأصول والمبادىء ما يلفت العقول اليها بعد أن بلغت فى عرض نفسها على الأمم

وان البشرية ليست فى حاجة الى دين جديد بعد الاسلام الذى استكمل شرائط الدين العام ، وأين هي من الاسلام الذى تبني أمما قوية ، ومدنيات فاضلة فى خلال عصور متعاقبة ، ولا يزال على مثل حيويتــه الأولى حتى ليتوقع فلاسفة كثيرون ومنهم برنارد شو أن مبادىء الاسلام توشك أن تعم العالم أجمع ، ويقوم الاسلام على أصلين ضمنت لهـــا التعميم والخلود . موافقته للفطرة واعتماده على العقل واعتماده على العقــل والعلم فأين البهائية من هــذا الموقف العلمى الحق ، وهى تقوم على أصلين أحدهما عتيق غامض قال به أفراد من محبى السبح فى الخيالات وهى تصوير ذات الله بصور المخلوقين ، وثانيهما وهو صرف الألفاظ عن ظواهرها وهو مجال فسيح للظنون والأوهام والخبط .

## التبشــــير

للاستعمار مؤسسات أساسية ضخمة تقوم بالعمل على تثبيت وجوده وتأكيد بقائه : أهمها التبشير والاستشراق ، وهذه المؤسسات تحمل دعوات مختلفة الى التغريب والشعوبية ولــكنها لا تظهرها بأسمائها وانما تخفيها وراء أسماء كبيرة براقة اغلبها يحتجب تحت أسماء ثقافية أو حضارية .

وأقوى القوى العاملة هى « المدرسة » الأجنبيـــة فى مجال التعليم والتربية وتكوين النشء والأجيال الجـــديدة والصـــحيفة فى مجال الثقافة والقراءة . وقد أكدت تقارير المبشرين المختلفـــة على الدور الخطير الذى قامت به المدرسة والصحيفة وما تزال تقوم به فى ســـبيل تحقـــيق غاية أساسية :

( أولا ) تمزيق وحدة العرب والمسلمين والحيلولة دون التئامها .

( ثانيا ) تدمير القيم الأساسية العربية والاسلامية الفكرية والحيلولة دون سيطرتها ومحاولة فرض مفاهيم أخرى « غربية » المصدر على الثقافة والتربية العربية والفكر الاسلامى رغبة فى القضاء على :

١ — الرابطة بين الدين والمجتمع .

٢ — أخلاقية التعليم والتربية والمجتمع والسياسة .

٣ — اذاعة أسلوب من التحرير فى مجال الفكر يصل الى الالحاد والسلوب من التحرر فى مجال الحياة يصل الى الاباحة .

وللتبشير دور هام فى تحقيق هذا الهدف الأساسى من أهداف الاستعمار وهو اخراج المسلمين والعرب من القيم التى تدفعهم الى الحرية ومقاومة النفوذ الأجنبى وعدم الانصهار فى الأممية أو العالمية واقامة مجتمعهم الخالص المستمد من قيمهم وتاريخهم ولغتهم وأديانهم . فاذا استطاع الاستعمار اذابة المسلمين والعرب فى بوتقة العالمية وصهرهم فى الثقافة العامة واخراجهم من ثقافتهم وقيمهم لم يعد هناك مجال لتشكلهم بصورة خاصة ، بصورة الذاتوالشخصية الخاصة ، عندئذ تصبح الحضارة الغربية وقد حققت أكبر انتصاراتها بأن أحالت المسلمين والعرب الى عبيد فى القطيع الذى يسود فيه الجنس الأبيض الغربى صانع الحضارة .

وقد أجمعت خطط المبشرين ودراساتهم وأبحاث مؤتمراتهم على أن الهدف من التشير هو : انشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الفكرالاسلامى وابعاد العناصر التى تمثل الاسلام عن مراكز التوجيه ، فاذا لم تنجح دعوة التبشير فى ادخال المسلمين فى دين جديد فلا أقل من أن تكون قد أخرجته من الاسلام .

وقد كانت خطة التبشير شاملة وموجدة وذات مراحل وحلقات وقد أشرف عليها رجال ذوو خبرة وثقافة واتصال كامل بمخططات الاستعمار وهى تضم وزارات المستعمرات والخارجية فى الدول المستعمرة للعالم الاسلامى ، ومؤسسات التبشير الكبرى بفروعها المختلفة وارسالياتها ومعاهدها فى العالم الاسلامى بالاضافة الى جماعة المستشرقين المنبثين فى مختلف الجامعات الأوربية والمتاحف والمكتبات العامة والمعاهد المعنية بالدراسات الشرقية والغربية ، وقد تأكد مدى التناسق تين هذه الهيئات من التقارير التى نشرتها هذه الهيئات والتى تكشف عن أن وزارات المستعمرات تستخدم المبشرين فى العمل داخل البلاد العربية والاسلامية، وتؤكد أهمية عملها وخطورة دورهم فى أن يكونوا عنوانا لها وأداة لتحويل الأفكار على النحو الذى تريد ، وتبدو هذه الأهمية فى اشراف الساسة الكبار على مؤتمرات المبشرين أمثال لورد بلفور الذى أعلن أهمية مؤسسات التبشير فى خدمة أهداف السياسة وذلك فى قوله : « والمبشرون

هم فى نظر الاستعمار عيونه التى تقوم باطلاع الدول الغربية بالنواحى التى يهمهم معرفتها من عقائد المسلمين وآدابهم والثقافات التى يتأثرون بهـا » ويتجلى ذلك حين نرى أن مؤتمر التبشير فى أدنبرج سنة ١٩١٠ يعنى بدراسة قرار حول اليـه من المؤتمر الاستعمارى المنعقد فى برلين فى نفس العام : يقول هـذا القرار : « ان ارتقاء المسلمين يتهـدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم لذلك فان المؤتمر الاستعمارى ينصح للحكومة بزيادة الاشراف والمراقبة على أدوار هذه الحركة ويطلب المؤتمر الاستعمارى ممن فى أيديهم زمام المستعمرات أن يقاوموا كل عمل من شـأنه توسيع نطاق الاسلام وازالة العراقيل عن طريق انتشار التبشير » .

وتتمثل خطة التبشـير التى رسمـها ( شاتليه ، زويمر ، ماسنيون وغيرهم ) فى أن يكون عمل التبشير مبنيا على قواعد التربيـة العقليـة و « التأثير على عقول المسلمين وقلوبهم » فان عجزت ارساليات التبشير عن زحزحة العقيدة الاسلامية فى نفوس معتنقيها فانها تستطيع أن تحقق هـدفها من هدم الفكرة الاسلامية ببث الأفكار التى تتسرب مع اللغـات الأوربية ، وذلك عن طريق نشر اللغات الانجليزية والألمـانية والهولندية والفرنسية مما يمهد الى ادخال الأفكار الغربيـة الهادمة للفكر الاسلامى عن طريق هذه اللغات ، ومن هنا تسقط الأوضاع والخصائص الاجتماعية الاسلامية وتحل بدلا منها الخصائص الغربية .

ويرى زويمر شيخ المبشرين « أن القضاء على الاسـلام فى مدارس المسلمين هو أكبر واسطة للتبشير ، وأن المسلم لا يكون مسيحيا مطلقـا ولـكن الغاية هى اخراج المسلم من الاسـلام فقط ليكون اما ملحـدا أو مضطربا فى دينـه ، وعنـدها لايكون مسلما وهـذه أسمى الغـايات الاستعمارية » .

ومن مناهج التبشير وأنظمته تلك القاعدة التى تقول ان جميع الوسائل تستغل فى سبيل التبشير حتى أعمال البر ، وأن التطبيب والتعليم من وسائل المبشرين ويقول مؤلف كتاب ( طرق العمل التبشيرى فى المسلمين ) : لنجعل هؤلاء القوم المسلمين يقتنعـون فى الدرجة الأولى بأننـا نحبهم ، فنكون قـد تعلمنا أن نصل الى قلوبهم ، وعلى المبشر أن يحترم فى الظاهر

جميع العادات الشرقيــة والاسلامية حتى يستطيع أن يتوصــل الى بث ارادته بين من يصغى اليها . كما تشمل هذه الأســاليب دراسة اللهجات العامية واصطلاحاتها نظريا وعمليا ، ومخاطبة عوام المسلمين على قــدر عقولهم ، وأن تلقى الخطب بأصـوات رخيمة وبفصــاحة ، وأن يخطب المبشر وهو جالس ليكون تأثيره أشد على السامعين وأن يكون خبيرا بالنفس الشرقية وأن يستعمل التشبيه والتمثيل أكثر مما يستعمل القواعد المنطقية ، وأن يكسب ثقــة الشباب بالحــديث فى موضوعات اجتماعية وخلقيــة وتاريخية ومنها يستطرد الى مباحث الدين ، وعلى المبشر أن يحاول كسب القلوب بتظاهره بالميل الى مطــامح المسلمين من الاســتقلال الســياسى والاجتماعى .

ثم يرمى التخطيط الى مرحلة أكثر أهميــة حين يدعو الى أن يكون تبشــير المسلمين بواسطة رســول من أنفسهم ، وأنه يتحتم على طبيب الارسالية ألا ينسى ولا لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شىء وطبيب بعــد ذلك ، وعليه استغلال فرص المرض والسيطرة على المرضى وانتهاز فرصة الضــعف والحاجة وعدم القــدرة على التفهم والاقتنــاع والدس للعقل الباطن بالايحاء .

وفى طريق العمل استطاع التبشير أن يكون فى العــالم الاسلامى دعاة « من أنفسهم » ركز الاستعمار على أسمائهم وأكسبها شهرة ولمعــانا ودفع بها فى خضم الثقافة والصحافة وآزرها حتى تصدرت وأصبحت قوة لها وزنها حيث تولت كبريات المناصب فى الجامعات والأعمال الرسمية .

ويقوم عمل التبشير فى مجال التعليم على فرض ثقافة الغرب وتاريخه وبطولاته ولغته واقصاء لغــة العرب والمسلمين وتاريخهم واثارة الشبهات حولها وانتقاصها وفى مجال الثقافة يعمد الى اثارة الغمزات والاتهــامات الى الشريعة الاسلامية واللغة العربيــة والحــديث النبوى ، على نحو يفتح باب الشكوك والاتهامات وهو يجــرى فى ذلك على مخطط مدروس وأسلوب دقيق فهو لا يلبث أن يثير قضــية جزئيــة ، حتى يتوقف ، ليبدأ فى اثارة قضية جزئية اخرى ، بحيث لايشعر القارىء أو الباحث الى أن هنــاك ترابطا بين هــذه الاشارات وبعضها ، اعتمادا على أنه على المدى

الطويل يستطيع أن يكسب من وراء ذلك خصما للفكر الاسلامى وصديقا للتبشير والفكر الغربى يكون عونا على أبناء وطنه ودينه وتاريخه .

## الصهيونيـــــة

الصهيونية حركة سياسية يقوم بهـا اليهود من أجل السيطرة على مقدرات الأمم والشعوب ، وقـد ظهرت فى صور شتى وكتابات ودعوات متعددة منذ سقطت الأندلس فى أيدى الفرنجة الذين أخرجوا منها العـرب والمسلمين ، وكان اليهود قـد عاشوا فى حمى الأمة الاسـلامية فى أمن ورخاء فلما تشتتوا وتوزعوا فى أنحاء أوربا والعالم كله واجهوا الاضطهاد العنيف ممـا دفع بعض حاخاماتهم الى حمـل لواء الدعـوة الى التجمع والسيطرة على الحكومات والدول وذلك بالسيطرة على الذهب والبنـوك والثقافة والأعلام والعلوم الـكيمائية ، وقد بدأت الحركة بالجماعة السرية ( الماسونية ) ثم استعلنت عام ١٨٩٧ بالحـركة التى حمل لواءها تيودور هرتزل فى الدعوة الى « الدولة اليهودية » والتى اتخذت من بعض نصوص التوراة المحرفة سندا الى السيطرة على فلسطين ، ومن ثم كان السعى الى تحقيق هذا الهـدف بكل وسائل الخداع والاكراه والظلم والافساد ، وذلك بعد أن قطع اليهود شوطا طويلا بالسيطرة على الحكومات الأوربية بعد أن تجمعت الماسونية فى اشعال الثورات المختلفة وفى مقدمتها الثورة الفرنسية التى كان هدفها الأساسى اعطاء حق المساواة لمختلف العناصر، واتاحة الفرصة لليهود للسيطرة على السياسة والحكومات بعد أن كانوا معزولين عن ذلك تماما .

وقد وجدت الصهيونية فى محاولتها للسيطرة على فلسطين اعتراضا قويا ورفضا قاطعا من السلطان عبدالحميد خلال مدة حكمه للدولة العثمانية فقد رفض كل العروض والمغريات والتهديدات فى هـذا الصـدد ووقف موقفا مشرفا كان من نتيجته أن اشتد التآمر عليه حيث أسقطته المنظمات الماسونية التى سيطرت على حزب تركيا الفتاة ( الاتحاد والترقى ) وكانت حركة اسقاطه ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ حلقـة من نفس مخطط الثورة الفرنسية فقـد فتح لهـا الاتحاديون الطريق الى فلسـطين والى السـيطرة على مختلف الحكومات والزعمـاء مما هيـأ لوعـد بلفور ١٩١٨ الذى أعطى

الصهيونية جواز الاقامة والاحتلال لفلسطين وقد تمت هذه الخطوات كلها عن طريق دسائس اليهود ، ومؤامرات الصهيونية ، ومخططات الماسونية فى جميع أنحاء العالم بما حقق قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ .

وقد خفيت هذه الحقائق على المسلمين والعرب زمنا طويلا وخدع كثير منهم بهذه المنظمات ، ولكن الحقائق أخذت تظهر فى السنوات الأخيرة وبدأ المسلمون والعرب يحسون بالخطر الجارف الذى يهددهم وخاصة بعد سقوط القدس فى أيديهم عام ١٩٦٧ وقد عرفوا الدور الخطير الذى قام به بعض الكتاب والصحفيين فى التعاطف مع مخططات الصهيونية التى تمثل الآن طليعة دور جديد للاستعمار الغربى لاقامة الامبراطورية الصهيونية .

## الطائفية

اصطلاح جديد ظهر مع الاستعمار الغربى والنفوذ الأجنبى ، حين ركز الاستعمار على الأقليات الموجودة في العالم الاسلامى واحتضنها واتخذ منها سلاحا للحيلولة دون تحرر الأقطار أو وحدة الشعوب . ولذلك فقد عمد الاستعمار الى تنمية الطائفية وتعميق خلافاتها مع الأكثرية ( راجع باب أقليات ) وكانت الطائفية من أخطر العوامل التى استعان بها النفوذ الأجنبى لتحطيم الامبراطورية العثمانية تمهيدا لبسط نفوذه على العالم الاسلامى وكان لدور الطوائف الأرمنية واليهودية كالدونمة فى تركيا أبعد الأثر فى تأريث المخططات الأجنبية فى السيطرة .

ولم تكن الطائفية يوما قضية فى وجود الدولة الاسلامية ، بل كانت مختلف الطوائف تجد حريتها وانطلاقها فى المجتمع ، وقد وضعت الشريعة الاسلامية لها حمايتها وأنظمتها وكرمت الأديان وحمت الكنائس والمعابد ، وقد وصل أبناء الطوائف المختلفة الى أرقى المناصب فى عصر الازدهار ، وكان لهم دورهم فى الحضارة الإسلامية والثقافة العربية ولم يقع بينهم وبين غيرهم أى خلاف أو صراع الا تحت نفوذ الاستعمار الذى أعلن أنه انما جاء ليحمى هذه الطوائف من المسلمين ، وقد ورد صراحة فى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ نص خاص بحماية الأقليات ، وكان لهذه السياسة أثرها فى اندلاع ثورة ١٨٦٠ فى لبنان التى قصدت بها الدول الأوربية الوقيعة بين

المارون والدروز توطئة لوضعها فى نظــام خاص يمكن للنفوذ الأجنبى من التغلغل فى لبنان وبناء مؤسساته الارسالية والتبشيرية والإمتداد منها الى العالم الاسلامى كله ، وقــد تنبه لهذا كثير من المفكرين والزعماء فكشفوا عن التقارب بين المسلمين والنصارى والشيعة والسنة وكيف أن الدم العربى يجمع بين هذه الطوائف جميعا ، كما أن الاسلام قـد وضع قواعد أمينــة للعلاقة بين الجميع ، ولا شك أن الدم العربى يجمع بين مسلمى العــرب ونصرانيهم فى الشام ومصر والعراق ، وان كل أنواع الخلاف انما كانت نتيجة مواقف خاصة ودسائس أجنبية وقد ارث المستعمر هذه الخــلافات القديمة واستغلها .

## العلمانيـــــــة

العلمانية فى كلمة هى فصل الدين عن المجتمع والدولة وقصره على العــلاقة بين الانسان والله وهــو مايعرف باللاهوت وبعض الأديان هى كذلك ، ولــكن الاسلام يختلف ، فهو دين عبادة ودين شريعة وأخلاق فى نفس الوقت . وفكرة العلمانية ظهرت فى أوربا نتيجة عدة عوامل منهـــا موقف رجال الدين من النهضة والــكشوف العلمية ، ومنها هــدف اليهود فى القضاء على سلطان المسيحية فى المجتمع ، وبذلك يتاح لهم السيطرة السياسية والنفوذ العسكرى . ومن هنــا يبدو ذلك البغض الشديد للدين فى فلسفات عديد من الفلاسفة ، أمثال نيتشه وماركس وفرويد .

وقد تأثر العالم الاسلامى والفكر الاسلامى بظلال هــذه النظرية ، وهــذه الدعوة وكان للبعثــات التبشيرية والارساليــات وسيطرة النفوذ الاستعمارى على مناهج التربية والتعليم أثره فى اعلاء هذا الاتجاه وتعميقه، بعد عزل الأسلوب العلمى الدينى الذى يتمثل فى المــدارس والجامعــات الاسلامية القديمة .

ومن حق الغربيين أن يقفوا موقفا ما ازاء دينهم وعقائدهم التى وقفت ضد نهضتهم وضد كشوف العلم وفرضــت محــاكم التفتيش وغيرها من أساليب السيطرة أما بالنسبة للمسلمين والعرب فان الموقف يختلف اختلافا كبيرا فان الاسلام كان مصدر العلم والحرية والمساواة وداعية الأخاء .

فضلا عن ذلك فان الصلة المحكمة التى تربط الدين بالمجتمع هى احدى خصائص التاريخ الاسلامى فليس فى التاريخ الاسلامى دولة ثيوقراطيــة ( دينيــة ) ولم يقع يوما أن رجال الدين فى الاسلام — أمسكوا فى أيديهم أزمة السلطة السياسية العليا ، ذلك بسبب بسيط هو أنه لا وجود فى الاسلام للـكهانة ولا لطبقة ممتازة تدعى رجال الدين ، ولهذا يستحيل أن يوجد فى الاسلام مؤسسة تشبه الـكنيسة المسيحية التى تختص بأسرار الدين وطقوسه .

## العاميــــة

الدعوة العامية ، هى دعوة تغريبية خالصة ، تهدف الى الوحـدة الفكرية والوحدة القومية ، وقطع الصــلات بين أجزاء العالم الاســلامى والأمة العربية ، وترمى أساسا الى مقاومة لغــة القرآن ، والقضاء عليها وهى فى مختلف صورها ، التى تقول بتليين اللغة العربيــة المستعصية ، أو خلق لغـــة وسطى بين العامية والفصحى ، انما تهــدف الى فصم عرى الصلات القائمة بين المسلمين والعرب من ناحية وبين المسلمين والعــرب وبين القرآن ومستواه البلاغى من ناحية أخرى .

ولا شك أن اللغـــة العربيـــة هى رابطة الوجود العربى وصمامه الأصيل ، فاذا انحلت تبــدد هذا الـكيان ، وكل المحاولات التى تهدف الى اعلاء العامية ووصفها بالقــدرة على الأداء انما هى محاولات استعمارية ضخمة ، تهاجم الاسلام والوجود العربى أيضا .

وقد نفذت مخططات استعمارية وتغريبية خطيرة بهدف القضاء على اللغة العربية واعلاء العاميات فى العالم العربى ، وحملت هذه المخططات عناوين براقة خدعت البسطاء مثل القول : بأن اللغة ملك للأمة التى لها الحق فى أن تيسرها وذلك قول قد يصدق على كل اللغات ولـكنه يخفق اخفاقا ذريعا بالنسبة للعربيـــة ، ذلك أن العربية انما هى لغة أمة وهى فى نفس الوقت لغـــة فـــكر ، فهى لغـــة الأمة العربية التى تتمثل فى حوالى مائة مليون ولا شك أن فى القضاء عليها قضاء على وحدة هذهالأمة التى تمثل الآن أكثر من أربعـــة عشر دولة وحكومة لا يجمعها جامع الى الوحدة العربية أقوى من اللغـــة الفصحى ولا سبيل الى تفاهم المغربى

مع المصرى مع العراقى الا عن طريق الفصحى ، وهى فى نفس الوقت لغة فكر جامع يجمع الف مليون من المسلمين تقوم ثقافتهم وفكرهم وتراثهم ودينهم وعبادتهم على أساس « اللغة العربية » التى هى المصدر الأساسى للقرآن الكريم . قانون هذه الأمة الاسلامية ودستورها ونظامها الكامل فى الاجتماع والسياسة والأخلاق والتربية والاقتصاد .

وفى العصر الحديث بدأت نزعة الاحتفال بالشعر العامى ولا ريب أن الاحتفال بالشعر العامى ، هو محاربة واضحة للكلمة البليغة والمعنى الرفيع ، فان هذا الحيز الذى يفرد لها انما ينقص من مكانة الشعر الأصيل وما كان الشعر العالى — والكتابة العامية بحمله — الا مثلا متدنيا للأفكار العامية والتافهة .

ان دعوة الشعر العامي كلها تستهدف الفصحى وتستهدف البيان العربى ودعاتها يبطنون مفاهيم خطيرة وخلفيات ضالة تحمل أهواء التغريب والشعوبية وهذا مالم يكن يقصد اليه بيرم التونسى أو بديع خيرى وان كان ابراز هذا اللون من شأنه أن يعارض الفصحى ، وقد ارتبط الشعر العامى بالكاريكاتير وبالاثارة وخلق تيارا من التعبير والحوار والأداء صرف الناس عن كثير من القيم الغالية والمعانى الرفيعة .

## العنصرية

التفرقة العنصرية والدعوة الى تفاضل الأجناس هى احدى مبتدعات الفكر الغربى مستمدا من مفهوم رومانى قديم أطلق عليه « روما سادة وما حولها عبيد » وقد تجدد هذا المفهوم فى ظل استشراء النفوذ الأجنبى والاستعمار الغربى كمبرر له بحجة القول أن هناك شعوبا متخلفة تحكم وشعوب ممتازة تحكم ، وجرى القول بالتفرقة بين العنصر السامى تخلفا والعنصر الآرى تقدما ، وحاول الكاتب الفرنسى جوبنيو أن يقول ان بعض العناصر خلق للسيادة وبعضها خلق للخضوع ، واستغلت دوائر الاستعمار هذه المعانى فى مجال البلاد المحتلة ، وجرت محاولة اقتناع المسلمين والعرب أن يستسلموا تحت لواء هذه النظرية للغزو والاحتلال ، ولكن العلم الصحيح نفسه أثبت كذب هذه الآراء وخداعها وضلالها وكشف عن أنها استغلت استغلالا غير برىء ، وتكشف فيما بعد أنها لم تكن ذات

أصول علمية أو تؤيدها براهين حاسمة ، وقد قاوم الفكر العربي الاسلامي هذه النظرية بقوة نظريته الأصيلة القائلة بأنه لاتفرقة ولاتفاضل بين أسود وأبيض ولا بين عربي وأعجمي الا بالعمل ، وتكشف أن عقلية الرجل الأبيض مسممة بالتعصب العنصري ، وأن الحضارة الغربية حين ارتبطت بمقومات الوثنية وعقلية الاغريق أعلت من شأن العنصرية وكانت الكنيسة في أوربا — على حد تعبير الأستاذ سامي داود — هي التي تحمي الحق المقدس للملوك والاشراف فأثرت بذلك التفرقة العنصرية واعترفت بشرع السبي والاستعباد واغلاق السجون والمطابق على العبيد والمستضعفين .

وقد ردد هذه الآراء رينان وجوبينو وغيرهم ثم أثبت العلماء أمرين ان الخلاف بين الآرية والسامية هو خلاف في اللغة وليس في العنصر أو الدم ، وان اختلاف الملامح والعادات لا علاقة له بالفطرة والنفس ، وإنه لا اختلاف في أصل الطبيعة بين العقل البشري في الآري أو السامي أو الأبيض والأسود .

وقد سبق كثير من العلماء وعلى رأسهم هردر وجيني ونوفاليس القائلين بالتفرقة بين الأجناس البيضاء والصفراء والسوداء . ولا ريب أن أصدق نظرة الى الشعوب هي نظرة الاسلام « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكركم عند الله أتقاكم » والمعروف أن أثر الشعوب لا ينكر في فترة من فترات التاريخ ولكن هذا الأثر يجب الا يتخذ لاعلاء شأن العصبية فهناك شعوب أخرى نهضت في فترات أخرى من التاريخ وأغلب الشعوب ان لم نقل كلها مرت في فترتين: فترة النهوض وفترة السبات ، ان اختلاف الشعوب يجب أن يكون للتعارف لا للتنازع .

## الفينيقية

دعوة من الدعوات التي أثارها النفوذ الاستعماري وحركات الغزو الثقافي والتغريب ، لاثارة التاريخ القديم في سبيل القضاء على الواقع التاريخي الحي ، ولاثارة دعوة الاقليمية والتفرقة العنصرية على أسس من أصول الأمم الشرقية القديمة قبل أن يصهرها الاسلام في بوتقة

الاسلام والعروبة . وقد حملت الدعوة الفينيقية الى لبنان الدعامات الاستعمارية لعزل اللبنانيين عن العروبة ، وللقول بأن اللبنانيين هم أحفاد الفينيقيين القدماء الذين كانوا سكان هذا الساحل قبل أن يأتى العرب وانهم تاريخيا ليسوا عربا وانما هم خليط من أبناء الفينيقيين وأبناء الامارات الصليبية وأن مصلحتهم الاقتصادية والحضارية تحتم عليهم أن ينشئوا كيانا خاصا غير عربى وأن يمارسوا دورهم الخاص محايدين ، الفينيقية واحدة من تلك الدعوات الفرعونية والأشورية والبربرية التى أذاعها النفوذ الاستعمارى فى العالم العربى وغذاها وجند لها نفرا من المفكرين والمثقفين الذين تخرجوا أساسا من جامعات الارساليات ومعاهد التبشير . وقد حمل لواءها الحزب القومى السورى الاجتماعى حين دعا الى ( سوريا الطبيعية ) والأمة السورية ، وسوريا للسوريين والسوريون أمة تامة ذات حدود طبيعية وقد ردد الكتاب الفرنسيون هذه المعانى محاولين اثارة الشبهات بأن اللبنانيين ليسوا عربا وانهم والسوريين فينيقيون ومن لم يكن منهم فينيقيا فهو من أحفاد الصليبيين الذين قدموا الى سوريا ولبنان من مختلف أقطار أوربا ولا سيما فرنسا (١) .

وقد أشار أحد الباحثين العرب مصححا لهذه التيارات فقال : ان الفينيقية دعوة الى الاستعمار الفرنسى فى لبنان تكون فيها حركات النشر عن طريق المدارس والمعاهد والصحف أوسع نفوذا ، مما أنشأ فى لبنان اليوم تيارا يدعو الى عزلة لبنان من العالم العربى وكان أغلب دعاة هذه الدعوة متعاونين مع الاستعمار الغربى ، وهى التى حملت لواء الكتابة بالعامية اللبنانية والدعوة الى كتابة العربية بالحروف اللاتينية وتغليب اللهجات .

## الفرعونية

الفرعونية احدى دعوات الاقليمية وتمزيق الوجود العربى قومية والاسلامى فيكرا ، ولقد جرت الدعوة الى الفرعونية وبلغت أمدا بعيدا وخلفت مدرسة عاشت فترة ولكنها فشلت فى أبسط بسائط الدعوت ،

---

(١) عبد الرحمن البزاز : بحوث فى القومية العربية .

فشلت فى أن تجد أرضية تنبعث منها ، حيث لم تجد تراثا فلكلوريا أو قيما دينية أو أخلاقية أو اجتماعية أو عملا أدبيا مكتوبا ، أما حضارتها فقد تحجرت فى الاهرامات والتماثيل والمعابد وقد عبر الزمن بالمصريين أربعة عشر قرنا فى مجال التوجيه على النحو الذى أصبح معه ينظر الى الوثنية نظرة كريهة ، ولا يرى فى هذه الأحجار المنحوتة الا تاريخا يفخر به من ناحية القوة والصبر والصمود وسبق العالم كله والأمم ذات النفوذ السياسى فى العصر الحديث بقرون الى مجال المدنية .

لقد كان هدف دعاة الفرعونية ادخال مفاهيم الوثنية الفرعونية المرتبطة بالوثنية اليونانية وغيرها وتجديد عبادة البشر والأبطال بعد أن صرف عنها المسلمون القرآن الذى أعلى من شأن الله وحده ، وكرم البطولة فى معانيها وقيمها وليس فى أفرادها ودعاتها .

وقد كشف كثير من الباحثين وخاصة مؤلف ( قناع الفرعونية ) مخاطر الدعوة الفرعونية وقال ان أول ماتبادر الى الذهن أن فرعون هنا ليس الا رمزا لنوع من الحكومات الاستبدادية البائدة ، فالفرعونية اذن هى نوع من النظم التى تنهض على الحكم الاستبدادى الجائر ، وتساءل : هل يستطيع المصرى المتشوق للحياة الصحيحة أن يجد فى شعار الفرعونية من قوة الدفع الى الحرية والمساواة مايجده المسلم فى كلمة الاسلام . وخلص الى القول بأن الفرعونية لم تكن نظاما اجتماعيا ولا قوة دافعة الى الحرية والمساواة ، وأن المصرى المتشوق للحياة الصحيحة لايجد فى شعار الفرعونية من قوة الدفع الى الحرية والمساواة ما يجده المسلم فى كلمة الاسلام . فاذا لم تكن الفرعونية نظاما اجتماعيا ولا قوة دفع الى الحرية والمساواة فكيف تكون فى النهاية ، انه مع انفتاح كل قيد جديد تبدو مرئيات ذلك الكابوس الفرعونى الخانق والتى تتحرك معها ذكريات عصور واحقاب تصور الظلم الاجتماعى والتخلف العقلى .

كما كشف المؤلف عن مفهوم التوحيد المزعوم عند الفراعنة (١) .

---

(١) قناع الفرعونية للأستاذ أحمد صبرى .

وقد تحررت الثقافة العربية فى سرعة عجيبة من أخطاء الدعوة الفرعونية وسقطت كلمات طه حسين الذى حمل لواء هذه الدعوة حين قال : ان الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين ، ولا يطلب منها أن تتخلى عن فرعونيتها ثم كذبته الأحداث والوقائع حين قال : مصر لن تدخل وحدة عربية » .

هذا وتميل أحدث النظريات وأقواها الى أن الفراعنة موجة من موجات الجزيرة العربية التى هاجرت وانه توجد روابط سلالية بين العرب والفراعنة ترجع الى مايربو من خمسة آلاف سنة مضت . يقول سليم حسن: لقد دلت البحوث الأثرية الحديثة على قيام بعض هجرات نزحت من شبه جزيرة بلاد العرب وحطت رحالها فى أماكن مختلفة فى بلاد الشرق الأوسط وتدل الآثار على أن اول هجرة كانت قد وفدت على وادى النيل حوالى ٣٥٠٠ ق.م فحط اهلها رحالهم فى أرض الكنانة واختلطوا بالشعب المصرى وكونوا شعبا واحدا يجرى فى عروقه الدم السامى والدم الحامى معا .

ويقول : والواقع أن لدينا آثارا باقية حتى يومنا هذا تدل على أن مصر كانت متصلة ببلاد العرب الجنوبية وكانت تتجر معها بواسطة البحر الأحمر وذلك منذ عهد الملك ( كورع ) أحد ملوك الأسرة الخامسة المصرية ( ٢٥٠٠ ) ق.م .

## القوميات

فكرة القومية انما قدمت الى المسلمين من الخارج من أوربا ،أول من نادى بها نابليون فى مصر فى محاولة لابعاد مصر والشام عن الدولة العثمانية واشعار العرب بأنهم مختلفون عن الأتراك وجاء محمد على وابراهيم رافعين نفس الشعار ثم تسلم الدعوة بعد ذلك الشباب العربى المسيحى ابتغاء تقويض الخلافة تحت شعارات ماكره وكان للمدارس التبشيرية اكبر الأثر .

« القومية » تيار غربى ظهر فى القرن الماضى فى أوربا فى ظل تحديات مختلفة واجهت الغرب من خلال مراحل النهضة والتطور والحضارة

والاستعمار ، خروجا من قيود الكنيسة وسلطان نفوذ أمراء الاقطاع ، وغلبة مبدأ الدولة وظهور مفهوم الأمة وفى محاولات للترابط بين الأجزاء فى محاولة قوميتين هما القومية الايطالية والقومية الجرمانية .

وقد قامت القومية الغربية على مفاهيم حددتها تلك الظروف والتحديات، وفى العالى العربى ، عندما سقطت الوحدة العثمانية العربية، برزت الدعوة الى « العروبة » ، وحاولت أن تستكشف مفاهيمها المستمدة من أوضاعها وتحدياتها الخاصة ، غير أن الاستعمار حاول أن يستفيد من الدعوة وأن يوجهها لخدمة أهدافه ، وأن يحتويها ، أو يحرف مفاهيمها ويفرض عليها مفاهيمه الغربية رغبة فى اخراجها عن المضمون الأصيل المستمد من جوهر قيم الأمة العربية ومفاهيمها وتراثها .

وكانت المحاولة الأولى التى حاولها النفوذ الاستعمارى هى أن تكون [illegible] الضيقة ، وان تنحصر فى مفهوم الوطنية لا تتعداه ، وفى هذه المرحلة طرح التغريب دعوات القومية المصرية والقومية السورية ، وحاول أن يجعل هذه الاقليميات فلسفة فأثار الفرعونية والأشورية والبابلية والفينيقية والبربرية ، وحاول عن طرق آخر أن يحطم كل وحدة أكبر ، فأثار الخلاف بين المسلمين والمسيحيين ، وبين السنة والشيعة ، وبين الدروز والموارنة ، وبين العرب والبربر وبين العرب والأكراد وهكذا .

فلما فشلت كل هذه المحاولة ، وبرز مفهوم الوحدة العربية جامعا قويا فى مواجهة النفوذ الأجنبى ، عمدت حركة التغريب الى تفريغ هذا المفهوم من قيمه ومقوماته فظهرت الدعوة الى ( قومية منفصلة عن التراث والثقافة ) بحجة أن هذا التراث وهذه الثقافة اسلامية أصلا ، وبرزت الدعوة الى قومية علمانية ، غير أن هذه الدعوى وان استمرت فانها لم تحقق أى نجاح ، ذلك لأن الأمة العربية لاتستطيع أن تنفصل فى حركتها الفكرية والاجتماعية عن قيمها الأساسية .

وأن الاسلام الذى هو منطلق مزاجها النفسى والعقلى ليس دينا بمفهوم الدين الذى عارضته القوميات الاوربية ولكنه دين وثقافة وحضارة ومنهج حياة وأن أكبر عوامل القومية وهى اللغة والتاريخ

لاتستطيع في الثقافة العربية أن ينفصل عن مفهوم الاسلام الأوسع ، كمصدر أساسى للفكر ومنهج للمجتمع .

وقد اعترف كتاب الغرب بهذه الحقيقة ولم يجدوا مفرا من تسجيلها، يقول ولفرد كانتول سميث أنه لم تقم حركة وطنية في العالم العربي الا وكانت الروح الاسلامية أساسها ، وان تاريخ الشرق الحديث يدل على أن القومية المجردة ليست القاعدة الملائمة للنهوض والبناء ، وما لم يكن المثل الأعلى اسلاميا على وجه من الوجوه لن تثمر الوحدة .

وقال هاملتون حب : ان العرب متمسكون بلغتهم وأدبهم ومعنيون بمجد لاسلام ، كما أكد كثيرون « أن العرب لايفكرون بابدال صرفهم بالحروف اللاتينية ، أو أن يتنحوا عن لغة القرآن التى تربطهم بالعالم الاسلامى كافة » « وأن الروح الاسلامية ستبقى تسود بلادهم وتتقدم ابدا بلا كلل ولن يطرأ عليها اى ضعف أو وهن » .

وقد تأكد أن الصلة بين الفكر الاسلامى وحركة المقاومة الوطنية قوية ثابتة ، وأن كل ثورات المقاومة للاستعمار نشأت من أحضان المساجد ،وأن ثورة ١٩١٩ فى مصر بدأت في ساحة الأزهر الذى كان مصدرها ووقودها، وأن الذين حملوا لواء التحرر الاجتماعى نفسه كانوا من المفكرين الاسلاميين .

وقد كشفت ثورة الجزائر عن مدى أهمية هذا اللون من النضال وعمقه فى سبيل تحرير أرض المسلمين ومقاومة أى غزو أجنبى .

ويقرر كثير من المراقبين المنصفين أن أزمة القومية العربية انما تتمثل في ذلك الجفاء المصطنع بينها وبين الفكر الاسلامى ، وقد حمل بعض الدعاة لواء قومية علمانية على الطراز الأوربى وفق مفهوم الدعوة الطورانية وما حمل لواءه الاتحاديون فى تركيا ، وهو ما لا يجد فى الأمة العربية تقبلا ولا تقديرا .

ويقول الأستاذ جبريلى فى كتابه ( اليقظة العربية ) فى هذا المعنى: كان الاسلام ثورة عظيمة فى تاريخ العرب فمنه استمد العرب قوة وهو الذى حفظ لهم لغتهم والعرب لا يستطيعون فهم تراثهم القديم الذى هو

جزء من حاضرهم الا اذا فهموا الإسلام ، والمفكرون القوميون يرون أن الاسلام يمد العرب بخصائص خلاقة » ..

ولقد حاول الكثيرون التصدى لمدى العلاقة بين الدين والقومية ، فالعلاقة بين الاسلام والعروبة لاالقومية فى الثقافة العربية والفكر الاسلامى هو مفهوم حضارى جامع ، يقوم على أساس تعاقد روحى واجتماعى عميق ، دون أن يحمل معه أى معنى من معانى الاستعلاء بالجنس ، أو العداء للأجناس الأخرى ، بل على العكس من ذلك يؤمن بالانفتاح والالتقاء مع القوميات الأخرى ، التى يجمها معها وحدة فكر وأصول ثابتة ، لا سبيل الى تجاهلها أو نكرانها . ومن هنا فقد عجزت كل المحاولات فى أن تجعل العروبة مناقضة للاسلام أو مصادمة للأمم الاسلامية غير العربية .

ومع أن الاسلام ليس دينا فحسب ، حتى يقول دعاة النظرية الغربية بأنه لايشترك فى مقومات العروبة ، فان النظرة السريعة الى القوميات الأوربية تكشف عن انها لم تنفصل عن دينها ، فالبروتستانية جزء لايتجزأ من القوميات الهولندية والانكليزية ، بينما الأرثوذكسية جزء أصلى من القوميات اليونانية والبلغارية والاسلام كان ولا يزال جزءا أساسيا من القوميات التركية والايرانية والأفغانية والعربية والباكستانية والأندونيسية .

ولا مجال للعروبة كدعوة قومية ( علمانية القومية ) من غير العرب الذين تعلموا فى معاهد الارساليات والتبشير ، أما الذين عرفوا أصالة الثقافة العربية فقد ربطوا بين العروبة والثقافة العربية المستمدة من الفكر الاسلامى وهناك عشرات منهم لهم كتاباتهم وقصائدهم التى تؤمن بأرضية الاسلام الحضارى والثقافى للوحدة العربية ، بل أن البعض قد وصل الى حد القول بأنه ليس من العروبة التنكر للاسلام ، أو التفتيش عن بعث عربى بغير دين العرب .

ويقظة الفكر العربى تؤمن بأنها لا تستورد المفاهيم ولكنها تصنعها من واقع أمتنا ووجودنا بل أنهـا لتؤمن بأكثر من ذلك ، وهو النظر بعين

المراجعة والحذر الى كل مايصلنا من تفسيرات خشية أن يكون مصدرها محاولة التغريب والغزو الفكرى لصهرنا فى ثقافة الاستعمار ومفاهيمه .

## المادية

يقوم المذهب المادى على أساس المحسوس وحده ، منكرا ماسواه من عالم الغيب ( الميتافيزيقا ) انكارا تاما ، وتقوم النظرية المادية على اعتبار الكون موجودا بنفسه ، وقديما وغير منتسه ، ( وهو ما يخالف حقائق الأديان المنزلة ) والمذهب المادى ليس علما خالصا ولكنه فلسفة تقوم على الافتراض ، ذلك لأنها تتصل بالجانب غير المحسوس ، وهو جانب يتحاشاه العلم لأن أنابيقه لايستطيع أن تضعه فى مجال التجربة ، ومن هنا فان التعارض بين المذهب المادى والواقع ليس خلافا بين الدين والعلم ولكنه خلاف بين الدين والفلسفة .

وحين تفترض الفلسفة المادية انكار وجود الله والأنبياء والبعث والجنة والنار وغيرها انما تختلف مع العلم الذى قد حدد عمله فى دائرة المحسوسات ولم يدخل فى الخلاف مع الأديان ، ومن هنا فان النظرية المادية لا تجد سندا لها من علم أو تجربة ، أو برهان أو قياس ، ولكنها تجدد نظرية قديمة عرفها الاغريق القدماء .

أما العلماء فانهم بعد أن تحطمت الذرة قد أصبحوا يقررون أن هناك وراء هذا الكون المادى المحسوس عالما آخر ، ويقررون أن هناك حقيقة كامنة وراء المظاهر ، وأن الكون ليس حقيقة فى ذاته وليس هو المظهر الوحيد للتعبير عن الحقيقة وأن هذه المفاهيم كلها قد وصلت الى القول بأن ليس من شك فى أن قوة مدبرة مفكرة هى التى أبدعت الكون . وقال أرنست رارز فورد ، ان نظرية المادة قد هدمت وان الذى هدمها هو ماثبت من أن الذرة تتكون من الكترونات ( كهارب ) تدور حول ( بروتونات ) على نظام يحاكى النظام الشمسى ، وأن المادة لم تعد ثابتة لقد أصبحت تتحول الى طاقة والطاقة تتحول الى مادة .

ويقول الدكور محمد خليل عبد الخالق : ان الأساس الذى قامت عليه المذاهب العلمية فى القرن ١٩ قد انهار وأصبح العلماء الآن يتكلمون

عن الكون وعن الانسان وعن الحياة ، والآن يكتشف العلم عن ميـادين جديدة تبحث عن الأرواح وأصل المادة وغاية الوجود ، ان مذهب دارون فرض وليس حقيقة وهو قابل للنقض .

وعنـدنا أن الخطأ هـو فى التوسع فى اطلاق لفظ العلم على آراء الفلاسفة وفروض علماء الطبيعة ومن الحق أن يقال أن نظرية داروين قد استغلت استغلالا بشعا لتدمير قيم الأديان ومفـاهيم الروحيـة ، واثارة الشبهات حول حقيقة وجود الله والوحى والنبوة وغيرها ، وكان الهدف من استغلال النظرية اشاعة روح الالحاد والاباحية والتأثير فى مفـاهيم الأخلاق والاجتماع .

وقد استغل هؤلاء الفلاسفة نظرية التطور وأخرجوها الى مجـال هذه العلوم فى محاولة القول بأنه لا يوجد شىء ثابت وان كل شىء يستحيل ويتطور ويتحول من حال الى حال ، وأن من ذلك الدين والأخلاق . وهى نظرية خطيرة تعزى الى دعوة الصهيونيـة المندفعـــة الى تدمير القيم والحضارات فى طريقها الى السيطرة العالمية .

ويقف الفكر الاسلامى من المادية موقفا واضحا فهو يقرر أن الانسان مركب من بدن ونفس وجسم وروح ، وأن البدن من عالم المادة لانه يمتاز بالخصـــاص المعروفة للأجســام أما النفس أو الروح فانها من عالم آخر يختلف فى خصائصه عن المادة . والاسلام فى جوهره ثنــائى يقر بوجود الله ووجود العالم وبوجود الدنيا والآخرة ، والروح والجسد ، والنفس والبدن، وهو يدعو الى الاقبال على الدنيا وتنمية الحضارات وبناء الأعمال المادية ولـكنه يجعل هدفها انسانيا ولا يجعل مفهومهــا المادى هــو كل غايتهــا .

وقد ذهب غلاة المادية الى القول بأن المادة هى كل شىء ، وهى أصل العقل والشعور ، آمنوا بأن المادة لاتنقسم ، وهو ماسموه الجوهر الفرد، غير أن مفاهيم العلم تطورت وقلبت مفاهيمهم وحطمت نظريتهم حيث أثبت العلماء أن الذرة قابلة للتجزئة ، وأن المادة تصبح طاقة ، والطاقــة تصبح مادة ، وأصبحت المادة والطاقة مظهرين لشىء واحد .

وكذلك واجهت نظرية المادية التاريخية والمادية والجدلية نقدا يشكك في فرضيتها ويديل من غلوائها .

وقد كان التحدى امام فلاسفة المادية جميعا هو نظرتهم الى الدين والكنيسة وما يتصل بها من واقع وتاريخ ، ومن هنا جاء هجومهم على الدين ككل اما بالنسبة للاسلام فان الموقف يختلف تماما ، ويكفى أن الاسلام هو منشىء المذهب العلمى التجريبى الحديث .

## الماسونية

الماسونية جمعية سرية اقامها اليهود للقضاء على كل القوى المناهضة لهم وفى مقدمتها الكنيسة الكاثوليكية وقد أخفوا هدفها الأساسى الذى يقوم على أساس اعادة بناء هيكل سليمان ومن هنا سميت الماسونية باسم ( البنائين الأحرار ) وقد خفيت هذه الغاية على المخدوعين الذين دخلوا اليها ظانين أنها دعوة الى الحرية وانصاف المظلومين ، وقد شاعت دعواها فى العالم الإسلامى مع مخططات الاستعمار الأخرى كالتبشير وغيره ، ولم يكتشف العرب أمرها الا بعد سقوط السلطان عبد الحميد الذى كان يعرف أخطارها منذ اتصلت محافلها القائمة فى سالونيك مع جماعة تركيا الفتاة وعملت الى السيطرة عليها واحتوائها وتوجيهها الى غاياتها الأساسية فى اسقاط عبد الحميد الذى وقف عثرة ضد مطامع اليهود فى فلسطين ، وكانت جمعية تركيا الفتاة الحاكمة خلال ( ١٩٠٩ — ١٩١٨ ) هى التى حققت هدف الصهيونية على أوسع نطاق كما حققت هدف الاستمار بايجاد مذابح دموية للعرب بواسطة الاتحاديين حتى لا تلتئم وحدة العنصرين المسلمين الى وقت طويل .

وقد كشفت الدراسات التى قام بها الكثيرون مدى أخطار الماسونية التى استطاعت أن تقضى على كثير من الحكومات والملوك والحكام الذين حافظوا على مقومات بلادهم وحالوا دون نفاذ اليهود فيها ، وكان فى مقدمة الذين كشفوا هذه المخططات السيد رشيد رضا فى مصر والأب لويس شيخو فى الشام ، ثم كان لظهور وثائق مؤتمر بازل الذى عقده هرتزل وحضره ثلاثمائة من الحاخامات مؤكدا الرابطة الوثيقة بين الماسونية

وبين الصهيونية كأداة سرية لها ، فقد جمعت هذه البروتوكولات كل ماعرف عن الماسونية من مخططات وأعمال ولذلك فقد عمدت الصهيونية الى تكذيب هذه البروتوكولات واتهامها بأنها من أعمال خصومها ، بل لقد قام بعض العرب بمسايرتهم فى ذلك ، ولكن النظرة الصحيحة تكشف عن أن الماسونية جهاز من أجهزة الصهيونية الطامعة فى السيطرة على العالم واقامة امبراطورية تكون القدس عاصمتها واعادة بناء هيكل سليمان والسيطرة على العالم كله ووراثة الاستعمار الغربى .

## الهدامة : المذاهب الهدامة

تعددت المذاهب الهدامة والدعوات الهدامة ، وقد حاول الاستعمار اغراء العرب والمسلمين بها وكان للصهيونية دور كبير فى حماية هذه المؤسسات ورعايتها ومن أبرز هذه المذاهب الدعوات : الى الالحاد والاباحة والتكشف وقصص الجنس وانكار الأديان والوحى والجزاء واليوم الآخر . وقد كانت البهائية من أبرز هذه الدعوات التى ثبت أخيرا أنها نتاج صهيونى تحمل وسائل العمل له ، وكذلك الجمعيات السرية الماسونية التى انتشرت فى العالم الاسلامى خلال الفترة السابقة للحرب العالمية الثانية والتى كان لها دورها فى اسقاط السلطان عبد الحميد على أثر موقفه الشرف فى معارضة أهداف الصهيونية فى الاقامة فى فلسطين، ومن هذه الدعوات الهدامة : مذهب الروحية الحديثة التى تحاول خداع المؤمنين بالله بعد أن استوعبت الدعوات المادية غير المؤمنين وذلك حتى تتم السيطرة على المسلمين والعرب . وقد كشف الباحثون عن أخطار دعوة الروحية الحديثة وما وراءها من خلفيات صهيونية ومادية .

ومن الدعوات الهدامة تلك الدعوات التى تحمل لواء العروبة المنفصلة عن جذور الفكر الاسلامى ، وكذلك الدعوات التى تحمل لواء الاقليمية الضيقة ، أو العنصرية ، أو محاولة جعل الوحدة العربية دعوة عدوانية منعزلة عن العالم الاسلامى ، منفصلة عن جيرانها من الترك والفرس والهنود .

وقد جاءت هذه النظرات من تقليد خاطىء لنظرية القومية الغربية التى قامت على أساس القضاء على نفوذ الكنيسة واعلاء العنصر

والجنس والدم مع العدوان والخصومة للأجناس الأخرى على النحو الذى عرفته النزعات النازية والصهيونية .

ولقد كان الفكر الاسلامى قادراً على نبذ هذه الدعوات الهدامة ودمغها بالخطأ ، ومعارضة الذاتية العربية الاسلامية والمزاج النفسى والاحساس العربى لهذه الدعوات التى تتعارض مع جذور هذه الأمة التى أقامت فكرها على أساس التوحيد والعدل والحرية ذات الضوابط البناءة للمجتمع والفرد .

## الوثنيـــــة

تطلق كلمة الوثنية على مختلف العقائد التى لاتفرد الله سبحانه بالتوحيد من تعدد وتنسب الوثنية الى الوثن اى عبادة الأحجار والأصنام، وقد وصف اليونان القدماء ( الاغريق ) بالوثنية ، كما وصف بهما أهل الجزيرة العربية على اختلاف فى المدى والفهم ، فقد كانت وثنية العرب ساذجة تقليدية بينما كانت الوثنية الاغريقية تقوم على فلسفة عريضة ، لها فلاسفةأمثال أفلاطون وأرسطو وشعراء أمثال اسخيلوس وسوفوكليس، والعقائد الوثنية متعددة منها تأليه الطبيعة ( أو جزء من أجزائها كالشمس أو القمر أو بعض أنواع الحيوان ) أو تأليه البشر ( فرداً أو أسرة أو جماعة ) وذلك كعبادة الملوك والأسر الحاكمة عند بعض الأمم القديمة كالمصريين القدماء أو الحديثة كاليابان والهنود ، وكعبادة الأنبياء والأبطال والقديسين والأولياء ، ولذلك فقد حرص الاسلام على عدم اسباغ اى نوع من أنواع التكريم المبالغ فيه للأبطال أو الصالحين حتى لا يتحول مع الزمن الى مثل هذا النوع من العبادة . وكان الاغريق يقولون بتعدد الآلهة ، فكان كل اله يمثل قوة طبيعية خاصة يديرها ويتولى أمرها ، ومن ذلك : زيوس : اله الرعد والبرق وهو كبير الآلهة وديمتر اله الأرض والخصوبة ، وأفروديت الهة الجمال وأبولو آله الشمس ، ونبتون اله البحر وهكذا . ولا يفرق اليونان بين طبيعة الآلهة وطبيعة البشر ، اذ يجوز عليها مايجوز على البشر من بغض وحقد وقسوة وشره وطمع وجبن وحب للانتقام . وكانت آلهتهم لا ترى بأسا من اغتصاب زوجات الآلهة الأخرى وتتصف بالأخلاق الشريرة .

ومن العقائد الوثنية الاعتقاد بالوهية بعض الكائنات الخفية وعبادتها كالملائكة والجن والشيطان والأرواح . أو تأليه جزء من الانسان كالعقل، وهنـاك العقائد السلبية والالحادية القائمـة على انـكار الله ووجوده، وانكار الحياة الآخرة .

ويقول الدكتور محمد البهى ان الوثنية التى يحاربها الاسلام ليست هى وثنية العرب التى كانت قائمة على تقديس الأصنام وبعض الـكواكب فحسب ، بل هى وثنيـة الانسان على العموم وهى تقـديس الشخص دون رعاية للمبـدأ او المثـال ، وعنده إن الانسان دائما فى حاجة الى معونة الدين فى مكافحة الوثنية .

وقد هاجم الاسلام الوثنيـة وهاجم تعدد الآلهة ودعا الى عبادة اله واحد لا يعرف تشخصه ولا تحد حقيقته لأنه فوق الطبيعة وفوق ما بهـا من أشخاص .

وهناك اجماع على أن الوثنية وتعدد المعبود متلازمان ، كما أن الوثنية وتشخيص المعبود متلازمان .

وتختلف الوثنية العربية عن الوثنية الاغريقية فى أنها لم تكن وثنية قائمة بذاتها ، وأنما كانت انحرافا عن دين التوحيد الذى دعا اليه «ابراهيم» فقد اعتنق معظم العرب دين ابراهيم ولكنهم مع تقـدم الزمن ومع تفرقهم فى الأقطـار كانوا يحملون معهم بعض حجارة الـكعبة يتبركون بهـا ثم حولوا هذه الأحجار الى أصنام وأوثان ، ومن هنـا اختفى التوحيد وبرزت عبادة التماثيل والأصنام وقدمت لها القرابين ، ومن وثنية العرب عبـادة النجوم . وقد عجزت المسيحية بما فيها من تقاليد وما يتصل بها من عقيدة التثليث ودعوى صلب المسيح أن تجتذب انتبـاه العرب ، أما التثليث فقد كان معروفا عند الفراعنة القـدماء ، والهنود ، واليونان ، وكان الفرس يعبـدون الها مثلث الأقانيم مثل الهنود هو ( أو رمزا ومترات واهرمان ) ويقول ( راون ) فى كتابه خرافات التوراة ( Biblemyths ) أن تصور الخلاص بواسطة تقـديم أحد الآلهة ذبيحة فـداء عن الخطيئة قـديمة العهد جدا عند الهنود الوثنيين ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية .

ويقول رتشارد فى كتابه ( خرافات المصريين الوثنيين ) أنه لاتخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة من مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثى أو اللاهوت الثلاثى وكان الهند يعبدون ( تى مورتى ) أى الأقانيم الثلاثة ( الرب والمخلص وسيفا ) والصينيون يعبدون بوذا ويسمونه ( فو ) ويقولون انه ذو ثلاثة اقانيم والمصريون القدماءيعبدون ( أيزيس . أوزيريس . حورس ) .

فالتثليث جاء الي المسيحية من الفلسفة (الاغريقية) وهكذا يبدو تقارب واضح بين الوثنية والاغريقية والمسيحية الغربية ( وهى غير المسيحية السمحاء المنزلة ) والفرعونية ، مع تشابه واضح فى كثير من الطقوس والنظريات، ويقف الاسلام وحده متميزا عن هذه الأديان جميعا بطابع التوحيد الجذرى الأساسى، وقد صور القرآن الكريم هذا المعنى فى قوله تعالى : « ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين » ومن هنا تأتى معارضة الاسلام للوثنية والشرك وللتحريف فى سبيل القضاء على الوثنية .

## توحيد الأديان

ترتفع بين آن وآخر صيحة تدعو الى توحيد الأديان ، أو على الأقل الى توحيد الاسلام والمسيحية ، فى عام ١٨٨٣ كان القس اسحق اتيلور يقوم بالدعاية لتوحيد الاسلام والنصرانية على أساس قاعدة التوحيد الموجودة فى الاسلام والموجودة عند الكنيسة الانجيلية وقد اتصل عن طريق صديق فارسى هو ( فيرزابكو ) بالأستاذ محمد عبده وهو فى منفاه فى دمشق ، وقد تجدد هذا الموقف مرات ومرات وكان هناك من يدعى خريستفو جياره الذى كان يحمل لواء هذه الدعوة فى مصر وقد هاجمه رجال الكنيسة وقال القمص سرجيوس انه أراد أن يجعل المسيحيين مسلمين ينكرون لاهوت المسيح الذى هو أساس دينهم والذى تتركز فيه كل عقائدهم ، كما أنه أراد أن يجعل المسلمين مسيحيين يعترفون بصحة الانجيل الأمر الذى اذا سلم به المسلمون لوجب الا يقبلوا كتابا آخر غير الانجيل وان يعترفوا بلاهوت المسيح ، كما انه أراد أن يجعل اليهود مسيحيين لأنه طلب اليهم أن يعترفوا بأن المسيح قد جاء الى العالم

ولو اعترف اليهود بمجيء المسيح لهجروا طقوسهم اليهودية وعاداتها وصاروا مسيحيين ، لأن المسيح هو محور نبوءاتهم . ومعنى هذا استحالة هذا التوحيد بين الأديان .

وهناك محاولة أخرى موضع الشك والريبة هي محاولة البهائية التي تتظاهر بتوحيد الأديان وتهدف الى هدم الأديان لتحل محلها الدين البهائى .

ومعنى هذا عبر المحاولات المختلفة أن من ورائها هدفا سياسيا استعماريا أو صهيونيا من أهداف تلك الدعوات العاملة على تقويض المجتمعات الانسانية . وليس فى مفهوم الاسلام نفسه توحيد الأديان وانما فيه تساندها على مقاومة الالحاد والاباحة وكشف الاعتقاد بوحدة الله والتقاء الانسانية على الخير والاخاء .

## فرقة النصيرية

سأل الشيخ شهاب الدين احمد بن محمد بن مرسى الشافعى شيخ الاسلام ابن تيمية رحمهما الله عن النصيرية القائلين باستحلال الخمر وتناسخ الأرواح وقدم العالم وانكار البعث والنشور والجنة والنار فى غير الحياة الدنيا وبأن الصلوات الخمس عبارة عن ذكر خمسة أسماء ( على وفاطمة وحسن وحسين ومحسن ) وأن الصيام عبارة عن أسماء ثلاثين رجلا وامرأة يعدونهم فى كتبهم وبأن الههم على بن أبى طالب فهو عندهم الامام فى الأرض والامام فى السماء فكانت الحكمة فى ظهور اللاهوت بهذا الناسوت على رأيهم وان يؤنس خلقه وعبيده ليعلمهم كيف يعرفونه ويعبدونه .

يقولون : محمد هو الاسم وعلى هو المعنى ويوصلون العدد على هذا الترتيب فى كل زمان الى وقتنا فمن حقيقة الخطاب فى الدين عندهم أن عليا هو الرب وأن محمدا هو الحجاب وأن سلمان الفارسى هو الباب .

ويقولون ان ابليس الأبالسة هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويليه فى رتبة الابليسية ابو بكر رضى الله عنه ثم عثمان .

أفتى شيخ الاسلام ابن تيمية فى رسالة مستقلة بأن هذه الطائفة الملعونة أكفر من اليهود والنصارى والمشركين وان قتالهم أوجب من قتال هؤلاء وأنهم فرع من القرامطه والمجوسية الملعونة لايختلفون آلا فى الاسم فقط وهم ينتسبون الى أبى شعيب محمد بن نصير . وكذلك ذكر شيخ الاسلام فى كثير من كتبه ان الاسماعيلية على مثل نحلة النصيرية والقرامطة يقولون بالتاسخ وتأليه على ومن بعده من أئمتهم . والاسماعيلية اليوم كثير فى الهند وزعيمهم المدعو أغا خان وكذلك الدرزية الذين يسكنون جبل الدروز من أرض الشام وهم الذين يؤلهون الحاكم العبيدى وكل ذلك من ذيول الدولة الملحدة الملعونة العبيدية التىقامت بالمغرب ثم كان من قضاء الله أن تمكنت مصر وغيرها منالبلاد الاسلامية وأعلنت فيها الكفر والزندقة وسب الصحابة ( ذكر ذلك ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة وابنكثير فى البداية والنهاية ، الف فى تكفيرهم وبيان شنيع مذاهبهم الامام أبىْ بكر الباقلانى كتاب ( كشف الأسرار وهتك الأستار ) وذكر عنهمالحافظ بن كثير وغيره أنهم قوم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض .

# الباب السادس

## التاريخ

اخوان الصفا

الاسرائيليات

الاغريق واليونان

البطولة

تفسير التاريخ

الحملة الفرنسية

الخلافة

فتنة ١٨٦٠

محاكم التفتيش

الكشف

ما قبل الاسلام

معركة سانت بارتلمى

مكتبة الاسكندرية

مصر للمصريين

ارساليات لبنان

[illegible]

[illegible]

| | |
|---|---|
| [illegible] | [illegible] |
| [illegible] | [illegible] |
| [illegible] | [illegible] |
| [illegible] | [illegible] |
| [illegible] | [illegible] |
| [illegible] | [illegible] |
| [illegible] | [illegible] |
| [illegible] | |

# اخوان الصـفا

ليس الاهتمام بنشر رسائل اخوان الصفا واعادة اصدارها عيبا فى ذاته ما أسديت للقارىء الحقيقـة كاملة ، ودون أن تشوه هذه الحقيقـة باضفاء صفات غير صادقة على هذه الجماعة الغامضة التى عجز أصحابها أن يبرزوا أسماءهم أو يكشفوا عن أنفسهم أو يقفوا فى صـفوف العلماء أو المصـلحين أو الفـلاسفة أو حتى دعاة المـذاهب من أمثـال ابن الراوندى والحلاج والسهروردى وغيرهم . ولكى يقرأ القـارىء رسائل اخوان الصفا عليه أن يعرف من كتبها أولا فاذا وثق به وعلم أنه من أهل العلم الخالص البعيد عن الضلال أو الانحراف كان له أن يقرأ ماكتب فان لم يتحقق له هذه الثقة فعليه أن يقرأ فى حذر على ضوء ماعرف من أمر الـكاتب وأهوائه ، والاجماع بين الذين قدموا لاخوان الصفا منذ كشف أحمد زكى باشا عن هـذه الرسائل الى اليوم ، وقـد تناولها الـكثيرون بالبحث كالدكتور طه حسين وجبور عبد النور وعمر الدسوقى ودور النشر اللبنانية . أقول ان الاجماع منعقد على أن اخوان الصفا جماعة مشبوهة ليست من العلماء ولـكنها من دعاة الباطنيـة والمجوسـية والزندقـة الحاقدة على الاسلام واللغـة العربية والدولة الاسـلامية ولهم صـلات واضحة وأكيدة بالحركات المريبـة التى كانت تعمل على تقويض المجتمع الاسلامى ، وقد أضفى هؤلاء الدعاة للجماعة السرية على هدفهم السياسى طابعا علميا وفلسفيا ، بيد أن هـذا الطابع لم يخف حقيقتهم ولم يحل دون بروز مقاصدهم من خلال عرضهم للنظريات المختلفة التى تكشف عن معارضة أكيدة لمضامين الاسلام وقيمه الأساسية وفى مقـدمتها « التوحيد » : لب لباب الاسلام وفكره وقرآنه ودعوته .

وتؤكد مختلف المصادر التاريخية أن « اخوان الصفا » تكونت على هيئـة جماعة سرية ( ٣٣٤ ـــ ٣٧٣ هـ ) فى البصرة لبث آرائهم بواسطة رسائل علمية ولها صلة أكيدة بالباطنية والاسماعيلية . ويمكن القول جملة أن المنهج الفكرى الذى قدمه اخوان الصفا فى رسالتهم الجامعة ورسائلهم

الاثنين والخمسين يكشف عن مجافاة أصيلة للاسلام وتلفيق كامل لكل الفلسفات الوثنية بمختلف أنواعها وفنونها : من افلاطونية حديثة الى فيثاغورية الىنظريات أفلاطون وأرسطو وأفلوطين وفيثاغورس والمجوسية والمزدكية والمانوية والزرادشتية جميعا منظومة فى سلك واحد فى محاولة لخلطها بمفاهيم غامضة من الشريعة الاسلامية تلتقى بها معءقائد الباطنية.

وقد وصفهم ( أبو حيان التوحيدى ) فى كتابه الامتاع والمؤانسةبأنهم « عصابة » وضعت منهجا زعموا انهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله ، وأنهم قالوا : ان الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لأنها حاوية للحكم الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة الاسلامية فقد حصل الكمال » .

وقد وجهت الى مضامين هذه الرسائل نقدات صريحة تكشف عن مخالفتها الجوهرية لقيم الفكر الاسلامى ووصفت بأنها تكشف عن اغراق فى الخيال واعتماد على الأفكار اليونانية من غير فحص ولا انتقاد لمقومات ، وبحث فى كل علم من غير اشباع واقناع ، وأبرز مايكشف عن شعوبيتهم ومحاولتهم لهدم المقومات الأساسية للإسلام فكرة أنهميؤمنون بكل الأديان والمذاهب . واذا أرادوا تأييد رأيهم وبث دعوتهم تمثلوا أنبياء الله المرسلين ( موسى وعيسى ومحمد ) وأضافوا اليهم اليزدان وغازيمون وأرسطو وأفلاطون ، وهم يخلطون الأديان بالفلسفات فى محاولة لبناء مذهب يلغى الأديان ويعيد الوحدة — الى المسلم والنصرانى والمجوسى واليهودى والأفلاطونى والمشائى والفيثاغورثى — على حد تعبير الدكتور جبور عبد النور — ويجمع الذين درسوا رسائلهم أن غايتهم هى الباطنية وأنهم من الفرق الضالة الغالية التى تعمل دائما على الاحتماء كذبا بأهل البيت ، وأن أكبر مصدر لادانتهم أسلوبهم الرمزى واخفاء أسمائهم ، والتحرز من ذكر الأعلام الذين يصدرون عن آرائهم وفكرهم تحفظا من أن يكشف مذهبهم أو هواهم السياسى ، وفى كتاباتهم اشارات غامضة يستشف منها ميلا خفيا الى المجوسية المعدلة بالوثنية الاغريقية ، وهم يرون أن عليا هو الى طبقة الأنبياء أقرب ويفرقون بينه وبينالصحابة ويحاولون وصفه بالتفوق على الخلفاء الراشدين . كما اتسمت هذه

الرسائل بالنقمة على الدولة الاسلامية والسعى الى تحطيمهـا وتبرز فى كتاباتهم مفـاهيم الباطنيـة والاسماعيليـة والفيثاغورثية والأفلاطونيـة والمجوسية . وتخلط بين آرائهم على غير وفاق ، وفى نصوصهم فقرات كثيرة ولـكنها مموهة تشير الى انه خفى قرارة نفوسهم ميلا الى الوثنية ، والوثنيةاغريقية وبابلية وأشورية؛ وهم حين يوازنون بين الأديان السماوية والأرضية يفضلون الأخيرة ويسرفون فى تمجيد مفاهيمها .

ولهم آراء فى الـكواكب تخالف مفهوم الاسلام فهم يعتقدون أنهـا السبب المبـاشر فى التكون الطبيعى وظهور المـادة ، وسبب مايصيب الأجسام فوق سطح الأرض من علل وأمراض وقد لاحظ التوحيـدى أنهم ينكرون البعث بالأجساد ( جـ٣ ص٧٨ و جـ٤ ص٤٠ ) ويفسرون الجنـة والنـار خلافا لمـا تواتر عند المسلمين وينكرون الشياطين على الصورة التى يفهمها معظم المسلمين ويفسرون الـكفر والعـذاب تفسيرا باطنيـا فلسفيا ، وتشتمل رسائلهم على كثير من الآراء الخيالية وبعضها معتنق من اليونان وبعضها وليد الأذهان وبعضها تراث الـكهان كأسرار الاعـداد والتنجيم والفـال والرجز ، والسحر والعزائم والإيمـان بطوالع النجوم وتأثيرها ، وموسيقى الأفلاك ونغماتها والحانها ، ويشمل كذلك عقيـدة الوحى والامام المستور والتقية ؛ وفيها اعداد النفوس والعقول لدولةجديدة وهى فى مجموعهـا شرائع من الحكمـة والديانة والشعوذة والـكهانة والسياسة ، تقوم على أساس الفلسفة اليونانية الطبيعية الالهية وقـد كانت هذه الرسائل محاولة لوضع نظام جديد يحل محل الشريعة الإسلامية التى يعتقد اخوان الصفا أنها أصبحت عتيقـة لا تؤدى رسالتها وقـد اخفقت محاولة اخوان الصفا وفشلت ، فلم تنجح فى اقامة نظام علمى أو تنشىء مجتمعا يقوم على اساسها لأنها خالفت جوهر الاسلام وبعدت عن المزاج العربى الاسلامى وملامح الذاتية التى أقامها الفكر الاسـلامى فى الأمة التى نشرت بين أهلها وأكدت أن كل محاولة لدمج الفكر الاسـلامى القائم على التوحيد بأى فلسفة وثنية ، كاليونانية أو الهندية أو المجوسية فانه عمل لا يحقق شيئا ، إذ لا يمكن أن يتحقق الذوبان والانصهار مطلقـا بين الفكر الإسلامى القائم على التوحيد ومختلف هذه الديانات والمـذاهب والفلسفات القائمة أساسا على الوثنيـة والتعدد والاتحاد والانكار ،وقد

فشلت هذه المحاولة كما فشلت كل المحاولات التي سبقتها والتي تلتها في خلط الاسلام بغيره أو اضافة أجزاء منه الى مذاهب وفلسفات أخرى ، وكشف الاسلام في هذه اللقاءات عن ذاتية واضحة صريحة قادرة مستحيلة على الانصهار أو الذوبان في غيرها محتفظة بطابعها وذاتيتها وجوهرها ومزاجها حتى في أشد الفترات ضعفا وتخلفا .

وجملة القول أن محاولة اخوان الصفا والباطنية في خلط الاسلام بأهرمين والبرذان وأفلاطون وارسطو وغازيمون ، أو خلط الفكر الاسلامي بالهيات اليونان أو كتب الأديان الأخرى أو كتب الطبيعة والكواكب أمر غير متحقق فجوهر الاسلام مستحيل على الانصهار أو الخلط .

## الاسرائيليات

من أخطر التحديات التي واجهت الاسلام والفكر الاسلامي والثقافة العربية ظاهرة « الاسرائيليات » وهي اضافات خطيرة ونظريات مستمدة من نصوص قديمة ، وثنية ومجوسية من خارج مفهوم الاسلام وذاتيته المختلفة عن الأديان والفلسفات ، تسربت مع الزمن وقصد الى اضافتها خصوم الاسلام واعدائه رغبة في عزله عن جوهره الأصيل وقد شكلت مع الزمن قشرة صلبة أو حاجزا خطيرا عازلا عن مفهوم الاسلام في بساطته ووضوحه ويسره وايجازه ، واضافت تفاصيل كثيرة باطلة وتوسعات عديدة تتعارض أساسا مع مفهوم الاسلام القائم على التوحيد ، والمتصل الواضح الصريح للغيب والايمان بقواعد القرآن ونهجه ومنطقه في مواجهة مختلف القضايا والأمور السابقة وغير المنظورة وخاصة ما يتعلق بعالم الغيب وما وراء العالم المحسوس ، وفيما يتعلق بالعالم الآخر والتاريخ القديم السابق على الاسلام وتاريخ الأمم السابقة والمجتمعات وأحداثها .

وقد أضيف الى الاسرائيليات مع تطور الفكر الاسلامي اضافات أخرى تسربت من الفلسفات اليونانية والهندية والديانات الفارسية وغيرها مما كون حصيلة ضخمة استعملها الشعوبيون وأعداء الاسلام والعرب في القديم سلاحا لتحويل الأنظار عن مفهوم الاسلام وجوهره واخراجه عن مضامينه واتاحة الفرصة لمفاهيم الوثنية والثنائية والتثليث لغزوه .

وقد واجه المفكرون المسلمون هـذه الدخائل الإسرائيلية الباطنيـة والمجوسية وغيرها وفندوها وكشفوا عنها ، وفى مقدمة من تولى ذلك : الجاحظ ( البيان والتبيين ) القـاضى بن العربى ( العواصم من القواصم ) وابن الجوزي ( تلبيس ابليس ) كما واجه هذه القضايا ابن حزم والغزالى وابن خلدون وعرضوا آراء الباطنية والمجوسية والمزدكية والمثنوية وغيرهم ويطلق علماء المسلمين كلمة اسرائيليات على جميع العقائد غير الاسلامية ، ولا سيما تلك العقائد والأساطير التى دسها اليهود والنصارى فى مفاهيم الإسلام ، وفى مقدمة هذه الاسرائيليات تلك الاضافات للنصوص الثابتـة أو التفسيرات للآيات القرآنية والتوسع فى أوصاف الملائكة والجنة والنار والحشر ويوم القيامة وتصويرها تصويرا حسيا .

وقد أفرد ابن خلدون فى مقدمته فصلين لدراسة هـذا الموضوع ، وأدرك أهمية هذا النوع من التنبؤ فى تاريخ الاسلام ، وكان فى مقـدمة من نعى عليه وشهر ببطلانه .

وهذه التنبؤات هى التى أضـافتها الاسرائيليات مما يتعلق بالمهـدى المنتظر او رجعة المسيح أو ظهور المسيح الدجال ، وكل هذه الأمور وغيرها مما لا سند لها من القرآن او الحديث الصحيح .

وقد بدأ تكون هذه الحصيلة عندما حاول المفسرون المسلمون سؤال أحبار اليهود عما يوجد في كتبهم من اشارات الي بعض المسائل التي اوردها القرآن ثم نقلوا ما كانوا يسمعونه على أنه استرشاد او توضيـح ثم لم يلبث أن تحول الى مايشبه القضايا المسلم بها .

وفى عصر الضعف ومرحلة التخلف وفترة التجميع ظهرت كتب كثيرة لم يكتبها علماء محققون، جمعت أحاديث منحولة وأكاذيب ومفتريات مدسوسة على الدين ، وفى مقـدمة هـذه المؤلفات بدائع الزهـور والعرائس فى القصص والأخبار .

وقد ارتفعت الأصوات بالدعوة الى غربلة هذه الـكتب حرصا على مقاومة الخطر الذى تنفثه فى جمهور العوام وانصاف المتعلمين .

وكان لدائرة المعـارف الاسلامية وللمستشرقين اهتمام بالغ بأمثـال

كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وهم الذين أشاعوا الاسرائيليات فى صدر الاسلام ، وكان علماء المسلمين يسألونهم بوصفهم من أهل الكتاب عما عندهم من مثل قضايا بدء الخليقة وشأن الأنبياء والأمم القديمة ، ولم يكن هذا الا من باب التعرف الى الشبهات والتحرز من الوقوع فيها ، غير أن بعض الرواة جمع مثل هذه الآراء أمثال السدى والكسائى والثعلبى والخازن والطبرى وسجلوها فى مؤلفاتهم ، فالتصقت بتفسير القرآن الكريم . وقد عارض المفكرون المسلمون هذا الاتجاه وشجبوه وفى مقدمتهم العلامة ابن خلدون ، غير أن دائرة المعارف الاسلامية وكتابها جميعا من خصوم الاسلام نقلت هذه الآراء وبوبتها وعدتها مصادر صحيحة وجاء جولدزيهر وهو من خصوم الاسلام تدافع عن كعب الأحبار وزملائه .

وقد تسرب الى بعض كتب التفسير كثير من الاسرائيليات فشوهت صفحاتها الوضاءة . كذلك تدفق فيض من الأساطير على كتب الملاحم والمغازى فالتبس فيها الحق بالباطل والواقع بالخرافات .

يقول الامام أحمد بن حنبل : ثلاثة لا أصل لها : التفسير والملاحم والمغازى أى أنها ليست لها أسانيد صحيحة متصلة .

وقد ثبت فى كتب ثقات المؤرخين أن كعب الأحبار ووهب بن منبه وزياد بن أبيه كانوا من المتآمرين على الاسلام من طريق بث متون الروايات الاسرائيلية التى شوهت جمال معانى القرآن الكريم فى كتب التفسير ، ومثل ذلك تفسير الرعد والبرق والجسد الذى القى على كرسى سليمان وما جاء فى عصا موسى . ويقال ان كعب الأحبار ووهب بن منبه دخلا الى الاسلام ظاهرا ليكيدوا له كيدا ، وقد نقل كثيرا منه ابن جرير الطبرى ونقده ابن كثير .

## الأغـريق واليـونان

كلمات متعددة تمثل طقسا فكريا معينا وتوحى الى مناخ ثقافى له طابعه ومفاهيمه وتكشف عن عالم له قيمه ومقوماته : هى الاغريق واليونان ومنها اشتق اسم المذهب الفكرى « الهلينية » التى هى بمثابة النمط الثقافى الذى يتجلى فى المثل اليونانية أو اقتباس اللغة والفكر اليونانى والتزام

المثل اليونانية العليا . وترجع أهمية الدراسات المتصلة بالاغريق واليونان والهلينية الى ارتباط الحضارة الغربية الحديثة بالجذور اليونانية والاغريقية واعتبارها من مصادرها الأساسية ، فقد سقطت اليونان تحت حكم الرومان ١٤٦ ق.م وقد تبنى الرومان حضارة اليونان حتى سقطت الدولة الرومانية فى القرن الرابع المسيحى ، ودخلت أوربا فى فترة القرون الوسطى المظلمة التى كانت كذلك بالنسبة لأوربا وحدها ، حيث ظهرت أضواء الاسلام فى القرن السادس المسيحى ، ولم تلبث أن عمت العالم كله ووصلت الى أوربا واستقرت فى الأندلس وجنوبى فرنسا وايطاليا ، وكانت هى الشرارة التى أوقدت عصر النهضة ، ومن جذور المذهب العلمى التجريبى الاسلامى تكونت الحضارة الحديثة ، هذه الحضارة التى حاولت أن تنفى عن نفسها مؤثرات الفكر الاسلامى فى نفس الوقت الذى ارتبطت فيه بالاغريقية القديمة واعتبرتها مع المسيحية الوافدة من الشرق — بعد أن تحولت الى طابع غربى واطار للحضارة الغربية مصدرا لها .

وقد ركز الفكر الغربى على التراث الاغريقى وابتعثه مجددا ، واعتبره مصدرا أساسيا له ، ومن هنا فقد عنى المتصلون بالفكر الغربى عناية كبرى بالآثار اللاتينية والاغريقية والهلينية واحتضنوا نظرية لم تتأكد تاريخيا ولا علميا بأن للاغريق واللاتينية أثرا كبيرا فى الفكر الاسلامى ، وهى نظرية طالما رددها المبشرون والمستشرقون ودعاة التغريب فى محاولة لخلق تصور عربى اسلامى بأن القيم الاسلامية لها ركائز من الفكر الهلينى .

ومن الحق أن يقال أن الفكر الاسلامى قد تكاملت قيمه ومقوماته فى حياة الرسول ومع آخر آية من آيات القرن الكريم وأنه لم تجر اضافة أى شىء اليه من بعد والى اليوم ، وان كان هذا الفكر بطابعه فى الانفتاح على الثقافات المختلفة قد أخذ وأعطى ورفض فى مجال المناهج والأساليب واستطاع أن يهضم كثيرا ماوجده فى ثقافات وفلسفات الأمم المختلفة بعد أن ساغه وصهره فى بوتقته . شأنه بالنسبة للفكر الهلينى وشأنه بالنسبة للفلسفات الفارسية والهندية والمسيحية وغيرها .

أما موقف الفكر الاسلامى من الفلسفات اليونانية والتراث اليونانى فقد كان واضحا ، اذا ترجم العلماء المسلمون الفلسفات العلمية والطبيعية وعلوم الفلك والحساب والطب وغيرها وأعرضوا عن الآداب والشعر ،

ولما ترجمت الفلسفة الالهية وهى علم الأصنام عند الاغريق والوثنيات وقف منها المفكرون المسلمون موقفا صريحا فى المعارضة والرفض ، وكان شأنهم فى كل ما نقلوه أمرين أولهما أنهم أداروه فى اطار التوحيد والنبوة ورفضوا الثنائيات وعبادة الآلهة والأصنام والوثنيات جميعا وثانيهما أنهم أساغوه وصهروه فى بوتقتهم ، وأحالوه الى جوهر فكرهم دون أن تغير شيئا من قيمهم أو مفاهيمهم .

ولكن الغزو الفكرى وحركة التغريب حاولت محاولات ضخمة أن تفرض على الذوق العربى الاسلامى والمزاج العربى الاسلامى تصورات اغريقية ويونانية لها طوابعها الخاصة المستمدة من بيئاتها . وقد فشلت هذه المحاولة فى أن تغير من جوهر القيم الأساسية للفكر الاسلامى القائمة أساسا على التوحيد ، ذلك ان الفلسفات اليونانية الاغريقية قد تتلاقى مع الفكر العربى الحديث ومع المسيحية ومع اليهودية والتوراة ، ومع الفرعونية والمجوسية الفارسية بحكم قاسم مشترك أعظم بينها، يكاد يوجد عنصر اللقاء والتقارب والتشابه وخاصة فى مجال الأساطير حتى بين نظرية ايزيس وأوزوريس وجورس وبين نظرية التثليث ، يقول العلامة توينبى أن شخصيتى ايزيس وسيبيل تظهران فى المسيحية مرة أخرى فى تجلى السيدة مريم فى شخصية أم الاله الكبرى ، كما تشاهد تقاطيع اله الشمس فى الصورة ذات الطابع الحربى الذى يبدو فيها المسيح فى بعض الأحيان .

ويمكن القول بأن المثل الأعلى فى الاسلام يختلف اختلافا جذريا عن المثل الأعلى اليونانى الذى ارتبط الى حد كبير بالفلسفات الفرعونية والمسيحية . وأبرز هذا الخلاف يتمثل فى التوحيد الاسلامى ( لا اله الا الله واحدا احدا هو رب كل شىء ) والانسان سيد الكون تحت حكمه وارادته ، بينما فى المفهوم الاغريقى يوجد عشرات الآلهة ، التى تتصارع وتتقاتل وحيث يبدو الانسان هو سيد العالم وحيث يعبد جماله الجسدى ويؤلهه وحيث يصارع الانسان الآلهة وينتصر عليها وحيث تفعل الآلهة الشر . يقول أنيس فريحه « ان الهتكم لا تتميز عن البشر الا بقوتها والا بخلودها وعدم فنائها مع الزمن وهى فيما عدا ذلك كعامة الناس تماما تحسد وتغار ، وقد وزع اليونان السلطات بين هذه الآلهة ، ووجهوا عنايتهم الى تمجيد ودراسة الجسم الانسانى فأعطوا الآلهة شكله ومثلوها به . ويرتكز المثل

الأعلى اليونانى على أن الانسان هو مقياس كل شىء فى هذا العالم » .

ويعتقد اليونان أن نصيبهم أوفى من نصيب غيرهم من حيث جمال الأجسام ومن هنا نشأ طابع الحضارة الاغريقية والثقافة الهلينية وهو تمجيد وتأليه الجمال الجسمى ، ويصف أنيس فريحة هذه الآلهة بأنها تسرح وتمرح على جبل أولمبوس وتتصرف تصرف البشر ، فقد كانوا يحبون ويكرهون ويقتلون ويسرقون ويخطفون نساء بعضهم بعضا ، وبعبارة أخرى كانت آلهة اليونان أناسا ولكنهم جبابرة ذوو بأس يتصفون بكل ماهو جميل وبكل ماهو بشع ذميم ، كانوا أناسا يقتدى بفضائلهم ويهزأ برذائلهم، ولذلك لم يشعر اليونانى أمام ربه أنه عبد ذليل بحاجة الى الرحمة والشفقة، بل ظل سيد نفسه متيقن أنه سيد الأرض وأن الحياة نهب له ولعبقريته ولم ير فى الكون قوة تسحقه » .

وهذه العبارات من كاتب معجب بحضارة الاغريق وبأسلوب مهذب كثيرا فى تصوير مدى هذه العلاقة بين الآلهة والبشر لتكشف عن فهم مختلف كل الاختلاف وبعيد كل البعد ، عن مفهوم المسلمين والعرب فى علاقتهم بالله تبارك وتعالى هذا الخلاف الجذرى بين الفكر اللاتينى والفكر الاسلامى ينسحب ويمتد من هذه النقطة الى كل القيم والمفاهيم الاجتماعية والسياسية والدينية ويشكل خلافا واضحا بين مفهوم الاسلام ومفهوم الفكر الهلينى، ومن هنا فانه من العسير على الدعاة الى افراغ الفكر الاسلامى أو الأدب العربى فى قوالب الفكر الغربى أو الفلسفة الهلينية أن يحققوا شيئا، وهذا العسر الذى يواجه دعاة التغريب اليوم ، انما هو صدى للموقف الذى وقفه المفكرون المسلمون من الفكر الهلينى عندما ترجم الى اللغة العربية فى القرن الرابع الهجرى وأحدث سجالا عنيفا وصراعا ضخما ، فى محاولة الفلاسفة المسلمين : الكندى والفارابى وابن سينا لتأصيله أو لاسلامه ، وهى المحاولة التى حاولها الفلاسفة الثلاثة لصهر الفلسفة اليونانية فى بوتقة الفكر الاسلامى واطار التوحيد . وقد كانت محاولة جد فاشلة فقد استصفى الفكر الاسلامى من ذلك التراث القديم ما وافق مقوماته ورد الباقى وجاء الأعلام العمالقة : ابن حزم وابن تيمية والغزالى فكشفوا عن مناهج الفكر الاسلامى القادرة على أن تؤدى ماحاول الفلاسفة التماسه من الفكر الهلينى وانتهت دورة ضخمة من دورات الفكر الاسلامى

الى التماس مفاهيم الاسلام والتحرر من الآثار التى حاول أن يفرضها الفكر اليونانى الوثنى ، وقد رفض الفكر الاسلامى مبدأ التبعية للفلسفات اليونانية والفارسية والهندية وعدل انحراف المعتزلة وأهل الكلام كما عدل مذاهب الفلاسفة المتصوفة الذين ادخلوا مذاهب وحدة الوجود والحلول والاتحاد وكلها مذاهب لها صلة بالفكر الهلينى .

وبالجملة فقد ظل كفاح المفكرين المسلمين مستمرا أكثر من ثلاثة قرون فى سبيل تحرير الفكر الاسلامى بين هيمنة الفلسفة الهلينية والهندية والفارسية القديمة .

وبالجملة فقد رفضت العقلية الاسلامية الفلسفة اليونانية الالهية ، أما فى مجال الطبيعات والعلوم الرياضية فقد صححت أخطاءها وحولتها الى منهج أصيل مستمد من جوهر القرآن ومفهوم الاسلام للعلم كما حررت علم النجوم من النظرة الغيبية ، كما صححت أضخم النظريات اليونانية فى مجال العلم كأقليدس والطب .

ولعل أبرز ماقاومه الفكر الاسلامى من الهلينية هو نظرة الالحاد والثنائية والوثنية والاباحة ، وهى المظاهر التى ورثها الفكر الغربى والحضارة الغربية ، والتى يحاول دعاة التغريب فرضها من جديد على الفكر الاسلامى والمجتمع الاسلامى باعادة ابتعاث المسرحيات اليونانية والأدب الاغريقى على النحو الذى جرى عليه طه حسين وتلاميذ التبشير والتغريب بحسبانه سلاحا يراد به القضاء على جوهر الفكر الاسلامى ومفهومه الأساسى ( التوحيد ) .

والقول الحق فى هذا المجال أنه ليس من شأن الفكر الاسلامى وهو فكر له أصالته وتاريخه وحضارته أن يلتمس مقاييس الفكر الغربى أو الاغريقى فى تعليل الكون أو فهم الحياة ، ذلك أن الفلسفة اليونانية ومفاهيم الوثنية انما تتنافى مع التوحيد والنبوة وتعارضها على خط مستقيم ، وتحمل طابع السخرية بالدين والوحى وأبرز مفاهيم اليونان التفرقة بين السادة والعبيد فى المجتمع : واستخدام الرقيق ليقوم بالعمل بينما ينعم السادة بثمار الجهود وهو المفهوم الذى قامت عليه الحضارة الغربية وتوسعت من بعد من خلال الفردية والجنس الأبيض ومفهوم النخبة والصفوة .

## البطـــولة

البطولة قيمة من قيم الفكر والمجتمعات الانسانية ولكنها كمختلف القيم الأساسية لها فى كل فكر ومجتمع مفهوم ، فللغرب مفهومه للبطولة الـذى يختلف عن مفهوم الاسلام والفكر الاسلامى . وفى الغرب اليوم مفهومان للبطولة : مفهوم الفردية ومفهوم الجماعية أو مفهوم الديمقراطيـــة ومفهوم الماركسية . فالمفهوم الأول يستمد أسسه من تقدير الفرد واعلائه وتخليده على النحو الذى يذهب به الى أعلى درجات التقدير ، ومنها اقامة التماثيل وتأليف الكتب والاحتفالات السنوية بمناسبات المولد والوفاة، وهذا المفهوم يؤمن بأن البطل يصنع التاريخ ويعبر عن روح العصر ، وليس ثمرة الأحوال الاجتماعية أو المادية وأن كل عصر يظفر بالبطل الجديد به . ومن ثم فان الرجل العظيم يوجد فى ابان الحاجة اليه كما يرى هيجل ويرى كارليل أن التاريخ العام فى اعتقاده هو تاريخ من ظهر فى الدنيـــا من العظماء فهم القادة والأئمة وهم المبدعون لكل ماوفق اليه أهل الدنيا . والبطل عنـــده لا تصنعه الحوادث ولا تخلقه الأوهام .

وهناك النظرية الاجتماعية فى البطولة وترى أن الرجل العظيم قبل أن يصنع المجتمع فان المجتمع هو الذى يكونه ويصنعه ، وأن البيئة تصنع العظيم قبل أن يعيد العظيم صنعها . وأن الرجل العظيم نتيجـــة لمؤثرات طويلة متشابكة قد عملت على ايجاد الشعب الذى نبغ فيه .

ويقف الفكر الاسلامى جامعا بين المفهومين رابطا فى دقة ويسر بين الأمرين فالبطل يأتى نتيجة لحاجة المجتمع ثم هو يصنع التاريخ والمجتمع .

والبطولة فى الاسلام تتمثل فى النبى محمد صلى الله عليه وسلم فهو قد أخرجته الجزيرة العربية ثم هو أخرج الجزيرة العربية وغيرها من الظلمات الى النور وغير العالم كله، غير قيمها وغير مفاهيم القيم كما كان يفهمها الناس قبل الاسلام وجاء برسالة تحمل مفهوما جديدا للبطولة. فقد كانت البطولة العربية قبل الاسلام بطولة الكرم والشجاعة والنجدة، فاحتفظ لها بهذه القيم وغير مفاهيمها حيث كان الكرم من أجل الفخر ، والشجاعة والنجدة من أجل المباهاة فوجه هدف الكرم والشجاعة والنجدة جميعا الى التماس مرضـــاة الله ، ونقاها من زيف الفخر والمباهاة ، ومن هنـــا فان تكريم الأبطال فى

الاسلام يختلف عن تكريمهم فى الأمم المختلفة ، وهو تكريم للبطولة لا للبطل والعمل لا للفرد ، ولا يحمل ضروب الوثنيـــة أو التجسيم أو اعلاء البطل عن انسانيته أو الفخر ، وقد آمن المسلمون بأن البطولة للفكرة لا للفرد ، فعزل عمر بن الخطاب خالد من قيادة الجيش فى أوج البطولة وهو من لم ينهزم فى معركة ، وقال كلمته التى تمثل مفهـــوم البطولة فى الاســـلام : « خشيت أن يفتن الناس به فأردت أن يعلموا أن الله هو الصانع » .

وهكذا كرم الاسلام العمل ولم يكرم الفرد لذاته ، بينما كرمت الأمم الأخرى الأفراد لذاتهم وغالوا فى تكريمهم وبالغوا فى ذلك حتى بلغوا به درجة التقديس ، وكذلك فعل اليونان والفراعنة فأضافوا الى الناس طبيعة الآلهة وحنطوهم ليظلوا ماثلين ألوف السنين واتخـــذوا التمـــاثيل استبقاء لوجودهم المحسوس . أما فى الفكر الاسلامى فلا يخلد البطل لحمه ودمه، أو صناعته من الأحجار والجرانيت وانما يخلد ذكره وعمله . وكـــذلك فهم المسلمون أن البطولة ليست فى الفرد ولكن فى عمله ، فاذا اختار الرسول الرفيق الأعلى فعلى الرســـالة أن تبقى وتستمر ، وكـــذلك فهم المسلمون الأمور « من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبـــد الله فان الله حى لا يموت » والبطولة ليست فى خالد ولـــكن فى عمل خالد ، فاذا عزل خالد فان العمل يجب أن يستمر ، وكذلك اتصل الأمر بتقدير البطولة فى الاسلام فى مفهوم الامام والقائد والحاكم فهو بالموالاة مادام على الحق فاذا انحرف فلا طاعة له على الناس ، ولا يكرم الرجل أو يعظم الا من خلال عمله الصالح ، ومن هنـــا حارب الاسلام الخضوع للامراء والأغنياء لمجرد غناهم ، وعد هذا نوعا من الشرك ، ودعا الى تكريم الفضائل والقيم فى ذاتها أينما كانت ، ومن هنـــا غلب العنصر المعنوى الخـــالد على العنصر المادي الفانى ، وقد اتصل هذا بمفهوم القصة فى الأدب العـــربى ، فهى الى الحقيقة أقرب منها الى الأساطير فى الأدب اليونانى ، والاسلام يكرم العمل ، ويجعل الكلمة مكان الطقوس والاستعراضات ، فعن طريق الكلمة الحق والعمل الايجـــابى تحققت البطولة التى تتمثل فى تحـــرير البشر من الوثنية والظلم ، وفتح آفاق اكتشاف الـــكون والرحـــلة واختراق البلدان والقارات فى البحر والبر ، وتحققت فى ميادين العلم والفـــكر وفى آفاق النفس . وتتجلى البطولة فى مفهوم الاسلام فى أن المـــال وسيلة وليس

غاية ، وأن تقدير الانسان انما يقوم بعمله لا بنسبه ولا شخصه ولا مظهره، وهكذا تمثلت البطولة الاسلامية فى القيم الخالدة كالايمان بالله والايمان بالجزاء والمسئولية واقامة العدل والمساواة وحماية الضعيف وتحريره والمروءة والشرف والوفاء والكرم والنجدة والشجاعة ، وقد ظلت البطولة فى تاريخ المسلمين والى اليوم تستمد مفهومها من هذا المعنى الأصيل فى الاسلام ، كما تمثل هذا المعنى فى القرآن الكريم الذى عرض شخصيات الأنبياء والقادة فى هذا الضوء واعتمد بطولتهم من خلال هذا المفهوم ، وما زال المسلمون يرون فى شخصية رسول الله « المثل الأعلى للبطولة » على النحو الذى أقره الاسلام وطبقه الرسول .

فالبطل المسلم يلتمس بعمله الله ، ولا ينسب لنفسه شيئا من الفخر .

وقصة « صاحب النقب » معروفة ، هذا البطل الذى حقق للمسلمين بعد أكثر من شهرين اقتحام سور دمشق وقد عجزوا عنه ، وكان مما أولاه بالفخر بأنه بعد أكثر من ستين فارسا تقدموا ورجعوا أمام السهام ، ماكان أولاه بأن يعلن اسمه ولكنه أصر على التخفى فلما اضطره القائد الى الاعلان عن نفسه تقدم بعد أن أخذ عليه العهد أن لا يسأله أحد عن اسمه فكان عمل البطل المحارب الذى يقدم نفسه للموت فى كل لحظة موجها الى الله، لا يقصد به كسب مغنم مادى ، أو شهرة شخصية ، ومن هنا فقد كانوا يستقبلون الموت فى غبطة وكانوا يضيقون به اذا ماتأخر عنهم ، والبطولة الاسلامية كانت دوما مسئولية وليست غنما ، عمر بن الخطاب كان لا يعطى أهله الا أقل عطاء ويعاقبهم اذا خالفوا عقابا مضاعفا ، وعمر بن عبدالعزيز ترك كل ثورته وماله والتمس الخشونة . والبطولة الاسلامية كانت عفوا عند القدرة ، فقد سمح صلاح الدين لأهل القدس من الصليبيين أن يخرجوا ثرواتهم وأموالهم وغنائمهم ، ورفض أن يفعل بهم وهو المنتصر ما فعلوا بالمسلمين يوم استيلائهم على القدس من قبل اذ قتلوا ٧٠ الفا من المسلمين.

ولا شك أن هذه المفاهيم للبطولة تختلف اختلافا واضحا عن مفهوم البطولة الغربى الذى يقوم على أسس أخرى ، فبطولة نابليون أو الاسكندر أو قيصر أو غيرهم تختلف اختلافا جوهريا فى دوافعها وغاياتها عن بطولة خالد وسعد بن أبى وقاص وعمر بن الخطاب .

ومع تقدير المسلمين للمثل الأعلى للبطولة فى شخصية الرسول فانهم لم يتخذوا يوم مولده أو يوم وفاته عيدا يحتفلون به أو مناسبة لاقامة المهرجانات ولكنهم ايمانا بمفهوم البطولة القائم على العمل لا على ذات البطل جعلوا يوم الهجرة : أعظم حدث فى التاريخ هو مناسبة تكريم بطولة الرسول .

ومن هنا فان شبابنا الذى يحاول أن يلتمس مفهوم البطولة من الفكر الغربى لن يصل الى مفهوم الشخصية الاسلامية ولا الى المعنى الاسلامى وسوف لا تجد الذات العربية أو المزاج العربى الذى صنعته وكونته قيم أساسية لها مفاهيمها وجوهرها المختلف .

## تفسير التاريخ

هناك عدد من مذاهب تفسير التاريخ بعضها يعتمد على العوامل التاريخية أو الجغرافية أو الأجناس وكل تفسير من هذه التفاسير يعلى قيمة معينة ويجعلها أساسا ومصدرا ويخفض من العوامل والقيم الأخرى، وأشهر هذه المذاهب : التفسير المادى للتاريخ الذى يعتبر أن تاريخ البشرية هو تاريخ البحث عن الطعام . والذى يرى أنه لا توجد قيم أصيلة أساسها الدين أو الأخلاق أو التقاليد ، وعيب هذا المذهب أنه يتجاهل جانب المعنويات الحقيقية والقوى الذاتية للشعوب . أما تفسير الأجناس فيرد كل العوامل الى الدماء والرسوس( الاعراق ) وتفاعلها ، وللعلامة ولفرد كانتول سميث نظرة جديرة بالاعتبار فى التفريق بين النظرة المادية والنظرة الروحية والنظرة الاسلامية فى فهم التاريخ .

وعنده أن النظرة الروحية كالمسيحية مثلا يعيش المسيحى فيها بشخصية مزدوجة أو عالمين منفصلين لا يربط بينهما رباط . والمثل الأعلى عنده غير قابل للتطبيق ، والواقع البشرى المطبق فى واقع الأرض منقطع عن المثل الأعلى المنشود ، ويسير هذان الخطان فى نفسه متجاورين أو متباعدين ولكن بغير اتصال والتاريخ فى نظره هو نقطة ضعف البشر وهبوطه وانحرافه .

وفى مفهوم الهندوكية ( وهى نظرة روحية أيضا ) يقول ان الرجل الهندى لايأبه للتاريخ ولا يحس بوجوده لأن التاريخ هو ماسجله البشر من أعمال فى عالم المادة وعالم الحس ، والهندى مشغول دائما بعالم الروح ، عالم اللانهائية ومن ثم فكل شىء فى عالم الفناء المحدود لا قيمة له عنده ولا وزن والتاريخ بالنسبة له شىء ساقط من الحساب .

أما فى المذاهب المادية كالماركسية مثلا ، فهو الايمان بحتمية التاريخ بمعنى أن كل خطوة تؤدى الى الخطوة التالية بطريقة حتمية ، ولكن لايؤمن الا بهذا العالم المحسوس ، بل لا يؤمن فى هذا العالم الا بالمذهب الماركسى وحده وكل شىء عداه باطل . والماركسى يتبع عجلة التاريخ ولكن لايوجهها . ولا يقومها بأية مقاييس خارجة عنها .

أما فى الفكر الاسلامى فيرى « ولفرد كانتول سميث » ( وهو صادق فى هذا الرأى ) : أن المسلم يحس بالتاريخ احساسا جادا ، انه يؤمن بأن الله قد وضع نظاما عمليا واقعيا ، يسير البشر فى الأرض على مقتضاه ، يحاولون دائما أن يصوغوا واقع الأرض فى اطاره ، ومن ثم فهو يعيش كل عمل فردى أو جماعى وكل شعور فردى أو جماعى بمقدار قربه أو بعده من واقع الأرض لأنه قابل للتحقيق .

والتاريخ فى نظر المسلم هو سجل المحاولة البشرية الدائمة لتحقيق ملكوت الله فى الأرض ومن ثم فكل عمل وكل شعور فرديا كان أو جماعيا ذو أهمية بالغة ، لأن الحاضر نتيجة الماضى ، والمستقبل متوقف على الحاضر ، فالمفهوم الاسلامى واضح الايجابية ، فبينما غير المسلم يضحى بنفسه لأنه لا يريد أن تمر عجلة التاريخ الخاطئة وهو حى ويسامح لها بالمرور ، فهو يقف فى طريقها حتى تدوسه وتقتله ، ويكون ذلك أغلى قربان يتقدم به الى الله ، فان المسلم حين يضحى بنفسه ، ففى حسه أن هناك نظاما الهيا يراد أن يطبق فى واقع الأرض ، وفى حسه وهو يضحى أنه يدفع عجلة هذا النظام خطوة الى الأمام » . أ.هـ

ومن الحق أن يقال أن الفكر الاسلامى له تفسير للتاريخ يختلف عن التفسير الغربى المادى والشرقى الروحى على السواء . وان التفسير الغربى لا يصلح لفهم التاريخ الاسلامى .

فالتاريخ الاسلامى لا يمكن فهمه أو تفسيره الا على ضوء النظرة الاسلامية للحياة الانسانية ، وكل تفسير يقوم على غير هذا الأساس ضرب من الخطأ العلمى لا يجوز أن يرتكبه باحث جاد أو مؤرخ يبتغى وجه الحق وحده . ولذلك فان كل مؤرخ غربى يفسر التاريخ الاسلامى وفق منهجه الغربى يقع فى الخطأ الذى يتمثل فى ظاهرة واحدة . هذه الظاهرة هى وحدة المناهج الاسلامية والفكر الاسلامى فى مختلف فروعه وتكاملها . بينما يؤمن الفكر الغربى بتجزئة هذه المفاهيم والفصل بين الله والطبيعة والعلم والدين . ( راجع الخبابى — الأقلام : مارس ) .

أما روح الفكر الاسلامى وحضارته وتاريخه فتقوم أساسا على وحدة الكون وانسجام قوى الطبيعة وأقسامها ، وذلك بحسبان أن الاسلام هو النظام الوحيد الذى يحقق هذا الانسجام لأنه يجمع بين الروح والجسد فى نظام الدين ، والسماء والأرض فى نظام الكون ، ويسلكها فى طريق واحد هو الطريق الى الله . وان الاسلام — والاسلام وحده — هو الذى يجمع بين العلم والدين فى وحدة تامة غير متنافسة ، ومن هنا فان تطبيق منهج التجزئة الغربى يحول بين الباحث وبين الوصول الى الحقيقة ويجعل الأمور أمامه مضطربة غامضة .

هذا من ناحية الفكر الغربى . أما المفهوم المادى فيرى مايرى الدكتور تريتون فى كتابه ( الاسلام : عقيدته ومبادئه ) « اذا صح فى القول أن التفسير المادى يمكن أن يكون صالحا فى تعليل بعض الظواهر التاريخية الكبرى ، وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها ، فان هذا التفسير المادى يفشل فشلا ذريعا حين يرغب فى أن يعلل وحدة العرب وغلبتهم على غيرهم ، وقيام حضارتهم واتساع رقعتهم ، وثبات أقدامهم ، فلم يبق أمام المؤرخين الا أن ينظروا فى العلة الصحيحة لهذه الظاهرة الفردية ، فرأوا أنها تقع تقع فى هذا الشىء الجديد ، الا وهو الاسلام » .

ويقول ( البيان وايد غراى ) ان نظرة المسلمين الى التاريخ نظرة بناءة فهم يرون أن البشرية اذا اعتقدت تعاليم الوحى ( القرآن ) فان ارادتها حينئذ تتطابق مع ارادة الله » .

## الحمـلة الفرنسـية

هناك محاولة دائبة من جانب دعاة التغيب للقول بأن الشرق الاسلامى لم يعـرف « اليقظة » قبل الحمـلة الفرنسية ، وهى دعوى باطلة بواقع التاريخ نفسه ، وهذه الدعوى انما تستهدف القول بأن العالم الاسلامى لم ينهض الا بفضل الغرب ونفوذه ، وأنهم لم يستيقظوا حتى أيقظهم الغرب ، وهو خطأ صريح حيث لاسند تاريخى أو علمى له . فان العالم الاسلامى والأمة العربية قـد استيقظت قبل الحملة الفرنسية بأمد طويل ، هـذه اليقظة بدأت فى منتصف القرن الثامن عشر أو حوالى ١٧٤٠ م على التحديد حين انبثقت صيحة الامام محمد بن عبد الوهاب فى قلب الجزيرة العربيـة بدعوة التوحيد ، وما كان لها من أصداء واسعة فى العالم الاسلامى كله .

وهذا الواقع يسبق وصول الحملة الفرنسية بأكثر من نصف قرن ، ويسبق وصول الارساليات التبشيرية بمائة عام على الأقل ، ومن قبـل وصول الحملة الفرنسية كانت حركة العلماء فى الأزهـر قد وضعت أول وثيقة لحقوق الانسان حينما أخذت العهد المكتوب على الأمراء المماليك بألا يظلموا الرعيـة ولا يفرضوا عليها أى ضرائب أو قيـود ، فاذا كان ذلك كذلك ، فان القـول باعلاء شأن الحملة الفرنسـية ليس الا من دعاوى المستغربين والمستعمرين ، التى ملأت الكتب المدرسية بفضل نفوذهم وجميع المراجع الصحيحة تجمع على أن الحملة الفرنسية لم تكن مصدر نهضـة بقدر ما كانت عامل تعويق للنهضة الأصيلة . والأمم لا تتجسد من خارجها، وانما تتجسد من مصادر فكرها ومن اعماق روحها . ويقول شكرى فيصل فى هذا الصدد « ليس فى تاريخ الشعوب شىء هو اكراه على التمدن ، لأن كل تمدن بالقوة فانما معناه تمدن الأشكال دون الجوهر ، وهو تجديد يتنـاول مظاهر الأشياء دون أن يغوص فى حقائقها ، ويصل الى القول بأن تأثير الحملة الفرنسية كان سلبيا بالغا ، وقد ولدت الحملة الفرنسية فى مصر ما ولدت المعاهـد التبشيرية فى سواحل الشام وبيروت ، ولدت حذرا من المدنية التى مثلوها للنـاس متقاربة مع تقاليدهم وولد الحـذر قلقا ، وامتد القلق والحـذر بتأثير بعض التصرفات السيئة فأصبح تعصبا وكرها ، ويقـول : من المستحيل عقلا أن نتصـور أن الشرق العربى كان

سيظل نائما ، لأن لهذا الشعب تاريخا في الحضارة وقدما فى التمدن وجذورا عريقة ، لقد نهضت الشعوب التى أقل عراقة كالصين والهند واليابان .

وعنده أنه لولا الحملة الفرنسية لاستطاع الشرق العربى أن ينهض نهضة حقيقية ، والشرق له تقبل ذاتى للحضارة ، ليس مفروضا عليه من الخارج ، ولم يعرف المسلمون الموت بل الانحطاط فقط ، وقد مرت بهم كما مرت بغيرهم أدوار الخمول .

ويقول ساطع الحصرى أن الحملة الفرنسية لم يكن لها أى تأثير فى النهضة المصرية ، وانما هى مزاعم وأكاذيب نشرتها الصحف والكتب الفرنسية محاولة بها تدعيم مركزها الثقافى فى مصر ، واقتدى بها كثير من كتاب العالم العربى . ثم يقول : وأنا لا أستغرب أبدا أن يتوهم بعض الكتاب من أبناء فرنسا أن الحملة الفرنسية خدمت النهضة المصرية . ولا أستغرب كذلك أن يتباهى هؤلاء بهذه الخدمة الموهوبة، على أن أستغرب استغرابا شديدا كيف يظهر بين كتاب الأدب من يشارك فى ذلك ( آراء وأحاديث فى التاريخ والاجتماع ) .

## الخلافة

كانت الخلافة الاسلامية هدفا من أخطر أهداف الاستعمار والصهيونية ، فقد استطاع السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية فى أشد مراحل الضعف وهى ترمى من الدول الأوربية بالمؤامرات من أجل تمزيقها والقضاء على دولة الرجل المريض ، استطاع أن يحمل لواء الوحدة الاسلامية للأمم الهندية والفارسية وجميع المسلمين من خارج الدول العثمانية لاقامة حاجز ضخم فى وجه الزحف الاستعمارى الغربى . وقد نجحت دعوته نجاحا قويا أكد وحدة المسلمين الروحية والفكرية والسياسية، وقد كاد أن يحول ذلك دون مخطط الاستعمار المندفع الى السيطرة والصهيونية العالمية الطامعة فى السيطرة على فلسطين . ومن هنا كانت تلك الحملة الضخمة التى ساقتها هذه القوى على السلطان عبد الحميد ورميه باتهامات متعددة أقلها الاستبداد . وقد جرى الباحثون وراء ذلك دون

تبين لحقيقة ما صاغه النفوذ الاستعمارى من صور وهمية مستهدفا القضاء على السلطان عبد الحميد عن طريق الجمعيات السرية الماسونية التي سيطرت فى سالونيك على جمعية الاتحاد والترقى وساقتها الى أهدافها بعد اسقاط عبد الحميد من حيث حققت أهدافها فى تخليها عن طرابلس الغرب وسقوطها فى براثن ايطاليا ، ومن حيث تسليم فلسطين لليهود والسماح لهم بالاقامة فيها ، ومن حيث دخول الحرب العالمية الأولى في صف المانيا وايقاع الخصومة بين العرب والترك وتعليق الاتحاديين لزعماء العرب على المشانق وما جرى بعد ذلك من اقتتال العرب والترك المسلمين لحساب الدول الغربية التى سيطرت على الشام ( سوريا ولبنان ) وفلسطين ، ثم تسليم فلسطين للصهيونية العالمية .

ثم كانت الخطوة الثانية في سبيل اسقاط الخلافة : ( علامة الوحدة الاسلامية ودعامتها ) وذلك عندما سيطر مصطفى كمال أتاتورك على تركيا ، وتابع بصورة أشد قوة وعنفا مخططات الاتحاديين والماسونية العالمية ، وكانت خطوته النهائية هى اسقاط الخلافة عام ١٩٢٤ مما فك عروة الوحدة بين المسلمين وأسلمهم للنفوذ الاستعمارى ، ثم وقوف بريطانيا فى وجه أى دعوة للخلافة ووقوف الغرب كله أمام أى دعوة للجامعة الاسلامية .

وقد دعا أحد الماسون من علماء الأزهر الى وضع كتاب مسخ فيه مفهوم الخلافة ، وأخرج نظام الحكم فى الاسلام كلية من مفهوم الاسلام ، وحاول أن يقر خطأ كبيرا مفترى هو أن الاسلام دين عبادة جريا وراء مفاهيم الاستعمار والغرب وخدمة للماسونية وأعداء الاسلام .

## فتنة ١٨٦٠

تحاول كتب التاريخ وبحوث القوميات وغيرها أن تذكر فتنة ١٨٦٠ على أنها مؤامرة وقعت بين المسلمين والمارون ، اضطرت الدول الأوربية الى التدخل لاقامة نظام خاص فى لبنان ، ومن الحق أن يقال أن هذا التصور خاطىء من أساسه فلم يكن قبل بوادر النفوذ الأجنبى هناك أى خلاف من شأنه أن يوقع بين عناصر الأمة ، فقد كان المسلمون يرعون مختلف الطوائف والأقليات ويتيحون لها حماية كافية لأداء طقوسهم ورعاية مصالحهم . ولكن الحقيقة الأكيدة فى فتنة ١٨٦٠ أنها مؤامرة دبرتها الدول

الكبرى لعزل لبنان عن الدولة العثمانية واعدادها كمنطلق لاتمام عزل العالم الاسلامى والبلاد العربية واسقاط الدولة العثمانية ، وقد أكد هذا المعنى كثير من المؤرخين المنصفين فقد احتفت فرنسا بالموارنة وثبتت بريطانيا الدروز ، ووقفت كل دولة وراء واحدة من هذه القوى وأمدتها بالأسلحة وأغرتها بالطائفة الأخرى ، وأثارت بينها الخلافات التى أججت فتنة ١٨٦٠ فلما وقعت الواقعة بين الموارنة والدروز ، وقتل من قتل ، تدخلت فرنسا وبريطانيا باسم وقف المذابح وأرسلت بريطانيا وحدة مكونة من ١٢ الف جندى ، فسارعت فرنسا وأرسلت حملة قوامها سبعة آلاف جندى ، وفرض على الدولة العثمانية اقامة نظام خاص للبنان يمنحه الاستقلال الذاتى تحت رئاسة حاكم مسيحى تختاره الدول الأوربية ويصدق عليه السلطان . وقد ثبت ذلك كله فى تقرير السير ريتشارد وود قنصل انجلترا الى ناظر الخارجية التى نشرته الدولة الانجليزية فى الكتاب الأزرق ١٨٧٨ قال : والذى يبحث بحثا دقيقا فى أسباب الفتنة التى سفكت فيها الدماء فى المشرق يعلم أن الباعث الوحيد على حدوثها هو منبع السياسة الأجنبية التى تنتهز الفرص لايقاد نار الفتنة بين ذوى الأحقاد ولو لم يكن أولئك المفسرون يحسبون أن هذه الفتنة تجر الى القتل والفظائع ، ومن هذا القبيل واقعة الدروز والموارنة وواقعة الصقالبة والبلغاريين وقد تبين ان الاعتداء انما كان يبتدىء من جانب النصارى .

ولم تبلث البعثات التبشيرية أن هرعت الى بيروت وأقامت معاهدها وارسالياتها فى محاولة لفرض نفوذ ثقافى غربى على أبناء المارون ، وقد بدأت الارساليات الفرنسية هذا العمل ولحقت بها البعثات الأمريكية ،ولم تلبث بعد قليل أن أصبحت مصدرا خطيرا لتصدير صحفيين وكتاب الى مصر ومختلف أنحاء العالم العربى ، ومما يذكر أن سركيس وصروف ونمر ومكاريوس وزيدان وفرح أنطون وشبلى شميل هم الدفعة الأولى من خريجى هذه المعاهد وهم الذين تصدروا الصحافة العربية فى مصر ، وكانوا أصحاب الحملة العنيفة على الدولة العثمانية وعلى السلطان عبدالحميد وهم الذين مهدوا للنفوذ الاستعمارى والصهيونية ولفصل العرب عن الترك وتقسيم البلاد العربية بين الصهيونية وفرنسا وانجلترا .

## الكشف

أطلق تعبير الاستكشاف (Explaration) على الحملات الاستعمارية والتبشيرية التى قام بها الغرب فى قلب القارة الأفريقية بدعوى أنها كانت مناطق مجهولة ، وأن أمثال ولفنجستون وصمويل بيكر وغيرهم كانوا مكتشفين روادا بينما تؤكد الحقائق أن المؤرخين العرب قد جاسوا خلال هذه المناطق وكتبوا عنها فى مؤلفاتهم . فقد وصل ابن بطوطة الى أعالى نهر النيجر والى تمبكتو وسكوتو قبل أن يصل اليها الرواد الأوربيون ، وأول من أشار اليها وذلك بنحو ثلاثة قرون .

ويحاول الاستعماريون أن يرددوا هذه الشبهة وأن يفرضوها على كتب المدارس فى البلاد المستعمرة ، مدعين أنهم اكتشفوا الهند مثلا ، بينما كانت الهند معروفة فى القارة الأوربية فى العصور القديمة ، وذلك قبل وصول ماركبولو ( ١٢٥٤ — ١٣٢٤ ) الذى وصل الى فارس وأفغانستان وبكين والتبت ، أو فاسكو دى جاما الذى أبحر حول أفريقيا عام ١٤٩٧ ومنها الى الهند .

يضاف الى هذا ذلك الادعاء الذى ردده الاستعمار من أن ( صمويل بيكر ) هو الذى اكتشف منابع النيل الأبيض مع أن هذه المنابع لم تكن مجهولة فى وقت ما ، وكانت حقيقة تفرض أن يقال أنه أول من وصف هذه الأصقاع ، أما الذين قادوه اليها فهم رجال الحملة المصرية .

والواقع أن ما وصف بأنه رحلات الكشف هذه لم تكن الا خطة الاستعمار التى فرضتها الدول الأوربية وفى مقدمتها ( أسبانيا والبرتغال ) بعد تحررها من النفوذ العربى الاسلامى فى الأندلس فى محاولة لتطويق عالم الاسلام .

وقد أشار ولفنستون فى احدى كتاباته الى هذا المعنى حين قال « ان نهاية الاكتشاف الجغرافى هى بداية العمل التبشيرى » فان الارساليات التبشيرية كانت تتحرك وراء هؤلاء الرحالة ، الذين كانوا فى الأصل دعاة ومبشرين .

وليس هـذا استنتاجا وانما هو نص من مصـادر تاريخية مدعومة بالأسانيد حيث يقول رولاند أوليفر فى كتابه : ( العامل التبشيرى فى شرق أفريقيا ) ما يأتى بالنص :

« ولقـد أعد ولفنيجتون نفسه منذ سنواته الأولى حينما كان يعمل فى جمعية التبشير اللندنيـة للاطلاع بمشـاعل التبشير الخاصـة بأفريقيـة الاستوائيـة ، وبالعمل بين شـعوب فطرية فى بلاد لم يكن قـد سكنها الأوربيون ، وفى عام ١٨٤٩ كان ولفنجستون لايزال يفكر بطبيعة الحال ، فى التجارة أكثر من الاستعمار ، وبما أنه كان أولا وقبل كل شىء مبشرا مسيحيا ، فلقد اختـار كعضو فى هـذه الحركة التبشيرية أن يبحث عن نهر تستطيع السفن أن تمخر فيه الى داخل البلاد . لقـد أراد ولفنجستون أن يستكشف طرقا فى أفريقيا للمبشرين لا للمدنية ، كان ولفنجستون مبشرا قبل أن يكون رحالة ولم تكن رحلتهالمشهورة الا تمهيدا للبعثات التبشيرية »

أما فاسكو دى جاما فقد لقى من كتبنا المدرسية اهتماما كبيرا وصور بصورة البطولة . بينما تكشف الحقيقـة عن صورة بشعة لأعمال فاسكو دى جاما وغيره من طلائع الفتح والاستعمار وما قاموا به من ظلم وبطش، وتصف الكتب التاريخية الموثوق بها ( دى جاما ) بأنه من أقسى خصـوم المسلمين ، ففى رحلاته الى آسيا ضرب بمدافعـه الثقيلة المراكب العزلاء التى تنقل حجاج الى مكة فأجرقها بعد أن نقل أموالهم وأمتعتهم الىأسطوله وبعد أن حظر على رجاله انقاذ الغرقى ومنهم النساء والرجال حتى هلكوا جميعا الا عشرين طفلا بعث بهم ( دى جاما ) الى البرتغال حيث حملوا على اعتناق النصرانية .

هذه واحدة مما فعله دى جاما الذى تحاول أن تصوره كتب التاريخ فى العالم العربى كله على أنه مكتشفعظيم بينما أن ( دى جاما ) لميكتشف شيئا وهو لم يصل فى حيـاته الى كالـكوتا ولم يستقبه الحاكم الهنـدى لأن البرتغالى ( بارتلمى دياز ) كان قـد بلغ رأس الرجاء صالح قبل فاسكو دى جاما بعشر سنين فضـلا عن أن عبور المحيط الهنـدى من سـواحل أفريقية الشرقيـة الى آسيا كان معروفا من التجـار العرب والهنود منذ قرون عن بحث للدكتور بدر الدين القاسم ( مجلة المعلم العربى ) .

أما هنرى الملاح البرتغالى ( ١٣٩٤ — ١٤٦٠ ) فان حقده على العرب والمسلمين واضح وصريح ، فقد حمل فى ريعان شبابه على مدينـة سبتة التى انطلق منها طارق بن زياد الى الأندلس ثم تصدى لمدينة طنجة المسلمة فرد على أعقابه ، وأسس مدرسة بحرية ضمت رجالا حملوا لواء تجـديد الحروب الصليبية وخوله البـابا نيقولا الخامس حق الفتح والاستيلاء على جميع البـلاد حتى الهند ، أما الرحالة البوكرك فقـد كتب الى ملكه يفخر بأنه ذبح جميع مسلمى مدينة جوا وجعلهم أكداسا فى المساجد ثم أحرقها، وأنه أشعل النار فى سفن المسلمين ، ومع ذلك فان هذا السفاح يذكر فى كتب التاريخ العربية بأنه فاتح منتصر .

## محـاكم التفتيش

كانت محاكم التفتيش من أسودصفحات الغرب الأوربى خلال العصور الوسطى بالاضافة الى الحروب الصليبية وغزو الفرنجة للدولة الاسلامية فى الأندلس .

وقد تشكلت محاكم التفتيش بطلب الراهب توركماندا وقامت بأعمالها ثمانية عشر عاما ( ١٤٨١ — ١٤٩٩ ) وقد حكمت على عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصا بأن يحرقوا أحيـاء فأحرقوا وعلى ٦٠٦٨ بالشنق بعـد التشهير فشهروا وشنقوا وعلى ٩٧٠٢٣ بعقوبات مختلفـة فنفـذت وكان ذنبهم أنهم يعلمون علوم المسلمين والعرب من حكمة وفلك ورياضة .

وقد قاومت محاكم التفتيش دعوات حرية الفكر وقامت فى مواجهة البروتستانتية التى أدالت من الـكاثوليكية ، ثم عملت محاكم التفتيش فى سبيل اخـراج بقـايا المسلمين فى الأندلس من الأسـلام وتحويلهم الى المسيحية .

وقد كان القديس أوغسطين وتوما الأكوينى كلاهمـا يبرر الاضطهاد والتعقيب مادامت الأغلبية ترى فى ذلك الطريق الى الله . ( اقـرأ كتاب محاكم التفتيش لعلى مظهر ) .

## ما قبل الاسلام

كان من أحرص ماعمدت اليه دعوات التغريب اثارة تاريخ ما قبل الاسلام والاذاعة به وتوسيع البحث فيه وذلك عن طريق البعثات الأثرية، وابتعاث الدعوات الفرعونية والفينيقية والأشورية والبابلية والبربرية ، وذلك من أجل اعادة المسلمين والعرب الى ماضيهم الوثنى قبل الاسلام ، واعلاء هذا الماضى وتزيينه . وكان للكشوف الأثرية التى حرص النفوذ الاستعمارى على استغلالها أبعد الأثر ، ففى مصر كان كشف قبر توت عنخ أمون فى العقد الثانى من هذا القرن وما وجد فيه من آثار عجيبة منطلقا للدعوة الى الفرعونية فى مواجهة الدعوات العربية والاسلامية ، وقد جرى المصريون شوطا فى هذا المجال ، من حيث بناء القبور والقصور على الأنماط الفرعونية والدعوة الى لغة وأدب وتراث فرعونى، غير أن حملة هذه الدعوة لم يلبثوا أن فشلوا وعجزوا عن تحقيق وجود مثل هذا التراث ، ووجدوا أن الصلة قد انقطعت بين المصريين وبين الفرعونية خلال أربعة عشر قرنا كاملا ، وذلك بالاسلام الذى غير النفسية والعقلية والمزاج المصرى والعربى مغايرة كاملة بعد أن أخرجهمن الوثنية ودفعه الى التوحيد والى منهج ربانى قوامه الفطرة ، تقبله المصريون تقبلا ضخما وتصدروا به العالم الاسلامى كله .

وما تزال هذه المحاولات تجرى فى بيروت وفى غيرها ، وللبنانيين العذر فى التعلق بالدعوة الفينيقية نظرا لارتباط غير المسلمين بها ، وما لهم من نفوذ فكرى واجتماعى يغذيه النفوذ الاستعمارى الطامع فى تمزيق وحدة الأمة العربية والحيلولة دون اجتماعها على فكر موحد يدفعها الى الأمام بقوة .

ولقد كان الاستعمار والتغريب والصهيونية والماسونية والتبشير على اهتمام موحد بالدعوات القديمة التى كانت قبل الاسلام وهى كثيرة : منها الدعوات الفرعونية والبابلية وغيرها ومنها التراث اليونانى الاغريقى الوثنى بما يحمل من أساطير وملاحم وفلسفة الهية مسرفة فى التعارض مع التوحيد ، فضلا عن الجاهلية العربية التى قامت على عبادة الأوثان والأصنام ، ومن هنا اتخذت الصهيونية العالمية والاستعمار ودعوات

التغريب والتبشير من هـذا التراث القديم كله بما يتصل بالفلسفات الهندية القديمة القائمة على وحدة الوجود والحلول والاتحاد والفلسفات المجوسية الفارسية القديمة وغيرها مما يطلق عليه ( الغنوصـية ) بالاضـافة الى الاغريقيـة الوثنيـة ، اتخـذت من كل ذلك تراثا تصدر عنـه القصص والمسرحيات والمترجمات والـكتب ليكون عملا من عوامل تدمير القيم العربية الاسلامية ، ويحـاول أن يرد المسلمين عن التوحيـد والنبـوة والـدين الحق عامة .

## معركة سانت بارتلمى

من أبرز الفوارق بين الشرق والغرب ، وبين النزاع الدينى في أوربا ، وما ليس له مثيل فى العالم الاسلامى ، هذا النزاع الذى قام بين الكاثوليك والبروتستانت وكانت معركة ( سانت بارتلمى ) أقسى صوره ، فقد قتل فيها نحو مائة الف بسبب التعصب المـذهبى ، وقد عرف الاسلام بعض صور الاختلاف المذهبى بين الحنابلة والشافعية ، او بين السنة والشيعة ولكن ما من خلاف بين هذه المذاهب زاد عن المعـارك الـكلامية . اما فى أوربا فالصورة مختلفة .

وقد وقعت معركة سانت بارتلمى فى القرن السادس عشر وفى عام ١٥٧٢ على التحقيق وفقدت فرنسا بها زهرة رجالها من أهل العقل والفطنة والحرية والعلم والصناعة .

ويعزى المؤرخون سبب هـذه المجزرة الى الحقـد الدينى فى اقسى اشكاله ، وذلك انه لمـا ظهر المـذهب البروتستانتي فى المانيا فى أوائل القرن السادس عشر وامتد منها الى سائر ممالك اوربا أصاب فرنسا منه جانبا هاما ، فقد انحاز الى البروتستانتية كل من كان ناقمـا على سلوك الكنيسة الكاثوليكية اذ ذاك .

وكانت البروتستانتية فى الواقع ثمرة العلم الاسلامى الذى تدافع الى أوربا ، وأنشأ جوا من حرية الضمير وحرية البحث .

لم يرق فى عين الملكة كاترين دوق يمنى أم ملك فرنسا شارل التاسع

أن تنتشر البروتستانتية فعزمت على احداث مقتلة عامة تكون سببا فى افناء البروتستان الفرنسيين وقطع دابرهم أجمعين ، وكانت يد الكنيسة الكاثوليكية فى تدبير هذه المكيدة العظيمة فى ٢٤ أغسطس ١٥٧١ ، فلما دقت الكنائس أجراسها كان ذلك اشارة للجنود والمتطوعين بالبدء فى الفتك بالبروتستان فدهموا بيوتهم وفى أيديهم المشاعل تضىء لهم الطريق فى الليل الدامس ، وأخذوا يفتكون بأولئك الأبرياء مرتكبين من القسوة والوحشية ما يندر مثله فى تاريخ البشر ، حيث بقروا بطون الحوامل وأخرجوا الأجنة ثم ألقوها للكلاب والخنازير ، وكانوا يسلمون الأطفال الذين فى المهد الصغار الذين فى سن العشر سنين من أولاد الكاثوليك ويأمرونهم بقتلهم حزا من أعناقهم فى أسواق باريز ، ولم يزالوا كذلك حتى سالت شوارع المدينة بالدماء وعجت الأصوات الى السماء .

وتكرر حدوث مثل هذا فى كثير من مدائن فرنسا .

ومن أعجب ما وقع أن الكنائس دقت مرة أخرى في اليوم التالى فظن أتباع الحقد الدينى بأن ذلك أمرا مجددا باستئناف القتال فأنحوا على اخوانهم قتلا ونهبا وتمثيلا بأشد مما فعلوا بالأمس ، واستمرت المجزرة الى اليوم الثالث وبعده ثم استحالت الى مذابح فردية طوال شهرى سبتمبر واكتوبر فى باريس وغيرها .

## مكتبة الاسكندرية

جرت محاولة التغريب على الصاق حريق مكتبة الاسكندرية بالمسلمين ، وجارى المستشرقين فى هذه الدعوى نفر من الكتاب فى مقدمتهم جرجى زيدان وطه حسين ، بينما دافع عن العرب بعض كتاب الغرب وفى مقدمتهم العلامة جيبون فى كتابه سقوط الدولة الرومانية حيث قال : ان هذه الفرية لفقها على المسلمين « أبو الفرج العبرى » فى كتابه مختصر الدول ، وقد ترجم الى اللغة اللاتينية فتلقفها أهل الغرض من الفرنجة فأذاعوها ، فأشار جيبون الى براءة عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص من التآمر على حريق مكتبة الاسكندرية ، واثبت أن الذى أحرقها انما هم الرومان بمراكبهم الحربية فى حصارها لجيوش كليوباتره بقيادة يوليوس قيصر .

قال جيبون : تأكدت أنها أحرقت قبل الاسلام بمائتى عام ، وأن لبو الفرج ابن العبرى لفق الفرية بعد الاسلام بنحو ستمائة سنة ، ولم يتعرض قبل أبى الفرج مؤرخ واحد لذلك ، حتى أن بطريرك الاسكندرية (أفتيكوس) مع توسعه فى الكلام على استيلاء المسلمين على ثغر مصر لم يذكر كلمة واحدة عن حريق عمرو بن العاص لهذه الخزانة .

وكان الرحالة البغدادي قد زار مصر فى عهد الملك الكامل فنقل هذه التهمة وقد طبعت رحلته فىاكسفورد سنة ١٨٠٠ وهى محشوةبالخرافات والأكاذيب . وقال لطفى جمعه انه كان أفاقيا ( Enentu Rier) نظنه ينتمى الى حلب ويسمونه ( التيس الملتحى ) وقد نقض هذه الرواية واشنطون أرفنج وفليه وغيرهم كما نقضها أرنست رينان الذى قال فى خطاب له فى المجتمع العلمى الفرنسى : انه لا يعتقد أن عمرو هو الذى أحرق خزانة الاسكندرية لأنها أحرقت قبله بزمن طويل .

## مصر للمصريين

هذه كلمة حق أريد بها باطل كما يقولون : فان مصر للمصريين دعوة صحيحة اذا أريد بها الوقوف فى وجه الاستعمار البريطانى الذى سيطر على مصر عام ١٨٨٢ ، أما والاستعمار البريطانى هو الذى رفع هذا الشعار فانه أبلغ العجب ، فقد اراد به اخراج المصريين من امرين (١) من الأمة العربية المجاورة لهم والتى تربطهم بها اللغة والتاريخ والجوار والمصالح الاقتصادية والاجتماعية (٢) ومن العالم الاسلامى الذى هو الامتداد الطبيعى للأمة العربية فكرا ودينا وثقافة (٣) ومن الاسلام نفسه وهو المنهج الفكرى والاجتماعي للمصريين وللعرب والمسلمين جميعا .

ولذلك فقد جاءت كلمة ( مصر للمصريين ) مضادة لكل دعوة وطنية عربية اسلامية تريد أن تضع مصر فى مكانها الصحيح من الأمة العربية ومن العالم الاسلامى ومن الاسلام نفسه ، ولكن الاستعمار قدمها عن طريق بعض الفلاسفة القادرين على التمويه والتضليل فبدت براقة لامعة ، بينما كان المصريون يدعون أساسا الى التحرر من نفوذ الاستعمار البريطانى والغربى ، أما الصلة التى كانت قائمة بين المصريين والدولة العثمانية فلم تكن استعمارا بأى معنى من معانى الاستعمار ، بل كان ترابطا بين جنسين

يجمعهما فكر واحد ، ولقد جاء العثمانيون الى العالم العربى : الشام ومصر والمغرب بدعوة من أهله وحماية له ، وتوسيعا لجبهة المقاومة مع النفوذ الأوربى الاستعمارى الصليبى ، الذى حاول معاودة غزوه لمصر والشـــام كرة أخرى بعد أن انسحق نفوذه فى الحروب الصليبية ، فكانت تلك الوحدة الاسلامية : العثمانية العربية عاملا من عوامل القوة خلال أكثر من أربعمائة سنة ( ١٥١٧ — ١٩١٧ ) اضـــطر النفوذ الاستعمارى خلالها الى تطويق العالم الاســـلامى دون أن يتمكن من السيطرة على البحر الأبيض نتيجـــة هذه الوحدة .

ومن هنا فقد كان لطفى السيد وجماعـــة الجريدة وحزب الأمة غير صادقين فى الدعوة الى مصر للمصريين فقد كانوا باعترافهم على ولاء مع النفوذ البريطانى فى مصر وكانوا حيث ســـماهم كرومر : ( الـــذين التقوا بالانجليز فى منتصف الطريق ) وهم بدائل الاستعمار وخلفائه ( لطفى السيد وسعد زغلول وعبد العزيز فهمى ) وغيرهم هم تلاميذ مدرسة كرومر التى قامت على أساس فلسفته التى رسمها فى تقاريره السنوية .

## ارساليـــات لبنـــــان

ترددت كلمات كثيرة تحاول ان تعطى دورا من البطولة للارســاليـــات التبشيرية اللبنانية التى وردت الى العالم العربى فى منتصف القرن الماضى وأقامت عددا من المعاهد والمدارس يحاول بعض الداعين الى تزييف الوقائع التاريخية بأن ينسبوا النهضة العلمية والأدبية والتعليمية فى العالم العربى الى هذه الارساليات والى خريجيها الذين وردوا الى مصر فأنشأوا الصحف من أمثال فارس ونمر وصروف وسركيس ومن تابعهم من أمثال جرجى زيدان وفرج انطون وأديب اسحق وسليم عنجورى .

ومن الحق أن يقال أن اليقظة العربية الاسلامية بدأت بانبعاث صوت الامام محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية وبالدعوة التى صدع بها العلماء فى الأزهر ، وما قامت به النهضة المصرية أيام محمد على من ترجمة وتأليف وكل هذه سبقت تلك الدعاوى التى يحاول بعض المبشرين وأتباعهم أن يصوروها منطلقا للنهضة الفكرية والأدبيـــة والاجتماعيـــة فى العالم العربى .

بل ان الصيحة التى انطلقت من منابر هذه الارساليـــات والتى كانت تحمل الدعوة الى العروبة لم تكن خالصة ولا صادقة وانما كانت فى أساسها دعوة الى اخراج لبنـــان من الرابطة العثمانية العربيـــة على النحو الذى أراده النفوذ الاستعمارى بأحداث ١٨٦٠ والتى انتهت بســـيطرة النفـــوذ الفرنسى والبريطانى على لبنان لتكون منطلقا للارساليات ولتمزيق الجامعة التركية العربية التى كانت تقف فى وجه النفوذ الاستعمارى .

أما الدعوة الى الوحدة العربية كحركة أصيلة فهى التى قام بها العرب فى مواجهة حركة الدعوة الطورانية التى قام بهـــا فى الدولة العثمانيـــة ( جماعة تركيا الفتاة والاتحاد والترقى ) وكانت هويتهم مع النفوذ الغـــربى للقضاء على الروابط العربية التركية .

# الباب السابع

## السياسة

الاستعمار

الاستعمار التركى

الأقليات

الاقليمية

الرجل الأبيض

الجامعة الاسلامية

الجنس

العالمية

الوطنية

الاتحاديون وليس السلطان



## الاستعمار

كلمة من أسماء الأضداد فهى اشتقاق من التعمير ، بينما هى تحمل فى مفهومها معنى السيطرة والغزو والفتح ، وهى شبيهة بكلمة الاستكشاف الذى كان مقدمة للغزو والاستعمار ، وهى متصلة أيضا بكلمة « امبريالية » التى تعنى التوسع ألاستعمارى . ولها امتدادان جديدان همـا الاستعمار الجديد والاستعمار الثقافى ، ومن الحق أن يقال لن الاستعمار بهذهالصورة يختلف اختلافا بينـا عن الاستعمار القـديم المتمثـل فى الدول الفارسية والرومانية والبيزنطية . ذلك لأن الاستعمار الحديث قـد ارتبط بالحضارة من ناحية وبدأ كأنما هو ثمرة لها أو وسيلة من وسائل نموها حصـولا على الخامات وتصريفا للمنتجات ، ولـكن أظهر مظاهره أنه حمل معه أساليبه وفكره وقيمه فحاول فرضها على الدول التى استعمرها ، وحاول أن يقيم سيطرة كاملة على الأرض والانسان والحيـاة السياسـية والاجتماعيـة والثقافيـة والاقتصادية . ومن هنـا فقد اختلف اختلافا ضخما عنصورة الاستعمار القديم . وقد بدأ الاستعمار من قارة أوربا وجعل مجاله الحيوى عبر قارتى أفريقيـا وآسيا ، واتخذ لذلك أساليب بعيـدة كل البعد عن التعامل الأخلاقى ، بل فرض أسلوبا من السيطرة والاذلال والقمع والتفكك على نحو بعيد كل البعد عن أساليب المدنية أو قيم الحضارة ، وقـد كان الاستعمار فى خطوته يحمل هـدفين أحدهما ظـاهر والآخر خفى ، أما الظاهر فهو السيطرة على مقدرات الشعوب ، وفـرض نفوذ كامل يحمل طابع الاستعلاء ويحمل فى نفس الوقت طابع الاستمرار فأوربا صـاحبة الحضارة ليس لها موارد الا ما تستطيع أن تحصل عليه من مستعمراتها، وهى تحصل عليه على أنه حق ، ولا تنظر الى أصحابه الا على أنهم عبيد تابعون يجب أن يظلوا خاضعين مكتفين بالحصول على أقل قدر ممكن من الأجر فى مقابل حصول الاستعمار على مقدراتهم وثرواتهم الضـخمة التى لا حصر لها . أما الوجه الخفى للاستعمار فانما يتمثل فى ذلك المخطط الذى يهدف الى استمرار الاستعمار واتصاله على مدى الأزمنة وهو أمر لايمكن

أن يتحقق الا اذا احتوت الحضارة الاستعمارية هذه الشعوب والأمم فى وجودها ومفاهيمها وحضارتها وثقافتها والقضاء على كل الطوابع التى تحملها هذه الأمم ، وتدمير القيم الاساسية لها وصهرها فى بوتقة الثقافة والحضارة الغربية على أساس أنها حضارة الانسان الأبيض للسيدالمدن الذى وكلت اليه العناية الالهية تمدين المتأخرين والسود والملونين ، ومن هنا فقد نظم الاستعمار فلسفة كاملة لهدفه هذا جعل لها طابعا علميا ومظهرا وضاء وأخفى فى داخلها أغراضه الخفية وهى ادماج شعوب أفريقيا وآسيا ادماجا كاملا فى الحضارة الغربية وفكرها والتخلص الكامل من قيم هذه الشعوب وذاتيتهم ، ولما كانت هذه الشعوب الأفريقية والآسيوية شعوبا عريقة ولها حضارات باذخة وتاريخ طويل وماض عريض فقد قاومت مقاومة جسورة جبارة ، وكانت الحضارة الاسلامية أشدها مقاومة بحسبانها أحدث هذه الحضارات وأكثرها اتساعا وأكثرها ارتباطا بالحياة ، فان أغلب تلك الحضارات كانت قد ماتت أو انطوت ، أما الحضارة الاسلامية العربية فانها كانت لاتزال نابضة متفاعلة مع الحياة ، وأن اعترتها مرحلة من مراحل الضعف ، وهى احدى سنن الأمم والحضارات بعد دورة بلغت الف عام ويزيد ، ولقد كان الاستعمار يعرف مدى خطر هذه الحضارات على وجوده ومدى خطر مفاهيمها على بقائه، ومدى قدرتها على المقاومة والمواجهة والصمود ، ولذلك فقد كان ضغطه عليها أشد وكان حربه لأهلها وتدميره لثوراتها وقضاؤه على قادة فكرها أشد وأعنف .

وقد بدأت جولة الاستعمار الحديث منذ أوائل القرن الخامس عشر الميلادى مما أطلق عليه تطويق العالم الاسلامى ، وانتهت فأطبقت عليه منذ الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٠ الى أن تمت السيطرة عليه فى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ على نحو تمثل فى استعمار مباشر واحتلال وانتداب ، ثم فى صك باقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .

وقد شهد العالم فى خلال هذه الفترة حركة واسعة النطاق للاستيلاء على الأجزاء والوحدات المختلفة فىأفريقيا وآسيا ولا سيما القارة الأفريقية فى العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر حيث كان الصراع عنيفا بين فرنسا وانجلترا والمانيا وبلجيكا والبرتغال . ثم كانت حركة تمزيق الدولة

العثمانية والقضاء عليها وتوزيع الأجزاء العربية بين ايطاليا واتجلترا وفرنسا وأسبانيا . وكانت الخطوات الأولى أن رجع الاستعمار عن أساليبه وغير من خططه وان لم يتراجع عن هدفه الأساسى فأجلت الدول المستعمرة أغلب جيوشها واكتفت بالاتفاقيات والمعاهدات والنفوذ الاقتصادى وربطت الأقطار بنقدها واقتصادها ، وظلت قادرة على السيطرة على الموارد والثروات والخامات وأطلق على هذا النوع من النفوذ « الاستعمار الجديد » .

والاستعمار الجديد هو فرض السيطرة الأجنبية من سياسية واقتصادية، على دولة ما مع الاعتراف باستقلالها وسياستها ودون الاعتماد فى تحقيق ذلك على أساليب الاستعمار التقليدية وأهمها الاحتلال العسكرى، ويطلق على هذا الأسلوب الاستعمارى اسم ( الامبريالية الجديدة ) ويستخدم الاستعمار الجديد فى تحقيق أغراضه وسائل خاصة لتحاشى المعارضة الشعبية الوطنية ، ومن ذلك الاتفاقيات الثنائية غير المتكافئة وتكبيل الدول النامية بشروط تحرمها من حرية التصرف والضغط عليها ، تتمثل في صورة معونات وقروض ، وقامة القواعد العسكرية واثارة الاضطرابات ووضعها تحت السيطرة الأجنبية وتشجيع الأقليات البيضاء التى تتمتع بامتياز اقتصادى وثقافى بارتقاء السلطة وممارسة سياسة التمييز العنصرى فضلا عن استخدام المنظمات الدولية التى تقوم عليها الدول الكبرى بدور رئيسى في الضغط على الدول النامية وتوجيه سياستها .

ويتصل بهذا الاستعمار الجديد : الاستعمار الثقافى وهو أشد خطرا وأخفى أثرا ، ويتمثل في الغزو الفكرى للدولة المسيطرة عن طريق مؤلفاتها وأخلاقها وكتاباتها ومذاهبها ودعواتها والترويج لها فى الشعوب الضعيفة الواقعة تحت نفوذها السياسى والاقتصادى ، ويتمثل هذا النوع فى الارساليات التبشيرية والمدارس الأجنبية والصحف والمؤلفات والأفلام ، وتقوم هذه المؤسسات بدور كبير فى مجال الثقافة والصحافة والتعليم ، وتعمل على تغيير القيم الأساسية للأمم وفرض مفاهيم مختلفة عن مفاهيمها التى تتمثل فيها روحها وطابعها وذوقها ، ويصب الاستعمار الثقافى أخطاره على اللغة والتاريخ والدين والعقائد ، فينشر حولها جوا من التشكيك

والسخرية وينفتح الطريق للالحاد والاباحية والتحلل والدعوات الوجودية المادية والوثنية .

## الاستعمار التركى

تتردد على ألسنة الكتاب كلمة الاحتلال التركى والاحتلال الغربى ، وتوصف الأمة العربيسة بأنها وقعت تحت سيطرة استعمارين واحتلالين . وايراد العبارات على هـذا النحو أمر مقصود له هدف بعيد : هو تصوير العلاقة التى كانت بين العرب والأتراك على انها علاقة استعمار أو احتلال وهـذا مناقض للتاريخ والواقع معا ، فالرابطة التى قامت منذ ١٥١٧م حتى ١٩١٨ م بين العرب والترك داخل نطاق الدولة العثمانية لم تكن فى الحقيقة احتلالا ولا شبيهه .

وانما كانت محاولة من محاولات الوحدة والالتقاء بين أقطار العـالم الاسلامى فى مواجهة الأخطار ، وقـد جاءت هذه الوحدة على أثر ضعف قوى السلاجقة والمماليك من بعدهم وتعرض البلاد العربية وخاصـة مصر والشام لتجـدد أخطـار الغزو الصليبى الغربى والتحـركات التى بداها الأوربيون مرة أخرى لاستئناف الحروب الصليبية . والمعروف أن العرب قـد رحبوا بالوحدة الاسلامية العثمانية بعد أن ضعفت قوى المماليك فى مصر وقوى البربر فى المغرب واصبحوا هـدفا لمحاولات صليبية جديدة ، وقـد وجدوا فى العثمانيين اخوتهم فى العقيدة منتعشا جديدا للاسلام وقوة شابة بدوية مقاتلة ، رفعت راية الاسلام عالية خفاقة واعادت ذكرى الأبطال فى سبيل اعزاز الاسلام ونشره .

كما رحب العرب فى مصر والشام بالوحدة الاسلامية العثمانية بعـد أن نقموا على دولة المماليك اهمالها شأنهم فى المرحلة الأخيرة فحـاربوا فى صفوف العثمانيين والواقع انه لم يكن فى هذه المرحلة خلاف جذرى بين العرب والترك ، فقد كان الطابع الاسلامى هو مظهر الوحدة الأساسية بين العناصر المختلفة والوحدات المنضمة تحت لواء الوحدة الاسلامية .

ومن حق أن يقـال أن العثمانيين قـد قاموا فى هذه المرحلة الأولى بتمثل مفهوم الاسلام فى نطاق الحكم وتحركوا من خلال اطاره . ويشـهد

المؤرخون بأن العثمانيين قد اقتفوا أثر الخلفاء الأولين فى العدل والتسامح وتمثلوا أعمالهم واتخذوهم قدوة ، وعملوا على جمع القلوب اليهم بتقدير العلماء الأتقياء وانشاء الجوامع والمدارس .

ومن هنا فان القول بأن هذه الرابطة بين العرب والترك كانت استعمارا انما هو من النظريات المشبوهة والعبارات المدخولة التى يحاول الغزو الفكرى والتبشير والتغريب اذاعتها واقرارها فى الأذهان .

أما ما كان من الخلاف بين الترك والعرب بعد تنحى السلطان عبد الحميد وفى ظل حكم الاتحاديين دعاة الطورانية فذلك هو الخلاف الحقيقى الذى يموه عليه خصوم المسلمين والعرب ويصفونه بأنه خلاف بين الترك والعرب وهو فى الحقيقة خلاف بين الاتحاديين أتباع الماسونية وأعوان الصهيونية وبين العرب الذين تصدروا الزعامة فى هذه الفترة .

## الأقليات

قضية الأقليات نتاج استعمارى أصيل ، فهى الأداة التى حاول الاستعمار استغلالها لتحقيق غاياته وتركيز وجوده . وهى من الوسائل التى اتخذتها الدول الأجنبية سبيلها لتحطيم الامبراطورية العثمانية وبسط نفوذها على بلاد الشرق فقد لجأت هذه الدول الى استغلال هذه الأقليات الطائفية ( كالأقليسة اليهودية والأرمنية ) وغيرها للثورة على العثمانيين ثم جاء الوقت الذى أعلنت فيه كل دولة كبرى حمايتها لطائفة من الأقليات والطوائف ، وأثارت عن طريق هذه الحماية وهذا الولاء صراعا وخلافا بلغ فى بعض مراحله حد اثارة الفتن والقلاقل ( راجع مادة فتنة عام ١٨٦٠ ) ولم تكن هذه الطوائف فى أحضان الأنظمة السياسية التى عرفها العالم الاسلامى تجد عنتا ولا ارهاقا ، بل تجد حماية وتقديرا بحكم نصوص القرآن والنظم التى رسمها الرسول والخلفاء تطبيقا للقرآن ، ولسنا نحن الذين ندافع عن هذا المفهوم ولكن لندع واحدا من الغربيين المنصفين هو كابتن غوردون كانتج يقول : ان الاقليات المسيحية واليهودية كانت تعامل على الدوام خير معاملة فى البلدان الاسلامية الى أن تأتى دولة أوربية وتستخدم تلك الأقليات لقلب الحالة كما حدث فى مسألة الأرمن والأتراك ، ان زعماء العرب فى هذا العصر وفى العصور السابقة كانوا دائما يعملون

على تلاقى هذا التنافر واصلاح ذات البين ، فاذا كان التعصب قد أخذ مجراه فى زمن من الأزمنة فقد كان المسلمون فى مذهب الحاكم ينالهم من الاضطهاد ما ينال المسلمين ، ومن الواجب أن تتخذ مبادىء (نجران) كالمثل الأعلى للزعيم المسلم : « ان دم الذمى كدم المسلمين » .

ويقول بيرونديو : لقد كان فى وسع الاسلام حل مشكلة النصارى فى الشرق بالقضاء عليهم دفعة واحدة ، ولكنه لم يفعل لأن دعوته لم تقم على الفتح فى الأساس ولم يكن ثمة اكراه فى الدين ، لهذا لم يتعرض الاسلام للنصارى واليهود ولم يخيرهم بين الموت أو اعتناق الدين الجديد بل تركهم يمارسون طقوسهم دون أن يخضعهم بشريعته . ومن هنا فانه انصافا للحق والتاريخ نقول ان مسألة الأقليات لم تكن موجودة قبل دخول النفوذ الاستعمارى للعالم الاسلامى ، ولقد ركز النفوذ الاستعمارى على الطوائف الطارئة والمتوطنة فاستخلص بشريعته فى البلاد العربية: الأرمن الأشوريين والمهاجرين من اليهود والروس واليونان والافرنج ليقاوم بهم العرب وخلق من هذه الطوائف قوى يحركها بالثورة على اهل البلاد متى تشاء ، وقد أسكنت بريطانيا الأشوريين فى شمال العراق وارادت به ما أرادت من اسكان اليهود فى فلسطين ، ولما لم تستطع انكلترا أن تخلق بالأشوريين قلاقل ذات أهمية فى العراق أعارتهم للفرنسيين الذين نقلوهم الى سورية ولبنان ليكونوا مصدر قلق لسوريا كما كانوا للعراق .

وقد انزعج المستعمر حين تم الالتقاء بين الأكثرية المسلمة والأقليات غير المسلمة وأبدى قلقا لا حد له .

وهكذا كانت محاولة المستعمر الدائبة لاستغلال الأقليات فى كل وطن وهو الذى كون فى هذه الأقليات ، ذلك الاحساس الذى يسيطر على بعضها من أنها لا تأمن على قوى خارج نطاق بلادها . وان كان هذا المعنى قد زال تماما فى بعض البلاد التى بلغ فيها الوعى القومى والوطنى درجة كبيرة . ويسيزول تدريجيا فى المناطق المتحضرة بالقضاء على عوامله الاقطاعية والقبلية والطائفية .

ويتصل بمسألة الأقليات ذلك الدور الذى قام به الصحفيون الشاميون فى مصر أو طائفة السوريون المتعاونين مع الاستعمار . فقد كان كل الدعاة

الى الآراء الهدامة المادية والالحاد والبهيموبية والتغريب من أولياء النفوذ الاستعمارى وخاصة البريطانى من أمثـال فرح أنطون ولويس صـابونجى وفارس نمر والدكتور شبلى شميل وجرجى زيدان .

وقد وصف اللورد كرومر هـذا الفريق فى مذكراته بأنهم منحة من السماء وأنهم خميرة البلاد ، ووصل بعضهم الى أعلى المراكز الادارية وفى فصل مطول من كتاب الدكتور أنيس صايغ : « الفكرة العربية فى مصر » يتحدث عن الأقليات فليرجع اليه من يشاء ومما قاله : لم يكن كل السوريين المتعاونين مع الاحتلال موظفين أو مرابين . فمنهم من أنشأ صحفا وأشهرها صحيفتا المقطم والمقتطف اللتـان أصـدرهما فارس نمر ويعقوب صروف واسكندر مكاريوس ، وكانت الصحيفتان اللسـان الناطق لسلطات الاحتلال باللغة العربيـة فأيدتا ذلك الاحتلال وقاومتا الحركات الوطنيـة بكل مافى لفظتى تأييد ومهاجمة من معان ، وكتب هؤلاء الثلاثة يدافعون عن حق الانجليز بمصر ويصفون حسنات الاستعمار ويمجدون أبطاله ويطـالبون باستمراره ويدعون أهل مصر الى الاذعان اليه لانه يحميهم من داء الوطنيـة ولم تمر بمصر حادثة واحدة الا وقفوا فيها موقفا معارضا لأمانى الشعب ، فطلبوا سجن الأحرار وعارضوا توظيف الوطنيين ، بل أنهم رحبوا باعدام الأبرياء اثر حادثة دنشواى ، وباعلان الأحكام العرفيـة واحتلال السويس وسلخ السودان عن مصر وغير ذلك من مساوىء الاحتلال .

ويرى الدكتور أنيس صايغ أن الأقليات فى كثير من فترات التـاريخ الحديث كانت تتحالف مع الاستعمار وتتنكر لحق المشاركة القومية ( راجع ص ٩٨ — ١٠١ ) .

وقـد اتصل هـذا الخط ببعض الدعوات كالفرعونيـة والفينيقية والأشورية والبابلية ، وكان لعلماء الآثار والكشوف الأثرية الحديثة أثرهم فى اعطاء مزيد من الوقود لهذه الحركات التى كانت تعتمـد أكثر ما تعتمد على ربط الحاضر بالماضى البعيد للأمم متخطية أكثر من ثلاثة عشر قرنا من تاريخ الاسلام . وقد فشلت هذه الدعوات جميعا وأكدت خطلها ، بل لقد تبين بمراجعة التاريخ الصحيح أن الفراعنة والفينيقيين والبربر وغيرهم انما هم موجات قدمت من الجزيرة العربية اصلا .

## الاقليميــــة

نستطيع أن نفهم اصطلاحات الوحدة الاقليمية اذا نظرنا الى الخلفية الأساسية التى يحركها الاستعمار والتى تستهدف التمزيق والتفرقة واعتبارها من عوامل سيادة النفوذ الأجنبى ، هذا المعنى يبدو واضحا خلف كل قضايا الوحدة القومية والدعوة الطورانية والدعوات الاقليمية واصطلاحات القومية والوطنية وكلمات الكيان الخاص والفرعونية والفينيقية والبربرية .

والمعروف أن العالم الاسلامى والأمة العربية لم تكن تعرف من قبل هذه المصطلحات المتعددة وان كانت تعتبر أن وحدة الفكر هى أساس الوحدة الاسلامية وكانت جامعة الفكر القائمة على المفاهيم المستمدة من الاسلام هى مصدر التلاقى والوحدة ، غير أن النفوذ الاستعمارى لم يكن يستطيع أن يقيم قواعد نفوذه الا على تقسيم الجماعات الوحدة الى عناصر يتبع بعضها الجنس والعرق أو يتبع اللغة أو يتبع الدين ، وكان دوما قادرا على اثارة الخلافات المذهبية بين أبناء الدين الواحد ، والخلافات بين أصحاب الأديان المختلفة ، واثارة الخلافات بين الأفريقيين والآسيويين أو بين أبناء المدن المختلفة في القطر الواحد .

وكلما وجد النفوذ الاستعمارى أن أمة بدأت تحقق وحدتها الوطنية لتلتقى فى وحدة الأمة مع جاراتها التى تربطها بها اللغة والتاريخ استعمل مخططاته فى سبيل القضاء على هذه المحاولة وبث الالغام من من جديد لاثارة الفرقة والخلاف . بل لقد بلغ الاستعمار الى أبعد من ذلك فى محاولاته للحيلولة دون الوحدة التى تقوم على رابطة الأمة وعودة الأجزاء ، والمثل الذى يضرب فى هذا أن فرنسا حكمت المغرب العربى بأقطاره الثلاثة المتجاورة المتلاصقة التى تجمعها جبال الأطلس وهى تونس والجزائر ومراكش ، ومع ذلك فقد أقامت فى كل قطر نظاما مختلفا فى عناصره الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية ، وذلك حتى لا تتلاقى هذه الأقطار ، وحتى يتم تعميق الخلاف والاقليمية بينها وكذلك فعل بين مصر والسودان ، وبين سوريا ولبنان ، ومن الحق أن يقال أن

الأمة العربيـــة كانت دائما ساعية الى الوحدة ولـــكن النفوذ الاستعمارى كان دائما يحطم هذه المحاولات واحدة بعد أخرى وقد جرت محاولة لتقديس الحدود والأعلام والعملة والنظم ، بحيث يصـــبح من العســـير انصهارها وتلاقيها . واذا كانت محاولات الوحدة بين أجزاء الأمة الواحدة عسيرة الى هذا الحد بفعل النفوذ الاستعمارى فان محاولة الترابط بين أجزاء العـــالم الاسلامى تلقى مزيدا من العسر والمقاومة .

ويجمع المؤرخون على أن أوربا منذ أخذت فى مواجهة الدولةالعثمانية والضغط عليها أثارت مسألة المسيحيين والأقليـــات ودورهم ومسئوليتهم وحقوقهم ثم توسعته فى هذا الشأن فى العالم العربى أيضا .

وقد كان بعض الأقليات أصحاب دور فى التركيز على تمزيق الـــدولة العثمانية وخاصة بعض السوريين الذين قدموا الى مصر وعملوا فى مجال الرأى والصحافة .

ثم جعل الاستعمار مسألة الأقليات فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى ورقة رابحة يلعب بها ويكبت بها كثيرا من التطلعات والمشـــاعر والأعمـــال النافعة باسم الخوف من اثارة الأقليات وكان أخطر ما قام به النفوذالأجنبى فى مصر لاثارة الخلاف بين الأقليات وغيرهم فى مصر أن نصب من الأقلية رئيسا للوزارة فأحدثت صداما استفاد منه الاستعمار تركيزا لقواعده .

## الرجـــل الأبيض

من النظريات التى يذيعها الاستعمار والتغريب ويحـــاول أن يؤكدها فى نظر الأمم الواقعـــة تحت نفوذه وسلطانه ، القول بأن الرجل الأبيض — لا الانسان عامة — هو تاج الخليقة ، وأن الغلبة فى كل صراع ينشب على وجه الأرض سواء كان بينه وبين غيره من الأجناس الملونة أو بينـــه وبين مظاهر الطبيعـــة كالجبال والغابات والبحار أو بينه وبين الوحوش ، ويرددون عبارة الكاتب الأمريكى شتانبيك ( الرجل الأبيض لا يغلب ) وهم عندما يكتبون تاريخهم يبـــدأونه بشعب أبيض ، هو شعب اليونان وينقلون زعامة البشر بعده بين أجناس بيضاء من رومان وطليان وجرمان . فاذا ظهر شعب ملون وارتفع الى مستواهم نظروا اليه بعين الذى يعتقد أنه

الصعود الذى لابد أن ينهار يوما لأن أصحابه ليسوا من الجنس الأبيض ، وقد كان ذلك موقفهم من اليابان .

ونظرية الجنس الأبيض لم تكن فى الحقيقة الا أسلوبا من أسلوب السيطرة عن طريق اخضاع بعض الأفكار الاستعمارية لمظهر علمى يخفى وراءه أهواء الاستعمار ويحاول أن يصورها بصورة الواقع المفروض ، ويقلل من أهمية هذه النظرية تاريخيا أن الدولة الرومانية سقطت فى القرن الرابع الميلادى وظلت أوربا أكثر من الف عام تعيش ظلمات القرون الوسطى بينما كانت أجناس أخرى ليست بيضاء تتولى مقاليد الحضارة الانسانية وتذيعها فى كل مكان وتقيم مجتمعات من حدود الصين الى حدود فرنسا وايطاليا فى قلب أوربا . وقد استطاعت هذه الحضارة أن تقدم للبشرية المنهج العلمى التجريبى والجذور الأساسية لمختلف العلوم الطبية والطبيعية والكيميائية والفلكية التى نماها الغرب فيما بعد وأقام بها حضارته الحديثة ومن هنا فان فكرة الجنس الأبيض نفسها لم تكن هى مصدر الحضارة .

هذا فضلا عن أن هذا الاستعلاء باللون لم يكن يوما من الأيام مصدرا من مصادر التقدم أو الامتياز ، فان الجنس الآرى الذى يوصف بأنه الانسان الأبيض قد وصل الى أوربا قادما من قلب آسيا من فارس والهند . ومع ذلك فان شأنه فى هذا يختلف عن شأنه هناك . وذلك لأن عوامل كثيرة ومختلفة هى التى أعطت الأوربيين قيادة الحضارة فى هذه المرحلة حين بلغ العرب والمسلمون مرحلة الضعف ، والرجل الأبيض الذى « ورث » تراث العلم والحضارة العربية الاسلامى قد استعلى فى غطرسة وغرور عن أن يعترف بالفضل وأنكر دور العرب والمسلمين وحاول اطلاق كلمة العصور الوسطى المظلمة على العالم كله ، وما زال ينظر الى التاريخ من حيث بدأ فى أوربا وينتهى بها . وتلك نظرة ظالمة بعيدة عن الانصاف تنكر حضارات الأمم والشعوب المختلفة التى سبقت وأثرت فى مسير الحضارة البشرية التى ليست هى نتاج الرجل الأبيض وحده ، الا أن يكون الرجل الأبيض هو وريثها والمتصرف فيها .

وقد كان الرجل الأبيض يدعى أنه ممدن البشرية ، وأن سلطانه

ونفوذه ليس الا عملا انسانيا يستهدف تحضير الشعوب وتعميرها ( واشتق اسم الاستعمار من التعمير ) ولـكن الشعوب رأت كيف كان الرجل الأبيض قاسيا وظالما وعنيفـا ، وأنه لم يكن ممدنا بقـدر ما كان مستعمرا جشعا يحرص على أن يمتلك كل شيء ، وأن يسيطر على مختلف الخامات والثروات وينقلها الى بلاده ، دون أن يترك لأصحابها الا الفتات القليل ، وأنه كان حريصا أن لا يقدم لهذه الشعوب من حضارته الا الجوانب السلبية والبراقة، التى تحمل جراثيم قتل الكيان والشخصية وتذويب القيم وتحطيم المعنويات. وذلك بقصد استدامة السيطرة وابقاء النفوذ واطالة أجل الاستعمار .وقد كشفت الأبحاث العلمية المنصفة خطأ نظرية الرجل الأبيض وتميزه عقليا أو جسميا ، وتأكد أن ماحصل عليه من التقدم العلمى انما هو تطور البشرية الطبيعى والجهد المشترك الذى ساهمت فيه مختلف العقول والقوى ، وأن هذا التميز العلمى وحده ليس هو كل شيء فى الحضارة وانما الحضارة قوى روحية ومادية ، وان العمل المادى الصرف منفصلا عن الأخلاق والدين لم يحقق الا أزمة العصر ، أزمة العالم الذى كبر عقله وتوقف قلبه عن النمو فباعد ما بين قوتيه الصانعتين لحياته .

وقد أتخذ الرجل الأبيض مفهوم روما القديم وطبقه فى العصر الحديث، فأهل روما سادة وما وراءها عبيد واستعمل قوته المادية وقدرته العلمية فى غرور وتيه ، على الانسان الملون فأوجد التفرقة العنصرية، وحاول أن يقول بالحرية والمساواة والاخاء فجعلها قاصرة على الأوربى والأبيض وحدهما، وأنكر حق الأجنـاس الملونة فيها ، وبـذلك أعطى البشرية ذلك الأسلوب المضطرب الذى أشقاها بالحضارة ، وحول العلم الى مجال الفتك والتدمير والصراع الذرى النووى الرهيب . ولم يوجهه الى منح الانسانيـة الأمن بعد الشدة أو الغنى بعد الفقر ، وكان مصدر هذا الاضطراب جميعا هو ذلك الفهم القائم على الغرور والاستعلاء ، الفهم الذى يفـرق بين الرجل الأبيض والرجل الملون حيث تكشف حقائق التـاريخ والعلم والاجتماع أن لا فروق عقلية أو جسمانية تميز جنسا عن جنس ولا لونا عن لون .

## الجامعــة الاسـلامية

كانت صيحة الجامعة الاسـلامية عندما استعلنت انمـا تعنى بجمع المسلمين فى العالم الاسلامى تحت لواء الخلافة العثمانية فى وجـه النفوذ الاستعمارى الزاحف الذى كان يخطط من أجل تمـزيق الدولة العثمانيـة وايقاع الخلاف بين العرب والترك كعنصرين تجمعهما وحدة سياسية وفكرية واجتماعية واسقاط الخلافة الاسلامية كقوة جامعة للمسلمين .

ولقد كانت دعوة الجامعة الاسلامية قسما بين السلطان عبد الحميد وجمال الدين الأفغانى . أما السلطان عبد الحميد فقد حمل لواءها منـذ تولى الحكم كمحاولة لتجميع مسلمى العالم كله مع الدولة العثمانية فى وجه النفوذ الغربى الذى كان قـد بدأ يسـيطر على كثير من أجـزاء البـلاد الاسلامية .

أما جمال الدين الأفغـانى فقد كان يطمع فى تحرير قطر من الأقطار العربية ليكون منطلقا للوحدة الاسـلامية وكان يركز على مصر بالذات فى هـذا المجال ، فلما سقطت مصر فى قبضة النفوذ الاستعمارى البريطانى عام ١٨٨٢ رأى أن يدعم دعوة عبد الحميد الى الوحدة الاسلامية الجامعة، وانتقل الى استانبول من أجل هذا الغرض غير أن حوائل كثيرة حالت دون تحقيق هـدفه ، أهمها ، مزاجه النفسى وطابعه الفكرى كداعية ومفكر وما شاب حركة السلطان عبد الحميد من معوقات وضغوط .

غير أن النفوذ الاستعمارى ومن ورائه الصهيونية العالمية كانا يعملان فى اصرار وعنف على اسقاط السلطان عبد الحميد كوسيلة لاسقاط دعوته، وقد تمكنا من ذلك عام ١٩٠٩ حيث تولى أمر الدولة العثمانية أولياء الماسونية والنفوذ الاستعمارى من زعماء الاتحاد والترقى الذين أعدوا الدولة للسقوط والتمزق الكامل بتسليمهم طرابلس الغـرب لايطاليـا ، والسماح لليهود بالاقامة فى فلسطين . ودخول حرب العالمية الأولى مع الألمان مما مهد لقيام حركة مصطفى كمال التى كانت المرحلة النهائية فى القضاء على الطـابع الاسـلامى فى الـدولة العثمانيـة بالغـاء الخـلافة والتحول الى دولة علمانية غربية .

# الجنس

تستعمل كلمة « جنس » فى الفكر العربي بمفهومين: مفهوم (الجنس) من الدم والقبيلة و ( الجنس ) من الصلة القائمة بين الرجل والمرأة ، أما الجنس بمعنى القومية فهو من خصائص الأمم ، والفكر الاسلامى يقبله ، بمفهوم له مخالف لمفهوم الغرب، فهو لا يعلى من شأنه اعلاء شأن العنصرية الغالية المصارعة بل يراه وسيلة لتلاقى الأمم على حد قول القرآن ( ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ) .

وقد استعلى نداء الجنس بوصفه العرق والعنصر استعلاء شديدا وتحرك فى دوائر مختلفة أولها استعلاء الجنس الأبيض بوصفه صاحب الحضارة وقد حاول الاستعمار أن يبرر سيطرته على الأقطار الاسلامية والأفريقية والآسوية بأنه جنس متفوق وتلك أجناس متخلفة ، وان اليه وحده أمانة الحضارة وتمدين الأمم ، وقد كذبت الوقائع هذا الادعاء فقد كشف الأوربيون والغربيون عن دخيلتهم التى تقوم على ازدراء عجيب للشعوب الملونة وخاصة اذ ساموها سوء العذاب وعملوا على الابقاء على جهلها وضعفها واستنزاف مواردها .

ثم ظهرت نزعات استعلاء الجنس فى صيحة الجنس الآرى والجنس السامى ومحاولة المفاضلة بينهما وهى صيحة مرتبطة بالدعوة الأولى ، ثم كانت دعوة الجرمان الى سيادة الدم الألمانى وغيرها من الدعوات ، وفى السنوات الأخيرة علت دعوة اليهود الى ما أسموه شعب الله المختار ،وقد كانت حرب الأجناس هى صيحة الاستعمار أساسا حين حاول اخراج الأمم من أثوابها الفكرية والروحية والنفسية القديمة التى كانت تقوم على وحدة الفكر ، فأثار دعوة العرق والعنصر فظهرت دعوة القومية الضيقة والاقليمية والكيان الخاص ، وكلها دعوات أفاد منها الاستعمار والنفوذ الأجنبى حيث استطاع السيطرة على الشعوب والأمم وحال بينها وبين الالتقاء فى وحدات شاملة توسع دائرة المقاومة والتجمع ، وقد أكد علماء الأجناس أن أجناس البشر على اختلاف ألوانها متساوية فى قدراتها

الفعلية والفكرية وأسقطوا مختلف نظريات التفرقة بين الأجناس التي حاول بها الاستعمار والنفوذ الأجنبي فرض سيادته .

أما مفهوم الجنس بوصفه الصلة بين الرجل والمرأة ، فان الاسلام ينظر اليه بغير تعقيد ولا يثير حوله الأزمات خلافا لنظرة الفكر الغربي اليه، لأنه يجعله من المباح فى حدود الشريعة ، ويفسح له المجال فى العمل . ويضع له الضوابط التى تكفل له سلامة الاتصال وبعده عن التفسخ والاضطراب والأزمات . ويقول الامام ابن قيم الجوزية :

( ان الاتصال الجنسى تحفظ به الصحة وتتم به اللذة وسرور النفس وتحصل به مقاصده التى وضع لأجلها ) .

ولا ينظر الاسلام للجنس نظرة بعض الديانات الأخرى من أنه ثمرة خطيئة ولا ينظر اليه نظرة بعض الفلسفات من اطلاقه بغير ضوابطونظم، فالاسلام يأمر بالعفة اذا عجز الشاب عن الزواج . وبذلك يكون الزواج هو الطريق المفتوح أمام الجنس الطبيعى السليم ، وذلك فى مواجهة خطأ الفلسفات التى تدعو الى حصر الزواج فى أضيق نطاق وتمنعه على بعض الزعماء الروحيين وتمنع زواج الأرملة والمطلقة .

وقد رفع الاسلام منشأن المرأة وتنزيه لها عنأن تكونأداة لمتعةالرجل(١) وذلك لأن الرجل الذى يمارس الجنس مع المرأة دون أن يرتبط بها ولا أن يحمل أولادها اسمه انما يخفى احتقارا للمرأة . فتحريم الزنا يعنى تحريم احتقار المرأة — واكتمال الحرية الشخصية للرجل والمرأة انما يكون بحق الزواج ثم بحق الطلاق لا بالتفريط ولا بالاباحة الجنسية فليست الاباحة مرادفة للحرية . وكما عبرت عقوبة الزنا عن احترام عميق للمرأة وتقدير للجنس فان الطلاق يعنى حرية تصحيح الخطأ والبدء من جديد وانقاذالأسرة بدلا من أن تسحق تحت حقد الفشل والكراهية .

---

(١) محمد جلال كشك : ( دراسة فى فكر منحل ) .

ولقد ظهرت فى الفكر العربى الحديث نظريات ودعـوات تعلى من شأن الجنس وفق مفهوم الاباحة والكشف على أسس من الفلسفة المادية والنظرة المدمرة التى تبثها الماسونية والتى تحمل طابع الطمع وخطورته .

وكان أقوى من حمل لواء هذه الدعوة فرويد فى دراسـات النفس ولورنس في الأدب وسارتر فى مذاهب الفلسفة . ولمـا كانت هذه الدعوة لها خلفية تتصل بأهداف الصهيونية العالميـة التى وردت فى بروتوكولات صهيون التى تدعو الى تدمير الجنس البشرى وتحطيم معنوياته فقد وجدت سبيلها الى الفكر العربى الاسلامى والثقافة العربية عن طريق غـزوات التغريب والنفوذ الأجنبى والاستعمار الفكرى . وقد وجدت هذه الدعوات مجالا خصبا فى الآداب الأوربية والقصة ، واتخـذ مذاهب فرويد أساسا للقصة والأدب المعاصر ومنه امتدت خيوط الى الأدب العـربى والثقـافات الاسلامية .

وتحمل نظريات الجنس دعوة مدمرة خطيرة الى التحلل والانطـلاق والقضاء على مختلف الضوابط والقيم فى مجال علاقات المرأة بالرجـل ، ويستهدف النفوذ الاستعماري والغزو الثقفي من هذا التركيز علي هـذه المعانى فى المحيط العربى الاسلامي نتيجة أساسية وهى : أن تدمير الجنس فى أمة من الأمم يضمن دمارها وانحلالها وزوالهـا . والمعروف أن انحلال الحضارات المختلفة فى التاريخ كله قد ارتبط بالانحلال الاجتماعى والأخلاقى . وأن الانحلال الجنسى الموجود الآن فى قلب الحضارة الغربية انما هو علامة خطيرة من العلامات التى تشير الى نهاية هذه الحضارة .

## العالميـــة

الدعوة الى العالمية لها مفهوم انساني يبهر النفس ويعجب العقل . ولكن لكل مفاهيمه وموازينه ، والدعوة الى العالمية فى هـذه المرحلة التى يمر بها العالم الاسلامى والأمة العربية انما تستهدف أخطـارا كبيرة على الأمم فى حالات الضعف أو حالات وقوعها تحت نفوذ الاستعمار أو قبل أن تتكامل قواها ، وأن الدعوة الي الأممية أو العالمية فى هذه المرحلة بالذات انما هى محاولة لتذويب الأمم ذات الحضـارات والثقـافات المتميزة فى

حضارة الغالب وثقافته والقضاء على قدرتها فى المقاومة أو التميز بكيانها الذاتى وشخصيتها الخاصة . فالعالمية مذهب فلسفى ينكر حقيقة الأوطان ويرى أن انقسام العالم الى أمم متعادية او متناحرة مضاد للعدالة والأخوة الانسانية ، ومن شأن الفوارق الطبيعية والأخلاقية والاجتماعية والروحية والجغرافية والتاريخية واللغوية — وهى عميقة الجذور بعيدة الأصول فى البشر الى درجة كبيرة — من شأنها أن تجعل قيام وحدة فكر انسانية شاملة أمرا بعيدا بل مستحيلا « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين » .

ومن الانصاف أن يقال ان هناك جوانب تلتقى فيها الأمم . وأن هناك جوانب أخرى من العسير التقاؤها حولها . واهم هذه الجوانب العسيرة الأخلاق والعادات والآداب والتقاليد والأذواق والروح . فليس فى الامكان القول بأن هنـاك خلقا وذوقا عالميا بل ليس هناك خلق وذوق أوربى . ولكن هناك خلقا وأدبا وذوقا وروحا انجليزية ومثلها فرنسية ومثلها روسية وللعرب والمسلمين خلق وتقاليد وآداب وذوق مختلف ، هـذه الأمور هى من مقومات كل أمة ومنبع الهامها ويرجع هذا التباين الى عوامل كثيرة ذاتية من الدم الى الجنس الىالبيئة الى الدين الى اللغة الى التاريخ الىالسجايا والمفاخر مما يجعل من الاستحالة التقاء الأمم فى العالمية .

ولا شك أن من وراء الدعـوة الى العالميـة أهـدافا يحمل لواءها الطامعون والأقـوياء . فهنـاك الدعوة العالميـة تحت لواء الحضـارة الرأسمالية . وهنـاك الدعوة الأممية التى تحمل لواءها الماركسية وهناك دعوة العالميـة التى تطمع الصهيونية فى تحقيقها . وذلك بالسيادة على البشر جميعها تحت لواء زعامة شعب الله المختار .

## الوطنيـــة

برزت فى العصر الحديث فكرة (الوطنية) كما برزت فكرة (القومية)، وظل الباحثون يضطربون فى التفرقة بينهما وتحديد مفهوم كل منهما بحيث لايتداخلان ، وقـد استقر الرأى على أن الوطنيـة تتصل بالأرض كما أن القومية تتصل بالعرق والدم والأمة ، فالمصريون حين يتحـدثون عن مصر

أرضها وسمائها وكيان وجودهم فيها فهى وطنيـــة ، وحين يتحـدثون عن أمتهم وأرومتهم وأعراقهم فهى قومية ، الأولى تتصل بأرض مصر والأخرى تتصل بالأمة العربية ، ولقد حاول النفوذ الاستعمارى والتغـريب والغزو الثقافى بلبلة الثقافة العربيـــة بهذه المصطلحات والقاء التعارض والمضادة بينها ، واعلاء شأن الوطنيـــة الضيقة ، ومحاولة جعلها قومية حتى تفصل المصريين عن العرب ، وكذلك فعل الاستعمار فى سوريا وفى المغرب وفى لبنـــان ، للحيلولة دون قيام فكر موحد قومى يجمع الأمة العربية فى كيان واحد ، واثارة خلافات قديمة بائدة ، والتركيز على ملامح طبيعية يختلف فيها كل قطر عن الآخر لخلق روح الاقليمية مرتبطة بتحويل الوطنيـــة الى قومية ، غير أن هذه المحاولات عجزت عن أن تحقق هدفها ثم برزت نظرة شاملة من وراء انحراف دعوات الوطنيـــة بالمفهوم الضيق ، أو القوميـــة بالمفهوم الغربى ، تقوم على الترابط بين حلقات ثلاث :

فى الوطن الواحد : الوطنية بمعنى الأرض وهى تتعلق بالأرض فى كل قطر والقومية بمعنى الأمة وهى تمثل الوحدة العربية .

ووحدة الفكر فى مجال الثقافة التى ترتبط باللغة والتاريخ والتراث ذى المصدر الواحد ، فالمصرى يرتبط بوحدة الأرض الوطنية وبوحدة الأمة العربية ووحدة الفكرة الاسلامية .

وكذلك العراقى والسورى والمغربى وهكذا .

ولا سبيل الى الفصل بين الحلقات الثـلاث ، ولا ســبيل لأن يقبل العربى انفصاله عن مصادر ثقافته ووحدته الفكرية ، ولا سبيل الى قبوله الوطنيـــة المجردة من روح العروبة وما يزال الاســلام عاملا أساسيا فى أرضية الوحدة الثقافيـــة والقومية . وقــد اســتحال أن تقبل الثقافـــة العربية مفهوما للوطنيـــة أو القومية مستوردا من تجربة الغرب . فتلك تجربته الخاصة التى صاغها وفق ظروفه وعصره ومقومات فكره وتراثه ، وليست هى بالتالى قابلة لفرضها على أمة أخـرى له فكرها وله مقومات

شخصيتها وكيانها وذوقها ومزاجها وتراثها الخالص الذى كونته أعصر طويلة خلال أربعة عشر قرنا ، وقد عجزت قوى التغريب عن صهر الثقافة العربية والأمة العربية فى قوالبها التى ارادت بها أن تصهرها فى بوتقة الثقافة العالمية : أى ثقافة الاستعمار المسيطر نفسه .

## الاتحاديون وليس السلطان عبد الحميد

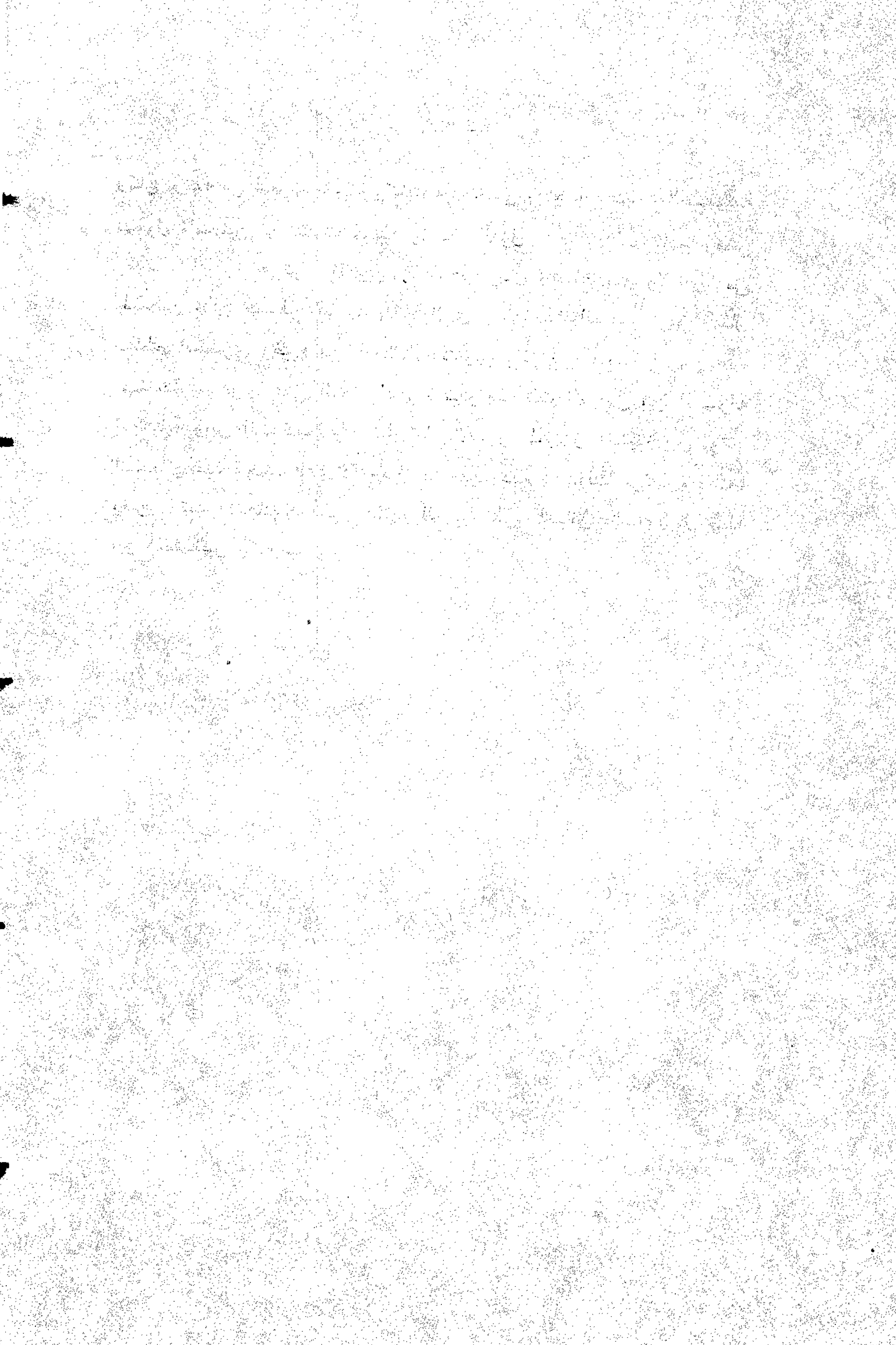
هناك خطأ ذائع وشائع ، هو أن الدولة العثانية هى التى أساءت الي العرب وعلقتهم على المشانق وأوجدت الفرقة والخلاف ، وكانت سببا فيما ترتب على ذلك من سيطرة فرنسا وانجلترا على الشام بأجزائه الأربعة ( فلسطين والأردن وسوريا ولبنان ) وكذلك العراق وذلك بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ وبعد أن اتفق العرب مع بريطانيا على اقامة دولة عربية نظير تأييدهم لها .

والحق أن الدولة العثمانية كلمة مبهمة عامة ، والحقيقة أن ( حزب تركيا الفتاة المسمى الاتحاد والترقى ) الذى تولى السلطة من عام ١٩٠٨ حتى عام ١٩١٨ هو الذى دمر العلاقات بين العرب والترك بدعوته الى الطورانية ومحاولته تتريك العرب والقضاء على لغتهم وتعليق زعمائهم على المشانق عام ١٩١٦ .

والاتحاديون جماعة سرية كانت بايعاز من النفوذ الاستعمارى والمنظمات الماسونية العاملة لحساب الصهيونية العالمية ، تعمل على اسقاط السلطان عبد الحميد حامل لواء الدعوة الى الجامعة الاسلامية ، وتعد العدة لتمزيق الدولة العثمانية وتسليم الأجزاء العربية وغير العربية منها الى الدولة الأوربية على النحو الذى وقع فعلا وذلك باعلاء طابع القومية التركية والعنصرية الطورانية .

أما السلطان عبد الحميد فقد كان يدعو الى توسيع جبهة المقاومة على النفوذ الأجنبى وذلك بربط مسلمى آسيا وأفريقيا بالدولة العثمانية

وكان موقفه من العرب مشرفا وكانت اجابته فى مواجهة تحديات الصهيونية لدخول فلسطين من أشرف ماقاله رؤساء الدول وزعماء الأمم عندما رفض رفضا باتا اغراء هرتزل بالملايين من الذهب وقال ( تقطع يدى ولا أفرط فى فلسطين ، ان فلسطين ليست ملكا لبلادى ولكنها ملك العرب ) ولكن أمثال ساطع الحصرى وغيره من الباحثين المتأثرين بأغراض خاصة يطوون هذه الصفحةويموهونها على النحو الذى لا تبدو فيه تلك الفوارق بين الـــدولة العثمانية وبين الاتحاديين واضحة كما يطمسون الفوارق الدقيقة بين موقف السلطان عبد الحميد الذى دافععن فلسطين ودفع ثمن ذلك عرشـه وحيانه، وبين موقف الاتحاديين الذين علقوا العرب على المشانق فقطعوا كل صلة بين العثمانيين والعرب .



# الباب الثامن

## الكتب والمؤلفات

الف ليلة وليلة
شمائل المصريين المحدثين
الأغانى
البيان والتبين
المضنون به على غير أهله
الامامة والسياسة
المنجد
دائرة المعارف الاسلامية
يقظة العرب
الموسوعة العربية الميسرة
تحرير المرأة
حديث الأربعاء
الأخلاق عند الغزالى
على هامش السيرة
فى الأدب الجاهلى

عبقرية الحضارة العربية
تاريخ الحضارات العام
الجام العوام فى علم الكلام
روح الاسلام
بندلى جوزى
الدين بين السائل والمجيب
محمد رسول الحرية
مسألة الحسين شهيدا
العبقريات
الفلسفة القرآنية
كتاب الله ( العقاد ـ مصطفى محمود )
حياة محمد
تفسير عصرى للقرآن

## الف ليلة وليلة

من أخطر شبهات التغريب محاولة اعتبار كتاب ( الف ليلة وليلة ) مصدرا تاريخيا ممثلا لحياة العالم الاسلامى ، فقد جرت محاولات متعددة لاعتبار القصص الذى تضمه الف ليلة ممثلا لحياة العرب والمسلمين بصفة عامة بينما تكشف اقل مراجعة لمصادر الف ليلة عن انه تراث ايرانى وهندى سابق للاسلام ، وانه لا يمثل بحال صورة المجتمع الاسلامى العربى ، أو مفاهيم الفكر العربى ، وقد حكى المؤرخ الكبير المسعودى المتوفى ٩٥٦م ( القرن الثالث الهجرى ) فى كتابه ( مروج الذهب ) عن وجود كتاب قديم بالفارسية أو بالفهلوية يحكى عن ملك وعن بنت وزيره ( شهر زاد ) وخادمتها دين زاد وقد أشار اليه ابن النديم مؤلف الفهرست المتوفى ٩٠٥هـ مجملا ، وقال انه كتاب الحماقة والسيئات، كما أشار اليه المؤرخ القرطبى، وقد كانت كل اشارات المؤرخين المسلمين اليه اشارات تحمل طابع الرفض والامتهان والنص على انه مصدر ساقط فى انظار العلماء والباحثين على حد عبارة الدكتور سنيتى كمارجترجى فى مجلة ثقافة الهند ( ينـاير ١٩٦٢ ) .

ومعنى هذا : أن لكتاب الف ليلة أصلا كان سابقا للاسلام وأن مصدره أساطير هندية وفارسية ، وقد ظل العرب يتناقلونه بعد ترجمته كوسيلة من وسائل الترف ويضيفون اليه حكايات جديدة ، كما أضيفت اليه فى العهود المختلفة وآخرها عهد دولة المماليك ومسامرات أهل بغداد والقاهرة .

ومن هنا نرى خطر الاستعانة به كمصدر لدراسة حياة المجتمع الاسلامى بل على حد اتجاه بعض المستشرقين ودعاة التغريب من اعتباره مصدرا وحيدا فى رسم صورة زائفة .

ومما يذكر أن أول من أبدى اهتماما ازاء الف ليلة وليلة هو جاسوس انجليزى مغامر ( ريتشارد بيرتون ) عام ١٨٨٣ وهو واحد من أولئك الذين

كانوا يتخفون فى زياراتهم للبـــلاد العربية ويلبسون العباءة العربية أمثال لورنس وفيلبي وكان يطلق على نفسه فى دمشق الحاج عبد الله والمعروف أنه تصرف فى النقل على النحو الذى يخدم أهدافه .

ومن الحق أن يقال أنه مهما تكن صورة الحياة التى ترسمها الفاليلة فهى ليست قطعا صورة المرأة العربية أو المسلمة ، فقد غير الاسلام نظرة المرأة الى الحياة كما غير واقعها تماما فلم تكن فى مفهومه ولا فى مجتمعه الأصيل أداة جنس أو مصدر غايات حسية ، كما كانت فى مفهوم المجتمع الوثنى أو الجاهلى ، وحتى بعد أن اضطربت الحياة في المجتمع الاسلامى فقد ظل هنـــاك فارق واضح وحاجز كبير بين ماكانوا يسمونها ( الغانية ) وبين ذات الصون والعفاف .

وقد حوى ألف ليلة صورة مشوهة عن المجتمع العـــربى الاسلامى يزيد فى زيفها أن قصصه تمثل أمما مختلفة وعصورا متبـــاينة وأن الجانب الأكبر منه كان موجودا قبل الاسلام : وقـــد اضـــاف المترجمون الغربيون ـــ بالقصد العمد ـــ القائم على التعصب والخصومة ، أضافوا الى بشاعة الصورة التى يحملها الــكتاب اضافات زادته فسادا ، فقد أشار ( غالان ) المستشرق الفرنسى الذى ترجم الف ليلة لأول مرة عام ١٧٠٤ م بأنه «فرنج» الـــكتاب ليلائم ذوق قارئه وأنه ركز على صور الرفاهية والترف وانه عمد الى رسم ما سماه : صورة الشرق الحيوانى .

وكان أن استقى من هذه الترجمة باحث آخر هو المستشرق ( لين ) أرضية كتابه ( وكذلك الف كثيرون ) عن المجتمع الاسلامى اعتمادا على هذه الصورة . وقال ريتشرد بيرتون ( الانجليزى ) فى مقدمة ترجمته لألف ليلة انه انما أراد منها أن يتعرف مواطنوه مما فيه الــكفاية على طباع المسلمين وعاداتهم وأخلاقهم ليكون لديهم الحنكة الضرورية لحكم المسلمين الواقعين ضمن امبراطوريتهم .

وقد أخطأ هذا المستشرق فى تقديم هـــذه الصورة للمستعمرين لأنها لاتمثل المسلمين والعرب من قريب أو بعيد ، كذلك فقد أخطأ المستعمرون فى الاعتماد عليها كأساس لمعرفة أخلاق المجتمع الاسلامى المختلف عن ذلك اختلافا كبيرا .

## شمائل المصريين المحـدثين

يمثل نظرة رجل غريب عن مصر والشرق رسم صورة لمجتمع مصر فى العهد الذى أعقب الحملة الفرنسية واهتم برصـد الناحية الاجتماعية والعادات والتقاليد بهدف مبيت أشار اليه فى المقدمة حين قال أنه أراد أن يجعل مواطنيه الانجليز أحسن معرفة للطبقـات المختلفة فى أمة من أهم أمم العالم وهو من أسوأ الـكتب التى وضعت للطعن فى قـدر المصريين والعرب والمسلمين ومن قـدر حضارتهم ومجتمعاتهم ومهمتهم الأساسية . هذا الكتاب الذى الفه المستشرق ( ادوارد وليم لين ) وقصـد فيـه الى التقاط كل ما يتعلق بالعادات والخرافات والأساطير ومحاولة تلفيقها فى صورة زائفة يراد بها تقديم صورة للمجتمع المصرى ، وهى صـورة ليس فيها شيء من الحق أو الانصاف وليس فيها أى قـدر للصدق أو التحقيق العلمى . وكان ادوارد لين قد قـدم الى مصر عام ١٨٢٥ لدراسـة آثار المصريين القـدماء ، واتخذ له منزلا فى بعض الأحيـاء الشعبية وادعى الاسلام وأطلق على نفسه اسم منصور افنـدى ولبس ملابس الأتراك ، وبذلك أحاط نفسه بجو من الثقة مكنه من خداع الوطنيين وتحقيق هدفه فى تجميع خيوط وهمية نسبها الى الاسلام فقد أخذ يتصل بالطرق الصوفية وموالد الأولياء ويجمع ما يردده العـامة من أحاديث الخوارق والخرافات والبدع ، ثم صنع من هـذا كله دراسـة فى جـزاين كبيرين كانت كسبا ضخما لدوائر الاستشراق فى أوربا اذ بلغ الاهتمام بها قدرا كبيرا وتناقلتها اللغات المختلفـة واعتبرت لدى المبشرين والمستشرقين مرجعـا يعتمدون عليه ، وقـد عنيت دائرة المعـارف الاسـلامية التى انشـأها متعصبو الاستشراق بهذا الكتاب واعتبرته مرجعا فهى تنقل منه هذه الخرافات على أنها حقائق . وقـد جرى هـذا المجرى من بعد ( أحمد أمين ) حين لبى نداء هؤلاء العتاة فى انشاء قاموس للعادات والتقاليد الشعبية ونقل كثيرا مما كتبه ( لين ) وجرى مجراه فكان ذلك من الأمور الخطيرة البعيـدة عن التحقيق العلمى .

هذا وقد حرف المترجم الفصل الذى تحـدث فيـه المؤلف عن الدين الاسلامى وأحكامه ولم يحتفظ بأمانة النقل .

## الأغـــانى

( الأغانى ) كتاب أدبى فى بضعة وعشرين مجلدا وضعه أبو الفرج الأصفهاني ليسامر به الأمراء والفارغين من المترفين فى أسمار الليل ، ولم يقصد به الى العلم أو التاريخ . وكان الأصفهانى فى نفســه انسانا رافضا لمجتمع المسلمين والعرب وله ولاء بالمولد وبالفكر جميعا الى خصوم المسلمين والباطنية والرافضة وغيرهم ، ولم يكن عمله هــذا الا نوعا من الحرب العنيفــة التى شنتها الشعوبية على الاســلام والمسلمين والعرب رغبة فى هدم فكرهم كوسيلة الى هدم مجتمعهم .

ولقد حرص التغريب وأصحاب نظرية النقد الأدبى الغربى الوافــدة على القاء الأضواء الساطعة على هذا الــكتاب واحيائه واعتباره مرجعا فى الدراسات الأدبية ، ومصدرا لتصوير المجتمع الاسلامى ، وكان الدكتور طه حسين جزاه الله أبرز من دعوا الى ذلك والحوا عليه فقــد عمد الى الأغانى نفسها فاستصدر اعتمادا على قصصها أحكاما زائفــة على مجتمع المسلمين وتاريخهم أراد بهما المساهمة فى عملية التغريب الضــخمة التى كانت تجرى فى الثلاثينات من هذا القرن .

غير أن اقل مراجعــة لسيرة الأصفهانى تــكشف عن أنه كان من الشعوبيين ، وقد عرف بالتحايل والاغــراق ، واثبته كثير من البــاحثين والمؤرخين انه لم يكن مؤرخا .

واكدوا أن كتابه لا يصلح لأن يكون مادة تاريخ ، وانمــا هو جمــاع لقصص وجدها فى الكتب والأسواق وأراد بها أن يسجل للأغانى والمغنين وهو جانب واحد من حيــاة المجتمع الاسلامى الحافل بالجوانب السياسية والاجتماعية والفقهية والصوفيــة ، وقــد شهد عليه الكثير من معاصريه ومؤرخيه بالانحراف ودمغه المؤرخ البوسقى تدمغه بشهادة فى نظر العلماء كمصدر موثوق به اذ قال « ان أبا الفرج أكذب الناس لأنه كان يدخل سوق الوراقين وهى عدة من الدكاكين مملوءة بالكتب فيشترى منهــا شيئا كثيرا من الصحف ويحملها الى بيته ثم تكون رواياته كلها منها » وذكر عنه صاحب معجم الأدباء ( جـ ٥ ص ١٥٣ ) قوله :

( كان شأنه فى معاقرة الخمر وحب الغلمان ووصف النساء شأن الشعراء والأدباء الذين كانوا فى عصره أو قبله ، حيث يقدم دهاقين الخمارين وجلهم من النصارى واليهود والصابئين والمجوس ، وقد عرف بمعاقرته للخمر ولم تكن له عناية بتنظيف جسمه وثيابه ) .

وقال عنه الصابى فى كتابه الذى الفه فى أخبار الوزير المهلبى ( وكان أبو الفرج الأصفهانى وسخا قذرا لم يغسل له ثوبا منذ فصله الى أن قطعه وكان الناس يحذرون لسانه ويتقون هجاءه ، ويصدون عن مجالسته ومعاشرته على كل صعب من أمره لأنه كان وسخا فى نفسه وثوبه ونعله ) .

وحكى القاضى أبو على المحسنى التنوخى فى كتابه نشوار المحاضرة: « ان أبا الفرج كان أكولا نهما وكان اذا أطل الطعام وثقل على معدته تناول خمسة دراهم فلفلا مدقوقا ولا يؤذيه ولا تدمع له عيناه وبعد ساعة أو ساعتين يفصد » .

ولست أدرى كيف يصلح مثل هذا الكاتب مرجعا فى نظر الباحثين، أو يمكن أن يؤتمن على رأى أو قول ، ولقد عودتنا مناهج الفكر العربى الاسلامى أن ننظر الى الكاتب قبل أن ننظر الى كتابه فان وجدناه أمينا كريما موضع تقدير الناس بالصدق والحق قبلنا منه والا رفضنا ما يقدمه ولو كان صادقا فى بعضه — وقد أشار الدكتور زكى مبارك فى كتابه ( النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى ) الى مكانة الأصفهانى وكتابه الأغانى فى بحث مطول نجتزىء منه قوله : ( وشهرة الأصفهانى وكتابه مستفيضة وانما أريد هنا أن أنص على ناحيتين فى الأصفهانى وكتابه لم أجد من تنبه لهما من الباحثين . ولهاتين الناحيتين أهمية عظيمة فى فهم الحياة الأدبية وسيكون لهما أثر عظيم فى دعوة المؤلفين الى الاحتياط حين يرجعون الى كتاب الأغانى يلتمسون الشواهد فى الأدب والتاريخ ( الناحية الأولى ) خاصة بالأصفهانى ، تلك الناحية هى خلقه الشخصى فقد كان الأصفهانى مسرفا أشنع الاسراف فى الملذات والشهوات ، وقد كان لهذا الجانب فى تكوينه الخلقى أثر ظاهر فى كتابه ، فان كتاب الأغانى

أحفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون ، وهو حين يعرض للكتاب والشعراء يهتم بسرد الجوانب الضعيفة فى أخلاقهم الشخصية ويهمل الجوانب الجدية اهمالا ظاهرا ، يدل على أنه كان قليل العناية بتدوين أخبار الجد والرزانة والتجمل والاعتدال ، وهذه الناحية من الأصفهانى أفسدت كثيرا من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه . ونظرة فيما كتبه جرجى زيدان فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية وما كتبه الدكتور طه حسين فى حديث الأربعاء تكفى للاقتناع بأن الاعتماد على كتاب الأغانى جر هذين الباحثين الى الحط من أخلاق الجماهير فى عصر الدولة العباسية وحملها على الحكم بأن ذلك العصر كان عصر فسق وشك ومجون .

« ولا شك أن اكثار الأصفهانى من تتبع سقطات الشعراء وتلمس هفوات الكتاب جعل فى كتابه جوا مشبعا بأوزار الاثم والغواية وأذاع فى الناس فكرة خاطئة هى اقتران العبقرية بالنزق والطيش .

( أما الناحية الثانية ) فهى خاصة بكتاب الأغانى : تلك الناحية هى نظم ذلك الكتاب ، ففى مقدمته عبارات صريحة فى الدلالة على أن مؤلفه قصر اهتمامه أو كاد على امتاع النفوس والقلوب والأذواق ، فهو كتاب أدب لا كتاب تاريخ ، وأريد بذلك أن المؤلف أراد أن يقدم لأهل عصره أكبر مجموعة تغذى بها الأندية ومجامع السمر مواطن اللهو ، وأنه ليحدثنا فى المقدمة بأنه أتى فى كل فصل من كتابه بفقرة اذا تأملها قارئها لم يزل متنقلا بها من فائدة الى مثلها ، ومتصرفا فيها بين جد وهزل . وأخبرنا بعد ذلك بأنه اهتم بالغناء الذى عرف له قصة تستفاد وحديثا يستحسن وعلل ذلك بقوله « اذ ليس لكل الأغانى خبر نعرفه » .

وقال زكى مبارك : والخطر كل الخطر أن يطمئن الباحثون الى أن روايات الأغانى قيمة تاريخية وأن يبنوا على أساسها مايشيرون من حقائق التاريخ ولاسيما وأن صاحب الأغانى يصارحنا بأن « فى طباع البشر الانتقال من شىء الى شىء والاستراحة من معهود الى مستجد » .

وهكذا تبدو صورة كتاب الأغانى على حقيقتها أمام الباحثين .

## البيـــان والتبيين

واجه كتاب البيان والتبين للجاحظ حملة عاصفة من النقد والتجريح من كاتبين شهيرين هما سلامة موسى وطه حسين بينما حظى بعض كتب الجاحظ بتقدير هذين الكاتبين . وهذا موضع الغرابة التى تكشف عنهـــا عناصر هذا الـــكتاب .

« فنقطة الانطلاق فى هذا الكتاب هى مواجهة دعاة الشعوبية وتوضيح ما للعرب من مزايا فى لغتهم وبيـــانهم وبديهيتهم وسرعة خاطرهم وذلك أن المفاضلة بين العرب وسواهم فى هذا الباب كانت من المسائل التى عنى بها الشعوبيون وخصومهم وخاصة فى مجال الخطابة » فقد دافع الجاحظ عن العرب وبيانهم وتكلم عن الخطابة عندهم والكتابة وعن شعرهم ولهجاتهم ونوادرهم ومناظراتهم ورويتهم وبديهتهم ، وذكر عددا من شعرائهم وخطبائهم وكتابهم وأشار بما جبل عليه العرب من بلاغة وقوة عارضـــة فى بواديهم وحواضرهم ، ويتمثل هذا الجزء الذى أزعج دعاة التغريب ( وهـــو الجزء الثالث ) الذى أطلق عليه : الشعوبية ومن يتحلى باسم السـوية وقـــد وصفهم بذلك لأن ظاهر دعوتهم كانت المطالبة بالتسوية بين العنصر العربى والعناصر الأخرى بعد أن بين آراء الشعوبية ومزاعمهم ورد عليهـــا فبين أولا أن اليونانيين انما كانوا أصحاب فلسفة ومنطق لا أصحاب خطابه وأن الهنود كانوا أصحاب حكمة وأدب ، وأنه لم يشتهر بالخطابة حقا الا العرب والفرس ثم فرق بين خطابة الفرس وخطابة العرب .

وقال ان كل كلام للفرس وكل معنى للعجم انما هو عن حول فـــكرة وعن اجتهاد وخلوة ، وكل شىء للعرب انما هو بديهية وارتجال وكأنه الهام وليست هناك معاناة » .

## المضنون به على غير أهله

نسب الى الامام الغزالى كتاب يطلق عليه اسم « المضنون به على غير أهله » وقد كتبت المصادر المختلفة هذه النسبة وفى مقدمتها ما ذكره السيد المرتضى الزبيدى فى شرح الاحياء قال : اعلم أنه عزى الى الشيخ كتب منها ( المضنون به على غير أهله ) ، قال ابن الســـبكى : ذكر ابن

الصلاح أنه منسوب اليه ، وقال معاذ الله أن يكون له . وبين سبب كونه مختلفا عليه والأمر كما قال وقد اشتمل الكتاب المكذوب على الغزالى على التصريح بقدم العالم ونفى علم القديم بالجزئيـــات وفى ( المسامرة ) لمحيى الدين عربى : أن هذا الكتاب من تأليف على بن خليل السبيتى ، وكذا صرح صاحب تحفة الارشاد بأنه موضوع عليه .

## الامامــة والسياســة

تردد أن كتاب الامامة والسياسة هو من تأليف ابن قتيبـــة وهو من الأخطاء الشائعة ، التى نقلها الوراقون حين طبعوا مثل هذا الكتاب ويؤكد خطأهم عدد من الثقاة المحققين ويقول السيد محب الدين الخطيب رحمه الله:

« كتاب الامامة والسياســـة : لقيط مجهول النسب ، وابن قتيبـــة برىء منه ولم يذكر له مترجموه كتابا بهذا الاسم . وأسلوب القول فيـــه يخالف أسلوب ابن قتيبة فى كتاب ( المعارف ) وفى سائر كتبه ، والكتاب يشعر بأن مؤلفـــه كان بدمشـــق وابن قتيبـــة لم يخرج من بغداد الا الى الدينور ، والمؤلف يروى عن أبى ليلى ، وابو ليلى كان قاضيا بالكوفة قبل مولد ابن قتيبـــة بنحو مائة وعشرين سنة ، ويذكر فتح موسى بن نصـــير لمراكش وهذه المدينة شيدها يوسف بن تاشفين بعد ابن قتيبة بمائة سنة . فكتاب الامامة والسياسة لا يجوز لمؤلف أن يجعله من مصادره » .

## المنجـــد

قاموس المنجد : يشتمل على قاموسين : قاموس للألفاظ اللغوية ، وهـــذا ليس موضع المناقشة الآن ، وقاموس أطلق علية ( معجم الآداب ) اعداد فردنيان توتل وهو القاموس الحافل بالأخطاء والشبهات ، والذى عرض له عديد من الباحثين ، وكشفوا عن أخطائه وفى مقدمتهم العـــلامة عبد الله كنون الذى نشر فى مجلة دعـــوة الحق المغربيـــة أكثر من عشرة فصول عنه تضم أكثر من أربعمائة خطأ شائع : تاريخى وعلمى ، وقـــد قرأت أولى تخطئة لمنجد فى مجلة الفتح عام ١٩٢٦ و١٩٢٧ وقـــد أحصى عبد الستار فراج فى مجلة العربى للمنجد مائة خطأ تاريخى ولغوى وجغرافى

من الأخطاء الصارخة ( مما يجب أن يحذف أو يصحح أو يصاغ بطريقة تبرئه من الشك والابهام ) .

وأشار الى أن المؤلف قد اعتمد على دائرة المعارف الاسلامية التى وضعها كبار المستشرقين ، وعلى كتاب التمدن الاسلامى لجرجى زيدان وعلى كتاب بروكلمان وكلها منقوضة .

وأسوأ مافى القاموس مادة « محمد » وهى فى عبارتها تنضح بالتعصب والحقد وفساد المنهج والبعد عن العلمية والانصاف .

يقول : « محمد نبى المسلمين من بنى هاشم تزوج من خديجة ورزق منها فاطمة ، دعا الأعراب الى الاسلام وانتصر على المكيين فى بدر ولكنهم غلبوه فى أحد فحاربهم فى حنين ودخل مكة ظافرا » .

ولا شك أن قاموس المنجد من أخطر القواميس التى فى كل الأيدى والمحملة بالأخطاء وخاصة فيما تحاول أن تدخله الى الألفاظ العربية من مصطلحات كنسية وطائفية ولاهوتية ، وهى الفاظ ليست عربية أصلا فضلا عن أنه يفسرها تفسيرا لا يتفق مع مفاهيم الاسلام .

## دائرة المعارف الاسلامية

وضعت دائرة المعارف باللغات الأوربية فى دوائر الاستعمار والاستشراق والتبشير بهدف أساسى هو أن تكون مادة فى أيدى الخبراء والمبعوثين الذين ترسلهم دوائر وزارات الاستعمار الى عالم الاسلام والعروبة ، ولذلك فهى تنضح بالحقد والتعصب والشكوك والاضطراب وقد كتبها جهابذة التبشير والاستشراق وحملوها كل خصوماتهم وأحقادهم .

وقد لفت الباحثون المنصفون النظر الى أخطاء دائرة المعارف عندما ترجمها نفر من الكتاب فى الثلاثينات فقد تصدى لهم أكثر من باحث منصف يعارض خطتهم ويطالبهم بتصحيح تلك الأخطاء فى صلب البحث ولكنهم اكتفوا بالتعليق على هذه الشبهات فى الهوامش ففوتوا كثيرا من الحقائق على القارىء المتعجل الذى لا يعنى بالرجوع الى الهامش . وقد أشار

العلامة فريد وجدى الى ظاهرة خطيرة فى هذه الموسوعة وهى ( سيطرة البدع الدخيلة فى الدين الاسلامى على مواد الموسوعة باستفاضة مثيرة ، حتى ليظن الباحث أنها من أصول الاسلام ) وقد أمعن مؤلفو الدائرة فى تسجيلها وشرحها كأنها حقائق مقررة ، وبينما تسيطر هذه البدع على أنها من المعارف الاسلامية فان الاسلام يبرأ منها وما جاء الا لمحاربتها . وأشار العلامة وجدى الى « القصد المتعمد فى الجمع بين أساطير البدع وحقائق الشريعة » وقال ان أكبر كتاب الدائرة قسيس مبشرون يهمهم أن يتحيفوا الاسلام لا أن ينصفوه وقليل منهم من يتصف بالشجاعة العلمية فيتغلب على عناصر التعصب وليس كتاب الدائرة وحدهم من نفس النمط بل جل المشتغلين بالدراسات الاسلامية فى الغرب لا يتجاوزون صناعة التبشير ومنهم « توماس باترك هيوز » صاحب قاموس الاسلام . وهو مرجع متبادل لا تكاد تخلو منه مكتبة أوربية ، وقد قضى القس المؤلف فى وظيفته التبشيرية ببلاد الهند بين المسلمين والبرهميين والبوذيين أكثر من عشرين سنة ، وجمع ونشر معجمه هداية للموظفين الانجليز الذين يتولون الحكم ببلاد الهند فى أواخر القرن الماضى ومساعدة للمبشرين بالمسيحية ممن يحاولون علماء الاسلام وللباحثين فى الأديان المقارنة .

ومن المصادر التى اعتمدتها دائرة المعارف ( كتاب شمائل المصريين ) الذى كتبه المستشرق ادورد وليم لين عام ١٨٢٥ عن المصريين وقد أصبح هذا الكتاب أحد المراجع الهامة لمؤلفى دائرة المعارف ينقلون عنه الخرافات وكأنها حقائق . وقال أحمد أمين : ان نظرة المستشرقين فى دائرة المعارف هى نظرة خاصة يختلف عن النظرة التى ينظرها المسلمون وبعضهم كان متعصبا يمزج تعصبه ببحث كما فعل الأب لامنس فى بعض ماكتب .

وقال العلامة تقى الدين الهلالى : ان فى دائرة المعارف الاسلامية أخطاء ودسائس ناشئة عن التعصب الأوربى ، وفى بروكلمان مثل ذلك وأقبح ، وقد وجه دكتور محمد يوسف زايد النقد الى دئرة معارف البستانى فقال : ان الدائرة بشكلها الحاضر لم تحقق ماهدف اليه ناشروها وماينتظره منها القارىء العادى الذى لايستطيع أن يطمئن الى دقة معلوماتها كما أنه لا يجد فى كثير من موادها الترابط بين الأجزاء الذى يسبغ على المادة

وحدتها كما أنه أيضا لا يجد المراجع الضرورية لبحثه فضلا عن المتخصص الذى لا تروى مواد الدائرة غلته بطبيعة الحال .

## يقظـــة العـــرب

يقظة العرب لجورج أنطونيوس من الكتب الخطيرة التى يجب الحذر الشديد فى الاعتماد عليها فى كتابة تاريخ العرب والاسلام الحديث ، وقد أشار بعض المستشرقين ودعاة التغريب بالاعتماد عليه فأفيـــد كثيرا من أبحاث الباحثين ، وأن المراجع لوقائع حياة جورج أنطونيوس لايدهش من من أن يكون كتابه خدمة للتيارات التغريبية وتركيزا على الوقائع المشبوهة فهو من مواليد دير القمر بلبنان ومن خرجيى كلية فكتوريا بالاسكندرية ومن رواد جامعة كمبردج ، وكان ملتحقا بدائرة المعـــارف فى حكومة الاحتـــلال البريطانى فى فلسطين ، شأنه فى هذا شأن نجيب عازورى ، الذىيركزون على كتابه ( يقظة الأمة العربية ) .

وقد غالى أنطونيوس فى تصوير الدور الذى لعبته الجمعية العلمية السورية التى أنشأها النفوذ الاستعمارى داخل الكلية السورية الانجيلية والذى عده عاملا أساسيا فى نشوء القومية العربية بينما كان الانصـــاف يقتضيه أن يعتبر هذه الجمعية السرية هى أول عامل محرك لدفع اللبنانيين الى الانتقضاض علىالدولة العثمانية والمطالبة بحكم خاص تحت نفوذ الدول الأجنبية وخاصة فرنسا ، وأن رفع لواء العرب فى هذا الوقت لم يكن من أجل وحدة العرب به من أجل الانفصال عن دولة الخلافة .

وأبرز أخطائه الناشئة عن التعصب موفقة من السلطان عبد الحميد واتهامه بما هو منه براء ، والتنكر لموقفه من الصهيونية ومن هرتزل وهو من أشرف المواقف ومن العسير أن يطلب من مثل جورج أنطونيوس فى ثقافته وعقائده الدينيةوالفكرية أن ينصفالدولة العثمانية أو السلطان عبدالحميد، ولقد كشفت الوثائق الكثيرة التى ظهرت فى السنوات الأخيرة من الحقـــائق مايجعل الـــكثير مما ذهب اليه انطونيوس زائفا وخاطئا وأبرز أخطائه ان اعتبر ناصف اليازجى وبطرس البستانى مبدأ اليقظة العربية فضـــلا عن اساءته الى عبد الرحمن الكواكبى ، من أجل هذا كله أصبح كتاب يقظـــة العرب من الكتب التى تقرأ بحذر ولا تؤخذ على أنها من المصادر العلمية .

# الموسوعة العربيـــة الميسرة

وجهت الى الموسوعة العربية الميسرة نقدات شتى وجملة ماقيل عنها أنها دائرة معارف أجنبية ( هى فى الواقع دائرة معارف كولومبيا ) قدترجمت الى اللغة العربية دون تقدير للتاريخ العربى الاسلامى وحقائقـــه ودون تقدير حاجة الباحث العربى ، فهى لا تحمل مطلقا أى وجهة نظر عربيـــة لمـــا تناولته من موضوعات ، وهى تتنكر أساسا للسنة الهجرية والتـــاريخ الهجرى فى كل ماتورده من مواد وخاصة فيما يتعلق بعصر النبى والخلفاء.

فاذا عرضنا للمواد الاسلامية وجدناها ضعيفة جدا وفاترة ومدرسية الى أبعد حد وليس بها من السعة والعمق مانجده من المواد التى لا حاجة للباحث العربى بها ، هذا بالاضافة الى غلبة طابع السيطرة الصهيونية على المواد وخاصة فيما يتعلق بفلسطين وتاريخ الأديان .

ومن المقارنة بين مادة مسجد ومادة مسرح تجد أن المسجد قـد كتب عنه خمسة عشر سطرا بينما كتب عن المسرح ١٧٠ سطرا .

وتصويرها لمادة شريعة ، ومادة صلاة ، ومادة صـــوم هو تصـــوير بدائى وساذج .

وتضم الموسوعة بعض المواد التى اعتمـد فيها على الاسرائيليـــات والروايات التى تضمها الكتب غير العلمية كمادة اسرائيل . وأسوأ ما فى الموسوعة انها تحمل وجهة نظر اليهودية فى مختلف المسائل ، فهى تحاول أن تفرض على الباحث العربى مفهوما خطيرا بالنسبة لفلسطين لا يتفق مع حقائق التـــاريخ .

ومن عجب أن باب الأديان والعقائد قـد حرر تحت اشراف ابراهيم مدكور وأحمد فؤاد الأهوانى وغيرهم . وأن ثلة من الكتاب المسلمين والعرب ذكرت أسماؤهم فى المقدمة كمحررين لفصول الموسوعة .

## تحـــرير المـــرأة

كان لـــكتاب تحرير المرأة الذي كتبه قاسم أمين ولا يزال له دوى كبير وشهرة عالمية فى مختلف دوائر الفكر والسياسة ، وقد اعتبره الكثيرون نقطة بدء لنهضة المرأة المصرية الحديثة غير أنه لفهم مضامين هذا الكتاب يجب معرفة البواعث والظروف التى أحاطت باصداره ، وهى كتاب الدوق داركور الذى كتبه عن مصر ورد عليه قاسم أمين وماكان له من أثر فى صالون الأميرة نازلى هانم فاضل الذى كان يرتاده محمد عبده وسعد زغلول تحت رعاية اللورد كرومر وفى ظل مخططات النفوذ الاستعمارى. وقد روى فارس نمر صاحب جريدة المقطم عام ١٩٢٥ ذكرياته فى هذا الصدد فأشار الى بواعث تأليف كتاب تحرير المرأة وكيف كان قاسم أمين يشير فى رده على الكاتب الفرنسى داركور مهاجما الحركة النسائية التى تتزعمها هذه الأميرة وكيف كلف فارس نمر أن ينتقد ماكتبه قاسم خاصا بالمرأة، ثم اقترح الشيخ محمد عبده أن يتقدم قاسم الى صالون نازلى للاعتذار عن الطعن الذى أورده فى كتابه وما رآه فى معارضة السفور على النحو الذى كانت تدعو اليه الأميرة فى مجالسها وكان أن اتفق على أن يكتب قاسم كتابا يرضى الأميرة ، وكان الى جانبه فى هـــذا الرأى محمد المويلحى وسعد زغلول ومحمد عبده .وقد أشارت مصادر كثيرة الى أن الشيخ عبده كتب بعض مواد هذا الكتاب ، وقد أرادوا بذلك ترضية الأميرة وكسب ودها حرصا على حمايتها لهم فى ظل النفوذ البريطانى ، ومن هنا نرى أن قاسم أمين لم يكن فى الحقيقة منطلقا من هـــدف صحيح ، هذا فضلا عما أثبتته الوثائق من أنه رجع عن أغلب آرائه فى أيامه الأخيرة وقال انه أخطأ وتسرع فى الدعوة الى السفور فى مجتمع لم يستكمل بعد عوامل النضوج .

## حـــديث الأربعـــاء

كان كتاب ( حديث الأربعاء ) واحدا من كتب الدكتور طه حسين التى استهدفت غرضا معينا فى مجال اثارة الشـــبهات والتشكيك فى التـــاريخ والأدب العربيين . وكانت فصول حديث الأربعاء تنشر فى جريدة السياسة الأسبوعية فى يوم الأربعاء من كل أسبوع بينما ينشر الدكتور قصصا فرنسية اباحية مترجمة فى يوم الاثنين . وقد أثار هذا بعض المراجعات حتى قال

الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى : لفتنى الدكتور فى كتابيه ( حديث الأربعاء ) وهو مما وضع وقصص تمثيلية (وهى ملخصة ) ان له ولعا بتعقب الزناة والعشاق والفجر والزنادقة ، وقد يذكر القارىء أنه أدخل القصص التمثيلية فى هذا الكتاب ويقول انها ليست له وان كل ما له فيها أنه سياق خلاصة وجيزة لها .

وهذا الاعتراض مدفوع لأن الاختيار يدل على عقل المرء ويشى بهواه، كالابتكار سواء بسواء ، وانما يختار المرء ما يوافقه ويرضاه ويحمله عليه اتجاه فكرة حتى لا يسعه أن يتخطاه .

وها هو ذا حديث الأربعاء ماذا فيه ، كلام طويل عن العصر العباسى، وللعصر العباسى وجوه شتى وفى وسعك أن تكتب عنه من عدة جهات وأن تتناول فلسفته أو علمه أو شعره وجده وهزله .

ولكن الدكتور طه يدع كل جانب سوى الهزل والمجون ويروح يزعم أنه عصر مجون ودعارة واباحة متغلغلة الى كل فرع من فروع الحياة ، فلماذا ؟ لأية علة يغضى عن الجوانب الأخرى لذلك العهد . بل قل لماذا لا يرى غير الماجنين والخليعين صورة منه ، ولست افترى عليه فانه القائل فى الصفحة السابعة والعشرين من كتابه :

« درست هذا العصر درسا جيدا واقرأ بنوع خاص شعر الشعراء، وما كان يجرى فى مجامعهم من حديث تدهشك ظاهرة غريبة ، هى ظاهرة الاباحة والاسراف فى حرية الفكر وكثرة الازدراء لكل قديم سواء أكان هذا القديم دينا أم خلقا أم سياسة أم أدبا » .

ولم يكف الدكتور أن يعهد الى طائفة معينة من شعراء العباسيين وأن يرسم من سيرتهم صورة يزعمها صورة العصر بل هو ينكر أن غير هؤلاء من العلماء أو الشعراء يمثل العصر العباسى ، ثم يمضى ويورد سيرة أبو نواس ومن اليه مثل الوليد بن يزيد ومطيع أياس وحماد عجرد والحسين ابن الضحاك ، ووالبة بن الحباب ، وأبان ، ومروان بن حفصة ويقول فى بيان الحكمة من ذلك أنه لا يريد أن يكتفى بالقول بأن القرن الثانى للهجرة على كثرة من عاش فيه من الفقهاء والزهاد وأصحاب الشك والمشغوفين

بالخير انما كان عصر شك ومجون وعصر افتتان والحاد عن الأخلاق المألوفة والعادات الموروثة والدين ايضا ، وانما اريد ان أشخص حياة هؤلاء الشاكين المسرفين فى المجون ، وان سخط عليهم نفر قليل من الفقهاء واصحاب الزهد فقد كان الناس جميعا على اختلاف طبقاتهم واهوائهم ومنازعهم يحبونهم .

اقول . اذا كان الأمر على هذا النحو فليس عندى شك فى أن هذا العصر الذى عاش فيه هؤلاء الشعراء وهؤلاء الناس الذين كانوا يعجبون بهم ، لم يكن عصر ايمان ويقين فى جملته وانما كان عصر شك واستخفاف وعصر مجون واستهتار باللذات ( ص ١٨٤ ) .

يقول المــازنى :

« وحسبنا هذه المقتطفات ، ونكتفى بملاحظة واحــدة هى أنه ما من عصر يمكن أن يكون له جانب واحد كما ريد أن يصور لنـــا العصر العباسى ، وانه لم يخل زمن قــديم أو حديث من مثل مايضيف الدكتور ، ولو أن كاتبا تناول عصرنا الحاضر الأدبى الكلام ذا سعة على نحو مافعل الدكتور ، ولكنه لا يكون صادقا ولا دقيقا . اذا ذهب يزعم أن حياتنا الحاضرة قائمــة على الفسق والفجور والدعارة والاباحة والزندقة والالحاد ، من اجل ان الشعراء والكتاب — وأنا منهم ولا فخر — ذكروا الخمر وتغزلوا وتشببوا وأن الناس يتفكهون فى مجالسهم ويرفهون عن نفوسهم بالتلهى والمجانة أحيــانا وان ذلك يعجب الفارغين ويروقهم » أ . هـ

وقد واجــه ما جاء فى كتاب حديث الأربعــاء كتاب كثيرون ودحضوا زيف الرأى الذى وصل اليه الدكتور باتهام العصر كله ، ومما قاله انطون كرم فى بحثه عن الأدب العربى فى آثار الباحثين قوله « وكان من جرأته ( أى الدكتور طه ) أن حلت الاستنتاجات العــامة محل اللطائف المستدقــة والقوانين الشاملة فى موضع الخصائص الفردية وخالط عرض الحقائق لون من التحدي الخطابى فى الاثبات وقال : احتفظ المؤلف لنفسه أن يجمع بين الأنماط الثلاثة فى دراسة هذا الشعر : التاريخى والذاتى والفنى ، وانه يحــاول الجمع بين أسلوب ( ســانت بوف ) و ( جول لومتر ) و ( تين ) فيجرى فيها جميعا على غير استيفاء ، يتنحى الملامح ولا يتسلل الى الدقائق

ماذا به يخطىء طريق المؤرخ الحق فى جلاء الشك وتحرى الحق الأخير ويخطىء طريق الذاتيين فى تفكيك الذات المبدعة حين يقتصر منهما على جوانب » .

كما تناول محمد غلاب وزكى مبارك هذا الاتجاه بالنقد والرد عليه .

## الأخلاق عند الغزالي

بدأت الحملة على أعلام الفكر الاسلامى مبكرة من خلال اطروحات أوائل خريجى الجامعة المصرية ، وكان زكى مبارك قد تولى نقد فكر الامام الغزالى معتمدا على كل ما أورده خصوم الفكر الاسلامى عنه من شبهات وتخرصات فجمعها فى رسالته التى كانت موضعا للنقد والمراجعة بعد مناقشتها علنا ، على أعمدة الصحف والمجلات ، وكان ذلك عام ١٩٢٤ وما تزال الحملة على الامام الغزالى قائمة ومستمرة حتى هذه الأيام ، لاتتوقف ولا يحاول دعاة التغريب وقف الهجوم على هذا الرجل الذى دحض قوائم الفلسفة اليونانية الالهية وحطمها وكشف عن زيفها وأوقف تيارها فى الفكر الاسلامى حتى جاء ابن تيمية فأقام منطق القرآن بدلا من منطق أرسطو وأكمل عملية تحرير الفكر الاسلامى من محاولة تسحقه تحت براثن هذه الفلسفة الوثنية التى سيطرت على كثير من الأديان والعقائد .

وكانت أكبر الاتهامات التى ساقها زكى مبارك للغزالي أنه لم يشر فى مؤلفاته صراحة كلها الى موقف واحد فى مواجهة الحملة الصليبية التى كانت قد استقرت فى الشام فى هذه الفترة ، ولكن المراجع لفكر الغزالى كله ولعمله الضخم ( احياء علوم الدين ) يعلم فى وضوح أن تحدى الحروب الصليبية هو الذى دفعه الى اعادة صياغة الفكر الاسلامى من جديد فى فهم متكامل وان استبطانه للحدث الضخم كان مصدر أروع معطياته وأعماله

ولقد شاء الدكتور زكى مبارك أن يراجع نفسه من بعد ، وكانت فرصته لدراسة التصوف الاسلامي بعد أكثر من عشرين عاما من أطروحته عاملا هاما فى أن يكتب مقاله المعروف الخطير فى مجلة الرسالة عام ١٩٤٤

« اليك أعتذر أيها الغزالى » .

حيث أشار الى مدى الخطأ الذى وقع فيه وما وصفه بالاندفاع دون التحقق فى موقفه مع الامام الغزالى وأعلن عودته عن رأيه فيه وقد كان ضروريا وقد أعيد طبع كتاب الأخلاق عند الغزالى فى السنوات الأخيرة أن يشار الى هذه الواقعة فى المقدمة اقرارا للحق وتأصيلا لمنطلقات وتطورات الكتاب بعد الأعمال الأولى المبكرة فى حياتهم الأدبية .

## على هامش السيرة

فاجأ الدكتور طه حسين قراءة عام ١٩٣٣ بظهور مجلة الرسالة بنشر فصول جديدة تحت هذا العنوان تشكلت من بعد كتابا ضخما فى أجزاءثلاثة أقبل عليه القراء فى شغف بالغ فقد أغراهم أسلوب طه حسين الموسيقى وحملهم حملا على متابعته ، وكانت صيحات الاعجاب تختلط بصيحات الدهشة بعد أن أشيع أن الدكتور طه حسين رجل قد هاجم بعض القيم الاسلامية فى كتابه الشعر الجاهلى .

وبذلك تحقق الهدف الذى قصد اليه الكاتب ونجح نجاحا كبيرا فى استعادة مكانته لدى العامة ، وفرح لذلك أيضا الذين خططوا للعمل نفسه ، من حيث أصبح فى مقدور الدكتور طه حسين العودة الى التأثير فى مناهج التعليم والجامعة والثقافة جميعا على النحو الذى جرى عليه من قبل .

غير أنه بالرغم من العمل البارع الذى استطاع به طه حسين أن يستعيد مكانته فى نظر الجماهير بالكتابة عن الرسول ، وما حققه ذلك له من ثقة فى مجالات العمل الذى قصد اليه أساسا فان كتابه على هامش السيرة كان عملا خطيرا وبعيد الأثر فى اثارة الشبهات حول سيرة الرسول الكريم فقد عمد طه حسين الىعشرات من الأساطير الزائفة التىأبعدها المحققون عن سيرة الرسول وعملوا على تنقية هذه السيرة الكريمة منها حتى تظل موثقة صحيحة ، فأعادها مرة أخرى الى السيرة على نحو اشد خطرا مما كان ، فقد توسع طه حسين فى هذه الأساطير وأضاف اليها وحذف منها واعترف نفسه صراحة بهذا العمل حين قال :

« أحب أن يعلم الناس انى وسعت على نفسى فى القصص ،ومنحتها

من الحرية فى رواية الأخبار واختراع الحديث مالم أجد به بأسا الا حين تتصل الأحاديث والأخبار بشخص النبى أو بنحو من الدين » .

ولقد هاجم الدكتور محمد حسين هيكل صاحب حياة محمد صديقه طه حسين على درب الحركة الأدبية بضعة عشر عاما هـذا الاتجاه فـكتب فصلا فى ملحق السياسة (١) قال فيه :

« ان أدب الأسطورة هذا أخصب ألوان الأدب ، ان الكاتب والقارىء يعرفان جميعا أن المادة التى يعالجان هى من نوع الأسطورة لاجناح عليهم اذا أطلقوا للخيال فيها العنان فابتدعوا من خيالهم ما يزيد هذه الأساطير رقة وعذوبة ، لا تحول بينهم وبين الأخـذ يقول بعضهم « أعـذب الأدب أكذبه » أى حائل .

ولذلك فانى استميح طه العذر ان خالفتـه فى اتخاذ النبى وعصره مادة لأدب الأسطورة .

وأشار الى ما اتصل بسيرة النبى ساعة مولده ، وما يروى عما حدث له من اسرائيليات روجت بعد النبى ، ثم قال : لهذا وما اليه يجب فى رأيى الا يتخذ مادة لأدب الأسطورة فانما يتخذ من التاريخ وأقاصيصه مادة لهذا الأدب ما اندثر ، أو ماهو فى حكم المندثر ، وما لا يترك صدقه أو كذبه فى حياة النفوس والعقائد أثرا ما .

« والنبى وسيرته وعصره تتصل بحياة ملايين المسلمين جميعا ، بل هى فلذة من هذه الحياة ومن أعز فلذاتها عليها وأكبرها أثرا فى توجيهها ، وطه يعلم اكثر مما أعلم أن هذه الاسرائيليات انما أريد بها اقامة أساطير ميثولوجية اسلامية لافساد العقول والقلوب من سـواد الشعب ولتشكيك المستنيرين ودفع الريبة الى نفوسهم فى شأن الاسلام ونبيه وقـد كانت هـذه غاية الأساطير التى وضـعت فى الأديان الأخرى . ومن أجل ذلك ارتفعت صيحة المصلحين الدينيين فى مختلف العصور لتطهير العقـائد من هذه الأوهام » .

---

(١) ملحق السياسة الأسبوعية ( ديسمبر ١٩٣٣ ) .

و هكـــذا انكشفت حقيقـــة خطيرة من وراء هامش السـيرة اشد خطرا من الحقــائق التى تكشفت من وراء ( حــديث الأربعاء ) و ( الشعر الجاهلى ) .

## فى الأدب الجــاهلى

أثار صدور كتاب الشعر الجاهلى عام ١٩٢٦ ضجة كبرى ، اتصلت بالمشاعر الدينية من ناحية وبالصراع الحزبى من ناحية ، وكانت نقطةالخطر أن ما جاء فيه من آراء غير محققة مما ألقى على طلبـــة كلية الآداب ولقد قامت معركة أدبيـــة كبرى حول الشعر الجاهلى واتهم الدكتور طه بالزيغ والالحاد ولمــا صودر الكتاب سارع الدكتور باصدار كتاب بديل عنه تحت اسم ( فى الأدب الجاهلى ) حذف منه بعض الفصـــول التى أثارت الثورة عليه وأضاف فصولا جديدة غير أن كتابه الجديد لم يكن أقل خطرا منسابقه فيما حاول أن يعرض له من شبهات وما تزال هذه الشبهات قائمة بقيــام الـكتاب واعادة طبعه ونشره .

وقد أجمعت لجنة من الغمراوى والعوامرى ومحمد بنعبدالمطلب وأعلنت أن الكتاب أضاع على العرب والمسلمين (١)الوحدة القومية والعاطفةالدينية (٢) والايمان بتواتر القرآن وقراءاته وأنه وحى من عنـــد الله (٣) كرامة السلف من أئمة الدين واللغة (٤) كرامة الثقة بسيرة النبى فى كل ماكتب (٥) اعتقاد صدق القرآن ونهيه عن الكذب (٦) أضاع الوحدة الاســلامية (٧) أضاعحرمة الصحابةوالتابعين (٨)أضاع تنزيهالقرآن عنالتهكموالازدراء (٩) أضاع تنزيه النبى وأسرته عن مواطن التهكم والاستخفاف (١٠) أضاع صدق القرآن والنبى فيما أخبر به عن ملة ابراهيم (١١) أضاع براءة القرآن مما رماه به المستشرقون من أعدائه (١٢) أضــاع الأدب العــام مع الله ورسوله .

وقال الدكتور عبد الحميـد سعيد ان تغييـر العنوان ( من الشعر الجاهلى الى الأدب الجــاهلى ) لم يغير شــيئا من روحه اللادينيـة فان السموم التى أراد الدكتور أن ينفثهــا فى كتابه لاتزال ماثلة فى كثير من فصوله ومباحثه .

وقد صدرت كتب كثيرة فى الرد على طه حسين وكتابه أهمها ماكتبه فريد وجدى ( نقد كتاب الشعر الجاهلى ) .

ولطفى جمعة ( الشهاب الراصد على الشعر الجاهلى ) ومصطفى صادق الرافعى ( تحت راية القرآن ) .

غير أن الدكتور محمد أحمد الغمراوى أخرج كتابه فى الرد على كتاب ( فى الأدب الجاهلى ) فقال ان صاحب الكتاب لم ينتفع بنقد الناقدين على تعدد نقدهم وصوابه ، وقال ان عملية تنقية الكتاب بالحذف لم تقو على تخليصه من كل ما يجافى الدين وان خلصته مما يظهر من كل ما يؤخذ عليه القانون ، خلصته من الواضح الصريح الذى يمكن أن يمتد القلم اليه بالحذف ، أما المثبت فى ثناياه من التهكم الخفى فذلك مالا يمكن أن يتناول بالحذف الا أن يحذف أكثر الكتاب .

فالكتاب وان خلص من مثل ( للتوراة أن تحدثنا أن ابراهيم واسماعيل وللقرآن أن يحدثنا ومن قوله : ولأمر ما شعروا بالحاجة الى اثبات أن القرآن كتاب عربى مطابق فى ألفاظه للغة العرب ) فانه لم تخلص من مثل قوله : ( وفى القرآن سورة تسمى سورة الجن انبأت أن الجن استمعوا للنبى ) ومن مثل قوله « فلأمر ما اقتنع الناس بأن النبى يجب أن يكون من صفوة بنى هاشم » كشرط هذه القطعة التى وصفتها النيابة بسوء الأدب فى حق النبى ، وكان ينبغى أن تحذف » .

وأبرز مافى كتاب الأدب الجاهلى فى رأينا ليس هو مناقشة هذا الشعر والبحث عن حقيقة أمره ولكن اتخاذه « ستارا » لاذاعة هذه الآراء الجريئة الخطيرة فى الاسلام ورسوله وكتابه ومحاولة طرح هذا المنهج الخطير من مناهج البحث الذى يقول بفصل الأدب عن الفكر الاسلامى ، ونسيان القومية والدين كشرط من شروط البحث العلمى . وقد رد الكثيرون ( كما رده فريد وجدى وغيره على هذه النقطة وكشفوا عن زيفها ) ويقول الدكتور الغمراوى فى هذا الصدد :

انه ذهب الى أن نسيان القومية والدين شرط أساسى من شروط البحث العلمى فان كان أراد بذلك أن على الباحث ألا يخفى بعض حق أو يتراخى

فى استيفاء الدليل العلمى محاباة لقوميته أو ارضاء لعاطفته هذه فقد أصاب، أما اذا كان أراد أن الانسان لايستطيع أن يكون ذا عاطفة قومية أو دينية من غير ان يحابى أو يداجى فى العلم فقد أخطأ ولم يصب، ان الانسان يستطيع أن يراعى الدقة العلمية التامة فى البحث وهو متذكر دينه كل التذكر ومعتقد صحته كل الاعتقاد ، غير مجوز على قرآنه خطأ أو على توراته . بل أن التدين الصحيح يزيد الباحث المخلص ان أمكن حرصا على الحق واستمساكا به اذا وصل اليه . أن الباحث المتدين بين محبتين فى الحق مرة لدينه ومرة لعلمه ، ويبغض الباطل مرتين كذلك ولا خوف عليه مطلقا أن يخفى بعض الحق أو يدلس فى البحث محاباة لدينه اذ ليس الحق يخاف على دينه ولكنه الباطل وهو يعلم أن دينه حق . يعلم ذلك علم مستيقن ويعلم أن العلم قائم على قاعدة استحالة التنافى بين أجزاء الحق ، فهو لا يخشى أبدا أن يكشف البحث الصحيح عن حقيقة تنافى دينه ولذلك يمضى فى أبحاثه آمنا مطمئنا متبعا أقوم الطرق فى البحث والتفكير .

فالتدين الصحيح والعلم الصحيح يمكن اجتماعهما اذن وكثيرا ما اجتمعا، كما أن العاطفة العلمية القومية والعاطفة الدينية القوية لا يتعارضان بل يتضافران فى خدمة العلم .

## عبقرية الحضارة العربية

هذا كتاب أغلب من شاركوا فيه من غير المسلمين ، وقد صدر فى طبعة فاخرة غير أنه لم يخلص لكلمة الحق ، يقول الأستاذ عبد المعز عبد الستار أنه يورد حقائق ويسوق أمجادا ثم يكر عليها فوراً بما ينسفها ويسلبها وينسبها لغير أصحابها العرب المسلمين بطريقة خبيثة ماكرة تعرفها فى لحن القول ولايتنبه اليها الا من خبر أسلوب المستشرقين ومكرهم وكيدهم للمسلمين . وتلك عادة المستشرقين فانهم كلما أثبتوا فضلا نقوه، وكلما غزلوا غزلا نقضوه من حيث يدرون أو لا يدرون .

ومن الأخطاء الواضحة :

(١) الالحاح على تسمية الدولة الاسلامية : الامبراطورية العربية

ولا ريب أن الدولة الاسلامية شيء غير الامبراطورية فى مفهومها الاصطلاحى حتى فى أيام ضعف الخلافة ، فهى لا تقوم على قانون الطبقة والاستغلال .

(٢) تسمية الاسلام بأنه اسلام عربى .

ومن ذلك القول بأن الاسلام قد استوعب كثيرا من عناصر الفلسفة الأفلاطونية والمنطق اليونانى والتشريع الرومانى .

والواقع أن هذا زيف كبير فأى عنصر من عناصر التشريع الرومانى استوعبه الاسلام وهو قد أنزل تشريعه بوحى من عند الله فى أرض لم تطأها أقدام الرومان ، وتناوله الصحابة والتابعون والفقهاء ودونوه ورتبوه من قبل أن يعرفوا ما الرومان أو اليونان .

(٣) ليس صحيحا أن الاسلام تعبير عن نظرة العرب الى الحياة والايمان ذلك أن الاسلام هو الذى غير نظرة العرب للحياة والايمان وعبادة الأوثان .

(٤) يرددون القول بأثر العرب على الاسلام وهو قول باطل فأى أثر تركه العرب على الاسلام ، انما كان الأثر هو أثر الاسلام على العرب اذ أخرجهم من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن ضيق العيش الى سعة الحياة ومن جور الأديان الى عدل الاسلام .

(٥) خطأ القول بأن للعرب أثرا على الاسلام باقيا لا يزول والحقيقة أن أثر الاسلام على العرب هو الباقى الذى لا يزول .

(٦) خطأ القول بأن الشريعة الاسلامية لم تبلغ تمامها الا بعد أن انتقل معتنقو الاسلام وأهل الذمة الى قلب المجتمع الاسلامى ، وكيف يكون لأهل الذمة مع غيرهم أثر فى صياغة أحكام الشريعة .

(٧) خطأ القول بأن دور العرب كان فى علم الكلام بجوار فلسفة الفرس وطب اليهود والنصارى ورياضيات الهنود .

والواقع أن القرآن والسنة والفقه واللغة والعقيدة والتاريخ والأخلاق وسائر مقومات الأمة القرآنية انما جاءتهم من القرآن .

أما الطب والرياضة وسائر علوم المادة فهى علوم عامة يتعلمها الناس بكل لغـــة فلم يكن دورهم فى علم الــكلام فحسب ، بل هم الذين قـــدموا للبشرية المنهج الربانى .

(٨) قولهم أن الفـــاتحين العرب قـــد بنو امبراطوريتهم بفضـــل قوة عسكرية هائلة والحقيقة أن ذلك كذب على التاريخ ويهون من قيمتهم وقونهم الذاتيـــة التى منحهم اياها الاسلام قوة المبدأ والروح ، فالعرب لم يكونوا فى يوم ما ولا فى معركة من المعارك التى انتصروا فيها على عدوهم أكثر منهم عددا أو عدة أو قوة عسكرية هائلة . وانما كانوا أقـــوى منهم نفسا فكانوا أعظم بأسا بفضل ايمانهم بربهم ورسالتهم .

## (٢)

## كتاب تاريخ الحضـــارات العـــام

( الجزء الثالث : القرون الوسطى والحضارة العربيـــة )

صدر هذا الكتاب عن احدى الهيئات الأجنبية ومؤلفـــه أجنبى وقـــد راجعـــه الأســـتاذ محيى الدين صبحى وأشـــار الى وجوه النقد والخطأ والانحراف فيـــه قال :

كان الدين الاسلامى هو المرشد الايدلوجى للمفكرين السياسيين فى الحضارة العربية فاذا أراد مؤرخ أن يفهم التيارات السياسية فى الحضارة العربية فعليـــه أن يكون عميق الاطـــلاع على مفهومات الامامة والاجمـــاع والشورى وأهل الحل والعقد ، وصلات المسلمين بغيرهم وموارد الدولة من الزكاة والفىء والخيرية والصدقات والغنائم ومكانة القضـــاء والجهاد والدعوة الى سبيل الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ودورها فى المجتمع العربى الاسلامى .

ومن هنا فان الحقيقة لا يكشفها سوى مسلم ولا يجمعها سوى مسلم خبير بأسرار اللغة متبحر بأسرار الشريعة .

وتتأكد هـــذه الحقيقـــة فى قراءة الموسوعات الأجنبيـــة التى يكتبها الغربيون والمستشرقون ـــ مهما كانوا منصفين عن الحضارة الاسلامية التى

يسمونها الحضارة العربية . انهم لا يستطيعون التفرقة بين العصور الوسطى المظلمة فى أوربا والعصور المضيئة فى عالم الاسلام . انهم لايستطيعون معرفة مصدر وحدة الحضارات الفرعونية والأشورية والبابلية والفينيقية والأرامية التى تشترك مع الحضارة الاسلامية فى أصل واحد ، ولا مايسمى بالهجرات السامية التى خرجت من اليمن وجنوب الجزيرة العربية لأنها لا تعرف النقطة الأولى : الحنيفية الابراهيمية ، لأنهم لا يكشف لهم عن حقيقة الأثر الذى أحدثه الاسلام فى أنه علامة على دخول البشرية عصر الرشد من ناحية ولانها كانت علامة اليقظة فى عالم الغرب نفسه ، وتحرير الانسان من الوثنية وتحرير البشرية من عبودية الكهان والملوك والأكاسرة .

ومن الأخطاء التى وردت فى هذا البحث :

ان سقوط بغداد عام ١٢٥٨ ليس نهاية لسقوط الحكم العربى فان الامبراطورية الاسلامية بين الصين وفرنسا استمرت من ٦٢٤م الى ١٤٥٣م من فتح سوريا على يد العرب المسلمين وسقوط القسطنطينية بيد الأتراك العثمانيين وقد جاء بعد سقوط بغداد المماليك والأتراك العثمانيون . هذا ولم تسقط غرناطة فى يد الكاثوليك الا عام ١٤٩٢ م

ثانيا : الألف سنة التى تمثل العصور الوسطى الأوربية وازدهار حضارة الاسلام يقترح المؤلف كلود كوهين حذفها من تاريخ العالم . هى عصر السيطرة الاسلامية حيث تفتحت حضارة العرب وانطوت مخازى البربرية الرومانية العرقية والعسكرية والدينية الى غير رجعة .

وقد قدمت الحضارة الاسلامية نظرة الى الكون تتسم بالتوازن من الانسان والطبيعة تحت مشيئة الله . وموقف العدل والشورى بين الناس على اختلاف عروقهم وطبقاتهم ودياناتهم على أساس أن الحضارة الرومانية بنيت على أساس تفوق العرق الرومانى وسخرت شعوب الامبراطورية كلها لاطعام أهل روما المقدسة .

ثالثا : هاجمت كتابات الغربيين الدولة العثمانية ولم يعد يذكر عن هذه الامبراطورية العظيمة سوى الرجل المريض والانكشارية ومذابح الارمن

واليونان . نعم لقد تفككت الدولة سياسيا ولكن القانون العربى ظل أمرا قائما قائما قام باسم الاسلام ، وقد تعاون العرب مع الاتراك دون النظر الى السياسة .

كذلك فان الأتراك لم يقيموا وحدتهم مع العرب الا بعد أن طلب العرب منهم ذلك ، وان الانحطاط لم يحدث الا فى القرن السادس عشر بعد انقضاء خمسمائة عام على قيام دولتهم .

ولكن كتاب الغرب يتعسفون فى التركيز على الأقليات العرقية والدينية مع أن العرب يفخرون بتسامحهم الذى أتاح لمختلف الطوائف حرية الاعتقاد والعبادة .

## (٣)

## كتاب الغزالى : الجام العوام فى علم الكلام

كتبه الامام أبو حامد الغزالى فى آخر أيامه وملأته عبارة الندم عما وقع منه وتكررت فيه الانابة الصريحة وقد تحول به عن التصوف الى مذهب السلف يدعو فيه الكتاب الى الكف عن علم الكلام ويقول :

أما الآن فنشتغل باقامة الدليل على أن الحق هو مذهب السلف وفى اقامة البرهان على أن الحق هو مذهب السلف برهانان : عقلى وسمعى .

أما العقلى فاثنان كلى وتفصيلى . أما البرهان الكلى على أن الحق مذهب السلف فيكشف بتسليم أربعة أصول هى مسلمة عند كل عاقل .

اعلم أن الحق الصريح الذى لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف ، أعنى مذهب الصحابة والتابعين وهأنذا أورد بيانه وبيان برهانه فأقول :

حقيقة مذهب السلف وهو الحق عندنا . ان كل من بلغه حديث من هذه الأحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور هى التقديس ثم التصديق ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الامساك ثم الكف ثم التسليم لأهل المعرفة . أما التقديس فأعنى به تنزيه الله تبارك وتعالى عن

الجسمية وتوابعها والنبى صلى الله عليه وسلم أفاض الى الخلق ما أوحى اليه من صلاح العباد فى معادهم ومعاشهم ، وانه ماكتم شيئا من الوحى وأخفاه وطواه عن الخلق فانه لم يبعث الا لذلك ولذلك كان رحمة للعالمين .

## روح الاســــلام

وجه بعض المفكرين النقد الى هذا الـكتاب من وجهة نظر مفهوم أهل السنة والجمـاعة فأشار الأستاذ محمد ذيب مرزا الى أنه يحتـوى على عبارات تتضمن سموما وأباطيل ومغالطات وأخطاء لا يمكن أن تصدر عمن يريد الدفاع عن الاسلام . فالمؤلف يحاول أن يوحى الى الذهن أن القرآن الـكريم ماهو الا نتـاج عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم المتأثرة بظروف البيئـة المحيطة به . يقول ص ٤٠ ( وبكل مافى الخيال الشرقى من ابداع كان محمـد يرسم لأصحابه الجـزاء العظيم الذى ينتظرهم ) ويقول ( بل موسيقى روحية لا تصدر الا عن صفاء ضمير محمد حين يتصل بربه فيجود عليه بتلك المعجزات والذين يستعملون مثل هـذا التعبير يقصـدون الى أن صفاء الضمير يجعل الانسان يتخيل أنه يتصل بربه .

وفى ص ٢٢٥ يكرر نفس الفكرة مع اضافة زعم جديد بأن المعتقدات التى جاء بها الاسلام انما هى مستعارة من الأمم السابقة وهى نفس الفكرة التى تتكرر فى كتابات المستشرقين : يقول ( فان الأوصاف للجنة والنـار عند محمد والمستعارة من الخيـالات الطافيـة عن الزرادشتى والصابئى واليهودى والتلمودى يسترعى الانتباه كصورة جانبية فقط .

الملاحظة الثانية : عدم التزامه بالنصوص التاريخية ونصوص بعض الأحاديث بدقة ويعتذر المترجم عن ذلك بأن هدف الكاتب كان توجيه كلامه الى المثقفين الأوربيين ، وهـذا يعنى أنه حور وعـدل فى النصوص لتكون ملائمة لأفهامهم .

والحقيقة أن الذين ينظرون الى العقلية الغربية التى ترفض الايمان بغير الأشياء المادية المحسوسة نظرة التمجيد والتعظيم يتملقون هذه العقلية عادة فى كتاباتهم .

ومثال على ذلك اذكر فيلم الرسالة الذى قيل انه صور لشرح الاسلام فالفيلم كان ناجحا فى تحريك عدد ضخم من الأشخاص ، ولكنه كان فاشلا فى توضيح الأساس الروحى والايمان العميق الذى حرك الأحداث والأشخاص فى ذلك الزمان . ولتقريب الاسلام من مدارك الغربيين كما يدعى تحدث المؤلف عن نوع من الماسونية فى الاسلام ص ١٩٨ وربما يدل ذلك على أنه ماسونى . أما عبارة كاثوليكية الاسلام فى ص ٢٠٢ فلم أفهم لها معنى بالاضافة الى أنه أنكر وجود الملائكة لأن عقل الانسان حسب زعمه عن سبر غور هذه القصة .

( ثالثا ) حاول كغيره من أعداء الاسلام ان يدعى أنه لا مانع من ايجاد تغيير وتبديل وتطوير فى أحكامه لتصبح ملائمة للعصر الحاضر ، وان الاسلام نفسه لا يمنع من ذلك ، وهذا يمكن فى زعمه بعد تخليصه من التفسير الحرفى للنصوص والفتاوى التى أصدرها الفقهاء وأهل العلم لأنهم حاولوا حسب افترائه أن يشوهوا مجد دينهم ( الصفحات ٢٠٦/٢١٣/٢١٤ ) .

( رابعا ) : الأخطاء التاريخية التى وقع فيها ولم ترد فى كتب السيرة

— زعمه أن الكفار كان يطلقون على النبى لقبا شائنا ( ص٧٦ ) .

— خلطه بين أحداث معركة بدر والخندق ( ص ٧٧ ) .

— زعمه أن عمار بن ياسر قتل تحت التعذيب ( ص ٤١ ) .

— ادعاؤه أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان عضوا بارزا فى حلف الفضول .

— زعمه أن جيش المسلمين قد سبى حليمة السعدية مرضعة الرسول ( ص ١٨ ) .

— زعمه أن الرسول قد اعدم ستة من الخائنين وربما بعض المنافقين ( ص ٧٦ ) .

— ادعاؤه أن الأمويين كانوا وثنيين فى قرارة نفوسهم ( ص ٣٠١ )

## الحركات الفكرية فى الاسلام : بندلى جوزى

هذا الكتاب يحمل تفسيرا ماديا للتاريخ الاسلامى ويحمل وجهة نظر متعصبة للاسلام ، ويرى الأستاذ محمد عبد الله عنان أن موضوع الكتاب الحقيقى هو الشيوعية فى الاسلام ، وان الفكرة التى يحاول أن يعرضها المؤلف ويعمل على اثباتها بكل وسع الجدل والاستشهاد فهى ان مبادىء الاسلام ترتكز الى أسس شيوعية وان النبى صلى الله عليه وسلم كان بطلا من أبطال الفكرة الشيوعية فهمها فى القرن السابع كما فهمها ماركس وانجلز فى القرن التاسع عشر ، وكما طبقها لينين فى روسيا البلشفية مع أن البلاشفة لم يلقوا من الفشل فى اذاعة الدعوة البلشفية قدر مالقوا فى الأمم الاسلامية ( القوقاز وأزربيجان والتركستان وقازان ) فانهم لم يفلحوا فى بث مبادئهم فى هاته الجماعات الاسلامية التى يسيطرون عليها ومازالوا يلقون صعابا فادحة فى ضبطها وحكمها طبقا النظم الجديدة ، ولقد كانت غايتهم تحطيم النظم الاجتماعية التى يقوم عليها المجتمع الاسلامى وهو شطر من الغاية أو الثورة الهدامة أو الثورة العالمية التى يعمل لتحقيقها زعماء البلاشفة ووجهها الثانى مناواة الاستعمار البريطانى الذى تخضع لصولته هذه الأمم ، ولكن البلاشفة يصطدمون فى كل مجتمع اسلامى بمبادىء الاسلام وتعاليمه ولا يرون منفذا الى بث الدعوة الشيوعية بين أبناء دين قامت أسسه الاقتصادية على احترام الملكية الفردية واحاطتها بكل ضروب الحماية .

يقول بندلى جوزى : انه قد أصبح من المقرر أن الاسلام مسألة اقتصادية واجتماعية أكثر منها دينية وأن الأمير كاتيانى الايطالى يقول ان الاسلام لم يكن حركة دينية اذ لم يكن فيه دين الا الظاهر أما الجوهر فكان سياسيا واقتصاديا ، وهذا ولا شك انحراف فى الفهم وتحميل للألفاظ غير ما تحمل .

كذلك فان بندلى جوزى يحاول تصوير المجتمع العربى عند ظهور النبى مجتمعا يصطدم بالنزعة الشيوعية ، ويقوم على طبقة المرابين وأصحاب البنوك وسدنة الكعبة وأصحاب السلطة ، وطبقة الارستقراطية وطبقة الصعاليك وهو يمهد بهذا الى القول بأن النبى كان بطلا للفكرة الشيوعية

وهو لا يجرؤ على التصريح بهذه النتيجة فى عبارات صريحة بل تراه يحاول أن يلقى عليها حجابا بقوله :

( معاذ الله أن نحشر المصلح المكى بين الاشتراكية والشيوعية ) .

( وهذا هو نفس اتجاه طه حسين فى الفتنة الكبرى بأسلوب آخر )

وكذلك يحاول المؤلف أن يجعل من بعض الحركات التى قام بها بعض الفرق حركات شيوعية محضة فيزعم أن حركة بابك الحزمى وأشياعه فى شمال أزربيجان انما كانت فورة شيوعية محضة وعلى هذا النحو يريد أن يصور قيام الاسماعيلية والقرامطة مع أن القرامطة كانوا ثوارا على الاسلام والمجتمع الاسلامى ، ولا يستطيع أحد أن يزعم أن مزاعم هذه الفرق كانت فى عصر من العصور أسسا مقررة للاسلام أو المجتمع الاسلامى .

## الدين بين السائل والمجيب

### كتاب ميرزا الحائرى

تتركز شبهة المؤلف فى ادعائه أن هناك مصحفا آخر غير القرآن يدعى مصحف فاطمة وهو بهتان باطل ، فعلماء السنة مجمعون على أن المصحف الشريف الذى نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى بين أيدي المسلمين الآن : آية آية وحرفا وحرفا ويجمعون على كفــر من زعم بأن هناك مصحفا آخر .

وكتب أهل السنة ( وتفاسير الطبرى والبيضاوى والرازى وابن كثير والالوسى ) كلها تجمع على تنزيه القرآن عن الزيادة والنقصان . حتى ذكر الامام ابن حزم الأندلسى كتابه ( الفصل فى الملل والأهواء والنحل ) ان : القول بأن بين اللوحين تبديلا كفر صريح وتــكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

بل ان فقيه الشيعة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى ( ٤٦٠ هـ ) ينفى ما اخترعه الذين اغتر ( ميرزا الحائرى ) بكلامهم فقال :

أما الكلام فى زيادية ونقصانه فمما لا يليق به أيضا لأن الزيادة فيه

مجمع على بطلانها والنقصان منه ، فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذى نصره المرتضى ، وهو الظاهر فى الروايات غير أنه رويت روايات كثيرة والأولى الاعراض عنها وترك التشاغل بها لأنه يمكن تأويلها ولو صحت لما كان ذلك طعنا على ماهو موجود بين الدفتين فان ذلك معلوم صحته لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه وروايا تنا متناصرة بالحث على قراءته والتمسك بما فيه .

( البيان : المطبعة العلمية بالنجف ١٣٧٦ هـ )

فالقارىء يرى صراحة فى هذا النص أن الطوسى لم يؤسس القول فى ذلك بل تبع ماقاله السيد الشريف المرتضى ، ويلى تفسير الطوسى فى المكانة عند الشيعة : تفسير الشيخ أبى على الطبرسى المسمى بمجمع البيان وفيه يؤكد نزاهة القرآن من النقص : فيقول : أما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه وأما النقصان فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن فى القرآن تغيرا ونقصانا والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه ، وهو الذى نصره المرتضى قدس الله روحه واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء فى جواب المسائل الطرابلسيات وذكر فى مواضع : أن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة ، فان العناية اشتدت والدواعى توفرت على نقله وحراسته وبلغت الى حد لم تبلغه فيما ذكرناه لأن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية ، والأحكام الدينية . وعلماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شىء اختلف فيه من اعرابه وقراءته وحروفه وآياته فكيف يجوز أن يكون مغيرا أو منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد .

وقال المرتضى قدس الله روحه :

ان العلم بتفصيل القرآن وابعاضه فى صحة نقله كالعلم بجملته وجرى ذلك مجرى ماعلم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه والمزنى، فان أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها مايعلمونه من جملتها ، حتى لو أن مدخلا أدخل فى كتاب سيبويه بابا فى النحو ليس من الكتاب لعرف وميز وعلم أنه ملحق وليس من أصل الكتاب . ومعلوم أن العناية

بنقل القرآن وضبطه أصدق من العنـــاية بضـــبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء .

وذكر المرتضى : ان القرآن كان على عهد رسول الله مجموع مؤنف على ماهو عليه الآن واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه فى ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة فى حفظهم له ، وأنه كان يعرض على النبى صلى الله عليه وسلم ويتلى عليه وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وغيرهما ختموا القرآن عدة ختمات ، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعا مرتبـــا غير مبتور ولا مبثور ، وذكر أن من خالف ذلك من الامامية والحشوية لا يعتــد بخلافهم ( مجمع البيان ج ١ ص ٣١ ) .

واستمر هذا التنزيه للقرآن عند مفسرى الشيعة حتى الأزمان الأخيرة حيث أخذه عنهم محمد بن المرتضى الملقب بالفيض الكاشانى أحد كبار علماء الامامية فصرح فى تفسيره ( الصافى فى تفسير القرآن )عند تعقيبه على الآية الـــكريمة ( انا نحن نزلنا الذكر ) بمثل ذلك وقال ( وانا له لحافظون من التحريف والتغيير والزيادة والقصان ، ونقل عن محمـــد بن على بن بابويه القمى قوله : اعتقادنا أن القرآن الذى أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وآله هو مابين الدفتين وما فى أيدى الناس ليس بأكثر من ذلك )

## محمـــد رســـول الحـــرية

لعبد الرحمن الشرقاوى

قال الأستاذ محمد أبو زهرة : ان الـــكتاب كان له اتجاه غير دينى فى دراسته فهو مادرس محمدا صلى الله عليه وسلم على أنه رسول يوحى اليه بل على أنه رجل عظيم له آراء اجتماعية فسرها الكاتب على مايريد . وقد تكون هذه الكتابة مفيدة لقوم يصغرون من شأن محمد ويهونون من أمره وهى فى نشرها بين المسلمين مصدر توهين للعقيـــدة الاسلامية وباعث على الفتنة وهى غير صادقة ومنفرة للقلوب ومضعفة للايمان .

أولا : الكاتب يقطع النبى صلى الله عليه وسلم عن الوحى ، فـــكل ماكان من النبى من مبـــادىء وجهاد فى سبيلها ، انما هى من عنده لا بوحى

من الله تعــالى ، وهى به بمقتضى بشريتــه لا بمقتضى رسالته والعنوان ( انما انا بشر مثلكم ) يعلن أن ماوصل اليه النبى صلى الله عليه وسلم من مبادىء جاهد من أجلها نما هو صادر عن بشرية كاملة لا عن نبوة .

وقد اقتطع هذه الجملة مما قبلها وما بعدها ، ونصها الصحيح « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد » وهو بهذا الاقتطاع ينفى الوحى عن الحياة المحمدية .

ثانيا : ينفى الكتاب الخطاب السماوى للرسول ولا يذكر أن جبريل خاطب النبى صلى الله عليه وسلم فى العيان وتصويره للوحى بأنه حلم فى النوم يخالف ما أجمع عليه المسلمون من أن جبريل كان يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم بالعيان لا فى المنــام : الأمر الذى تردد ذكره فى القرآن على انه رسول الله الى الذين يصطفيهم من الأنبياء لتبليغ الرسالة الالهية لأهل الأرض .

ثالثا : انه يقطع الرسالة عن الرسول ويقطع الوحى عنه ويتجه الى القرآن فيذكر عباراته أحيانا منسوبة الى النبى صلى الله عليه وسلم على أنها من تفكيره ومن قوله لا أنها قرآن موحى بها وقائله هو الله سبحانه وأن ذلك مبثوث فى الكتاب بكثرة .

وهو ينسب بعض آى القرآن الى النبى . وكذلك ينسب ابطال التبنى الى النبى ولا ينسبه الى الله تبارك وتعالى . وكذلك ينسب تحريم الخمر الى النبى .

رابعا : يذكر قصص القرآن على انه نتيجة تجارب النبى صلى الله عليه وسلم .

وما كانت قصص النبى الا من القرآن وما كانت له رحلات فى بلاد العرب بل انه لم يخرج من الحجاز الا مرتين احداهما فى الثانيــة عشرة والثانية وهو فى الخامسة والعشرين .

خامسا : يرى الكاتب أن القرآن من كلام محمد ولم يذكر قط على وجه التصريح أن الله تبــارك وتعالى هو منزل القرآن وباعث محمد بالرسالة

بل ان ذكر الله تبارك وتعالى يندر فى الكتاب ، بل لا تجد له ذكرا قط ولم يذكر القرآن الا نادرا ، بل لا تجد له ذكرا قط . واذا ذكر آية ذكر أنها همهمة نفس النبى صلى الله عليه وسلم .

وهو لا يذكر كلمة القرآن على أنه منسوب لله فى مقام يومىء بالتشكيك فى صدقه ويوهم بأن به تحريفا وتبديلا ومحاولة التقاط واحد ممن كانوا يشركون مع العشرات فى كتابة الوحى لاثارة هذه الشبهة .

سادسا : انه ليوهن شأن النصوص سواء أكانت قرآنا أم أحاديث عندما يقرر أن الحكم فى الاسلام بالقرآن أو السنة أو الرأى على أنها متساوية والمسلم مخير بينها .

سابعا : موقفه من النبى محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث من عند الله خاطىء فان الكلام الذى كتبه عنه غير قائم على أسس صادقة بل على ماينافى كل الحقائق التاريخية تماما .

١ — ادعى أن النبى سافر الى اليمن مع عمه وهذا مالم يذكر فى الصحاح عن تاريخ النبى وذكره المستشرقون من غير سند تاريخى .

٢ — يسترسل ويدعى أن محمد كان رحالة معنيا بما عند الرومان والفرس ، وغير صحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم جاب البلاد العربية شمالا وجنوبا ، وانه كان معنيا بمعرفة ماعند الرومان والفرس وان كل ذلك لا يوجد مايدل عليه فى التاريخ الاسلامى والمصادر الصحيحة .

٣ — يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم تعلم الكتابة من ملاحظته للحروف وأن هذا تزيد فى الروايات .

٤ — يذكر أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد سحر وهذه دعوى باطلة ، وقد ورد ذكر السحر فى بعض الروايات ولكن الثقات والمحققين من العلماء ردوها وثبت بالدليل القاطع بطلانها . وان المستشرقين يطيلون من ذكرها توهينا لشأن الدعوة الاسلامية .

# مسرحية الحسين شهيداً

ان محاولة كتابة حياة الصحابة علي هيئة مسرحيات بأقلام كتاب ماركسيين أو شعوبيين من شأنه أن يقلل من اقدار هؤلاء الرجال الأفذاذ ويفتح الطريق أمام الجراءة عليهم بالنقد والتعرض لهم كأنهم شخصيات سياسية وتاريخية اعتادوا نقدها أو الولوغ في عرضها دون تقدير للخطر البالغ الذى يترتب على هذا العمل مما يتصل بالاسلام نفسه . ومن عجب أن هؤلاء الكتاب الذين تعرضوا لهذه الدراسات لم يكونوا مؤرخين أصلا يحملون أمانة العمل ويقدرون مسئوليته وانما كانوا من الأدباء والشعراء الذين اطلقت لهم حرية التعبير دون أن تحاط بسياج من الكفاية العلمية أو التقدير الكامل للظروف والتيارات والعوامل المختلفة التى تكتنف تاريخ الاسلام كله ، فمنهج كتابة التاريخ له أصوله وقواعده التى تجعل من العسير على الهواة من الأدباء والشعراء أن يحققوا فيه عملا ايجابيا صالحا ، ولما كان لتاريخ الفترة الأولى من حياة الاسلام خطر بعيد الأهمية فى تقدير أصول الاسلام نفسه فان التصدى لكتابة مسرحية أو قصة فيها هو عمل غير يسير الا على من استطاع أن يحيط به ، ومن كانت له من ذاتيته المؤمنة بالاسلام المقدرة لرجاله ومواقفه مايمكنها من تجنب الخوض فى أمور تعددت فيها الروايات وتعرضت لكثير من الاضافات بأيدى خصوم الاسلام نفسه واصطنعت سلاحا لضرب الاسلام والتقليل مكانه فى النفوس . ومن الحق أن هؤلاء الصحابة كانوا من معدن آخر يختلف عن معدن الذين جاءوا من بعدهم وهم يمثلون النموذج الاسمى من البطولة الاسلامية ، ومن هنا فلا يمكن تناولهم على هذا النحو الذى نراه فى كتب بعض الأدباء المحدثين ، ويمكن أن يقال أن أحداث المائة سنة الأولى من تاريخ الاسلام كانت من معجزات التاريخ ، وهى عمل لم يعلمه أحد فى أمة اليونان ، أو أمة الرومان وان الذين يحاولون التقليل من شأن هؤلاء الصحابة هو الاساءة الى الاسلام نفسه فى شخصيات العصر الأول صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

## (١) العبقــريات

## (٢) الفلسفة القرآنيــة

يقول غازى التوبه أن الأستاذ العقاد يرد صفات الصديق والفاروق البارزة الى العوامل الوراثية أو التكوين الجسمانى والعصبى لهما أو الى الصدف العظيمة ويحاول أن يفسر مواقفهما على ضوء هــذه الأسباب . والعقاد يضع هذه الأسباب فى المرتبة الأولى فى توجيه الشخصية ، وتأتى العقيدة الاسلامية وتربية الرسول عليه الصلاة والسلام فى المرتبة الثانية، ان كان هنــاك دور للعقيدة أو لتربية الرسول عنده ، والعقاد فى موقفــه هذا متأثر ببعض المــدارس الأوربيــة التى تقدس الأفراد وطابع الفردية وتفسر مختلف حوادث التاريخ على هذين الأساسين . وقــد أورد العقاد ذكرا لاحدى هذه المدارس التى تحدد صفات العبقرى انطلاقا من تكوينــه الجسدى ، وهى مدرسة لمبروزو . والعــالم الايطالى لومبروزو ومدرسته التى تأتم برأيه يقررون بعد تكرار التجربة والمقارنة أن للعبقريات علامات لا تخطئها على صورة من الصور فى أحد من أهلهــا ، وهى علامات تتفق وتتناقض ولــكنها فى جميع حالاتها وصــورها نمطا من اختــلاف التركيب ومباينته للوتيرة العامة بين أصحاب التشابه والمساواة .

ويقول الدكتور محمد أحمد الغمراوى : يجب أن يقرأ للعقاد باحتياط وهو يكتب عن الاسلام فالعقاد ابن العصر الحديث أخذ ثقافتــه مما قرأ لأدبائه وعلمائه وهو شىء كثير . وليس كل ماكتبه المستشرقون يقبله المسلم ولا كل نظريات علماء الغرب يتفق وما قرره القرآن . ولكن العقاد اعتقد من هذه النظريات ما أعتقد فهو ينظر الى القرآن الكريم من خلال ماأعتقد منها ويبــدو أن من بين ماأعتقده العقاد نظرية فريزر فى نشوء الأديان فهى عنده ليست سماوية ولــكن أرضية نشأت بالتطور والترقى الى الأحسن. ومن هنــا تفضيل العقاد للاسلام على غيره من الأديان فهو آخرها واذن فهو خيرها ، من هنــا تفضيله ماسماه الفلسفة القرآنيــة على غيرها من الفلسفات .

ويقول: ان لم يكن هذا هو تفسير اطلاق اسميه الغربيين على كتابيه عبقرية محمد والفلسفة القرآنية فهذه التسمية خطأ منه ينبغى أن يتنبه اليه قارىء الكتابين من المسلمين ، لينجو ما أمكن مما توحى به التسميات من أن محمدا صلى الله ليه وسلم عبقرى من العباقرة لا نبى ولا رسول بالمعنى الدينى المعروف في الأديان المنزلة . ويؤكد هذا الايحاء أن جاء الكتاب واحدا من سلسلة كتب العبقريات الاسلامية وأن يكون أولها . فالناشىء الذى يقرأ بعد عبقرية محمد عبقرية أبي بكر وعبقرية عمر مثلا لا يمكن أن يسلم من ايحاء خفى الى نفسه أن محمدا وأبا بكر وعمر من قبيل واحد ، عبقرى من عباقرة وان يكن أكبرهم جميعا ، كالذى سمى النبي صلى الله عليه وسلم بطل الأبطال فأوهم أنه واحد من صنف ممتاز من الناس متجدد على العصور بدلا من صنف اختتم به صلى الله عليه وسلم : صنف الأنبياء والمرسلين من عند الله . فالنبى والرسول يأتيه الملك من عند الله بما شاء الله من وحى ومن كتاب ، ولا كذلك العبقرى ولا البطل . فالنبوة والرسالة فوق البطولة والعبقرية بكثير . وكم من الصحابة رضوان الله عليهم من بطل ومن عبقري ، وكلهم يدين له صلى الله عليه وسلم بأنه رسول الله الى الناس كافة فى ذلك العصر وما بعده وأنه خاتم النبيين .

والفلسفة القرآنية تسمية أخطر من عبقرية محمد ، فمحمد صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن كما وصفته السيدة عائشة أم المؤمنين ، فهو خلق للعباقرة والأبطال منه نصيب ، اذ العظمة كلها والكمال الانسانى كله فى اتباع ما جاء به القرآن ، فلأن يحشر صلوات الله وسلامه عليه فى العباقرة أقرب الى الصواب من أن يحشر القرآن فى الفلسفات . ان الذى جرت به عادة الناس أن ينسبوا الفلسفة الى صاحبها فيقال فلسفة ارسطو أو فلسفة ابن رشد فماذا يمكن أن يراد يا ترى اذا قيل فلسفة القرآن أو الفلسفة القرآنية . ان القرآن كتاب الله ليس لمخلوق فيه حرف ملك أو غير ملك ، فهل يمكن على هذا أن يقال ان الفلسفة القرآنية معناها فلسفة الله فى القرآن . ومن هنا تبدو بشاعة هذه التسمية بالنسبة الى كتاب الله فهى تسمية لا تستقيم الا ان كان القرآن كتاب محمد كما زعم المستشرقون ، فيكون معناها فلسفة محمد كما جاءت فى القرآن . وتسرب هذا المعنى الى نفس القارىء المسلم الناشىء عن طريق الايحاء هو الخطر

الكامن في تلك التسمية ، وهو عيبها الذى ينبغى أن يكون أول ما يؤخذ على الكتاب ، وشر منه ماتوجبه التسمية من أن القرآن يمكن تلخيصه أو شرحه تحت هذا الاسم العجيب .

وقد وقع العقاد في الخطأ وخالف القرآن الذى هو موضوع كتابه بذكره ما قاله فريزر ومن اليه عن الانسان الأول وحيرته فى القوى التى أحاطت به ورهبته اياها وعدم اهتدائه الى مصدرها ثم ماحاوله من استرضائها واللياذ بها أو ببعضها كلما رغب أو رهب بعد أن أخذ فى الترقى .

والكلام على الانسان الأول بهذه الصورة خطأ فاحش صححه القرآن الكريم ، فالانسان الأول فى القرآن هو آدم أبو البشر وأول نبى فى الأرض ، لم يعبد الا الله ولم يلجأ الى سواه مخافة محذور أو ابتغاء مرغوب ، لكن كان من ذريته من الأمم من ضل عن الله ، وكان الضلال على درجات فى العصر الواحد وفى العصور المتعاقبة . وجاء فريزر ومن لف لفه فعمم هذا الضلال على الجنس البشرى وجعل من درجاته سلسلة أو سلاسل بعضها أعمق وأعرق فى الضلال من بعض أو بعضها أقل ضلالا وأقرب الى الرقى من بعض ، تطبيقا منه على الأديان ، لما جاء به ( دارون ) تفسيرا لنشوء الأنواع فى عالم الحيوان ، حين لا صلة مطلقا بين الميدانين حتى يمكن أن يقاس عالم على عالم أو ميدان على ميدان . ولو كانت نظرية ( فريزر ) واقعة فى دائرة العلم التجريبى ماقبلها منه أولو العلم لسببين على الأقل كل منهما مبطل لها أو كاف لابطالها ( أولهما ) : أنها لا يمكن اختبارها بالتجربة كما تختبر الفروض ونظريات العلوم التجريبية ( ثانيا ) ظاهرة الأنبياء والرسل الواقعية فى التاريخ والتى لا يمكن مطلقا الجمع بينها كحقيقة تاريخية وبين تلك النظرية المسرفة التى لا تعترف بنبوة أو رسالة الهية كالتى أجمعت عليها الأديان السماوية وهناك الآن شبه اجماع على تطور الحيوان بعضه من بعض اذا افترض وجود الحياة على الأرض فى المبدأ ولو فى صورة خلية واحدة : جيبة مائية كالأميبا مثلا ، لكن وجود الحياة ولو على هذه الصورة فى الأول لايدرون له تعليلا ولا تفسيرا ، لأن الأرض كانت كتلة نارية فلما بردت كانت معقمة تعقيما تاما فمن أين للحياة أن توجد فيها الا بأمر الاله الحكيم وتدبيره .

واذا وجدت الخلية الحلية فى الماء فمن أين لها التطور الى كل هذه الأصناف من الحيوان الا بأمر الله القادر الحكيم وتدبيره . واذا وجدت الخلية الحية فى المـاء فمن أين لها التطور الى كل هـذه الأصناف من الحيوان الا بأمر الله القادر الحكيم وتدبيره فهـذا أدل على الله سبحانه وقدرته وحكمته فىخلق الأنواع كلنوع بذاته مستقلا عن غيره كما كانيعتقد النـاس قبل أن يجىء دارون بنظريتـه ليفسر نشوء الأنواع . وعلى كلا الأمرين البديلين فوجود الحيـاة فى الأرض المعقمة أولا وتنوعهـا ثانيا — مهما يكن طريق هـذا التنوع — دليل هاد الى الله سبحانه الذى خلقها وأوجدها ودبر امرها وطورها ونوعها ورقاها وجعل أنواعها متنامية متكاملة ويعيش الحيوان لا غنى له عن النبات لتستمر له الحياة .

ودارون لم يفعل أكثر من أن سـار فى الأرض ونظر كيف بدأ الله الخلق وأن نسب ذلك لغير الله خطأ منه وغفلة اذ نسب الى ماظنه عوامل التطورماكان ينبغى أن ينسبه الى رب هذه العوامل ومقدرها ، وأخطأ مرة أخرى اذ عمم التطور حتى شمل خلق الانسان وان اعوزه فى ذلك ماسماه بالحلقـة المفقودة التى تخبطوا فيهـا الى اليوم وجعلوا يتصورونها كيف شاءوا بنـاء على ضرس يجدونه هنـا أو عظم قرد أو جمجمة يجدونهـا هنـاك مع أن الاحتمالات فى مثل هذا أكثر من أن يثبت معها أو يتعين بها هيكل مايسمونه انسانا أو شبه انسان . وهم أحرار فى أن يتصوروا أو يعترضوا ما شاءوا مادام النقد العلمى مازال موجودا لكنا معشر أهلالقرآن لا نخضع ما اتصلبخلق آدم من آياتالقرآن لتصوراتهم تلك أو لفروضهم . فالقرآن كتاب الله يحكم على نظرياتهم ولا يخضع لها . وهو يقرر أنآدم ابا البشر لم يخلق فى هـذه الأرض حتىيتناوله التطور الـذى خلق الله أحيـاءها عن طريقـه قبل أن يهبط آدم وزوجه الى الأرض بأمر الله وان جنح بعض المحدثين من المفسرين الى أن آدم خلق على هذه الأرض وأن جنته كانت على هـذه الأرض ، غافلين عن فقـه قوله تبـارك وتعـالى ( ولـكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين ) حينما أمروا بالهبوط وأخرجوا من الجنة ومن أن هناك فى ملكوت الله ست أرضين أخرى غير أرضنا هذه طبق آية آخر سورة الطلاق ولابد أن يكون آدم خلق فى احـداها وكانت جنته فيها .

وعلى أى حال فحقيقة القرآن الكريم فى آياته المتعلقة بآدم أبى البشر تبطل ما قال العقاد عن الانسان الأول تبعا لما قاله أتباع دارون فى خلق الانسان .

## كتاب الله للعقاد

## كتاب الله لمصطفى محمود

فى كتاب الله شرح العقاد هذه النظرية فى شأن تطور العقيدة من عبادة الطوطم الى عبادة الله . ولا ريب أن هذا الخطأ يرجع الى أن هذه النظرية منقولة من الفكر الغربى ومن كتابات أحد الفلاسفة اليهود الذى أراد بها اعلاء شأن التوراة . ولا ريب أن مفهوم الاسلام يكشف عن خطأ القول بأن عبادة الله قد تطورت من عبادة الطوطم الى عبادة الشجر والحجر ومنها الى عبادة الأفلاك والنجوم ثم صارت أربابا متعددة لها اله أعظم هو زيوس أوجوبيتر ، ثم تحولت الى عقيدة توحيد مخصوصة لشعب واحد عند اليهود وهو يهوا رب اليهود فقط وهو شعب الله المختار ثم تطورت العقيدة الالهية لتصبح الثالوث ( الأب والابن والروح القدس ) فى المسيحية التى تدعى أنها تؤمن برب واحد فى أقانيم ثلاثة وكانت قمة تطور العقيدة الالهية فى الاسلام ، هذا هو الخطأ الذى وقع فيه العقاد ، وردده مصطفى محمود حيث جعل العقيدة الالهية تتطور من عبادة الطوطم الى عبادة الأحجار الى عبادة النجوم الى عبادة الآلهة المتعددة .

ويتحدث مصطفى محمود عن الانسان الأول الذى كانت روحه ترتجف جوعا الى الايمان مثلما يرتجف جسده جوعا الى اللقمة والأمان ويقول بالنص : ( ظن أن أباه الميت الذى يظهر له فى الحلم هو الله فعبده وذبح له القرابين واتخذ من قبره محرابا مزارا ) .

ثم جاء التطور من اله متجسد الى عبادة روح مجردة بلا شكل ولا جسم .

ولا شك أن مفهوم تطور العقيدة عند الكاتبين يناقض القرآن ، فالقرآن يخبرنا أن أبا البشر آدم عليه السلام كان نبيا موحدا على أنقى

صور التوحيد ولم يكن اخناتون عابد الشمس هو أول موحد على وجه الأرض كما يزعم العقاد ومصطفى محمود ونجيب محفوظ . ويخبرنا القرآن الكريم أن نوحا عليه السلام كان من أولى العزم من الرسل وكان على أنقى صور التوحيد وأعلاها وهو الذى دعا قومه الف سنة الا خمسين عاما الى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ثم جاءت الرسل تترى ( هود وصالح وشعيب ) وابراهيم وبنيه اسماعيل واسحق ومن وراء اسحق يعقوب ووصى بها يعقوب بنيه ودعاهم الى أن لا يموتن الا وهم مسلمون ، ويوسف الصديق الذى قال : توفنى مسلما والحقنى بالصالحين واستمر ركب التوحيد فى ركب النبوة : الى موسى وعيسى . وقد أخطأ العقاد ومصطفى محمود فى القول بأنه ليس فى التوراة ذكر للتوحيد الا قبيل زمن المسيح وأنه ليس فيها ذكر للجنة والنار واليوم الآخر وليس فيها أى سمو الى آخر مايناقض صريح القرآن . والمعروف أن اليهود حرفوا التوراة وبدلوا كلام الله ليشتروا به ثمنا قليلا كما وصفهم الله تعالى في القرآن ، ويقول الحق ( نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان . ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام . وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ) .

وهكذا نرى أنه ليس من اختلاف قط فى العقيدة وان التحريف والتبديل قد حصل على فترات من الرسل ، فآدم عليه السلام وبنوه كانوا موحدين ولكن الذرارى طال عليهم العهد فنسوا حظا مما ذكروا به فتولوا وكفروا فأنزل الله الأنبياء والرسل يردونهم الى جادة الحق ، وتاريخ الانسانية من فجرها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها يمثل هذا الصراع الدائم بين الحق والباطل ولا اختلاف بين الرسالات جميعا فى العقيدة ، وانما الاختلاف بين الشرائع فى التفاصيل . ومن رحمة الله بالعباد أن جعل أحكام الشريعة السابقة منسوخة بالشريعة اللاحقة يبقى منها مايصلح لذلك الزمان وينسخ الله الأحكام الأخرى تخفيفا ورحمة : ( ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ) .

وقد حسب الكاتبان أنهما يؤديان للاسلام خدمة وما دريا أنهما يخالفان صريح القرآن وأن الخلط بين أنبياء الله وبين اخناتون : فرعون مصر وعابد الشمس والقائل عن نفسه أنه ابن الاله ومن صلبه ملك مصر العليا والسفلى وسيد الأرضين كيف يقال عنه أنه أول الموحدين .

وخطأ العقاد قوله ان التطور فى الديانات محقق لاشك فيه ولا ريب أنه قد خدع للقراءات اليهودية التى دبر بها التلموديون مؤامراتهم للادعاء بأن دينهم أول دين توحيد ، ومن متابعة هـذا الخطأ نرى كتاب اليوم يقولون ( ولمـا جاء عصر الأديان ) يقصدون اليهودية مع أن دين الله قائم منذ أبى البشر آدم لم ينقطع ( محمد على الباز ) .

## حيـــاة محمـــد

تعرض كتاب حيـــاة محمد للدكتور محمد حسين هيكل الى نقد شديد فقد جرى فيـــه كاتبه مجرى المتابعة لمنهج المستشرقين ، بل انه بدأ كتابه بترجمة فصـــولا من كتاب حيـــاة محمد للمستشرق الفرنسى اميل درمنجم الذى كتب كتابه تحت تأثير ظروف العلاقات السياسية بين المغرب الاسلامى وبين فرنسا الكاثوليكية ، ولذلك فقد حاول فيه أن يعمل على تقريب وجهات النظر مما فات الدكتور هيكل فخدع به وتابعه :

وقـــد كشف هذه الأخطار فى نفس الوقت الذى كان هيـــكل يترجم فصول كتاب صاحبه ويعلق عليها وهو الدكتور حسين الهراوى . كما نقد هـــذا الاتجاه شيخ الاسلام مصطفى صبرى ثم جاء بعد سنوات الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى فواجه هذا التيار فقال :

ان من أسباب نشأة هذه المدرسة فى حينها : ذلك الانبهـــار الذى أصيبت به كثير من العقول العربيـــة المسلمة من أنبـــاء الهضة العلمية فى أوربا فقد راحت تلك العقول تتوهم — تحت تأثير ذلك الانبهار — أنه ليس من المسلمين وبين أن ينهضوا مثل تلك النهضة الا أن يفهموا الاسلام هنـــا كما فهمت أوربا النصرانية هنـــاك ، وأن يضعوا حقائق الاســـلام الغيبية من وراء اكتشافات العلوم المادية فلا يؤمنوا بغيب لم يدركه علم ، ولا يعرجوا على معجزة لم يؤيدها اكتشاف أو اختراع فان فعلوا ذلك نهضوا

نهضة أوربا فى علومها ولحقوها فى وقيها وفنونها . وكان من مظاهر هذا الاصلاح ظهور أول تجربة تحاول تحليل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تحليلا يسير فى خضوع منكسر وراء العقلية الأوربية وتحت لواء مازعموه ( العلم الحديث ) أجل فقد كان كتاب ( حياة محمد ) لحسين هيكل التجربة الرائدة فى هذا المضمار أعلن فيه الرجل أنه لا يريد أن يفهم حياة محمد عليه الصلاة والسلام الا كما يأمر به العلم ولذلك فلا خوارق ولا معجزات، فى حياته عليه الصلاة والسلام وانما هو القرآن والقرآن فقط . وانبرى الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر يقرظ الكتاب ويبارك الخطوة الرائدة وانطلق محمد فريد وجدى هو الآخر ينشر سلسلة مقالاته داعيا الناس الى فهم الاسلام والسيرة النبوية عن طريق العلم ، ولو اقتضى ذلك الاعراض عن الخبر الصادق الذى ثبت فى الكتاب والسنة وانما كان يقصد بطريق العلم ألا يستسلم العقل للغيبيات ولا للخوارق والمعجزات وان جاء بها الخبر الصادق المتواتر . كأن العلم انما يتحقق بانكار كل مالم يقع تحت حسك وشعورك ، كانت هذه المدرسة رد فعل أثاره الانبهار والشعور بالضعف لدى طائفة من المسلمين تهيأ لها سبب ظروف خاصة أحاطت بها وهى أن تطلع على الحياة الأوربية فتستهويها زخارفها وملاذها فاتخذوا من نزوات أنفسهم حاكما متسلطا على عقولهم واصطنعوا بذلك مدرسة فكرية ظاهرها الاصلاح الدينى وباطنها الاستخذاء النفسى والانبهار الفكرى بين يدى نهضة الغرب ، ومع الأسف فان هذه المدرسة لم تكسب الى نهضة علمية كالتى نهضتها أوربا كما كانوا يتوهمون . لقد كان من الخطأ أن يحاول المسلم فهم حياة رسول الله على أنه عبقرى عظيم أو قائد خطير أو داهية محنك فمثل هذه المحاولة ليست الا معاندة أو معابثة للحقائق الكبرى التى تزخر بها حياة محمد صلى الله عليه وسلم ،ولقد أثبتت الحقائق أن النبى كان متصفا بكل صفات السمو والكمال الخلقى والعقلى والنفسى ، ولكن كل ذلك كان ينبع من حقيقة كبرى واحدة فى حياته عليه الصلاة والسلام ، ألا وهى أنه نبى مرسل من قبل الله عز وجل ولا ينبغى للمسلم أن يتصور أن المعجزة الوحيدة فى حياته صلى الله عليه وسلم انما هى القرآن مادام انه لا ينكر أن له عليه الصلاة والسلام سيرة يحاول أن يفهم حياته من خلالها . أما اذا كان ينكر وجود هذه السيرة فان

عليه أن ينكر معجزة القرآن أيضا اذ لم تبلغنا معجزات رسول الله المختلفة الا من حيث بلغتنا معجزة القرآن .

وقال الأستاذ حسين الهمراوى للدكتور هيكل فى التعليق على مانقله عن درمنحم :

كأنى بالأستاذ يعجب بما فى الكتاب وما يحويه من آراء تقرب مسافة الخلف بين الاسلام والنصرانية على ماتفرضه من حسن النية فى المؤلفوالعاطفة الدينية والأدبية فى الناقد الا أننا رأينا العلمين يسيران معا فى الطريق الذى رسمه جماعة المستشرقين .

يقول هيكل والواقع أن النبى صلى الله عليه وسلم منذ الساعة الأولى بل من قبل أن ينزل عليه جبريل بالوحى كان أشد مايكون نفورا من هذه الوثنية التى نشأ أهله من قريش فيها وأشد مايكون ميلا لهذه المعانى الروحية التى يتحدث عنها النصارى واليهود المنبثون من أهل الكتاب فى أنحاء شبه جزيرة العرب ، فحين كان يتصل بهم أثناء ذهابه الى الشام والى اليمن فى القوافل قبل أن يقوم فى تجارة خديجة وبعد أن قام بها ، هذه المعانى الروحية هى التى دفعته الى أن يتحنث فى كل عام بغار حراء شهرا أو أكثر من شهر ، ثم قوله : هذا الاتصال بأهل الكتاب وكتبهم هو الذى أدى بمحمد كما قدمنا لينصح الى الذين اتبعوه بعد أن أمضهم أذى قريش أن يهاجروا الى الحبشة المسيحية فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد . ويعترض الدكتور حسين الهراوى على هذا الاتجاه الخاطىء للدكتور ويقول ان الذى تفهمه من ذلك أن تعاليم أهل الكتاب كانت قد لفتت نظر سيدنا محمد الى الكمال الروحى والمثل الأعلى وجعلته يتحنث فى الغار وهذه طريقة المستشرقين فى البحث ورد الهراوى على القول بأن مصادر القرآن هى هذه الكتب التى يدعون أن النبى قد استفاد منها فى سياحاته .

وتساءل الهراوى فقال : هل حقيقة كانت الهجرة الى الحبشة لأنها مسيحية ، ويقول ان درمنحم شأن المستشرقين بتر هذه القصة بصفة مشوهة للحقيقة فلم يكن الدافع للنجاشى ورعه وتقواه ولم يكن سببعطفه ورحمته ذلك الدافع الدينى بل الدافع الحقيقى أن هذا النجاشى كان عادلا

وهـــذه هى الخلة التى ذكرها النبى حين قال ( لأن فيها ملـــكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق )

وكان من أخطاء درمنحم أن استدل بالآية الـكريمة :

( فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب ).

استدل بها درمنحم على أن الله تعالى رضى الناس الاسلام دينا مع بقاء الأديان التى سبقت وحدة مندمجة فى هذا الـكمال الروحى اندماجا أشار اليه القرآن فى قصص أصحاب هذه الأديان .

ولا ريب أن هذه مراوغة خطيرة من الاستشراق يحاول بها أن يفسر الآيات القرآنية تفسيرا يخـدم به أهـدافه والحقيقة أن الاسلام كما جاء فى القرآن جاء ليظهره الله على الدين كله وأن الأديان كلها التى سبقت كانت موصلة اليه لولا أن قادتها حرفوها .

والواقع أن الدكتور هيكل قد تابع منهج المستشرقين وخضع لمفهومهم فى الفلسفة المادية بالنسبة للمعجزات وبالنســـبة للاسراء والمعراج ولم يستطع أن يتحرر من التبعية الفكرية .

## تفســـير عصرى للقرآن

يقول الدكتور فتحى حمـــوده : ان تفسير القرآن هو أسمى مراتب الاجتهاد ولابد لمن يتصدى له أن يكون مشتهرا بالتقوى والورع والصفاء النفسي والاشراق القلبى حتى يصافح روح القرآن ويتمزج بأسراره وينفذ الى أغواره ويهتدى الى خوافى سحره واعجازه ، وأن يستوفى بعد ذلك شرائط الاجتهاد العـــامة من بصر واحاطة بلسان العرب ومفرداته والآلات عباراته وعلومه وفنونه وآدابه وآثاره وعيون تراثه احاطة شاملة وعلما ثابتا بالقرآن وأحكامه وطرق استخدام هــذه الأحكام الى وعى صــادق ومعرفة وثيقـــة بوجوه القياس والاهتـــداء الى العلل والمقاصد العـــامة والخاصة للشرع على الاجماع ، وواضح أن الدكتور مصطفى محمود يفتقد العدة اللازمة لهذا العمل الخطير وليس معنى أن الاسلام خال من الكهنوت وأن لـــكل ذى عينين أن ينظر فيه أنه — أى الاسلام — يستغنى عن العلماء والمتخصصين المتبحرين فى علومه وأحكامه والذين هم مكلفون ببيانها للناس على وجهها الصحيح .

(٢) ان من أحكام الشرع أحكاما يقينية ثابتة منقولة بالتواتر معلومة للعلم والخاص ممتنعة على الجدل والخلاف كالتكاليف والمحرمات ، وهذه تخرج عن نطاق الاجتهاد لأن طرح الاجماع حرام ومن جحدها أو خالف عنها فهو آثم فاسق ، وطائفة أخرى من الأحكام خافية الدليل مفضية الى الخلاف الأبيض فى اكتشاف دليلها ، وهذه تترك للاجتهاد بشرط ألا يمارسه الا من استوفى شرائطه من أئمة الاجهاد .

والملاحظ أن الطبيب المفسر قد أغفل هذا التقسيم وتجاهل هذه الفوارق وانطلق فى أرجاء القرآن من غير تمييز وتعرض لأصول الدين ذاتها يصوغها على مطلق هواه ومشيئته ، وبالأسلوب الذى يناسب تغير الموديلات وتطور الموضات على أبواب السبعينيات ، فهو مثلا ينكر الجنة والنار ويقول ان الأمر لن يعدو بالنسبة للعصاة نوعا من الندم والعذاب النفسى وبالنسبة للاخيار لونا من الشعور بالراحة والسكينة ، وهو قول يشبه قول اليهود بانكار البعث والحساب وبأن الجنة والنار قائمتان فى الحياة الدنيا وأن أغنياء الدنيا هم أهل الجنة والفقراء هم أهل الجحيم .

(٣) اطلاق آراء غير مسئولة ولا معقولة مثل تسامحه فى العرى الذى تهافتت عليه النساء اذ هو يرى أن بضعة أمتار ( كذا ) تزيد أو تنقص فى ثوب المرأة لا تؤثر فى دينها وفى صفاء قلبها .

وقال أحمد موسى سالم : ان هذا التفسير رجعى أولا لأنه يزعم للمسلمين أن القرآن كتاب دين أخلاق وليس كتابا فى السياسة وهو بهذا يخفى من أبسط البسائط فى واقع الدعوة الاسلامية وواقع تطبيقاتها ان الدين الذى هو تفسير مجدد للحياة والوجود والكون والانسان والمجتمع والتاريخ يحرك السياسة بكل أبعادها فى الحكم والأموال وعلاقات المجتمع وخصائص الثقافة ومناهج الحضارة ، ولقد ظل القرآن الكريم بهذا المعنى الشامل يحرك السياسة فى المجتمع الاسلامى ويحفظ عليه قوته العلمية والاقتصادية والفكرية والعسكرية والدولية ، طوال عصر نهضة المسلمين ، وهو رجعى لأنه يعرض الى نذر القرآن بحتمية الموت والهلاك والفناء بصياغات مبهمة تبرق من خلالها ملامح الروحانية الهندية وروح النرفانا التى تحمل الدعوة المرفوضة بالاسلام وهى ( أنت تتطهر بقدر ماترفع يدك عن شواغل الحياة وبناء الحياة ) . وهو رجعى لأنه لايعرف

الفـرق بين الطبقة والدرجة هذا المعنى الواضح فى القـرآن الكريم والذى ميزت فيه آياته البينات بين الحديث عن الطبقة فى موضوع الكبراء والأراذل والحديث عن درجات المؤمنين أو درجات العاملين فالدرجة فى بيان القرآن الكريم تعنى التقدم أو التأخر على خط واحد مستقيم يقاس به على نقلـه ومستوياته جميع النـاس وفق قانون واحـد للايمان والعمل هم جميعـا متساوون أمامه من غير تمييز بالعنصر أو اللون أو اللسان . أما الطبقة فهى جماعة من الناس تختلف تماما فى مصالحها وملامحهـا عما تحتها أو فوقها من طبقة أو طبقات فى المجتمع الواحد .

وهو قد جعل التصوف هو الضوء فى مقابل ظلام المادية الالحادية ، وله وقفة فى تفسيره للحرام والحلال بحسن نية وقفة صريحة بجانب المادية الغربية المادية الاستعمارية التى لا يقل خطرها الأخلاقى علينا وعلى قيمنا عن المادية الالحادية الشرقيـة والتى نجـد فى التفسـير الصحيح الأمين والعصرى للقرآن الكريم مانرد به دون خفاء على هذه وتلك بكلمة سواء يفهمها العامة والخاصة جميعا » .

وقد ردد كثير من الباحثين أخطاء مصطفى محمود فى التفسير وخاصة مانقله عن ابن عربى من أن عذاب الآخرة عذاب معنوى أو انه عذاب الضمير والوجدان ، وقال ابن الخطيب انه لو تدبر آيات العـذاب لوجـد « كلما نضجت جلودهم » فهل يمكن أن يقع نضج الجلود على الضمير والوجدان .

وخطأه فى اباحة النظر الى من يحرم النظر اليها ، واباحة ما عليه الآن نساؤنا وفتياتنا من امتهان للخلق واحتقار لتعاليم الاسـلام ولو قرأ بعض أحاديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لاستبان حرمة النظر مطلقا بريئة كانت النظرة أم آثمة وذلك لأن ديننا الحنيف حرص دائما على سد الذرائع فى كل ماشرعه لنا .

كذلك أخذ على مصطفى محمود انه أخطأ فى تفسـير خطيئة آدم فى الجنة وحجج برأى منحرف عن نعيم الجنة وأن العسل واللبن والخمر كانت سببا فى صدوده عن الدين بادىء الأمر ، وأخطأ فى القول بأن الله ( جل شأنه ) هو العقل المحيط ، ذلك انه لم يرد فى أسمائه تعالى اسم العقل ثم ، ان الله تبـارك وتعالى فوق كل تصور فلا يصح اطلاق معنى العقل على ذات الله .

## كتاب ( القرآن عقيدته وتعاليمه )

تأليف محى الدينوف

هذا الكتاب عبارة عن حملة شيوعية سافرة ضد القرآن الكريم فهو يهاجم الاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم ومؤلف الكتاب هو محى الدينوف السكرتير السابق للحزب الشيوعى السوفيتى فى ازبكستان والسفير للاتحاد السوفيتى فى سوريا .

وقد وزع الكتاب فى أندونيسيا والكويت عام ١٩٧٤ وكان بمثابة امتداد لخطة تبنتها روسيا فى حملتها ضد القرآن الكريم والتى بدأتها منذ عام ١٩١٧ وفقا للفكر الشيوعى المسموم الذى يعتبر الدين معوقا لحركة التاريخ وان مهمة الشيوعية القضاء على الدين حتى تندفع حركة التاريخ دون عوائق .

وقد حمل الكتاب مجموعة من الأكاذيب والأضاليل منها قول مؤلفه أن مايقرب من ربع القرآن يشتمل على قصص الأنبياء وكثير من الأساطير محرفة نوعا ما ومستعارة من الديانات القديمة والكتب المقدسة وانه اعادة للكلمات القديمة والمكروره فى الفكر الماركسى كله . وهى تلك الكلمات التى تبدأ برفض الحوار الموضوعى والعلمى مع الدين وعلى انهـا الاسلام ، وواضح أن المؤلف لم يراجع أى كتاب من كتب الاسلام المعتمدة وانما تقصى آراء خصوم الاسلام التى تقول أن الاسلام قلل من شأن النساء أو أرغم الشعوب الأخرى على اعتناقه أو وضع الانسان فى مركز ثانوى أو قلل من كبرياء الانسان وكلها اتهامات باطلة جرى تفنيدها وهى متواترة فى كل مؤلفات الاستشراق الشيوعى والغربى على السواء .

## قصة الحضارة

يقول صبحى ماردينى أن ( ول ديورانت ) مؤرخ متحامل فقد قال تحت عنوان الفتح الاسلامى فى الهند مايدهش ويستنكر لما تضمنه البحث من تجن وتحامل على حقائق التاريخ ورجاله الأفذاذ المعروفين رغم ماتفرضه الروح العلمية على العلماء والمؤرخين من نزاهة خالصة وتجرد لاتشوبه

شائبة . فقد استسلم ولديورانت الى عواطفه الشخصية المكبوتة وانساق وراء تأويلاته الذاتية المستمدة من ذلك الحقد الماركسى الذى يحمله الغرب على الشرق عامة وعلى العرب والمسلمين خاصة مما جعله منحرفا عن جادة الحق والصواب وينزلق فى متاهات الحقد والبغض .

يقول لعل الفتح الاسلامى للهند أن يكون اكثر قصص التاريخ تلطخا بالدماء وان حكاية الفتح لما يبعث اليأس فى النفوس لأن مغزاها الواضح هو أن المدينة مضطربةالخطى وان حركة الرقيقالذى قوامه النظام والحرية والثقافة والسلام قد يتحطم فى لحظة فى أيدى جماعة من الهمج تأتى من الخارج غازية » .

هل هى تساوى واحد من الف من معارك التتار والمغول فى أصقاع الأرض والحروب الصليبية العالمية التى اثارها العالم المسيحى علىالعالم الاسلامى ومحاكم التفتيش فى أسبانيا والحربان العالميتان الأولى والثانية.

وينسى المؤلف تلك المجازر الدموية الجماعية التى ارتكبها أجداده الأوربيون ضد الهنود الحمر فى عقر دارهم حين شنوا عليهم حروب الابادة الشاملة فاستأصلوهم تماما وما زالوا يشنونها ضد الزنوج السود فى أمريكا وأفريقيا وضد العرب فى فلسطين المحتلة .

بينما كان العرب ( الهمج كما يطلق عليهم المؤلف ) فى الهند يقضون على الوثنية والفساد وينيرون أرضه المظلمة بعدلهم وتسامحهم ومدنيتهم وذلك باعتراف زعيم هندى كبير غير مسلم مثل نهرو فى كتاباته .

وقد تألم ول ديورانت كثيرا وكاديبكى من فرط الأسى واليأس لما لحق بالمعابد الهندية من احراق وتدمير بعد سرقة تماثيلها الذهبية ونهب ماتحمله من لآلىء وجواهر ثمينة فهل من المدنية والحضارة أن تمتص أقوات الشعب لتجمد فى تماثيل ذهبية تزدان بالأحجار الكريمة وتوضع فى زوايا المعابد لتخدر الشعب الجائع والسيطرة عليه وهل من المدنية والحضارة أن تترك أمثال هذه الثروات الطائلة داخل المعابد بينما يعيش غالبية الشعبالهندى فى فقر وبؤس الا الفئة القليلة جدا فيه وهى الطبقة الحاكمة التى تعيش فى بذخ خيالى وترف حيوى أقرب الى الأسطورة منه الى الواقع .

هذه هى الحضارة التى يتباكى عليها المؤلف . هذه المدنية التى تبيح استغلال النساء لتتجر بأعراضهن . وهذا هو السلام الذى يحرض على قتل النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق ، فيطلب من الزوجة التى يتوفى عنها زوجها بأن تقتل نفسها أو أن تعيش بقية عمرها منبوذة محتقرة مهانة من الجميع . لقد قضى العرب على جميع هذه المفاسد والشرور فأطفئوا نيران الحروب الطائفية التى كانت تشتعل بين حين وأخرى مختلف طوائف الهند العديدة فتفتك بهم الفتك الذريع وتهلكهم بالمئات والألوف . قضوا على الوثنية وحطموا الأصنام ووزعوا ثرواتها على الفقراء والمحرومين ونشروا العدل والمساواة بين الجميع مما جعل الشعب الهندى يلتف حولهم ويساعدهم على حكامه ورفعوا كذلك من مستوى المرأة وكرموها ومنعوا اكراهها على البغاء وقضوا الى الأبد على تلك الخرافة الشائعة التى تقضى بل تقتل المرأة نفسها بعد وفاة زوجها وفتحوا أمامها أبواب الأمل عريضة واسعة لتبدأ حياتها من جديد كما تشاء ومع من تحب .

ولم يكتف ديورانت بهذه المغالطات حول فتح العرب والمسلمين للهند بل هاجم رجالهم بعنف ووصفهم بالطمع والجشع والقسوة ، وتحامل متعسفا بشكل ظاهر على فاتح الهند العظيم البطل الاسلامى المجاهد محمود الغزنوى ( ٩٧٠ — ١٠٣٠ ) الذى أمضى ربع قرن من الزمان من حكمه فى حرب وجهاد حتى ضم شمال غرب الهند والبنجاب لامبراطورية فى وسط آسيا وقد كان بطلا محاربا وسلطانا أديبا ضم بلاطه الفارابى والفردوسى والبيرونى . هؤلاء العرب الذين يصفهم المؤلف بالهمجية يقول عنهم مؤرخ أوربى معاصر يدعى ماكس فانتاجو فى كتابه المعجزة العربية ( كان من المنتظر عندما اضمحلت دولة اليونان أن يهضم اليونان الثقافة الهلينية بسرعة فيحملوا الشعلة الحضارية عاليا أما اليوم فاننا نعرف الأسباب التى أحدثت عكس ذلك وان هذه المهمة المجيدة قد أصبحت من نصيب العرب الذين كانوا يعمرون الامبراطورية المجاورة ) .

# الباب التاسع

## تراجم الأعلام

لورنس
فيليب حتى
ساطع الحصرى
المتنبى
الحلاج
السلطان عبد الحميد
السهروردى
شبلى شميل
ابن رشد
ابن الراوندى
يعقوب ارتين
ولى الدين يكن
غاندى
سارتر
ابن خلدون
ميكافيلى
عمر الخيام
تولستوى
يعقوب صنوع
أديب اسحق
جرجى زيدان
نيتشه
ماركس
فرويد
سعد زغلول
لطفى السيد
كرومر
دنلوب
ولفنجستون
فاسكو دى جاما
الغزالى
كارل مارتل
دوركايم
داروان
لورنس
جبران
أبو نواس
هرتزل

ابن المقفع — زويمـــر
هنرى المـــلاح — أتاتورك
أبو ذر الغفارى — منـــدل
السلطان جلال أكبر — فـــريزر
عبد الرحمن الكواكبى — يوحنـــا الدمشقى
اخنـــاتون — نصير الدين الطوسى
مرشد دبور — ابن عـــربى
المـــأمون

## لورنس

من الشخصيات التى أبرزها الاستعمار وأحاطها بهـالة ضخمة من البطولة : شخصية الضابط لورنس الذى وصـف بأنه ( ملك العرب غير المتوج ) والمغامر الذى كشف المؤلفات والأبحاث عن هويتـه الاستعمارية وولائه المزدوج لبريطانيا والصهيونية العالمية ، وكيف خدع العرب وعايشهم فى خيامهم ( أبان الحرب العالمية الأولى ) على هدف واضح هـو اسقاط الدولة العثمانية والايقاع بين العرب والترك ودفع العرب الى الاقتتال من أجل استيلاء فرنسا وبريطانيا على أراضى فلسطين وسوريا ولبنان ، وقد كشف عن هذه الخدعة التى قام بها فى كتابه ( أعمدة الحـكمة السبعة ) وفضح نفسه : حين قال : لو قيض للخلفاء أن ينتصروا فان وعود بريطانيا للعرب لن تكون سوى حبر على ورق ، ولو كنت رجلا شريفا وناصحا أمينا لصارحتهم بذلك وسرحت جيوشهم وجنبتهم التضحية بأرواحهم فى سـبيل أناس لا يحفظون لهم الا ولا ذمة . وقوله : أما الشرف فقد فقدته يوم أكدت للعرب بأن بريطانيا ستحافظ على وعودهم ، وقوله : لقد جازفت بخديعة العرب لاعتقادى أن مساعدتهم ضرورية لانتصارنا القليل الثمن فى الشرق، ولاعتقادى أن كسبنا للعرب مع الحنث بوعودنا أفضل من عدم الانتصار . ومن ذلك قوله : انى أكثر ما أكون فخرا أن الدم الانجليزى لم يسفك فى المعارك التى خضتها لأن جميع الأقطار الخاضعة لنـا لم تكن تساوى فى نظرى موت انجليزى واحد ، لقد جازفت بخديعة العرب لأننى كنت أرى أن كسبنا للحرب مع الحنث بوعودنا أفضل من عدم الانتصار .

وقد كشف كثير من الباحثين الأجانب والعرب حقيقة لورنس : ذلك الجاسوس البريطانى الذى جاء ( عام ١٩١١ ) قبل الحرب العالمية الأولى على هيئة عضو فى بعثة أثرية تدرس القلاع الصليبيـة وفى جبيل تلقى دروسا فى اللغةالعربية فى مدرسة تبشيرية ، وقد ادعى لورنس أنه جاء ليكتشف الطريق التى سلكها بنو اسرائيل بعد خروجهم من مصر بينما كان يعمل فى الواقع على رسم الخرائط للمنطقة لاستعمالها فى حالة الحرب ،

فلما أعلنت الثورة العربية فى الحجاز رافق فيصل بن الحسين عامين ونصف . فى أثناء ذلك سار الجيش العربى من ميناء جدة على البحر الأحمر حتى دخل دمشق منتصرا فى ٣٠ سبتمبر ١٩١٨ .

ولقد خدع لورنس العرب وعمل على تحطيم قـوى الجيش العثمانى ونسف القطارات المحملة بالذخائر فلما انتهت المعركة وأعلن لورد اللنبى فى القـدس ( الآن انتهت الحروب الصليبيـة ) وأعلن غورو فى دمشق قولته : هانحن قد عدنا ياصلاح الدين ، عهد لورنس الى أعظم سرقة حين سلب قبر صلاح الدين اكليلا من الذهب كان قد قدمه له الامبراطور غليوم يوم زيارته لدمشق .

ولما نجحت خطط الاستعمار البريطانى ، اتجه بجهوده لانجاح خطط الصهيونية وأقنع فيصل بالاجتماع بويزمان زعيم اليهود .

لقد كان من أكبر أهداف لورنس وبريطانيا استبدال خليفة المسلمين فى نظر مسلمى العالم بشريف من نسـل الرسول حاكم الحـرمين وحامى الـكعبة .

وكان لورنس يؤمن أن الثورة العربيـة هى تقطيع أوصـال الدولة العثمانية وايقاع الخلاف بين العرب والترك وفتح الطريق أمام الصهيونية الى فلسطين .

وقـد أهـدي لورنس كتابه ( أعمدة الحكمـة السبعة ) الى سارة أرنسوهن الجاسوسة اليهودية التى ألقى الأتراك القبض عليها فى الناصرة أثناء الحرب فى فلسطين فانتحرت حتى لا تبوح بسرها .

هذا هو لورنس الذى كانت الصحف تكتب عنه وتصـوره على أنه منقذ العرب وملك العرب غير المتوج والذى جعلوه صانع الثورة العربيـة وقائدها الفعلي .

وقـد كشفت كتابات البريطـانيين أنفسهم عن لورنس أنه لم يكن جاسوسا لبريطانيا والصهيونيـة فحسب ، ولـكنه كان الى ذلك انسانا منحرفا ، من الوجهة النفسية والاجتماعية والخلقية وأن تاريخ حياته يحمل صورة من الشذوذ الجسي غاية فى الغرابة والعنف . كذلك فقـد كشفت كتابات المؤرخين خطأ ماذهب اليه البعض من أن لورنس هو ملك العـرب

غيره المتوج أو أنه كان مخلصا للعرب ، وأن كتابه فى الأعمدة السبعة كان مجموعة من الأكاذيب وهى صفحة اتهام له بالتبعية للاستعمار والصهيونية .

## فيليب حتى

كان ( فيليب ) حتى في كل كتاباته ممثلا للطابع اللبناني الخالص القائم علي منطلق الفينيقية المنفصل عن العروبة والأمة العربية . وقد أقام دراساته كلها على هذا النحو وأكد اقليمية لبنان وانفصاليته ورسم له تاريخا قديما مستقلا عن الأمة العربية مرتبطا بأوربا والغرب ، وكانت مؤلفاته عاملا هاما فى تأكيد دعوى الكيان الخاص والانفصال بين لبنان والعروبة، وقد أضفى هذا الاتجاه وهذه العقيدة على مختلف آرائه التى ساقها فى كتابه ( العرب ) وغيره طابعا خاصا ، بعيدا عن المنطلق العلمى والتفسير التاريخى المنصف الصريح الذى يرد الأمور الى مصادرها فهو يتنكر تنكرا مطلقا لأثر الاسلام فى الأمة العربية ، ويضيف كل تاريخ الاسلام ونهضته وحضارته السامقة الممتدة على الزمن الى العرب وحدهم ويجرى الكلام عنها تحت عنوان (العرب) فى تجاهل للاسلام واضح، وانحراف عن المنهج العلمى القائم على تأكيد أثر المسلمين من أتراك وفرس وهنود وبربر وغيرهم . وبذلك فهو يمثل طابع المستشرقين ومنهجهم مكتوبا باللغة العربية ( وان لم يكتب هو مؤلفاته أيضا باللغة العربية ) بل كتبها بالانجليزية ثم ترجمت وأحيطت بقدر كبير من التركيز والاهتمام رغبة فى ترويج آرائه ونظرياته التغريبية الاقليمية البعيدة عن الانصاف .

وقد راجع هذه الآراء الخاطئة كثير من الباحثين المنصفين وكشفوا عن وجه الزيف والخطأ فيها وفى مقدمة من شجبوا آراءه الدكتور عبد العزيز الدورى الذى كشف عن خطأ فيليب حتى المتعمد فى القول بأن علم التاريخ عند العرب منقول من المفاهيم الأجنبية والفارسية القديمة وقد أشار الى هذا حين قال : تبين لى فى نشأة علم التاريخ عند العرب ، ان هذا العلم عربى النشأة والأصول وان خطوطه الأساسية تحددت قبل الترجمة من الفارسية وخطأ قوله بأن المثال الذى احتذاه المؤلفون فارسى عن الأصل على طريقة ( خدا ينامه ) مردود ، وقال نحن نعرف أن كتابة التاريخ الاسلامى انما جرت على أساس السير وعلى أساس الأسر الحاكمة قبل ترجمة الخداينامه وقال : لقد بدأ علم التاريخ عند العرب من أصول تتصل

بدراسة الحديث ( المغازى ) من جهة وبمتابعة الاهتمام الموروث من الجاهلية بالأيام كما ظهر لدى الاخباريين .

وقد أشار كثير من الباحثين الى مدى تعصب فيليب حتى ، وبعده عن المنهج العلمى وأنه وقع تحت تأثير النظريات التى فرضها النفوذ الاستعمارى على لبنان بعد الحرب العالمية الأولى والتى حاولت أن تخلق للبنان الشخصية تاريخية منفصلة عن تاريخ العرب والاسلام ، وبدأت اقليميته فى أنه مزق تاريخ العرب على حد ما أسماه تاريخ لبنان ، تاريخ سوريا ، تاريخ فلسطين .

ولعل أبرز أخطاء فيليب حتى التى كان يروج لها هى الادعاء بأن اللبنانيين هم الذين قادوا النهضة العربية الحديثة وأنهم قدموا الى مصر فأنشأوا فيها الصحف والمطابع وكان أبرز رجالهم هو اليازجى والبستانى والشميل وصروف ونمر وزيدان . ولو أن باحثا منصفا راجع هذه المرحلة من تاريخ العالم الاسلامى والبلاد العربية لكشف مدى الدور الخطير الذى لعبه هؤلاء المارون فى سبيل اسقاط الخلافة وتمزيق البلاد وقيام اسرائيل والتمهيد لتسليم الوطن العربى كله للنفوذين الفرنسى والانجليزى .

ومن دعاوى فيليب حتى فصل الجامعة العربية عن الجامعة الاسلامية ، جريا وراء النظرية المارونية اللبنانية الفينيقية الباطلة والزائفة التى تحاول أن تقيم دولة مسيحية فى لبنان تصبح حجر عثرة فى وحدة العالم الاسلامى وتمثل محورا مواجها لمحور اسرائيل .

## ساطع الحصرى

قال على الطنطاوى : ان ساطع الحصرى هو الذى حارب الدعوة الاسلامية عمره كله بقلمه ولسانه وسلطان وظيفته حربا علمية منظمة وكان أسلوبه فى محاربتها هو العمل على احلال العربية محل الاسلامية وهى دعوى الجاهلية التى ينهى رسول الله عنها وبين أن صاحبها ليس منا وأقام برنامج المدارس على هذا الاساس الوهمى ، وقد أحرز الاستاذ ساطع الحصرى شهرة بعيدة المدى فى مجال دراسة القومية وألف فيها عددا من الكتب حتى أصبح مرجعا أساسيا لنظرية القوميات القائمة على أساس اللغة والتاريخ . وقد استهدى الحصرى فى أبحاثه بالنظرية الألمانية وبمناخ

البلقان في حركته القومية التي رفع فيها شعار اللغة في مواجهة الدولة العثمانية للتحرر منها وكان أكبر أساتذته ماكس مولر ونوردو وهما فيلسوفان يهوديان قصدا من وراء نظرية اللغة الى احياء القومية اليهودية وقد اعتبر ساطع حصري : اللغة أساس القوميــــة وعارض نظرية الأرض التي دعا اليها ( أنطون سعادة ) وقــد جرى الجـدل بينه وبين عدد من النظريات الأوربية في القومية دون أن يواجه الواقع العربي أو يفهم الفكر العربي وجذوره المستمدة من الفكر الاسلامي أساسا ، هذه الجذور التي تجعل من العسير فصل اللغة عن الفكر واعتبارها مقوما منفصلا ، أو الاعتماد على نظرية أن بقاء اللغة أو ضياع اللغة ، هو بقاء الأمة وضياعها ، ذلك أن الانطلاق من مفهوم الفكر الاسلامي نفسه يجعل مثل هذه الآراء على درجة كبيرة من السذاجة والبساطة ، والواقع أن ساطع الحصري كان غربي الفكر أساسا بل وغربي الذوق والنطق أيضا ، وأن تركيبه الثقافي والاجتماعي يحول بينه وبين تبني نظرية عربية أصلية مستمدة من واقع الأمة العربيـــة وكيانها وذاتيتها وقيمها التي لا تنفصل فيها اللغة والتاريخ عن الفكر نفسه وفي ذلك مغالطة أو جهل ، ذلك أن اللغة العربية ليست لغة أمة ولــكنها لغة أمة وفكر معا وأن تاريخ العرب لا ينفصل عن تاريخ الاسلام .

ذلك أن ساطع الحصري نشأ في بيئة الاتحاديين الأتراك الذين كانوا صنائع للفكر الغربي ونشأوا في أحضان المنظمات الماســـونية وحملوا لواء الايمان بالفصل بين الدين والمجتمع وفهموا الاسلام فهما غربيا على أنه دين لاهوتي ، وعلى هذا الفهم الخاطيء القاصر قامت نظرية ساطع الحصري فهي نظرية مضطربة من أساسها لأن كلمة واحدة لو أنها صححت لكان موقف ساطع الحصري من نظريته مختلف كل الاختلاف ، هذه الكلمة هي أن الدين الذي أقام عليه نظريته ليس هو دين العرب والمسلمين ولكنه دين أوربا ، ولذلك فان كل التحديات التي تعالجها نظرية القومية الوافــدة لا توجــد أساسا في الفكر الاسلامي ، هذا فضلا عن اختلاف مفهوم ( العروبة ) عن مفهوم القومية واختلاف مفهوم الاسلام عن مفهوم الدين بصفة عامة .

ويخطيء ساطع الحصري في أنه قصر تقصيرا كبيرا في فهم الفـــكر الاسلامي وأبعاده وارتباط العروبة به ، وعاش في مؤلفاته خادما لنظرية القوميات الأوربية الوافدة ، وهي لا تلتقي على أي وجه مع التحديات التي

واجهتها الأمة العربية بعد سقوط الدولة العثمانية من وجهة نظر الثقافة العربية والفكر الاسلامى الذى يتحرك دائما فى ثلاث دوائر : الوطنية المرتبطة بالأرض، والعروبة المرتبطة بالأمة، ووحدة الفكر الاسلامية الشاملة. ولقد وقف ساطع الحصرى موقف الخصومة والحقد والتعصب مع الاسلام كلما عرض له ، وكانت محاولاته للفصل بين اللغة العربية والفكر الاسلامى محاولة سافجة ثم كشف نفسه وأسقط مكانته كاملة حين اعترف بالقومية اليهودية القائمة على الدين ، بينما عارض عنصر الدين فى فهم القومية العربية ، وان كانت كلمة ( دين ) لا تؤدى معنى الاسلام حين يكون البحث حول العروبة .

وقد ثبت أن ساطع الحصرى قد خدم بدعوته وفكره مفاهيم الماسونية والنظرية القومية الوافدة التى كان النفوذ الغربى حريصا على تلقينها للعالم العربى ، وهى ليست الا صورة من مفهوم الاقليمية اللبنانية . والمعروف أن ساطع الحصرى كان من أعمدة وزارة المعارف فى تركيا منذ أوائل حكم الاتحاديين الى أن انتهت الحرب الأولى ، وانه كان من أخطر الموجهين للبرامج التربوية والتعليمية فى العراق حيث عمد الى فصلها عن الاسلام فصلا تاما وكان دوره أشبه بدور طه حسين فى التعليم المصرى .

وجملة القول أن ساطع الحصرى نادى بمفهوم القومية الأوربية الوافد وحاول تطبيقه على ( العروبة ) ذات الجذور العربية الاسلامية دون أن يدرك أعماق الأثر الذى تركه الفكر الاسلامى والقرآن فى اللغة العربية وفى الأمة العربية ومدى ترابط ذلك الى أكثر من ثلاثة آلاف سنة بالأمة الوسطى الحنيفية السمحاء التى جاء بها ابراهيم فربطت هذا العالم الوسط : ( عالم العرب والاسلام ) بروابط تاريخية وثقافية عميقة دعمتها الأديان السماوية التى نزلت فى أرض الرافدين وختمتها رسالة الاسلام العالمية التى نزلت فى الجزيرة العربية .

وقد استوحى ساطع الحصرى نظرية ( الفصل ) وهى نظرية معروفة فى الفكر الغربى ، استوحاها من الاتحاديين الأتراك ولكنها تسقط سقوطا شديدا عندما تطبق على الفكر الاسلامى الذى يقوم على التكامل وترابط القيم فقد ركز على اللغة كأساس لنظريته وعزلها عن مفهوم الفكر العربى الواسع كما ركز طه حسين على

الأدب وعزله عن الفكر الاسلامى أو ( عن الدين والقومية ) على حد تعبيره .

ونظرة طه حسين كنظرة ساطع الحصرى نظرة ضيقة أوربية لاتتفق مع المزاج النفسى والاجتماعى الاسلامى القائم على تكامل القيم وشمولها . كما دعا الى اعتبار التاريخ مقوما وبذلك عزله عن اللغة والفكر والثقافة جميعـــا .

كما ختلف مع دعاة الأرض والوطنية ( أنطون سعادة ) وهى نظرية أخرى وافدة لا يعترف بها الفكر العربى الاسلامى الذى يؤمن بالحلقـــات الثلاث المترابطة المتـــداخلة : ( الأرض ، والأمة ، والفكر ) وقـــد اعترف ساطع الحصرى باسرائيل قومية تقوم على الدين ، ورفض اعتبار الاسلام مقوما بوصفه دينا ،ومفهومه للاسلام هو مفهوم غربى خالص للدين الغربى استمده من مفهوم الاتحاديين فى تركيا ، وقد فهم الاســـلام على أنه دين روحى كما فهم الأوربيون الدين وكما وصف المستشرقون والمبشرون الاسلام ولم يفرق بين الدين بعامة والاسلام، ولم ينظر الى فوارق العصر والبيئة والجذور الثقافية التى تختلف فيها القومية فى أوربا عن مفهوم العروبة فى عالم الاسلام والعرب .

وعندما قاوم التجزئة والاقليمية لم يقاومها بأسلوب الأصالة العربية بل قاومها عن طريق الأسلوب الوافد ، وقد هاجم القوميين السوريين لأنهم أخذوا نظرية أوربية هى نظرية الأرض ولم يأخذوا نظرية أوربية أخرى هى نظرية اللغة التى دعا اليها وهاجم البعث فى سنواته الأخيرة ولكن دون أن يصل الى أصالة مفهوم العروبة وترابطها مع الفكر الاسلامى ، ذلك الترابط الجذرى الذى لا سبيل للانفكاك عنه .

وقد وصف البـــاحثون ساطع الحصرى بأنه هو أنضج ثمرة من ثمار المدرسة الاتحادية التركية تعلم فى مدرستها وآمن بفلسفتها ونقل فـــكرها ومضامينها الى العرب والمعروف أن مدرســـة الاتحاديين هى التى أنشأت تركيا الفتاة وحزب الاتحاد والترقى ، وهى صنيعة النفوذ الغربى واليهودى لتحطيم الوحدة الاسلامية الجامعة التى كانت تمثلها الخـــلافة الاســـلامية العثمانية ، وخلق الكيانات القومية والاقليمية ، وقد عاشت هذه المـــدرسة فى حضانة الفكر المادى ثمرة فولتير واوجست كونت وكان رجالها من أتباع هيجل ونيتشه ودعاة الفلسفة الوضعية والمتشبعين بالنزعة الطورانيـــة

العدوانية ومفهوم القومية القائم على الصراع مع القوميات الأخرى ، وكان ساطع الحصرى هو بوق الدعوة الاتحادية فى العرب وقد ركز على اللغة وعزلها عن الفكر الاسلامى واعترف بأن اسرائيل قومية تقوم على الدين ورفض اعتبار الاسلام مقوما بوصفه دينا ، ولا ريب أن مفهومه للاسلام كان ناقصا وهو مفهوم اللاهوت والعلمانية واذ تجاهل تكامل الاسلام الجامع بين العبادة ومنهج الحياة ، وبالرغم من أنه هاجم القوميين السوريين فانه لم يصل الى مفهوم العروبة فى ترابطها الجذرى مع الاسلام .

## المتنبى

حرص دعاة نظرية النقد الأدبى الغربى الوافدة على وضع أسس وقواعد للأدب العربى تختلف أختلافا جوهريا مع طبيعته وذاتيته ، وقد استهدفت هذه الدعوة ابراز شخصيات لا تمثل الأدب العربى فى أصالته ، فضلا عن اعلائها : لأبى نواس وبشار والضحاك وغيرهم ، والعمل فى نفس الوقت على تدمير الشخصيات ذات الأصالة والقوة أمثال المتنبى والغزالى وابن خلدون .

وقد ساير الدكتور طه حسين المستشرقين فى هذا الاتجاه ونماه وفتح له آفاق الصحافة والمحاضرات العامة ، وكان المتنبى أحد ضحاياه فقد كتب عنه كتابا حاول اتهامه بأنه لقيط ، فقد مضى يتشكك فى نسب المتنبى حتى وقع فى هذا الشك الجرىء فى محاولة للتقليل من مكانة المتنبى فى الأدب العربى وكان قد سبقه فى هذا أستاذه ( بلاشير ) الذى حارب المنبى فى كتاب ضخم لابد أنه كان الضوء الكاشف أمام محاولة طه حسين .

وقد جرت كل محاولات ماسنيون وفون كريمر وبلاشير ودى ساسى من منطلق الحقد على هذا الشاعر الفحل الذى يعتبره النقاد العرب بحق ( أبين الناس منطقا عن الشخصية العربية وأشدهم اعتزازا بها وتقديرا لها وسعيا لانهاضها ) على حد تعبير الأستاذ محمود محمد شاكر فى كتابه عن المتنبى الذى سبق كتاب الدكور طه حسين ، وقد كان شاكر هو أبرز الذين راجعوا طه حسين فى رأيه فى المتنبى فى مجموعة من المقالات دحض فيها تلك الشبهات التى اثارها الدكتور وكشف الغرض المبيت من ورائها.

ولا شك أن حملات المستشرقين على المتنبى تدخل فى باب اعلائهم وتقديرهم للمنحرفين فى تاريخ الأدب العربى ممن أولوهم اهتماما كبيرا أمثال

الحلاج وشعراء الأغاني ، وهو ان لم يكن تعصبا وحملة تغريبية فانما هو جهل بالذوق العربى والخصومة لشاعر فحل دان العربيــة الف سنة ولم يصل الى مكانته واصل ( على ادهم ) .

وعلى كل حال فان طه حسين كان ظالما ومسرفا فى الشك وبعيدا عن الأسلوب العلمى فى هذه الشبهة التى أثارها والتى ليس لها سند تاريخى أو منطلق علمى .

## الحــــلاج

أولى لمستشرقون ومن تابعهم من دعاة التغريب اهتماما كبيرا بشخصية الحلاج ، وحاولوا تصويره من خلال فكرة خاطئة أريد لصقها بالاسلام وهى مصادرة الفكر والقتل باسم حرية الفكر ، وهــذا مالم يحــدث فى تاريخ الاسلام كله وان حدث فى تاريخ أوربا الغربيــة المسيحيــة ، فلقــد كان الاسلام حفيا بحرية الكلمة الى أبعد حد ، مالم تخرج من نطاق الكلمة الى نطاق آخر : كالتآمر السياسى أو مخابرة دولة أجنبية .

والحلاج لم تقتله الكلمة مهما كانت خارجة عن مفهوم الاسلام ، ومهما كانت مغرقة فى الشك والوثنية وانما قتل حين ثبتت عليه مراســلات الى القرامطة فقد ثبت أنه كان وكيلا لهم ، وكان القرامطة قد أزاحوا النظــام الاسلامى ، وسفحوا الدماء وخربوا البلاد وأنشأوا لهم عاصــمة فى هجر حملوا اليها الحجر الأسود فظل بها نحو ثلاثين عاما .

ولقــد قال أبو يزيد البسطامى وابن عربى مقــالة الحلاج دون أن يصيبهم شر ، والذى عليه القول الراجح أن الحلاج كان يعمل لحســاب القرامطة ، ولن دعواه فى الحلول والاشراق ووحدة الوجــود انما كانت تعمل على افساد الأساس الفكرى للدولة الاسلامية وهدم تعاليم الاسلام كمقدمة لتحطيم سلطته السياسية وهو نفس المنهج الذى سلكته الباطنية، فقد رأى خصوم الاسلام ازاء عجزهم عن هدم دولته أن يلجأوا الى تقويض عقيدة التوحيد التى جمعت شمل العرب وتذرعوا الى ذلك بنظريات التصوف الهندى المجوسية الفارسية والفلسفة الوثنية اليونانية ، وكانت مقــدمات ذلك السخرية بالشريعة الاسلامية والترخص فى الحدود واباحة المحرمات،

وقد جرى الحلاج فى ذلك شوطا طويلا فادعى الألوهية وأتهم بمعارضة القرآن وانه يحيى الموتى وأن الجن يخدمونه وأنه يعمل من الخوارق مايشبه المعجزات وانه كان يدعو الى نوع آخر من الحج غير الطواف بالبيت الحرام فى مكة . وله مع أصحابه كتابات بالشفرة لا يفهمها الا هو ومن أرسلها اليه

وقد وصفته كتب التاريخ بأنه رجل مجوسى الأصل اشتغل بالمخاريق والحيل ادعى العلم بالأسرار ثم تناهى الى ادعاء النبوة ثم الربوبية واستغوى غلمان قصر المقتدر بالله العباسى لينفذ بهم الى تحقيق غايته فأدى ذلك الى قتله ، وذكر أمام الحرمين فى كتابه الشامل أنه كان بين الحلاج وبين الجنابى رئيس القرامطة اتفاق سرى على قلب الدولة وأن هذا هو السبب الحقيقى لقتل الحـلاج .

وقد ظل الحلاج متمتعا بحريته الى اليوم الذى ثبت أنه كان بينه وبين رئيس القرامطة أتفاق سرى على قلب الدولة عند ذلك تعرض للقتل بتهمة غير تهمة حرية الفكر التى يدعيها المستشرقون ولقد خدعت الفلسفات الحلاج فى القول بفكرة وحدة الوجود وغفل عن أن الشريعة الاسلامية جاءت بفكرة التوحيد المنزه وان الله تبارك وتعالى منزه عن الجهة والزمان والمكان ، ويتفرع منه بأن الله تبارك وتعالى مستقل عن هذا الكون خارج عنه وقد أوجده من العدم وهو يمسكه لحظة بعد لحظة الى أن يأذن تبارك وتعالى بانتهائه .

ان البحث العلمى قد كشف الآن حقيقة لا مراء فيها هى أن هذه الدعاوى ظهرت فى ظل هذا المفهوم المضطرب الخاطىء الذى يقوم على تقسيم الشريعة الى باطن وظاهر والذى يجعل بين الظاهر والباطن متاهات من التأويل وتزييف التصوف . هذا التصوف الفلسفى الباطنى الذى يقوم على وحدة الوجود قد امتزجت فيه أمشاج من فلسفات معقدة أجنبية عن بساطة الاسلام وفطرية تعاليمه هى مزيج من فلسفات وتصورات الهنود والفرس والرواقيين من الأغريق ، يحوى كل فكر شارد واسطورة ضالة وشعوذة ماهرة التقت كل هذه التيارات المضطربة ومن ورائها أهواء السياسة ومكايدها فى محاولة للقضاء على بقاء الأسلام واصالته وفطرته وروحه المشرقة للدخول فى متاهات الضلال والجهل والخطيئة ، مما كان مصدرا اساسيا لدخول المسلمين فى مرحلة الضعف والتخلف .

قال الامام ابن تيمية فى رسالته الى الشيخ نصر المنبجى ( أواخر القرن السابع الهجرى ) أحد تلاميذ ابن عربى وحامل لواء فكرة وحدة الوجود فى العالم الاسلامى ان انتشار التصوف المؤسس على عقيدة وحدة الوجود بين الشعوب الاسلامية كان من الأسباب التى أدت الى هجوم التتار والصليبيين على بلاد المسلمين .

كانت هذه الجائحة مقدمة الغزو الفكرى الصليبى التترى الذى قصد به صرف المسلمين عن مفهوم الاسلام الأصيل ليسهل الهجوم عليهم .

بل أن تصوف ابن عربى القائم على وحدة الوجود عمل خطير يهدف الى امتصاص اصالة القرآن المتألقة التى هي أساس عنصر المقاومة الخالد فى تكوين المسلمين الروحى والأخلاقى .

ومن هنا نفهم بحق العلاقة الأكيدة بين نشر هذه الكتابات القديمة وانبعاث تراث ابن عربى والحلاج وابن سبعين وغيرهم وبين مقاصد الاستعمار وعناية المستشرقين .

## السلطان عبد الحميد

لا أعتقد أن هناك شخصية فى العصر الحديث هوجمت بمثل ذلك العنف الذى هوجم به السلطان عبد الحميد ، حيث وصف بما وصف به الديكتاتوريون والظلمة والمستبدون فى التاريخ كله ، وقد جرى هذا السيل من الاتهامات وقتا طويلا حتى ساد جميع كتب التاريخ العربى الحديث وجرى على الالسنة وهو ما كشفت الوثائق السياسية الجادة التى ظهرت فى السنوات الأخيرة عن زيفه وعن الغرض البعيد الذى كان وراء اسقاطه ، ذلك أن السلطان عبد الحميد قد رفض ما عرضته عليه الصهيونية العالمية من فتح الطريق لها الى فلسطين والسماح بالاقامة فى القدس ، وقد كان رفضه صريحا واضحا وحاسما ، وكان ذلك مقدمة للحملة التى شنها الاستعمار والصهيونية عليه واتهامه تمهيدا لاسقاطه ، وقد جرت هذه المحاولة بالسيطرة على جمعية الاتحاد والترقى ودفعها الى الانقلاب داخل المحافل الماسونية ولحسابها ، وكان السلطان عبد الحميد قد تزعم الدعوة الى الجامعة الاسلامية فى مواجهة خطر تزايد النفوذ الاستعمارى ، واقامة قوة حاجزة لا تكتفى بالعرب والترك وهما قوام الدولة العثمانية بل تضم المسلمين جميعا ، وقد

نجحت الدعوة نجاحا كبيرا وأخذت تحقق نتائج هامة ، كان من أبرزها الالتقاء بين السنة والشيعة بعد الخلاف الطويل الذي فرضه النفوذ الاستعماري ، وقد شهد جمال الدين الأفغاني للسلطان عبد الحميد بالدهاء السياسي الخطير في مواجهة أوربا ، وكشفت الوقائع مدى رصانة عبد الحميد وحدة جمال الدين ، حتى في المسائل صغيرة التي لا تحتمل من جمال الدين رجوعه عن بيعته للسلطان .

وقد جرت محاولات كثيرة للتركيز على جمال الدين الافغاني في السنوات الخمسين الأخيرة وابرازه في صورة البطل والقديس ، ولم يكن هذا في الواقع الا محاولة لحجب السلطان عبد الحميد وانتقاصه واحلال جمال الدين كبديل لعبد الحميد وذلك في مجال اخفاء الدور الخطير الذي قام به في مواجهة الصهيونية العالمية والذي كان يعرف هو سلفا أنه سيكلفه عمره وعرشه وقد حدثت بالفعل محاولتان احداهما لاغتياله وأخرى لاقصائه عن الملك وقد فشلت الأولى ونجحت الأخيرة .

ولقد حرصت الدعاوى الصهيونية والاستعمارية وألحت الحاحا شديدا تجاوز كل حد في سبيل تصوير السلطان عبد الحميد في صورة الحاكم الطاغية المستبد من ناحية والرجل الخائف المذعور من ناحية أخرى ، وقد كشفت الوثائق التي برزت في السنوات الأخيرة كذب الادعائين ولم يستطع الحاملون عليه اثبات اسم أحد من أسماء من وصفوا بأنهم أغرقوا في البسفور داخل غرارات على حد قول حافظ ابراهيم في قصيدته ، والحق أن السلطان عبد الحميد استطاع والدولة العثمانية تمر بأقسى مراحل الضعف أن يواجه العالم الغربي الاستعماري بالحيلة والخدعة والمرونة السياسية وانه أوقع الدول بعضها في البعض الآخر ، وتركهم ينشغلون بصراعهم عنه في وقت كانت محاولته لاخراج فكرة الجامعة الاسلامية الى الوجود قد خطت خطوات واسعة وقاربت أن تحقق نتائجها ، التي عملت على جمع المسلمين تحت لواء الخلافة من خارج الدولة العثمانية باسم الخطر الاستعماري والصهيوني الذي يتهددهم وكانت صيحته « يا مسلمي العالم اتحدوا » .

وكان هذا مثار الخصومة الحاقدة على السلطان من الاستعمار بالاضافة الى خصوم الصهيونية وكلاهما كان يطمع في تمزيق الدولة العثمانية وتقسيم التركة .

وهناك شائعة أن السلطان عبد الحميد دس سما للمصلح الأفغانى فمات ولم يثبت هذا تاريخيا . يقول الاستاذ صلاح الدين المنجد : لقد نسبت الى السلطان عبد الحميد أمور كثيرة وهو منها برىء والصحيح أن جمال الدين مات بالسرطان بعد أن مرض شهورا طويلة ولو دسوا له السم لمات بسرعة وقد وصف جرجى زيدان فى الهلال (م٥/١٨٩٧) كيف توفى فقال : « كان قد أصيب بداء السرطان فى فكه السفلى منذ بضعة شهور فقاسى آلاما مبرحة وأجريت له عمليات كثيرة حتى استؤصل الفك السفلى كله أو أكثره فامتـد الداء الى العنق وأوغل فى الفم فعقد اللسان وضاعف الآلام فاشتد المـرض خطرا ولبث الناس ينتظرون وقوع الأجل والحضرة السلطانية تواصـل الالتفات اليه بالاتفاق مع الجيب الهمايونى على أن ذلك لم يدفع مقدورا ولامحا مسـطورا » .

## السهروردى

حاولت حركة التغريب ومعها التبشير والاستشراق اعلاء شأن مجموعة من النماذج الغربية واعطاءها صورة الاستشهاد والبطولة رغبة فى الترويج لأرائها واثارة الرأى حول آراء وافدة على الفكر الاسلامى لم تكن فيه أصلا ولا تمثل جوهره ولا حقيقته .

ومن هؤلاء شهاب الدين السهروردى ( المقتول ) الفيلسوف الذى حمل لواء الفلسفة الاستشراقية المستمدة من الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية والتى تتعارض مع مفهوم التوحيد فى الاسلام ، ولقد اهتم بروكلمن ، وريتر ، وفاندى برج من المستشرقين بآرائه ووصفوه بالعبقرية وترجم أحدهم ( بوج ) كتاب « هياكل النور » كما عرض له ماسنيون أثناء بحوثه عن الحلاج واهتم به كثيرا باول كراوس وهنرى كوربان .

والحقيقة أن السهروردى نتاج غريب عن فكر الاسلام وطابعه ومزاجه الذى شكل أعلام المسلمين فى مجال الفكر من أمثال الغزالى وابن تيمية وابن حزم وغيرهم ، وهو أقرب الى صور الباطنية والمتحللين والمعطلين ولن نصفه بأكثر مما وصفه به من يرونه عبقريا وشهيرا : « لم يكن مظهره مما يلـقى الهيبة والاحترام فى نفوس مستقبليه ، أهمل نفسه أو كاد وبلغ به الاهمال حتى كان على حد قول بعض من أرخ له « كان زيه زريا منكرا زرى الخلقة ،

دنس الثياب ،وسخ البدن،ولا يغسل له ثوبا ولا جسما ولا يدا ولا يقص ظفرا ولا شعرا » ( النجوم الزاهرة ) وزادوا على ذلك فقالوا « ان القمل كان يتناثر على وجهه ويسعى بين ثيابه وأن كل من يراه يهرب منه » هذا ما وصفه به سامى الكيالى فى مجال التقدير والاعجاب ، فكيف بمن يراه غير ذلك ، ولا شك أن هذه الصورة التى يبدو بها السهروردي ، ليست اسلامية أساسا ولا يقرها الاسلام الذى صنع نماذجه على الأخلاق والطهارة والعزة وكان رسوله يعرف قبل قدومه بريح المسك .

وقد وصف السهروردي تلميذ السهروردى أستاذه فى كتابه « نزهة الأرواح » بأنه مهمل الثياب وقد اشارت كتب كثيرة الى قذارته منها كتاب « آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني » وأعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء جـ ٤ . وجماع القول عنه أنه قرأ فلسفة الاغريق والهند وفارس والفلسفة الاسلامية ، وأنه أراد أن يبدع من هذا المزيج فلسفة جديدة رسم خيوطها فى فلسفته الاشراقية .

وما ذهب اليه السهروردى فى تفسيرا الاشراق مخالف كل المخالفة لحقائق الاسلام ولمفهومه فى التوحيد ، الذى يفصل بين الله والعالم والذى لا يقر الاتحاد على النحو الذى قالت به فلسفات الوثنية .

ولم يكن السهروردى متصوفا بمفهوم التصوف الاسلامى ، ولكنه كان فيلسوفا غاليا ذهب الى أبعد المدى فى التبعية لمدرسة أفلوطين المسيحية الوثنية التى اعتبرت الاشراق أساس المعرفة الوحيد ، وهذا الانحراف عن مفاهيم الاسلام هو الذى أثار عليه خلاف الفقهاء والصوفية والمعتقدين المسلمين جميعا ، فقد خرج بآرائه من مفهوم الاسلام الصحيح وانحرف به ، وجمع بين الشك والايمان والكفر والشعوذة والتصوف والهرطقة حتى جر عليه كل ذلك الاتهام بالزيغ وانحلال العقيدة هذا فضلا عن اشتغاله بالفلسفة والكيمياء والسحر وأبواب الزيبرجات ، بالاضافة الى التأويل وكلها صفات دعاة الباطنية .

ومع ذلك فان هذا الانحراف عن مفهوم الاسلام لم يكن ليقضى على السهروردى بالقتل ، لولا ثبوت الاتهام عليه بالأسفار مع خصوم المسلمين ابان الحروب الصليبية ، وكانت هذه الخيانة هى التى دفعت الملك الظاهر ابن صلاح الدين الى المطالبة باهدار دمه .

ومن هنا تكذب كل التخرصات التى ساقها التغريبيون بأن السهروردى ذهب ضحية حرية الفكر ، فالسهروردى فى الحق لم يذهب ضحية معتقده ولا فكره ولم يكن ضحية أذى حاكم أو نفوذ سلطان ولم يذهب ضحية التخويف بالله والاساءة الى نبوة الرسول ، فذلك كله فى الاسلام موكول الى أمر الله ولكن السهروردى ذهب كما ذهب الحلاج ضحية خيانته الدولة الاسلامية والاتصال بخصومها .

وكانت الباطنية حركة سياسية خطيرة تصارع الاسلام وتحاول أن تنفذ الى اعماقه بوساطة أمثال هؤلاء الغلاة

## شبلي شميل

حمل شبلى شميل لواء الدعوة الى الفلسفة المادية وكان واحدا من دعاة التبشير والغزو الثقافي الذين خرجتهم معاهد الارساليات فى لبنان وقدموا الى مصر من أجل العمل وكان منطلقه هو مذهب دارون وقد اختار له تفسير بخنر وهو من غلاة الماديين ولم يقف شبلى شميل عند حدود المذهب العلمى بل ذهب يطبقه على المجتمعات من خلال نظرية التطور المادية التي تريد أن تفرض تفسيرا للفكر والمجتمع والحياة منطلقا من معارضة تامة للاديان والقيم والمثل التى صاغت النفس العربية الاسلامية . وقد كان الى هذا الاتجاه نحو هدم كل المقدرات مواليا ولاء استعماريا للنفوذ البريطانى فى مصر والأجنبى في البلاد العربية ولم يكن داعية الى الحرية والايمان بمقومات العرب أو ذاتيتهم ، وكان طامعا في أن يضع هذه الأمة فى آتون العالمية والأممية لتنصهر فيه مسخا غريبا لا هو عربى ولا هو غربى .

وقد كشف صديقه وزميله الدكتور صروف عن أخطاء شبلى شميل فأشار الى أنه تعلم الطب ولم يدرس العلوم الطبيعية ولذلك فان رأيه فى هذا المجال غير علمى بالقدر الكافى ، وأن صروف نفسه الذى درس العلوم الطبيعية لا يرى رأى شميل فى مذهب دارون ولا في نظرية النشوء والارتقاء التى اعتمد فيها شميل على الغلاة : هيكل وبخنر يقول : تناول مذهب النشوء وترجم كتابا مفصلا فيه هو شرح بخنر على مذهب دارون ثم توسع في هذا الموضوع وطبقه على كل ما فى الكون حاسبا اياه وسيلة لاصلاح حال المجتمع الانسانى .

وقال : ولم يكتف الدكتور شميل بمتابعة العلماء الذين لم يروا فى الكون غير المادة والقوة ، بل تابع العلماء الذين قالوا انه ليس فيه غير القوة وأن المادة حالة من حالات القوة .

ولكن العلماء الطبيعيين الذين أثبتوا بالتجارب أن المادة قوة ، أكثرهم من المعتقدين بوجود الأرواح مستقلة عن المادة وجلهم من المعتقدين بصحة مذهب دارون ولكنهم لا ينفون وجود الخالق ( أى كما ينفيه شبلى شميل ) .

وأشار صروف الى قول مطران كارليل : اذا عد صانع الساعة حكيما ماهرا فالذى يصنع ساعة تصنع ساعة أخرى أحكم وامهر ، أى اذا كان الخالق أودع فى المادة أو فى القوة قوة تجعلها تولد العناصر والمركبات الكيماوية والنبات والحيوان حتى الانسان فذلك ادل على عظمته وحكمته وقدرته مما لو فرضنا أنه يعنى يوما بيوم يخلق كل نبات وكل حيوان وكل انسان .

وقال ان بخنر خالف دارون ، وان دارون صرح بأن الخالق نفخ نسمة الحياة في الحي الأول الذى تولدت منه الأحياء وبخنر نفى ذلك ( وتابعه شميل ) .

وأشار صروف الى اندفاع شميل العاطفى وراء كل رأى يراه دون حذر أو تقدير للامور ، وأن ذلك كان من اخطر مغامز شخصيته ، ومن الحق أن يقال أن شميل كان يعمل من خلال هدف تغريبى واضح ، وأن صروف كان يريد أن يخفف الصدمة ، ويعمل عن طريق ادخال نفس أفكار التغريب عن طريق المراحل ودون اثارة الضجيج .

ولقد أخذ المؤرخون على شبلى شميل خيانته الوطنية حين كانوا يدعو الى العالمية بينما كانت الحركة الوطنية هى السلاح الوحيد ازاء الاستعمار وأنه كان تحت دعوى العالمية يدافع عن مد امتياز قناة السويس ويوالى الانجليز وقد تكشف أخيرا عن أن الدعوة الى العالمية كانت من أكبر أهداف الصهيونية .

## ابن رشــد

أثيرت شبهات كثيرة حول موقف خليفة قرطبة مع ابن رشد وسجنه اياه وتحريق كتبه وحاول بعض دعاة التغريب وخصوم الاسلام أن يصوروا ما وقع له من اضطهاد ، على أنه مصادرة للفكر فى الاسلام ، وليس هذا صحيحا فى الواقع ولم يعرف فى تاريخ الاسلام أى نوع من اضطهاد المفكرين مهما كانوا يحملون من آراء ، اما ابن رشد فقد كانت خصومته مع الأمير خصومة تجمعت لها عدة عوامل أهمها :

( أولا ) خصومة الفقهاء له مستغلين بعض تزايدات ابن رشد .

ومنها مخاطبته للخليفة ، حيث كان يقول له ( يا أخى ) وكان المنصور لا يضيق به فى أول الأمر فلما تردد كلام الفقهاء عنده بدأ يضيق به ، وأضيف الى ذلك ما أخطأ به ابن رشد حين قال فى كتابه عن الحيوان : ورأيت الزرافة عند ملك البربر مشيرا بذلك الى المنصور ، وقد غضب لذلك الأمير الذى كان يسمى نفسه خليفة للمسلمين أن يوصف بأنه ملك ، وأمر بنفى ابن رشد فأقصاه فى قرية بعيدة أقام بها ثلاثة أعوام ، غير أن الفيلسوف دافع عن نفسه ونفى تهمة العيب فى حق المنصور وقال أنه حين أراد أن يكتب « ملك البرين ) فسبق القلم بها فجاءت ملك البربر أو أن ما وقع هو تحــريف من الناســخ .

ثم كان أن اقتنع الخليفة وعفا عنه وعاد مرة أخرى الى قرطبة .

## ابن الراوندى

أولى المستشرقون وكتاب التغريب اهتمــاما كبيرا بعدد من الزنادقة والمنحرفين من الخارجين عن الاسلام ونشر مؤلفاتهم ودراسة حياتهم ومن هؤلاء ابن الراوندى الذى قال الحافظ بن الجوزى أنه واحد من ثلاثة من زنادقة الاسلام . وابن الراوندى من أصل يهودى وكان أبوه يدين باليهودية ثم أسلم وروى أن بعض اليهود كان يقول لبعض المسلمين بشأن ابن الراوندى : « ليفسدن عليكم هذا كتابكم كما أفسد أبوه التوراة علينا » وكان أبوه قد انشق لأمر ما عن أهل طائفته فأخذ يثير عليهم عجاج الجدل والمشاغبة ،

كما كان ابنه يفعل فيما بعد ، فلما لم يتم له ما أراد انقلب مسـلما نكاية فى بنى دينه اليهــود .

قال البلخى عن ابن الراوندى : انه كان فى أول أمره حسن السـيرة حميد المذهب ، ثم انسلخ عن الدين وأظهر الالحاد والزندقة وطردته المعتزلة فوضع من الكتب الكثير فى مخالفة الاسلام .

وقد دحض آراءه ورد عليه أبو الحسن الخياط المعتـزلى فى كتابه الانتصار ، وقد بلغ ابن الراوندى قمة الخصومة للاسلام فى معارضاته للقرآن الكريم فقد عارض نظم القرآن بنظم من وضعه ووضع التأليف للمرافضة ضد أهل السنة ، والاعتزال ، والسنة ضد الآخرين ، كما وضع لليهود كتابا يرد به على المسلمين ، ثم رام نقضه بنفسه ، ووضع كتاب ( الامامة ) للرافضة لقاء ثلاثين دينارا وكتب غيره للطعن على التوحيد وأهله .

## يعقوب أرتين

من الأسماء التى لمعت لمعانا خاطفا فى ظل الاستعمار البريطانى ، وفى دعم مخططاته فى التعليم ، وكان اليد القادرة من وراء دنلوب القس الايرلندى مستشار الوزارة ومن وراءه سعد زغلول ناظر المعارف وعين اللورد كرومر ، يعوب ارتين الأرمنى الذى عمل وكيلا لوزارة المعارف منذ عام ١٨٨٤ حتى توفى فى عام ١٩١٩ وكان تركيبه الاجتماعى والتاريخى عاملا أساسيا فى تأهيله للعمل الذى قام به بالاضافة الى تعليمه ، فهو من أسرة أرمنينية تعلم فى باريس ومكث بها نحو سبع سنين وعين مربيا لأمراء البيت المالك وأخصهم فؤاد الذى أصبح سلطانا على مصر فى عام ١٩١٧ فملكا ود وصفه المقتطف بعد وفاته بأنه ( تولى عدة مناصب خطيرة مملوءة بالمعضلات لا يوى على تذليل صعابها الا من أتاه الله مقدرة فائقة وذكاء عظيما وفى جميعها فاز بالقدح المعلى ) وله كتاب : القول التام فى التعليم العام ، وكان له دوره فى تغيير مناهج التعليم العربية الاسلامية التى كانت قائمة قبل الاحتلال وابدالها بمناهج زائفة حذفت منها اللغة العربية والقرآن وتاريخ الاسلام .

وقد حرص يعقوب أرتين الأرمنى الأصل أن ينـفى عن المصريين كل عبقرية أو ذكاء فقال : فى رسالة عن الأقاصيص فى وادى النيل له أنكر فيها حتى الذكاء المصرى على ابتكار الأقاصيص الشائعة التى ترويها العجـائز

المسعار فمن رأى ارنين أن هذه الأقاصيص اما من مصدر تركي فارسى حيث يكثر فيها ذكر الجن والعفاريت والنساء وأما يونانية أوربية حيث يكثر فيها الاسلوب البيزنطى والخرافات الموضوعة على ألسنة الحيوانات وأما بربرية يغلب عليها الباعث الدينى والترنم بمحاسن بغداد ، وأما زنجية تدور على السحر والغيلان والرقى والتعاويذ . وقال العقاد معلقا : ان هذا الرأى يدل على جهل بملكة معروفة عند المصريين .

## عمر الخيـــام

اسطارت شهرة عمر الخيام فجأة ، بعد أن كان واحدا من العلمـــاء المسلمين فى مجال الكشوف الجغرافية ورصد الكواكب فأصبح شاعرا خطيرا فى مجال الدعوة الى الانطلاق ، وذلك عندما نشر شاعر انجليزى مجموعة من الشعر عام ١٥٨٩ نسبها الى الخيام هو فيتزجرالد ، وقد نقلت هـــذه القصائد الإنجليزية مرة أخرى الى لغة العربية وانبعث وأوليت اهتماما بالغا فبلغ عدد من ترجموها الي العربية أكثر من سبعة من الأدباء منهم البستانى والزهاوى ورامى والصافى النجفى والسباعى وأبو شادى وحميد الهاشمى .

وقد تبع ذلك اهتمام بالغ وتركيز اشد خطورة على اسم الخيام دفعـــا لهذا التيار الجديد وتعميقا له فصدرت طوابع البريد فى مختلف أنحاء أوربا باسمه وصورته ، وأنشأت الأندية الليلية الصاخبة تحت لوائه، وكتبوا اسمه على اطراف البطاقات ( كارت بوستال ) تعظيما وتكريما لقصائد التحلل والمجون المنسوبة اليه .

وقد كان لهذا التيار أثره فى التعريف بالخيام فى نظر الشرقيين ( عربا ومسلمين ) شاعرا ماجنا عربيدا يدعوا الى اللذة ، وقد استمر ذلك وقتا طويلا حتى كشفت الأبحاث العلمية والدراسات الخالصة البعيدة عن كل زيف عن ان هذه الموجة كاذبة فعلا وأن الخيام لم يكن هو قائل كل هذا الشعر الذى نسب اليه ولم يكن فى حياته انسانا خليعا ولا داعية الى اباحة .

والقول الصحيح أن من وراء رباعيات الخيام هدفا من أهداف التغريب والاستعمار — يقول السيد مبشر الطرازى الحسنى مؤلف كتاب كشف اللثـــام عن رباعيات الخيام ( ان الاستعمار وجد فى هذا العمل ولا سيما فى ايران والهند أهمية خاصة ، وكان فيتزجرالد الشاعر الانجليزى قد لبى الاشارة من

قبل بعض الانجليز فقدم للمستعمر خدمة تحت ستار الأدب الغربي بترجمة تلك الرباعيات بصور خلابة وضعها في كلمات انجليزية جذابة بحيث تخلب قلوب الشباب الناشيء في الشرق ولا سيما الايرانيين والهنديين منهم من حيث طلاوتها ومماشاتها مع الشهوات والنزعات النفسية . ولما كانت هـذه الرباعيات ( منسوبة ) للحكيم الكبير صاحب المكانة الرفيعة فقد خدع بها كتاب العـرب وترجموها الى لغتهم وأمطروها بالثناء . والحقيقة أن ( فيتز ) قد خدع الشرق والشرقيين بهذه الخدعة السياسية الاستعمارية حيث تمكن من نشر هــذه السموم بين أبناء الشرق والهند وايران ودعاهم الى تناول الخمور وملازمة السرور والغناء ومجانبة السعي ، والعمل ضد العاملين والركون الى الجمود والسلوك مسلك الكسالى وحثهم على الاباحية والزندقة والحرية المطلقة، الأمر الذي دفع الشرق فيما دفعه الى التأخر وجعله مستعدا لقبول تدخل المستعمر في مختلف شئونه ) .

وقد بلغ الغربيون في تعريف صاحب الرباعيات ( عمر الخيام ) على ألسنة خطبائهم وأقلام كتابهم ومقدمات تراجمهم الى حد انهم شبهوه بأبيقور اليوناني وأبي العلاء المعري ترويجا لسوق الرباعيات وتضليلا للشرقيين ولا سيما الجيل الناشيء وكان ذلك تنفيذا لخطتهم السياسية ضد المسلمين تأكيدا لأغراضهم العدائية .

ولا شك أن أدباء الغرب قد قاموا بترجمة هذه الرباعيات لأهداف سياسية وأغراض مذهبية وحرصوا على توسيع نشرها وتعميم تناولها بكل طريق ممكن حتى نشروها في قطعات كارت بوستال .

والملاحظ أن المركز الثاني لنشر الرباعيات بعد لندن كان الهند ، حيث نشرت في عواصم دلهي ولاهور وكلكتا وبومبي وقال لي طالب في بعـض المدارس في بومباى أن هذا الكتاب يدرس في مدرستنا الثانوية ككتاب أدب انجليزي ، وكان ذلك سنة ١٩٥٠ حينما مررت بالهند عضوا في الوفـد الأفغاني الى المملكة السعودية وقال : ان ترجمـة فيتزجرالد الانجليـزية للرباعيات كات مدرجة في برامج التدريس بجامعة بعليك أعظم جامعـات الهنـد .

ثم قال السيد مبشر الطرازي : أنه ليس هناك من مصادر اكيدة تؤيد نسبة هذا الشعر الى عمر الخيام ولا جود لمصدرها الأصلي وانما اسندت

الى عالم عظيم شرقي وحكيم فلكي بارع ومنجم لامع في نفس الوقت الذى أغمضوا ابصارهم فيه عما ثبت من الحكيم النيسابورى من مقولاته وآثاره التى تدل على ديانته وتمسكه بتعاليم الشريعة الاسلامية وحرصه على تطبيقها في كل شئون الحياة فى العالم الانسانى ، وقال : ان الغربيين لم يكرموا عمر الخيام بانشاء ناد باسمه أو كتابة أسمه على أطراف البطاقات لمكانته فى العلوم الرياضية وعلوم الفلك وانما من أجل الأهداف السياسية التى أشرنا اليها فى اذاعة قصائد التحلل والمجون المنسوبة اليه ، وأنهم لم يفعلوا ذلك لابن سينا أو الفردوسى أو الغزالى أو الزمخشرى من أعلام الفكر الاسلامى ، لقد كان تعظيم الغربيين موجها فى الصحيح وفى الواقع الى تلك الرباعيات الخليعة التى مهدت لهم سبيل النيل من الاسلام وتعاليمه ودعوة أهل الشرق الى التحلل خلقى والحرية المطلقة والضعف والهوان » أ هـ .

ولقد أشار كثيرون الى خطأ نسبة الرباعيات الى عمر الخيام وفى مقدمتهم أرنست رينان الذى قال أنها ( أى الرباعيات ) لا تتفق مع مفاهيمه واتجاهه العلمى ، وأشار العلامة الطرازى الى أنه لم يثبت أصلا وجود نص حقيقى كتبه عمر الخيام للرباعيات ، ويتضح باجماع باحثين أنها رباعيات موضوعة لا أصل لها وضعها دعاة الشعوبية واستغلها التبشير والاستعمار .

## ولى الدين يكن

ما من اسم وضع تحت أضواء التغريب والشعوبية الا كان ضالعا مع الاستعمار وما من كاتب احتضنته جريدة المقطم الا وكان خصما لأمته وفكر أمته ، ومن أبرز هذه الأسماء شبلى شميل وولى الدين يكن الذى وصف بأنه خصم مقاوم لظلم السلطان عبد الحميد بينما كانت خيانته التى سجن من أجلها بعيدة كل البعد عن أعمال الوطنية والحرية ، وقد سمعت من أحمد حلمى باشا رئيس حكومة فلسطين وأمين الحسينى مفتى فلسطين فى ندوة كامل كيلانى أن تهمة ولى الدين يكن التى وضعته فى السجن لم تكن مشرفة وأنها كانت تتعلق بالعمل الذى كان يليه فقد كان عضوا فى الجمعية الرسومية الجمركية واخذت عليه بعض الاتهامات بالاختلاس والرشوة فلما خرج من سجنه عام ١٩٠٨ بعفو عام ادعى أنه من الأحرار الذين اعتقلهم السلطان وقد جاء الى مصر فانطوى الى انصار بريطانيا اوخصوم العرب والاسلام ووالى الانجليز وكان من اتباع كرومر ومن محررى المقطم .

وقد كان ولاؤه للانجليز هو أهم ما دافع عنه بعض الكتاب اللبنانيين ، يقول كرم ملحم كرم فى مجلة الرسالة : يقول الناقمون على الرجل أنه ساير الانجليز فوقف عليهم حبه ورحب باحتلالهم لوادى النيل » وهو بذلك يعترف بموقف ولى الدين يكن ويستدرك فيقول « ان الأنجليز ساعدوا على ترقية مصر » ولقد حاولت حركة التغريب والشعوبية أن تلقى الأضواء على هذا الرجل فرفعته الى مصاف كبـار الكتاب ونشرت آثاره بين أيدى الطلبـة والقـراء .

ووضعه بعض كتاب لبنان فى صف كتاب الروائع ، وفى صف شوقى والمنفلوطى ، بل لقد بلغ الأمر بكاتب مثل سامى الكيالى ( وهو تغريبى عتيق ) ان يقول عنه أنه من الأدباء الذين نهجوا نهج الاصلاح كمحمد عبده . قاسم أمين . وامامنا قصيدته المؤسفة التى نشرها فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ فى جريدة المقطم وهو يوم بسط الحماية البريطانية على مصر مصدرا بها الصفحة الأولى وموجهة الى ( ملك بريطانيا وامبراطور الهند ) يبارك فيها الحماية ويقول موجها كلامه الى الملك :

| | |
|---|---|
| مصر الوفيـة لا تزال وفية | وكما عهدت النيـل والأهرام |
| نالت حمايتك التى اعتزت بها | أمثالها واستمكن الاسـلام |

وقد زين ولى الدين يكن كتبه بصورة كرومر كما فعل فى كتابه (المعلوم والمجهول) وقد كتب تحت صورته ( مصلح مصر ) .

وآية خيانته أنه هاجم عرابى والعرابيين وعبد الله نديم ، ونعى على نديم أنه اختفى بعد الثورة العرابية بينما لم يختلف هو صديق الأجليز ، ولاشك أنه ليس هناك أى وجه للمقارنة بينه وبين عبد الله نديم ، ولقد قذف بقلمه المأجور هذا المجاهد الصادق فقال ( بقى مختبئا فى مكامن خوفه أختبـاء الأفاعى فى جحورها ) ولا بأس على عبد الله نديم ولا ضير فى أن يختفى وانه لشرف له لا يستطيع أن يدعيه لص الجمارك .

وكذلك هاجم مصطفى كامل ورجال الحزب الوطنى واتهمهم بالنفـاق والتهريج .

وتكشف كتابات ولى الدين عن نفسية ملحدة جريئة على القيم والمقومات فقد كان يتحدى شعور المسلمين بكتاباته وسخرياته عن شهر رمضان على

صفحات المقطم ومن ذلك قوله « دوى مدفع الظهر الذى افطر عليه » ومن اجل ذلك وصفه منذور بأنه من احرار الفكر وضمه الى قائمة فولتير وكان يكون منصفا لو وصفه بالزندقة . ومما يروى أن ولى الدين يكن يمد بأصل الى الدونمة اليهود الأتراك الذين كان لهم دورهم الخطير فى اقامة محافل الماسونية وضرب الخلافة والدولة العثمانية لحساب الصهيونية .

## غانـــدى

لمع اسم المهـاتما غاندى فى الثلاثينات فى مصر لمعانا خاطفا وتحدثت الصحف عن وطنيته وجهاده فى مقاومة الانجليز فى الهند ، ومع أن الانجليز كانوا يحتلون مصر اذ ذاك فقد سمحوا لهذه الكتابات أن تتسع ولهذه النغمة أن تعلو .

وقد وصفت الحركة الوطنية الهندية بأنها حركة قد أنشأها غاندى بعد عودته من جنوب أفريقيا وكانت اليه قيادتها وبطولتها .

وكان هذا هو التحريف الخطير الذى لم ينتبه اليه الكتاب المسلمون والعرب اذ كيف يمكن أن يكون غاندى خصما لبريطانيا بينما بريطانيا تفسح له المجال لابراز بطولته وعظمته !

ولقد ظلت هذه الحلقة المفقودة خافية حتى سافر الى الهنـد وفد من علماء المسلمين ومن بينهم العلامة عبد العزيز الثعـالبى الذى طاف طوافا واسعا بالقارة الهندية وخلق كثيرا من المواقف التاريخية والسياسية وكان من اهم ما وصل اليه وكشف عنه الكتاب ، تلك الحلقة المفقودة التى تؤكد أن الحركة الوطنية لتحرير الهند انما بدأت أصلا فى احضان المسلمين وقد أزعجت الاستعمار البريطانى ازعاجا شديدا فالمسلمون هم حكام الهنـد السابقون والذين يحملون مفهوما صريحا فى مقاومة المحتل والظالم والدخيل، والجهاد عندهم واحدة العقائد الكبرى .

ولذا فقد عمدت بريطانيا الى القضاء على هذه الحركة باسلوب غاية فى البراعة والمكر ، قصدت به الى عزل المسلمين عن قيادة الحركة الوطنية وتنحيتهم واسلامها الى الهندوس الذين اجروها على الأسلوب الذى ارادته بريطانيا .

فالاستعمار البريطانى الذى سيطر على الهند بعد ثورة ١٨٥٧ التى قادها المسلمون كان حريصا على الا تتحقق السيطرة للمسلمين مرة أخرى على الهند وكان المسلمون قد تقدموا الى العمل من أجل الدعوة الى تحرير الهند ، والحصول على حقوقهم وتصدرت منهم جماعة كبيرة فكانت جمعيتهم الاسلامية التي اطلق عليها جمعية انقاذ الخلافة برئاسة غلام محمد عام ١٩٢٠ ودخل فى عضويتها الزعماء المسلمون وجمعت ما لا يقل عن سبعة عشر مليون روبية من أجل مواجهة تآمر الدول الغربية على الدولة العثمانية .

الى هذا الوقت كان غاندى غير معروف فى الهيئات السياسية فى الهند وكان منزويا يعمل متطوعا فى فرقة تمريض الجنود ثم اتصل بجمعية الخلافة فاستقبله المسلمون أحر إستقبال ، رغم تحذير المولوى ( خو جندى ) ، وكان على صلة به من قبل ويعلم من أمره ما لا يعلمون وخاصة فيما يتعلق بتعصبه للهنادكة على المسلمين ، وقدأشار غاندى باستئلاف الهنادكة فقبل المسلمون رغبته وندبوه للسعى الى ذلك فطاف الهند على حساب الجمعية يدعو الى الوفاق ويقول المطلعون أنه كان يتصل بالهنادكة ويتآمر معهم على شل الحركة الإسلامية ثم سعى لضم جمعية الخلافة الى المؤتمر الوطنى الهندى فانضمت ثقة بغاندى ، وقد اقترح المسلمون فى أول اجتماع لهم تديل القانون الأساسى وطالبوا بتعديل المادة التى تقول باصلاح حالة الهند الى عبارة ( استقلال الهند ) فوافق المؤتمر على ذلك ومنذ ذلك يوم أخذت الأحزاب تطالب بالإستقلال التام طبق رغبة المسلمين وكانوا قبل ذلك لا يطالبون الا باجراء اصلاحات فارتاعت الحكومة ( البريطانية ) لهذا التغيير وعدته فاجعة فى سياسة البلاد وعلى أثره القت القبض على زعماء وزجتهم فى السجون . وطالب المسلمون باصدار قرار يتضمن اعلان الأمة الهندية وأن الحكومة الحاضرة غير مشروعة مع دعوة البلاد الى مقاطعتها ، وعارض غاندى وثبط الهمم ودعا الى عدم مقاومة الحكومة وقال له ممثل المسلمين : ان كان غاندى يتصور أن أعمال المسلمين فى الهند لا يقوم الا على مساعدة الهنادكة فقد آن له أن يخرج هذه الفكرة من دماغه وليعلم أن المسلمين لم يعتمدوا قط على أحد الا على الله وعلى أنفسهم .

وشرعت الأمة الهندية على انهاء ذلك فى مقاطعة الحكومة والامتناع عن دفع الضرائب وحرق المسلمون كل ما فى مخازنهم من البضائع الانجليزية

وترك المسلمون الموظفون مناصبهم فى الحكومة فحل الهنادك محلهم واشتدت المقاطعة فى البنغال اشتدادا عظيما ليس له مثيل وهاجر عدد كبير من المسلمين الى الأفغان بعد أن تركوا أملاكهم واراضيهم فى الهند ، وخطب اللورد ريدنج ( الحاكم العام ) فى كلكتا فقال : اننى شديد الحيرة من جراء هذه الحركة ولست أدرى ماذا أصنع فيها .

ومن هذا السياق تستطيع أن تتصور قوة المسلمين فى الحركة الوطنية وضعفها فى الهندوكية ومن هنا فقد عمدت بريطانيا الى ضربة خطيرة بتحويل الحركة من أيدى المسلمين الى أيدى الهنود .

فقد انتهزت فرصة اجتماع الزعماء واعلانهم عام ١٩٢١ استقلال الهند استقلالا فعليا وقاموا بتعيين ولاة الولايات وحكام المقاطعات وقضاة المحاكم فى جميع المدن ، هناك اجتمع اللورد ريدنج مع غاندى وطلب اليه حل الوفاق العونى بين المسلمين والهندوك ، وقال له أن مصدر الحركة الاستقلالية فى الهند هم المسلمون وأهدافها بأيدى زعمائهم لو اجبنا مطالبكم وسلمنا لكم مقاليد الأحكام صارت البلاد للمسلمين وأن الطريق الصحيح هو أن تسعوا أولا لكسر شوكة المسلمين بالتعاون مع بريطانيا وحينئذ لا تتمهل بريطانيا فى الاعتراف لكم بالاستقلال وتسليم مقاليد الحكم فى البلاد اليكم .

وهنا وقع الصدع ، فقد عمدت بريطانيا الى زعماء المسلمين فاعتقلتهم ( شوكة على ، حسين أحمد ، كثار احمد ، بير غلام محمد ، الدكتور سيف الدين كتشلو ) وهنا تقدم غاندى الى هيئة المؤتمر بأن يفوض اليه أمور الحركة جميعا وقال أن الزعماء معتقلون ولابد من اعطائى السلطة لمهلة وسرعان ما اعلن غاندى فى أول اجتماع برئاسته أن الوقت لم يحن بعد لاعلان استقلال الهند وبذلك خان امانة زملائه وحطم مشاريعهم ، وضربت بريطانيا بيد من حديد كل محاولات المسلمين ووضعتهم فى السجن وبذلك سيطر غاندى على الحركة الوطنية حتى اذا خرج المسلمون من السجن كان غاندى هو كل شيء .

هذا هو ملخص التحقيق الذى اجراه العلامة عبد العزيز الثعالبى أثناء زيارته للهند عام ١٩٣٧ وكشف به عن اسطورة غاندى :

ولقد كانت دعوة غاندى الى ما سماه اكتشاف الروح الهندى الصميم

والرجوع الى الحضارة الهندية هو بمثابة اعلان الحرب على الحضارة الاسلامية التى عاشت على أرض الهند أربعة عشر قرنا وغيرت كل مفاهيم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بل إنها قد غيرت مفاهيم الهندوكية نفسها .

## سارتر

ان وقائع حياة « سارتر » تستطيع وحدها أن تكشف عن طبيعة فكره وعن التحديات الخطيرة التى فرضت عليه هذا الاتجاه الفلسفى الذى أطلق عليه اسم ( الوجودية الملحدة ) تفريقا بينها وبين الوجودية التى دعا اليها من قبل ( كيركجارد ) .

ذلك أن التحديات والأخطار التى واجهها فى مطالع حياته بعد انفصال أمه عن أبيه ، وحياته في ظل جده الذى كان قاسيا عليه ، وما يتصل ذلك بعدم اقتناعه بما كان يفرض عليه من اتجاه ديني وبالاضافة الى تحديات عصره ، والى الدم اليهودي الذى يثير فيه الاحساس بالحقد على المجتمعات المسيحية الغربية ، كل ذلك كان له أثره فى تشكيله وتركيبه وفى الآراء التى حملها ودعا اليها .

هذا بالاضافة الى شيء آخر ، ذلك هو التركيز على هذه الآراء بالدعاية لها ونشرها وتعميق ظهورها فى المجتمعات الغربية ، وهو ليس من عمل الكاتب أو الفيلسوف ولكنه من عمل القوي التى تروقها هذه الفلسفة وترى فيها خدمة لأهدافها ، ولا ريب أن هذه القوى هى التى حملت من قبل آراء فرويد ونظرية نيتشة وغيرها ، وأذاعت بها وخلقت حولها هذا الجو الخطير ، وأدخلتها فى قصص الأدباء وكتابات الباحثين ومناهج الدراسة فى الجامعات .

وواضح من كل كتابات سارتر ذلك التحدى الخطير الجرىء على كل الحقائق والقيم وفى مقدمتها وجود الله وطبيعة الخلق والمجتمعات والناس .

وقد أدت به هذه العوامل المختلفة (من تكوينه خاصة ومن آثار مجتمعه) الى تكوين نظرية مليئة بالقلق والسأم ، رافضة لكل القيم والمقدرات والأخلاق ، وتقوم نظرية سارتر أساسا على القول بأن الله غير موجود واذا كان الله ليس له وجود فكل شيء مباح . وهذا لا يعنى الحرية وانما يعنى

الفوضوية التى تنكرها كل الأديان والعقائد والقيم والتى تدمر الانسان تدميرا كامــلا .

فآراء سارتر تحتقر العلم وتنكر قيمته » .

وسارتر يرى أنه قد صنع ذاته لأنه لم يكن ابنا لأحد ، وأنه يعيش فى الهواء ويقول : اليوم كغد ، والغد كبعد الغد ، وأنه لا طعم لشىء ولا لذة ولا أمل فى شىء .

ولما كانت المذاهب الفكرية والفلسفة هى رد فعــل لنفسية صــاحبها وعقليته ، فان نظرية سارتر تكشف تماما عن طبيعة تركيبه النفسى والعــقلى وتفصح عن غموض مطالع حياته واضطرابها ، هذا الذى ساقه الى الكفــر بكل القيم الانسانية ، ويجمع الباحثون على أن مذهب سارتر مســتمد من تحديات حياته شخصيا ، فانه ولد وليس له أسرة ومات أبوه فى الشــهر الثالث وكانت أمه ممسوخة الشخصية لم تشعره أبدا بحنان أمومتها ( وهى يهودية الأصل ) والأسرة التى عاش فيها لم تزد عن جدين عجــوزين كانا يؤذيانه هو وأمه ويشعرانهما بالضياع .

وقد كشف سارتر عن نفسه خلال ترجمته الذاتية فأنكر الكنيسة وقال : كنت كاثوليكيا وفى نفس الوقت بروتستانتيا ومن هنا أراد أن يؤكد ذاته بأن له رســالة ، وهو الطفل المنبــوذ فى مجتمــع يرعى الأطفـــــال المــاديين .

وقد تبين بعد وفاة سارتر أن أثره الاجتماعى والفكرى قد تلاشى تماما ولم يخلف شيئا ذا بال فقد كانت دعوته بمثابة عود ثقاب أوقد فى ظلمة أزمة الحرب العالمية الثانية وسرعان ما انطفأ .

يقول جاك برك : ان سارتر عقل كبير ولكنه مع الأسف يفتقر الى الذكاء السياسى . ومن المؤسف أن سارتر الذى يبنى معظم فلسفته على فهم الاخر لا يفهم الاخر ،ولا يحس به ، واخطر ما هنالك أن سارتر لم يستطع التغلب على ما أحيط به من الدعاية والتضليل الصهيونى فاعتبر اسرائيــل مدعى اليهــا .

# ابن خلدون

كانت الحملة التى قادها الدكتور طه حسين فى مطالع هذا القرن على ابن خلدون فى أطروحته الفرنسية التى نال بها الدكتوراه من جامعة السربون علامة على ذلك الخط الذى اختاره المستشرقون والمبشرون لكتابنا بالنسبة الى أعلام الفكر العربى الإسلامى والتاريخ الاسلامى ، وهو نفس الخط الذى مضى فيه زكى مبارك الى مهاجمة الغزالى ومضى فيه طه حسين من بعد الى مهاجمة المتنبى ومضى فيه كثيرون الى تدمير أعظم الشخصيات العربية الاسلامية التى هى فخر تاريخنا والمثل الأعلى الذى يتطلع اليه شبابنا .

وكان طه حسين قد أعد أطروحته تحت اشراف باحث يهودى هو « دوركايم » ومن هنا فقد حرص على نقل آرائه واصطفاء وجهة نظره ، وقد مضى فى ذلك شوطا طويلا فى الظلم والاعنات حتى اعتبر أن اطلاق لقب ( اجتماعى ) على ابن خلدون مبالغة كبيرة .

وكان هذا غاية فى الظلم والاعتساف ، وقد كشفت أبحاث الباحثين عن هذه التبعية الخطيرة التى دفعت طه حسين الى تبنى آراء دوركايم فى ابن خلدون واتخاذها أساسا لبحثه وهو يهودى من إتباع النظرية الماركسية ورأيه فى ابن خلدون مشوب بالتعصب .

ولقد وقف طه حسين هذا الموقف الظالم لابن خلدون بينما وقف أغلب كتاب الغرب المنصفين موقف التقدير لهذا العلامة ، وكشفوا عن سبقه وعن ريادته فى مجال : التاريخ والاجتماع والاقتصاد بالنسبة لمن جاءوا بعده من أمثال لآدم سميث وأوغست كونت وبينهم وبينه أكثر من أربعة قرون .

وقد أكد المنصفون من الباحثين أن نظريته فى المقدمة لم تكن مجرد جمع لمعارف متنوعة ولكنها جاءت كعمل منظم ومرتب ينطبق عليه لفظ العلم فى معناه الدقيق .

وقد ردد هذه المعنى : شميدث ، وفيليب ، وليف لاكوست . روبرت فلينت وجو ميلوفيتس واستيفانوا كولوزيو .

وسجل أرنولد تويمبى « ان ابن خلدون فى المقدمة التى كتبها للتاريخ والعلم قد أدرك وانشأ ( فلسفة التاريخ ) وهى بلا شك أعظم عمل من نوعه ابدعه اى زمان ومكان » .

وفى مؤتمر ابن خلدون عام ١٩٦٢ بالقاهرة اجتمع أكثر من مائة عالم وقدموا اكثر من ثمانمائة صفحة عن ابن خلدون كلها تصفع آراء طه حسين الزائفة الوافدة التى تحمل طابع التبعية والجحود .

وقال الدكتور عمر فروخ فى هذا الموقف : انه لمن دواعى الأسف أن يعرف الغربيون فضل ابن خلدون قبل أن يعرفه الشرقيون أنفسهم ، ولكن الذى يؤسف له حقا أن يقوم بعض الشرقيين يحطون من قدر ابن خلدون بعد أن جهد الغربيون كل جهد فى نشر فضائله واظهارها .

## ميكافيلى

أولى التغريبيون اهتماما كبيرا بما كافيلى وكتابه الأمير ، لا على النحو الصحيح وهو ابراز الفوارق بين الفكر الاسلامى والفكر الغربى فى مجال السياسة ودحض نظرية ميكافيلى واعلان ذاتية الفكر الاسلامى التى تؤمن بأخلاقية كل القيم والمفاهيم من سياسة واقتصاد واجتماع وتربية ، ولكن على أساس غزو الفكر الاسلامى بمفاهيم تختلف عن ذاتيته وأخلاقياته وقيمه الأساسية .

والحق أن ميكافيلى مطابق للفكر الغربى فى أسسه الرومانية واليونانية وهو اضافة حقيقة اليها ، وليس غريبا عنها ، ولكنه غريب بالنسبة للفكر العربى الاسلامى ، حقيقة أن ميكافيلى يمثل أول انكسار فى الخط الذى أشاعته تعاليم المسيحية ، ولكنه مطابق لذلك التحول الخطير الذى اتجه اليه الفكر الغربى حين حرر نفسه من قيم الأديان وانطلق الى نزعته الوثنية القديمة : نزعة الغاية التى تبرر الواسطة .

وقد كانت نظرية ميكافيلى هى منطلق جميع نظريات الديكتاتورية والفاشية والنازية والتسلط التى سادت الفكر الأوربى والمجتمع الغربى ، وهى نظرة غريبة على مجتمع العرب والمسلمين فى أصالته ، وان كان قد تأثر بها كما تأثر بالغزو الغربى الذى فرض عليه الفلسفة الليبرالية ، والأنظمة الديمقراطية الغربية بكل فسادها واضطرابها وتعارضها مع مفاهيم الفكر الاسلامى القائمة على الحرية والكرامة والعدالة والترابط بين الفرد والمجتمع وحرية المعتقد الدينى .

ولذلك فاننا يجب أن تنبه الى مدى عمق الفوارق بين الفكر الغربى

والفكر الاســـلامى فى مجال السياسة وفى عرض الشخصيات المختلفة وفى مقدمتها ميكافيلى .

## تولستوى

نزعة الغاندية والتولستوية فى الأدب العربى والفكر العربى الحديث نزعة دخيلة وافدة ، غريبة عن طبيعة هذا الأدب وهذا الفكر ، وهى محاولة لاخراج الفكر الاسلامى والثقافة العربية عن ذاتيتها القائمة على العـــدل والرحمة معا ، والتى تجعل ( الجهاد ) أفقا عاليا من آفاق العقائد لا سبيل الى التخلى عنه أو المهادنة فيه أو التفريط فيه .

وتقوم الغاندية والتولستوية كالبهائية و القاديانية على فكرة مستمدة من المسيحية الغربية هى فكرة السلام والدعوة الى القاء السلاح والغاء الحروب والتقريب بين الأديان ، وهى جميعها دعاوى تكشف أن من ورائها الصهيونية العالميـــة والماسونية فى محاولة تخذيل كل القوى المدافعة عن أرضها ومحاولة تقبـــل ما يسمى بالثقافة العالمية أو الفكر العالمى أو الأخوة العالمية . وتبرز هذه الدعوات وتستشرى فى ظل ذلك الخطر الاسرائيلى الماثل المســـيطر على الأرض العربية .

بينما لا تحمل أى دعوة ما يحمله الاسلام من سلام واخاء ومحبة وتقريب بين الناس ودعوة الى الانسانية والاخاء البشرى ، دون انتقاص لأحـــد أو احتلال لأرضه أو سيطرة عليه واذلاله .

ومن ها كان خطر التزيين بما دعا اليه تولستوى أو غاندى من سلام ، أو ما يشار اليه من العصيان المدنى فى مواجهة الاستعمار أو الدعوة الى الرحمة المسيحية ، ذلك أن الاسلام يقوم على قاعدته الأصيلة سلاما كاملا عن طريق الجهاد ، الذى هو فى مفهومه الأصيل عملية دفاع وحذر واستعداد وليست عملية قتل أو قتال أو حرب : وهى تتمثل فى الآية الكريمة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » فهى استعداد وحذر وتحصين للثغور وتغطية فى مواجهة العدو ، تحمل السلام ، وتفرضه ، وتحول دون القتال والحرب الا اذا اعتدى على أرض المسلمين أو غزيت بلادهم فهنا يكون القتال من أجل استرداد الأرض وحماية الذمار .

# يعقوب صنوع

هذا واحد من عمد دعاة الغزو الثقافى الغربى الذي يعمل التغريب على تزيينه واعلاء اسمه ووضعه فى صفوف المجاهدين والمحررين والمقاومين للظلم والاستبداد ، حتى لقد أضيف اسمه الى قائمة تلاميذ جمال الدين الافغانى بينما كان هو خادما للاهداف الاستعمارية شأنه شأن جرجى زيدان وسليم سركيس وفرح أنطون وولى الدين يكن وغيرهم . فيعقوب صنوع يهودى أساسا وقد حمل الدعوة الى العامية وأنشأ الصحافة الساخرة للعبث بكل القيم والمقدرات وادخال عنصر فكاهة والسخرية بكل شيء ، من النكتة المكشوفة الى الكلمة الجريئة ، وهو الذي فتح هذا الباب فى صحافتنا العربية والمصرية فمضى الكتاب فيه من بعد ، وكان من الأسلحة الخطيرة التى حملها المحترفون فى سبيل العدوان على الأعراض والكرامات والبيوت .

ولم يكن يعقوب صنوع الا واحدا من هذه المدرسة التى عملت فى صفه القصر والاستعمار وخدمت أهدافها بالاستيلاء على قيادة الصحافة والمسرح، وقد حمل معه سموم القصص والمسرحيات الفرنسية المكشوفة فعربها ومصرها ، وساهم بجهد ضخم فى انشاء المحافل الماسونية فى مصر عام ١٨٦٥ . والواقع أن يعقوب صنوع كان صنيعة الخديو أساسا وكان يعلم أولاده اللغة الفرنسية وله قصائد عديدة فى مديحه والاشادة به ، وتردد أنه كان أستاذا فى علم الرقص وأنه علمه فى قصور الخديو والباشوات ، وكان أمراء عابدين قد أرسلوه الى باريس ليتعلم بها فهو ربيب لغتهم أصلا ، وليس خلافه مع الخديو اسماعيل مرتبطا بهدف أو ايمانا بفكرة كما حاول بعض التغريبيين أن يصوروه ، بل على العكس كان يجرى مع التيارات الصهيونية والاستعمارية التى حملت على الخديو رغبة فى اسقاطه .

واذا كان يعقوب صنوع قد ألف محفلا أو محفلين فان ذلك كان فى خدمة الماسونية طليعة الصهيونية فى هذا العهد . وقد كشف ابراهيم عبده هذا المعنى فى كتابه عنه حين قال :

« كان فى محفلة يتحدث عن تقدم الآداب والعلوم فى أوربا . حاملا على تخفيف حدة كراهية النفوذ الأجنبى ومسالمته ، وكان المتحدثون فى ندوته يدعون للحكمة والاخاء بين الشعوب وقد كانت جمعيات يحضرها اليهود والنصارى والمسلمون ويغرى بها طلبة الأزهر وضباط الجيش « ليتعرفوا » على مبادىء الحرية الأوربية والفرنسية خاصة » .

ولا شك أن تعبير ابراهيم عبده انما هو محاولة لبقة لاخفاء صـــفة الماسونية التى كانت تسيطر على هذه الاجتماعات ، وكل ما أورده هو من دعواها الخطيرة التى آلت بالمخدوعين فيما الى أن يكونوا خدما معصوبى العيين للبنائين الأحرار الذين يدعون فى خفية الى إعادة بناء هيكل سليمان وهم طلائع الصهيونية .

لا ريب اذن فى أن يعقوب صنوع كان طرفا فى حركة الماسونية وأداة من أدوات النفوذ الأجنبى . وآية خيانته انه حين اتسع خلافه مع اسماعيل لجأ الى القصلية الإيطالية فنال حمايتها واستند عليها فى مهاجمة اسماعيل كما لجأ الى حماية فرنسا .

وهكذا تنحسر الهالة الضخمة الكاذبة التى أخفاها هؤلاء التغريبيون عن يعقوب صنوع وينكشف فى ضوء الحقائق أنه عميل شعوبى ماســونى خائن لوطه .

## أديب اسحق

الى عهد قريب كانت كتب المطالعة فى المدارس الأميرية تحمل نصوصا من كتابات أديب اسحق الذى تصفه بأنه داعية من دعاة الحرية وتنسب اليه أنه كان تلميذا من تلاميذ جمال الدين الأفغانى ، وهو بذلك يعلو على الاتهام ويرتفع عن الشك فيه .ولكن الحقيقة لا يبحث عنها خلال اقامة جمال الدين فى مصر وقد غادرها ١٨٧٩ وانما يبحث عن هذه الأسماء التى دارت حول فلك جمال الدين بعد سفره ، أين ذهبوا وكيف عملوا ، فقد كانوا جمـــاعة من الوصوليين الذين استغلوا دعوة هذا الداعى فى سبيل كسب لحســـاب الاســـتعمار والتغريب والماســـونية ، ذلك أن أديب اســـحق ما كاد يرى جمال الدين وهو يغادر مصر حتى أصبح وليا للقصر والاستعمار ، وأنه حين عاد الى مصر كرمته الدولة التى كان يعارضها فى ظل جمال الدين وعـــين وكيلا لقلم الانشاء والترجمة بديوان المعارف وأعاد جريدة مصر الى الوجود « وهكذا عاد أديب اسحق ليجد تكريما من الدولة المحتلة ثم يتصل بالخديو فينعم عليه برتبة البكوية ويصبح كاتما لأسرار مجلس النواب ومعنى هذا أنه تحول عن مذهبه الأول ثم أصبح من دعاة « الاعتدال » ابان الثورة العرابية مما أسخط عليه رجال هذه الثورة ومنع جريدته من أن تكون لسان حالها ، ولأديب اسحق شعر حمل فيه على الثورة العرابية وعرابى .

هذا فضلا عما عرف عن أديب اسـحق من تحلل فى الخلق والدين ، الصحافة عنده حرفة وليست فكرة ، كما عرف بسرعة الانفعال وهيـاج الأعصاب والتقلب كما وصفه عارفوه بأنه يؤمن بالجرى وراء هوى النفس ، كما وصف بالتساهل فى طرق معاشرته واطلاق هواه مما ساق اليه عنـف المزاج وحدته وقد كان هذا سببا من أسباب استفحال مرضه وتعجيل وفاته بداء الصدر ، وقد عرف أن هدفه كان هو النيل من وحدة العالم الاسلامى تعصبا ضد الدولة العثمانية التى كانت تجمع بين العالمين العربى والاسلامى.

ولعل أخطر ما وجه الى أديب اسحق من اتهام أنه كان يواجه الاستعمار البريطانى فى مصر ولا يهاجم الاستعمار الفرنسى فى بلاده سوريا ، بل كان يعطف على فرنسا الأم ويواليها ويصفها بأنها محررة الشعوب . وذلك موضع الاتهام فى أمانته ككاتب وأخطر مغمز يوجه الى أدبه وشخصيته .

ولقد كان متابعا بالطبع للماسونية ومن أولياء الدعوة الى ما دعت اليه من اكبار واجلال للثورة الفرنسية والفكر الغربى .

ومن العجب أن تظهر دراسات فى الأخير تحاول أن ترفع من قدر هذا الكاتب الافاق صنيع المحافل الماسونية وتصوره فى صورة المفكر الأصـيل وتضعه فى صف رفاعة الطهطاوى وخير الدين التونسى على بعد الفارق والهدف بينه وبينهما .

## جرجى زيدان

ما زال دعاة التغريب يخدعون القارىء العربى والمسلم حول جرجى زيدان ويقدمون له روايات الهـلال المليئة بالسموم والاتهـامات الباطلة والشكوك والشبهات ، وذلك فى طريق حركة الغزو الثقافى التى تركز على التاريخ الاسلامى وتحاول افساده فى نظر الشباب ، ولقد ظهرت فى الفترة الأخيرة ترجم جديدة لجرجى زيدان وحدها كافية لتكشف عن حقيقته ، فقد اعتمدت عليه المخابرات الأجنبية ورافق الحملة النبيلة الى السودان ١٨٨٤ بوصفه مترجما فى قلب الاستخبارات ، فلما كشف عنه الاستعماريون ووجدوا فيه طلبتهم ارسلوه الى بريطانيا وأعدوه اعدادا خاصا فلما عاد درس اللغتين العبرانية والسريانية وجاء الى مصر فألف أخطر كتاب فى تاريخ الماسونية وكان من دعاتها الأبرار وعضوا مؤسسا فى المحافل الماسونية ، ولم يقف أمره عند هذا بل أدخل الى أفكاره وآرائه سموم الآراء الخطيرة التى تحملها هذه

الدعوى التى كانت مقدمة للصهيونية العالمية والتي استقطبت كثيرا من الغافلين فى العالم العربى .

وكان الهلال وروايات الهلال من الأدوات الخطيرة فى هذا المجال فى سبيل الدعوة لليهود وتزييف التاريخ القديم . ولقد ثبت اتصال جرجى زيدان بالاتحاديين الأتراك الذين كانوا اداة النفوذ الاستعمارى والصهونى فى تمزيق الدولة العثمانية ،وانهم أولوا اهتمامهم بالكتابة عن الانقلاب العثمانى وكان رأيه فى السلطان عبد الحميد متابعة للصهيونية حتى انه عندما أشار الى موقفه الكريم فى رفض عرضهم ، لم يزد على أن قال كلمات غامضة لا تكشف الحقيقة تمويها وابقاء للشبهة حول الرجل الكريم . وكتابات جرجى زيدان تحمل لواء الخصومة لكل وطنى ومجاهد ومصلح : مصطفى كامل وعرابى والمهدى محمد أحمد وغيرهم .

## نيتشه

عمد دعاة التغريب الى اعلاء شأن الفيلسوف نيتشه وابراز فكره وكانوا فى ذلك غير صادقين ، بل لقد استغلوا جانبا من نيتشه ولم يكشفوا عن حقيقته أو التحديات التى دفعته .

وما ردده الفيلسوف نيتشه لا يتصل بالفكر الاسلامى ولا بالاسلام ولا بالأدب العربى من قريب أو بعيد فقد كان نيتشه مسيحيا وكان هجومه كله على المسيحية الغربية ، وفى كل ما حاول أن يصورها به من قصور أو عجز من مواجهة العلم ( كما فعل رينان ) من بعده أو اثارة الاتهامات حول شخصية سيدنا عيسى وهل هو اله أم بشر ( على نحو ما فعل لودفيج من بعد ) كل هذا لا يطرح على الفكر الاسلامى ولا يمثل أدنى صلة به ، ذلك الى أن الفكر الاسلامى فى متابعة من القرآن والاسلام يختلف اختلافا بعيدا فى نظرته الى العلم والى النبوة والى التوحيد وفى مختلف مفاهيم الحياة وقيمها .

أما الذين طرحوا نيتشه وفكره فى محيط فكرنا العربى الاسلامى فانما أرادوا اثارة الشبهات وخلق جو من الشكوك والالحاد والاباحة جريا على التمويه الذى توجه اليه حملات التغريب والصهيونية وهو مهاجمة الدين بوصفه دينا ، أما الاسلام فليس دينا بالمعنى الذى يريده هؤلاء أو يقصدونه،

ذلك أنه ليس منهجا تعبديا لاهوتيا خالصا يقوم على العبادات أو الاتصـــال بالله وحده ولكنه نظام كامل للحياة والمجتمع والحضارة تترابط فيه الصلة بين الانسان والله والانسان والمجتمع جميعا . ومن هنا فان فكر نيتشه وصيحته ان الله قد مات لا تدخل مطلقا فى نطاق الفكر العربى الاسلامى الا من ناحية دراسة تطور الأديان وعلومها المقارنة .

ولكى يتأكد شبابنا المسلم من فساد المثل الأعلى لدى نيتشه نكشف هذه الصفحة التى ظل خصومنا يكتمونها زمنا وهو أن نيتشه قضى نحو عشرين عاما وهو فى جنون يكاد يكون مطبقا اذ كان فى الدور الأخير من مرض السلفس وكان ميتا منذ عام ١٨٨٥ ودفن عام ١٩٠٠ وهو مرض لم يقعد جسمه فقط بل أمات ذهنه ، ومات مغمورا لم ترثه جريدة ولم تذكره جامعة ولكنه بعد موته بعثه اليهود من جديد ليحقق أهدافهم واشادوا به فى البروتوكولات .

## ماركس

أبرز مفاهيم ماركس نظرية التفسير المادى للتاريخ وهى نظرية ثبت أنها جزئية وليست صالحة للتطبيق لا من حيث المجتمعات ولا من حيث العصور ، وانها واحدة من نظريات التفسير الجغرافى للتاريخ ، والتفسير الطبيـــعى للتاريخ والتفسير الجنسى للتاريخ ، وكلها نظريات يقف أمامها الفكر العربى الاسلامى موقفا واضحا ، هو أن للفكر الاسلامى نظريته فى التفسير الاسلامى للتاريخ أو ما يمكن أن يطلق عليه « التفسير الانسانى للتاريخ » .

وماركس يدير التاريخ كله حول نظرية القيمة ويفسر بها كل الاحداث، وقد أصبح الرأى على أن العامل الاقتصادى ليس هو العامل الوحيد الذى يقرر الكيان الاجتماعى لأى أمة ، ذلك أن هناك عوامل كثيرة تؤثر على مجرى التـــاريخ من بينها العـــوامل السياسية والقانونية والأفـــكار الدينية ، وفى كثـــير من الأحيـــان تكون الغلبة لأحد هذه العـــوامل وليـــس للعـــامل الاقتصـــادى .

وقد اعتمد ماركس فى دعم نظريته ، وعلى كثير من الأحداث التاريخية الغامضة والتى وقعت قبل التاريخ كما حرف كثيرا من حقائق وتجاهل حوادثه أخـــرى هامة لا تنطبق على نظريته ، ومما ذهب اليه ماركس ولم يتحقق نظريته القائلة بأن التقـــدم الاجتماعى من شـــأنه أن يحقق تقدما أخلاقيا ،

وقد أثبت تطورات الحضارة عكس ذلك ، ومصدر أخطاء ماركس أنه اعتمد على الجوانب المادية وحدها ولم يحسب حساب العوامل الفكرية والروحية .

## فرويد

لقد أعطى فرويد تركيزا ضخما والقيت عليه أضواء كثيرة وطرحت آراؤه بقوة نفوذ الأعلام الصهيونى واليهودى حتى أصبحت من مقررات الجامعات ومصادر الكتابة لدى القصاصين والكتاب ، دون التفات آلى ما هوجمت به آراؤه من زملائه وما كشف عنها من نقص . وخاصة فى نظرية فرويد الرئيسية القائمة على أساس الجنس والقائلة بأن غرائز الانسان هى التى تحكمه وتسيطر علية ،وقد خالفه فى هذا الاحتمال أقرب اثنين اليه من زملائه : هما ادلر ويونج . وقد أجمع الباحثون على أن فرويد ( متنبىء ) أكثر منه عالما وأنه مخترع للفرضيات اكثر منه مناقش لها ،وأن فرويد قد اعتمد على كثير من الأساطير اليونانية القديمة فحولها الى نظريات ومن ذلك عقدة أوديب وعقدة الكترا .

وقد كشفت الأبحاث التى نشرت أخيرا عن علاقات خطيرة بين هرتزل وفرويد ، وأن هدف مذهب التحليل النفسى هو جزء من مخطط بروتوكولات صهيون الداعية الى تدمير النفس الانسانية وأن فرويد قد حقق ذلك عن طريق نظريته التى أذاعتها الصهيونية وأعطتها قدرا كبيرا من الاهتمام بما وضع كل النظريات الأخرى والأقرب الى الصواب فى الظل .

وفرويد بطبيعته يهودى يحس بهذا الحقد البشع للمجتمعات الأوربية والانسانية وقد عاش فى النمسا فى مجتمع يكره اليهود ويضطهدهم ، ونقطة الضعف فى نظريات فرويد وفى مكانته كعالم هى أنه اتخذ من دراسة نفسه وطفولته قاعدة للتعميم والوصول الى قوانين عامة ، كما اعتمد فرويد على نماذج كلها من المرضى الذين زاروه ، ولم يعتمد على نماذج من الأصحاء .

ولقد أشار كثير من مؤرخى فرويد الى أنه كان مجموعة من العقد النفسية وأنه كان مريضا وكان مرارة الطبع خلة ملازمة له فى علاقاته بغيره .

وكانت نقطة الخلاف الجوهرية بين فرويد وزملائه هى أنه يرى الجنس

هو أساس كل الدوافع الانسانية وقد خالفه زملاؤه فى ذلك وقالوا أن الجنس ما هو إلا عامل من عدة عوامل كذلك اثبت يونغ ومكدوجل أن العقـــل الباطن ما هو الا خرافة وقد نوقش فرويد فى مسألة العقل الباطن وعقـــدة أوديب فانكرهما . وكانت آراوه فى التحليل النفسى مثار اضـــطرابات حتى فى نفســـه هو .

## سعد زغلول

لمع اسم سعد زغلول فى تاريخ مصر فى العصر الحديث لمعانا خاطفا بما وصف به من أنه قائد ثورة ١٩١٩ ـــ غير أن سعد زغلول من الشخصيات التى انقسم حولها الراى والتى لم تظفر بالطمأنينة الكاملة فى الحكم عليها من جميع الأطراف ، ذلك أن ســـعد زغلول قبل الحركة الوطنية كان له ولاء مشبوه مع النفوذ البريطانى تجلى فى أكثر من مظهر ، وكان أبرز مظـــاهره مصاهرته لمصطفى فهمى الرجل الذى فرضه الانجليز رئيسا للحكومة بعـــد الاحتلال فأمضى ثلاثة عشر عاما حاكما مطلقا والرجل الذى كان موضع ثقـــة كرومر وموضع نقمة وكراهية المصريين جميعا .

وعن طريق هذه المصاهرة التى تمت فى حضانة كرومر ، وفى مجال الدعوة التى دعاها الى ظهور طبقة من الشباب المصريين المتفرنجين الذين يعاونون الأجنبى ويتولون حكم البلاد ، ظهر سعد زغلول لأول مرة ناظرا للمعارف عام ١٩٠٧ .

وكان شقيقه فتحى زغلول احد قضاة دنشواى ، وفى خلال نظـــارة سعد حدثت أحداث كان لها أكبر قدر من الولاء للنفوذ الأجنبى فقد صـــادر اللغة العربية بالرغم من الأصوات التى ارتفعت لجعلها لغة التعليم وفرض اللغـــة الانجليزية ، وأيد امتياز قناة الســـويس أربعين عاما فى الجمعيـــة العمومية ، وأنه الرجل الوحيد الذى ذكره كرومر فى خطاب الوداع بعد أن حكم مصر ربع قرن ووصفه بالرجل العظيم صهر الرجل العظيم ، كل هـــذه الخلفية لصورة سعد زغلول على رأس الحركة الوطنية تكشف بوضـــوح عن الدور الذى أعـــده الاحتلال البريطـــانى له ، والذى يتمثل فى احتـــلال شخصيات لها ولاء بريطانى محل شخصيات وطنية خالصة ، ومن هنا فقد كان سعد زغلول ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى فى مقدمة الرجال الذين عملوا فى الحركة الوطنية السياسية من داخل دائرة النفوذ الاستعمارى

ووفق مفاهيمه وهى الدائرة التى حلت مكان دائرة اليقظة والاصالة التى أسقطها الانجليز من زعامة البلاد واقصاها ونفاها قبل الحرب العالمية الأولى .

## لطفى السيد

ان الدعوة التى حمل لواءها لطفى السيد عام ١٩٠٧ على صفحات الجريدة وهى مصر للمصريين .

وقد وجدت خلافا كثيرا فى تقديرها وفى أصالتها وفى مدى ارتباطها بحركة اليقظة العربية الاسلامية وكذلك مدى ارتباطها بمحاولة الاستعمار والنفوذ الأجنبى فى فصل مصر عن العروبة والعالم الاسلامى والاسلام نفسه . فقد كان رأى لطفى السيد وهو مستمد من مفاهيم كرومر وفلسفته أن المصريين يجب أن يعيشوا داخل وطنهم دون أن يأبهوا بأن رابطة تربطهم بالعرب كافة أو بالعالم الاسلامى ، وعليهم أن يشكلوا مجتمعهم على هذا الوضع منعزلا عن العالم القريب الذى اتصلوا به قرونا عديدة ، ولكنه لا يرى بأسا ان يفتح المصريون طريقا بينهم وبين الغرب وأن يركزوا صلاتهم الفكرية والاجتماعية مع الليبرالية الغربية وما يتصل بها من مفاهيم فى السياسة والاجتماع والتربية . ومن هنا فقد بدت دعوة لطفى السيد غريبة قلقة ، لأنها انفصلت عن قاعدة التاريخ والفكر والأمة ، وقد كشفت الأحداث والوقائع أنها لم كن دعوة خالصة فقد كان وراءها حزب الأمة هو حزب الالتقاء مع الاحتلال فى منتصف الطريق ورجاله هم خاصة السراة وصفوتهم ممن شكلهم الاحلال البريطانى ، وقد كانت هذه الدعوى محاولة للنيل من الدعوة الوطنية الخالصة المرتبطة بمختلف قيم العروبة والاسلام ، غير أن الاستعمار استطاع أن يركز على دعوة لطفى السيد وأن يدفعها بقوة بعد ان صفى مراكز الحركة الوطنية وهاجر زعماؤها الى الخارج أو ذهبوا الى المنافى ، وبذلك أعد المسرح اعدادا كاملا لسيطرة هذه النظرية السياسية على مسرح الحياة المصرية بعد الحرب العالمية الاولى تحت أسماء الأحزاب المختلفة التى كانت جميعا تدور فى فلك الولاء الفكرى الغربى ، وان كانت تدعو الى الاستقلال السياسى .

## كـــرومر

ولى كرومر منصبه فى مصر ممثلا للدولة البريطانية فترة لا تقل عن ربع قرن ( ١٨٨٣ — ١٩٠٧ ) . ومما يؤثر عنه قوله : ان الساعين لارجاع مجد الاسلام يحاولون أن يحييوا فى القرن العشرين المبادىء التى تكونت قبل اكثر من ألف سنة لقيادة أمة بدوية فى حالة الفطرة وأن من تلك المبادىء ما يخالف الفكر العصرى ويناقضه من اباحة الاسترقاق وما جاء عن العلاقات بين الجنسين وقد دحض آراءه كثير من الباحثين ولكنه استطاع تكوين جيل يحمل هذه الآراء فقد كان ذا نفوذ بالغ مسيطر على كل أجهزة الحكم وعلى القصر جميعا ، حتى أطلق عليه صاحب السلطة الفعلية فيما اطلق على الخديو صاحب السلطة الشرعية .

وأهم ما دعا اليه كرومر :

١ — القضاء على الاسلام دينا ودولة .

٢ — القضاء على الوحدة الاسلامية .

وقد استطاع فى خلال هذه الفترة الطويلة أن يؤكد وجود النفوذ الغربى فى مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والتعليمية والقانونية المصرية ، وتمثل تقاريره فلسفة كاملة للتعامل بين الفوذ الاستعمارى والمصريين ، وقد استطاع كرومر أن يعد ركيزين هامتين فى سبيل دعم الاحتلال البريطانى والنفوذ الاستعمارى كان لهما أثرهما البعيد بعد ذهاب كرومر والى وقت بعيد ، هاتان الركيزتان هما :

وضع لطفى السيد على رأس صحيفة الجريدة لسان حال حزب الأمة منذ عام ١٩٠٧ الى عام ١٩١٤ ليبث يوميا فلسفة استعمارية اقليمية تمثل المنهج الغربى الاستعمارى الذى ورثناه خلال فترة الاحتلال البريطانى كله والذى ما تزال آثاره ممتدة الى اليوم بالرغم من كل محاولات التحرير والاصلاح .

ووضع سعد زغلول على رأس نظارة المعارف تأكيدا للمعانى التىحرص النفوذ البريطانى على تحقيقها من خلال التربية والتعليم وأهمها فرض اللغة الانجليزية على مختلف مناهج التعليم ورفع مناهج القرآن والتاريخ الاسلامى والمفاهيم الاخلاقية والاجتماعية والتربوية الاسلامية من المناهج وكان كرومر

حفيا بتكوين جيل يرث الاحتلال البريطاني ويكون من متفرنجة المصريين الذين يؤمنون بصداقة بريطانيا ويوالون النظريات الغربية فى مختلف مجالات الاجتماع والسياسة وقد تحقق هذا فعلا وتحققت ثمرته بعد الحرب العالمية الأولى وفى فترة ما بين الحربين على أوسع نطاق .

## دنلوب

كان اسم دنلوب من الأسماء الاستعمارية الضخمة فقد وكل اليه كرومر شئون التعليم فكان مستشار نظارة المعارف منذ وقت طويل وامتد نفوذه الى قبيل الحرب العالمية الأولى .

وكان دوجلاس دنلوب قسيسا أرلنديا اختاره كرومر ليحقق به سيطرة النفوذ الغربى على مناهج التعليم والتربية فكان عمله أشد قسوة مما حققت مناهج مدارس الارساليات الأجنبية فقد استطاع اسقاط كل الجواب التى من شأنها أن تبنى العقل العربى الاسلامى من مناهج التعليم وخاصة فيما يتعلق بالقرآن والتاريخ واللغة والأدب . واضاف كثيرا من تراث الفكر الغربى وخاصة الأدب الانجليزى بهدف خلق طاقة اعجاب وتقدير للمستعمر واعلاء من شأن الحضارة الغربية والنفوذ الاستعمارى ، وعمد الى خلق ولاء أوربى فى النفس المصرية يستهدف احتقار القيم العربية والاسلامية والمصرية ويؤمن بأن المصرى كان طوال التاريخ مستعبدا بالفرس واليونان وبالعرب أيضا فقد اعتبر دنلوب العرب مستعمرين للمصريين وجرى على هذا المنهج كثيرون من بعد .

كما أعلى فى نفوس الشباب المصرى الاعجاب بالأوربى ، والنظر الى الاستعمار البريطانى على أنه عملية تمدين للشعوب المتأخرة ، وحاول أن يجعل العلاقة بين المصريين والبريطانيين علاقة صداقة . غير أن هذه المناهج جميعا لم تلبث أن فشلت ولم تحقق الأهداف التى طمع اليها النفوذ الأجنبى .

وكانت سياسة دنلوب تهدف إلى انهاء دور الأزهر الشريف حصن اللغة والشريعة فكانت وزارة المعارف فى عهده بمثابة معهد يعد الطلاب بعيدا عن البيئة الاسلامية الى أن يصير مفهوم التقدم والحضارة عندهم هو تقليد الغرب وقد لعب طه حسين ولطفى السيد فى مصر وساطع الحصرى فى العراق دورا مهما فى هذه المؤامرة كما لعب دورا خطيرا فى هذا الصدد أمثال اسماعيل القبانى وعبد العزيز القوصى وغيرهما .

## ولفنجستون

حاولت كتب الجغرافيا فى المدارس العربية اسباغ صفة البطولة على قادة الحملات التبشيرية والاستعمارية من أمثال : هنرى الملاح وولفنجستون وفاسكو دى جاما ووصفهم بأنهم طلائع الكشوف العلمية وكان ذلك نتيجة لسيطرة النفوذ الاستعمارى على مناهج التعليم فى العالم العــــربى كله ، والواقع أن هؤلاء لم يكونوا مكتشفين ، ذلك أن كل المناطق التى ارتادوها كانت مكتشفة فعلا ومعروفة للمؤرخين والرجال العرب من قبل ذلك بمئات الســـنين .

وان ما ورد من أن ولفنجستون وصمويل بيكر قد اكتشفا أفريقيا هو محض ادعاء يكذبه ما أورده ابن بطوطة فى رحلته من وصـــوله الى أعالى نهر النيجر والى تمكتو وسكوتوا قبل أن يصل اليها هؤلاء الأوربيون بنحـــو ثلاثة قرون وكذلك ذكرها السائح الهروى ولقد كان العرب يعرفون هـــذه المناطق منذ وقت طويل قبل وصول هؤلاء المستمرين المبشرين ، وقد بقيت تمبكتو وهذه المناطق أعصرا طويلة جزءا من سلطة المغرب الأقصى ، وهذا ما يؤكد أن صمويل بيكر لم يكن مكتشفا لمنابع النيـــل الأبيض لأنها لم تكن مجهولة فى وقته عام ١٨٦١ .

ويتحتم هنا أن نقول ان العرب هم الذين قادوا ولفنجستون الى بحيرة تنجانيقا عن طريق زنجبار وكان ذلك بمساعدة السيد حامد بن محمد المعروف باسم ( تيبو سيب ) أشهر تاجر فى تلك الأصقاع ، ولما انقطعت أخباره وجاء ( ستانلى ) ليبحث عنه لم يستطع أن يصل اليه فى مدينة (أجيجة) الا بمساعدة السيد حامد كذلك . ولقد كتب ولفنجستون فى تقريره « أن نهاية الاكتشاف الجغرافى هى بداية العمل التبشيرى وأن هذه حقيقة كلية اذ أنه من المحال أن نكتشف أرضا جديدة دون أن ينبه ذلك فينا سوق دعوة أهلها الى الانجيل » وهكذا ينكشف المخطط الصريح الكامن وراء ذهاب هؤلاء الطلائع الى هـــذه المناطق كمقدمة للبعثات التبشيرية والارساليات .

ولدينا نص يؤكد هوية ولفنجستون أورده ( رولاند اوليفر ) فى كتابه : « العامل التبشيرى فى شرق أفريقيا » حين قال : لقد أعد ولفنجستون نفسه منذ سنوات حياته الأولى حين كان يعمل فى جمعية التبشير اللندنية للاضطلاع بمشاكل التبشير الخاصة بأفريقية الاستوائية وبالعمل بين شعوب فطرية فى بلاد لم يكن قد سكنها الأوربيون » .

وفى عام ١٩٤٩ كان ولفنجستون لا يزالُ يفكر بطبيعة الحال فى التجارة أكثر من الاستعمار .وبما أنه كان أولا وقبل كل شىء مبشرا فقد اختار كعضو فى هذه الحملة التبشيرية أن يبحث عن نهر تستطيع السفن أن تمخر فيه داخل البلاد ، ولقد أراد ولفنجستون أن يستكشف طريقا فى أفريقيا للمبشرين لا للمدنية ، وكان ولفنجستون مبشرا قبل أن يكون رحالة ولم تكن رحلته المشهورة الا تمهيدا للبعثات التبشيرية ( بدر الدين القاسم — مجلة العلم العربى — ١٩٦٠ ) .

هذه هى الحقائق التى غفل عنها مع الأسف أولئك الذين حاولوا تصوير هؤلاء بأنهم أبطال استكشاف جغرافى وخدعونا عنهم ، ولقد ذهب بعض الأدباء والكتاب الى مجاراة هذا الاتجاه فكتب أحدهم فى صحيفة كوكب الشرق عام ١٩٣٣ بحثا يمجد فيه ولفنجستون ويصفه بأنه من رجال الاصلاح والشخصية العظيمة .

وكان هذا جريا من التيار التغريبى الذى يريد أن يكسب رجاله طابع البطولة !

## فاسكو دى جاما

كان أمثال هنرى الملاح فى آسيا وولفنجستون فى أفريقيا وفاسكو دى جاما فى الهند من طلائع التبشير والاستعمار بالرغم من كل ما أضفته عليهم بعض الكتابات التاريخية الزائفة . ولم يكن دورهم الذين تاهوا به الا من عصارة جهد المسلمين والعرب الذين رافقوهم فى هذه الرحلات ، وفاسكو دى جاما لم يستطع أن يصل الى الشواطىء الشرقية الا بمساعدة البحار المسلم العمانى ( أحمد بن ماجد أسد البحر ) الذى كتب أبحاثا كثيرة فى أمور البحر والرحلة فيه .

بل أن دى جاما قد خدعه حتى استطاع أن يحقق غرضه وذلك بعد أن أسكره بالنبيذ ودفعه بالتهديد الى أن يقود حملته الى الهند .وقد كانت كتب أحمد بن ماجد هى العون الأول لكل الغزوات التبشيرية فى اكتشاف الطرق البرية ومسالكها عن طريق العلامات التى أوردها لهداية البحار من نجوم ومسالك بحرية وعلامات الليل والنهار .

وقد اتصف فاسكو دى جاما بكرهه للمسلمين والعرب وقد ضرب

بمدافعه الثقيلة أثناء رحلته الى آسيا مركبا عزلاء تنقل الحجاج الى مكة فأحرقها بعد أن نقل أموال أهلها وأمتعتهم الى اسطوله وبعد أن حظر على رجاله انقاذ الغرقى منهم وفيهم النساء والأطفال حتى هلكوا جميعا الا عشرين طفلا بعث بهم الى البرتغال حيث حملوا على اعتناق النصرانية .

وقد كذبت الوقائع التاريخية ما حاولت الكتب العربية المؤلفة في ظل النفوذ الاستعماري أن تنسبه الى فاسكو دي جاما من أنه وصل الى كلكوتا . ذلك أنه لم يذهب الى ( كلكوتا ) بل وصل الى مدينة أخرى تدعى ( كاليكوت ) تقع على ساحل كيرالا فى الجوب الشرقى من شبه جزيرة الهند وتبعد بأكثر من ألف ميل عن ( كلكوتا ) التى تقع على مصب نهر الكونج فى الشمال الغربى من الهند .

## الغزالى

لم يواجه مفكر مسلم بمثل ما ووجه به الامام الغزالى من شراسة الحملة عليه ومحاولة تدميره وكان مصدر الحملة عليه هو موقفه المشرف من الفلسفة الالهية اليونانية وهى الفلسفة الوثنية التى تعارض مفهوم التوحيد فى الاسلام معارضة واضحة صريحة ، أما موقف الغزالى من الفلسفة الطبيعية أو الفلسفة الرياضية فلم يكن موقف المعارض لها بحال .

ومن هنا نعرف مصدر الحملة وأسبابها ، فقد كانت حملة الداعين الى تدمير الفكر الاسلامى بالفلسفة اليونانية ومعارضة من يقف منها الموقف الواضح الصريح ، ومن خلال هذا المفهوم كانت حركة التغريب والتبشير والاستشراق وراء رسالة زكى مبارك ( الأخلاق عند الغزالى ) ووراء غيرها من بعد حتى ليقول أحدهم « ان كتاب تهافت الفلاسفة للغزالى كان بمثابة الرتاج الذى أغلق باب الفكر الفلسفى فظل مغلقا ما يزيد على سبعة قرون » ومن الحق أن يقال أن الفلسفة اليونانية قد فشلت فشلا ذريعا فى محاولتها الأولى ابان عصر العباسيين كما فشلت فى محاولتها الثانية فى العصر الحديث فى أن تخرج الفكر الاسلامى والثقافة العربية عن جذورهما بالرغم مما أتيح لها فى العصر من حرية واسعة فى نقل الوثنيات والمسرحيات والأساطير مما رفضه المسلمون الأول ، ومع ذلك فان المسلمين يعرفون أن فلسفتهم تنطلق من الفقه الاسلامى وأن منطقهم مستمد من القرآن كما حرره ابن تيمية وأن الفلسفة الاسلامية تقوم على التوحيد وتنبنى فى مجتمع

يختلف كل الاختلاف عن مجتمع اليونان العبودى أو مجتمع الغرب الوثنى الاباحى .

ولقد كشف الامام الغزالى عن الفرق بين أسلوب القرآن وأسلوب المتكلمين فقال : « ان ادلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل انسان وادلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضربه الاكثرون . بل أن ادلة القرآن كالماء الذى ينتفع به الصبى الرضيع ، والرجل القوى ، وسائر الأدلة كالأطعمة التى ينتفع بها الأقوياء مرة ويمرضون بها أخرى » .

لقد انكر الغزالى النتائج التى توصل اليها فلاسفة ما وراء الطبيعة والالهيات واعترف بصحة آراء فلاسفة المنطق ورياضيات والطبيعيات .

أما رد ابن رشد على الغزالى فقد جاء بعد مائة عام حيث لم يكن ابن رشد معاصرا للغزالى ولذلك فان المقارنة بينهما والقول بأن كتابه تهافت التهافت هو رد على الغزالى ، هذا القول من الناحية العلمية يبدو عملا من أعمال التمويه التى يريد بها خصوم الغزالى أن يصوروه فى موقف الهزيمة بينما نرى أن كتاب ابن رشد يوافق الغزالى فى أكثر مسائله ويختلف معه فى اقلها وبينهما قرن من الزمان .

وبالجملة فان الامام الغزالى خطأ الفلاسفة الذين أرادوا أن يزنوا كل شىء بميزان العقل فكان الدين فى أيديهم آلة خادمة للفلسفة ومن هنا كان خطرهم الخطير على الدين والاخلاق . خطرهم على الدين حين اعتقدوا فى انفسهم التميز على اقرانهم ونظرائهم فرفضوا وظائف الاسلام والعبادات واحتقروا شعائر الدين واستعانوا بالشرع وحدوده ،وكان مصدر كفرهم انكارهم للشرائع والنحل وجحدهم فضل الأديان والملل .

أما خطر الفلاسفة على الأخلاق فيرجع الى أنهم أهملوا أحكام الشريعة فشربوا الخمر وأعرضوا عن الصلاة وقالوا مع ذلك أنهم ادركوا حقيقة النبوة وأسوأ قولهم أن الانسان اذا ارتفع عن طبقة العوام سقط عنه التكليف .

## كارل مارتل

يحاول الاستعمار والتغريب أن يضفى على اسم ( كارل مارتل ) معنى البطولة وذلك لانتصاره على المسلمين فى معركة ( تور أوبواتيه ) التى يطلق

عليها اسم معركة بلاط الشهداء عام ٧٣٢ م ١١٤ هـ وهي المعركة التي توقف عندها التوسع الاسلامي في أوربا ثمة ثم عاود حركته على أيدي الأغالبة في تونس .

والحق أن هذه الموجة كانت قد وصلت الى غايتها منذ بدأت عام ٩٣ هـ حتى توقفت عام ١١٤ ، وكان قوامها البربر والعرب معا وقد استنفذت قوتها وبعدت عن جبل طارق الذى هو نقطة بدئها نحو الف ميل . فكان بلوغ الزحف موقع (بلاط الشهداء) في الحق هو اقصى ما يمكن أن تبلغه هذه الموجة .

غير أن ما وجه الى كارل مارتل من التشريف والتكريم لم يكن في الحقيقة الا ممثلا لوجهة نظر المتعصبين الذين حاولوا بكل ما أوتوا من قوة أن يوقفوا زحف الاسلام على أوربا . ولكن المنصفين من المفكرين والباحثين والعلماء لم تفتهم الاشارة الى مدى الخطر الذى لحق اوربا نتيجة لتوقف التوسع الاسلامى مما أخر نمـــو الحضارة سبعة قرون كاملة وقد شهد بذلك « كلودفارير » أحد كتاب الغرب الذى قال بأن موقف كارل مارتل الهمجى أبقى على ظلمات أوربا سبعة قرون وحال بينها وبين انوار الحضارة الاسلامية وهكذا شهد شاهد من أهـــله .

## دوركايم

أبرز ما وصل اليه دوركايم هو انه الغى الفطرة ،وحاول عن طـــريق فلسفة عنيدة أن يقول بأن الدين ليس فطريا وان الزواج والأسرة ليســـا فطريين وأن القواعد الاخلاقية ليست فطرية .

وتقوم نظرية دوركايم فى نطاق النظرية المادية التى تجد قاعدتها فى دارون ومدرسته وهى شطر النظريتين : النفسية ونظرية التفسير المـــادى للتاريخ وتستهدف نفى القداسة والأصالة عن الاسرة والاخلاق والمجتمعات .

ودور كايم فيلسوف فرنسى يهودى ، كان على صلة بعيدة المـــدى بالدراسات التاريخية والاجتماعية التى اداها الدكتور طه حسين وكان مشرفا على رسالته عن ابن خلدون ، هذه الرسالة التى حملت كل أساليب التحقير والاستهانة بابن خلدون وفكره ومفاهيمه . وقد خضع الدكتور طه حسين فى ذلك الى نظرية دور كايم ولاء للفكر الغربى الجانح الى احتقار الفكر العربى الاسلامى وتقديرا لاستاذه ، ولقد ظل طه حسين فى مختلف دراساته التى

قدمها خاضعا للمذهب الاجتماعى الذى قرره دوركايم ، عندما درس المجتمع الاسلامى والفتنة الكبرى ومذاهب الأدب وتراجم الأعلام وغيرها ، وعن مذهب دور كايم نقل الينا تلك الفكرة المادية الالحادية حين أعلن « أن الدين لم ينزل من السماء وانما خرج من الأرض كخروج الجماعة نفسها » .

وهذا بالنص من آراء دوركايم وقد واجه طه حسين وآراءه هذه معارضة كبيرة فى ضوء مقاييس الفكر العربى الاسلامى الذى يؤمن بالفطرة والذى يعرف الأهداف الضخمة وراء دعوات أمثال دوركايم وهم من داخل مخطط الصهيونية العالمية الذى رسمته بروتوكولات صهيون حيث يقول : « لقد رتبنا نجاح دارون وماركس ونيتشه بالترويج لآرائهم وأن الأثر الهدام للاخلاق الى تنشئه علومهم فى الفكر غير اليهودى واضح لنا بكل تأكيد » .

ودور كايم هو استاذ جاك الب وطه حسين قال عنه العقاد :

« العالم الاسرائيلى رسول الماركسية فى ميدان العلم الاجتماعى نقل آراء كارل ماركس من مباحث الاقتصاد والسياسة الى مباحث الاخلاق ، مذهبه أن الفرد لا قيمة له ولا معنى لتنشئته بالحرية الفردية . انما القيمة كلها للمجتمع الذى يخلق الأديان والعقائد والاداب والقيم الروحية وكلها عبث لا قيمة له ما لم يكن نظاما من نظم الاجتماع » .

ويقول : لقد اخذ دور كايم يعمل بمعاول هدامة فى كل القيم والمفاهيم الدينية والاخلاقية وأخذ تلميذه الأكبر اليهودى ليفى بريل ينهج نهجه ويسير على طريقته : منهج التشكيك فى القيم والمثل والعقائد والاخلاق والقاعدة التى يقوم عليها فكره هى أن كل الظواهر والمظاهر نسبية متغيرة متبدلة لا تثبت على حال ولا تستقر على وضع لأنها فى كل يوم يتبدل حال بحال ، وهم يهدفون من محاولة اعلاء شأن المتغيرات وحجب الثوابت التى تدور فى فلكها الى افساد المجتمعات وتحللها وقد جابهه كثيرون بدحض أفكاره فقالوا: اذا كانت الاخلاق نسبية فهل سيأتى الزمن الذى يعتقد فيه أن الصدق رزيلة وأن الشهامة شر أو أن الشجاعة سوء أو أن العفة جريمة ؟ وفى مجال العقائد قالوا له : هل سيأتى اليوم الذى لا نقول فيه بواحدانية الله أو لا نقول بارادته وعلمه : وهدف هذه الفلسفة اليهودية التلمودية هى تكملة رسالة ماركس وفرويد وخلق أجواء من الشك والانهيار للمجتمعات ، ومن أجل ذلك تكاتفوا وأصبحت لهم الكلمة الأولى فى الجامعات وفى العلوم الانسانية .

## دارون

اكتسب دارون شهرته الضخمة نتيجة لنظريته القائلة بالتطور ، وأن الانسان تطور من الحيوان . وفى الحقيقة أن دارون لم ينكر وجود الله ولا أنكر قوة الخالق الذى خلق الخلية الأولى . وقد اشار صراحة الى أن الحياة فى الأصل بدات بقدرة الخالق العظيم ، الخالق لأصل الأنواع ولم يقل دارون بالتولد الذاتى أو نفى الخالق وانما قال بذلك آخرون تلقفوا هذه النظـرية وأرادوا أن يجعلوها قاعدة أساسية للفلسفة المادية التى انبنى عليها من بعد صرح ضخم من الفلسفة فيما يتعلق بعلاقة الانسان بالحياة وعلم النفس ومنها انبثقت فلسفات الماركسية والفرويدية ونظريات دور كايم وغيره ، غير أن الطبقة الأولى التى حملت لواء الظرية وحولتها عن طبيعتها تتمثل فى لامارك وارنست هيكل وأوبارين ومن بعدهم جاء سبنسر ثم جاء كثير من الماديين الغـلاة .

ولا مارك قال بالتطور قبل دارون ولكن دارون كان أكثر اعتدالا منـه ولم يقل دارون بأن الانسان والقرد من أصل واحد أو أن القرد هو ابو الانسان الأول ، وانما قال بذلك الغلاة . ولم ينسب الحياة الى المصادفة ، وغيره هو الذى قال أن الحياة الأولى تولدت من المادة تولدا ذاتيا دونما أى تدبير من مدبر ، ولكن النظرية المادية كلها نسبت اليوم الى دارون وكل ما قاله دارون أن الانسان والمجموعة الشهيرة بالشمبازى منحدرن من أصل واحد ، وقـد وجدت نظرية دارون معارضة من كثير من العلماء فى مقدمتهم هكسلى تلميذ دارون الذى نفى أن الانسان قد انحدر من القرد ، كما أنكر وجود أى نوع من النبات أو الحيوان تشأ بالانتخـاب الطبيعى أو الانتخاب الصـناعى ، وكان أجاسيز فى مقدمة من عارضوا النظرية حينما قال أن النشوء لا يتم الا وفقـا لخطة الهية حكيمة ، وأن الاصطفاء الطبيعى اذا حل محل الخلق الالهى فان الانسان يكون قد جرد من روحه وعدآلة صماء وأن الفكرة التى يعتنقهـا الدارونيون عن تناسل نوع جديد بواسطة نوع سابق ليست الا افتراضـا اعتباطيا يتعارض والآراء الفسيولوجية الرصينة .

وأكد العلامة « والاس » : أن يكون الانسان قد تم على طريقة التطور والارتقاء حيث قال : ان الارتقاء بالانتخاب الطبيعى لا يصـدق على الانسـان ولا بد من القول بخلقه رأسا .

وقال « فرخو » : أنه قد بين لنا من الواقع أن بين الانسان والقرد فرقا بعيدا فلا يمكننا أن نحكم بأن الانسان سلالة قرد أو غيره .

وقد أشار فريد وجدى الى الاعتراضات الموجهة الى نظرية داروين فقال انهـــا :

( أولا ) عدم مشاهدة أى ارتقاء من أى نوع كان فى الأحياء الأرضية من عهد ألوف السنين .

( ثانيا ) عدم وجود الصـــورة المتوســـطة بين الأنواع اللازمة لمذهب التسلسل ، كأن يوجد مثلا حيوان ارقى من القرد رتبة واحدة وأدنى من الانسان رتبة واحدة .

( ثالثا ) طول الزمان اللازم لحصول الترقى بين الأحياء فان عمر الأرض كما قالوا لا يكفى لاحـــداث كل ما يرى من هـــذه الأشكال المختلفـــة غايـــة الاختـــلاف .

وقال نديم الجسر : ان الحيوانات البحرية الدنيا باقية حتى اليوم على الحالة التى كانت عليها من ابتداء العالم ولم نجد انها تأثرت بناموس الارتقاء ولو كان ناموس الارتقاء أكيدا لوجب ان يكون الأعلى منها كذوات الفقـــرات قد وصل الى أعلى الطبقات .

وبعد : فان الخطر فى نظرية داروين لم يكن فى النظرية نفسها وانما كان فى محاولة تطبيقها على المجتمعات كما فعل سبنسر وبخنر ثم اتخذت بعد ذلك أداة هدم للاديان ، ولكل ما ليس ماديا من جوانب الغيب الخفـــية عن الحس والمشاهدة ، غير أن ما حققته كشوف الذرة فى الأعوام الأخيرة قد حطم هذه النظرية نهائيا .

## هـ٠ج٠ لورنس

اذا كان فرويد هو منشىء مذهب التحليل النفسى على أساس الجنس وهو المذهب الذى عارضته كل المناهج الفلسفية والنفسية الأصيلة فان هـ٠ج٠ لورنس هو أبرز من طبق هذا المذهب فى كتاباته ، أو كان هو بشخصيته وانتاجه رمزا على الانحراف الخطير فى الشخصية الانسانية حين يســـتعلى ويحاول أن يتصور انه منطلق من منطلقات الحرية .

وقد عنى لورنس بتصوير أزمته النفسية تجاه العجز الجنسى الذى كان مصدره حب أمه له واسرافها فى احتضانه حتى فقد قدرته الحسية ، فكانت كتاباته ثورة على كل القيم . وقد كان أدب لورنس بالاضافة الى أوسكار وايلد فى انجلترا الى بودلير وبوست فى فرنسا ظاهرة من ظواهر الانحلال الخلقى التى عملت على تدمير المجتمع الأوربى بعد اشاعة الانحلال فيه ، وقد كان لدعوة لورنس الى تحبيذ الفوضى الجنسية أثرها البعيد فى المجتمع الانجليزى وشاعت قصة عشيق اللادى شارلى التى تصور امرأة منحرفة متزوجة من رجل مريض ، وقد عكس لورنس آلام حياته واضطرابها فى قصصه ومات فى سن الخامسة والأربعين مريضا بالسل وكان خلاصة موفقة كما صوره أحد نقاده .

لقد ضحى لورنس بكل شىء حتى نفسه وبكل القيم الانسانية التى كان بغير شك يكتبها فى نفسه فكانت تسبب له فى حياته أشقى صراع وانقسام نفسانى ، وكان ذلك فى سبيل اشاعة الفوضى النفسية التى ارتدت اليه آخر الأمر وقتلته بعد أن جرعته غصص الشقاء فى حياته » .

نعم ، لقد خسر لورنس كل شىء وكسبت القوى التى حركت لورنس وأفادت من اثاره لتذيع دعواها الاباحية وتعمق هدفها من المفاهيم التى اعلنها فرويد وطبقها لورنس .

## جبران خليل جبران

لمع اسم جبران خليل جبران لمعانا خاطفا فى الثلاثينات ثم لم يلبث ان انطفأ ، ذلك أن المذهب الأدبى الذى حمل لواءه كان براقا مليئا بالظلال والأضواء استطاع ان ينفذ الى نفوس الشباب فى ظل أجواء غلبت فيها الوجدانية والمشاعر السائبة ، غير ان هذا التيار لم يستطع أن يثبت فقد اكتسحه تيار الأصالة العربية المستمدة من الجذور العميقة للبلاغة والبيان ، والمستمدة اساسا من القرآن ، فقد عمد جبران ومدرسة المهجر الشمالى الى اعلاء أسلوب التوراة . واتخاذ مزامير داود وكتابات العهد القديم نمطا من أنماط الكتابة العربية ، كخطوة تالية للخطوة التى حاول تحقيقها مترجمو الكتاب المقدس فى اللغة العربية حين رفضوا وضعه فى الأسلوب الفصيح

وأصروا على بقائه فى اسلوب العامية ، ثم جاء جبران ونعيمة وغيرهم فحاولوا أن يتخذوا من هذا الأسلوب منهجا فى الكتابة وفتحوا كلماتهم بعبارات التوراة : « الحق أقول لكم ، فى البدء كان الكلمة » ثم أضافوا الى ذلك قدرا من العبارات المجنحة المضببة التى نقلوها من الشاعر الأمريكى ويتمن وظنوا ان زخرفة الورق وجمال الطباعة والاهتمام بالنشر بين شباب العرب سوف يفرض هذا اللون فرضا وستميل اليه الأذواق والأذهان ، غير أن صوت المنفلوطى فى أسلوبه العربى البليغ المستمد من القرآن لم يلبث ان غلب هذه الصيحات وأقام معبرا يصل بين بلاغة الجاحظ وكتابات الزيات والرافعى وزكى مبارك وغيرهم مما اسقط اسلوب الظلال والأضواء ، الأسلوب الحالم الغريب الذى لا يتصل بالمزاج النفسى العربى ولا يستمد من أصالة اللغة والبيان العربى ، ولا يجرى مع طابع الأدب العربى وذاتيته التى ترفض كل دخيل ، وبذلك سقطت مدرسة جبران خليل جبران وما تزال تسقط بالرغم من محاولات احيائها من جديد .

## أبو نواس

أعلن الدكتور طه حسين وجماعة التغريبيين من شأن عدد من الشعراء والكتاب محاولين اعتبارهم نماذج عليا فى الأدب العربى ، فى نفس الوقت الذى هاجموا وزيفوا فيه حياة آخرين ، وكانت المقابلة هى : تزييف المتنبى واعلاء أبى نواس .

ولقد اعتبر طه حسين (ابو نواس وبشار ومطيع وحماد عجرد والخليع) هم مثل لعصرهم بينما لم يكن هؤلاء فى الحقيقة الا ثلة من المنافقين الخلعاء الذين كانوا موضع كراهية المجتمع واحتقاره لسلوكهم الاجتماعى ، أما بالنسبة للادب العربى والفكر الاسلامى فقد كانوا مجموعة من الشعوبيين الذين لا يمثلون الروح العربية ولا المزاج الاسلامى ، وقد كانوا فى الأغلب من زنادقة الفرس المجوسيين فكريا بالرغم من التصاقهم بالمجتمع العربى الاسلامى .

وقد رد بعض الباحثين اضطراب حياة أبى نواس الى وضعه الاجتماعى وموقفه من أمه (جلبان) وقد أشار بعضهم الى أنه أدركته عقدة أوديب فأحب أمه وكلف بها كلفا بلغ الهيام ، مما أفسد عليه الحياة الاجتماعية من بعد فكلف بالخمر واتخذ منها غاية وافتتن بها ، وقد وصف الخمر وغلا فى وصفها وقال فيها ما لم يسبق اليه .

أما أم أبى نواس ( جلبان ) فقد ظلت سوء صفحتها تطارده وتفسد عليه حياته ، فقد تركها زوجها هانى ( أحد جنود مروان ) وتوفى فكانت تعاتى وولدها شظف العيش حتى فارقت الأهواز واستقرت فى البصرة وأصبح بيتها مباءة الغاوين والضالين ، فلما وعى ابو نواس وأدرك أحاديث الناس عن أمه مال عنها والتحق بالغواة فعب من الخمر ما ينسيه تلك الأحاديث التى كانت تصيب منه مقتلا وتجرح كرامته ، ثم التحق بوالبة بن الحباب الذى بصره بقول الشعر واغرقه فى بحار الملذات واللجوء الى الحانات فانتقل به الى الكوفة والبادية لتقويم لسانه واطلاعه على أقوال العرب . ثم كانت عودته الى البصرة والتزامه خلف الأحمر الذى حفظه من شعر العرب الفا قصيدة ثم أمره نسيانها . وانتقل الى بغداد فعب من اللذات ما شاء وأحب من الجوارى العابثات ( جنان ) وتغزل بها وبعدها ثاب الى رشده » ( طه حسين : خصام ونقد ) .

وقد كان لاضطراب حياته بين موقفه من أمه وحبه لجنان ما أنشأ فى نفسه مذهب النرجسية ، ( ثم مضى اسرافا فى المجون واغراقا فى العبث وغلا فى الاعتداد بنفسه حتى لم ير غيرها ففتن بنفسه ) .

ومما يصفه به خصومه واصدقائه على السواء أنه كان شعوبيا ، واغرق فى التنكر للعرب والسخط عليهم ، ثم اتخذ ( أبو نواس ) رمزا للاستهتار والازدراء بكل شىء واهدار كل قيمة .

وكان لطه حسين أكبر الفضل فى اذاعة شعر أبى نواس وتقريره على طلبة وطالبات كلية الآداب وامتحانهم فيه ، وهو شعر الغزل الحسى والغزل المذكر وقوله فى تبجح شديد « ان هذه الفنون من جد أبى نواس ودعابته ليست خطرا على الشباب ، لاتفسد أخلاقهم » وهذا ولا شك يفى للتدليل على ان طه حسين بعد أن بلغ هذه السن لا يزال مصرا على ما قاله عام ١٩٢٤ فى مطالع الشباب ولا يزال داعيا اليه ، وقد كنا ظننا أنه قد تاب وأناب عن اسرافه وخطئه .

## هرتزل

كانت دعوة « هرتزل » الى الدولة الصهيونية التى أعلنها ١٨٩٧ بدء تاريخ جديد فى الفكر العربى الاسلامى المعاصر ، وقد حاولت الصحافة

الأدبية والسياسة فى الثلاثينات من اعلاء شأن هرتزل وخليفته ماكس نوردو وحفلت الهلال والمقتطف والأهرام والعصور والمجلة الجديد باذاعة ما اسمته « السامية » وجرى ذلك كله داخل اطار المحافل الماسونية التى كانت قد انتشرت فى البلاد العربية باسم البنائين الأحرار الذين كانوا يعملون الصهيونية على النحو الذى نعرفه باسم اعادة بناء هيكل سليمان ، ولم تكن فى هذه الفترة قد توافرت أبعاد الحركة ، ولم تكن قد كشفت بعد العلاقة بين هرتزل وبين ماركس وفرويد ودوكايم ، وقد انكشفت هذه العلاقة فى السنوات الأخيرة واستعلنت الصلة بين دعوات التحلل الخلقى والاجتماعى وبين الصهيونية العالمية وكان من أبرز ما كشف عام ١٩٥١ تقريبا هو « بروتوكولات صهيون » التى عرفتها أوربا منذ عام ١٩٠٢ وظلت محجوزة عن الشرق الاسلامى حوالى خمسين عاما ، حتى لا يتعرف المسلمون والعرب على المخططات التى وضعت للقضاء عليهم وتدمير مقوماتهم والاستيلاء على فلسطين .

ولقد كان هناك زيف كثير وتمويه كبير للتغطية على موقف من أخطر المواقف التى واجهها هرتزل ذلك هو موقف السلطان عبد الحميد الذى عارض اغراءات وتهديدات الصهيونية العالمية التى حملها اليه هرتزل وأعلن رفضه البات عن اتاحة أى فرصة لليهود لاقامة اى وضع لهم فى فلسطين وكان هو وملكه والدولة العثمانية ضحية هذا الموقف الشريف ، فى نفس الوقت الذى وجهت اليه الصهيونية العالمية حملة عاتية عن طريق الصحافة العربية تتهمه فيها بالاستبداد والظلم ، وقد سجل هرتزل فى مذكراته تلك العبارات النارية التى وجهها اليه السلطان عبد الحميد اباء وحفاظا على أرض الاسلام .

## ابن المقفع

احتفل دعاة التغريب بابن المقفع واعلوا من شأنه حتى لقد بلغ بهم القول بانه هو الذى ادخل النثر الفنى الى الأدب العربى ، وقد كان هذا فى الحق تمويها ومحاولة لانكار اثر القرآن الكريم فى الأدب العربى ونسبة البلاغة العربية الى الفرس .

والواقع أن ابن المقفع لم يكن الا داعية من دعاة المجوسية أعلن اسلامه تقية وتخفيا حتى يحقق أغراضه ، وان ما نقله الى الأدب العربى من الأدب

الفارسي كان واضحا فيه تعمد اذاعة الفكر الوثني فقد قدم كتاب مزدك ثم كتاب برزويه وكان هدفه من هذا اذاعة الشبهة حول وحدة الأديان والقول بتناقضها وعندما كتب تاريخ الشعوبية والحملة الباطنية الحاقدة على الاسلام اعتبر ابن المقفع واسمه ( روزبه ) في مقدمة العاملين في هذا المجال ومن دعاته الأول ، وقد سجل ذلك الدكتور على سامى النشار في كتابه ( مقدمة مناهج البحث عند مفكرى الاسلام ) وقال أن روزبه القديم عبد الله بن المقفع كان اكبر طاعن على الاسلام وأن كتابه : مرزدك وبزويه ( الواقع في مقدمة كليلة ودمنه وليس منها ) انما قصد بهما اثبات تناقض الأديان وبخاصة الاسلام وعدم يمينها فضلا عن أن باب برزويه يحاول التشكيك في القرآن بالخطأ والتناقض والدعوة الى أن الفلسفة هي طريق اليقين .

وحين الدكتور طه حسين هو مقدمة من أعلوا من شأن ابن المقفع جريا وراء ما ردده المستشرقون من أثره في الأدب العربي نتيجة تأثره بالثقافة اليونانية وذلك متابعة للمذهب الغربي الوافد الذى ينسب كل شيء من عظمة الأدب العربي أو الفكر الاسلامي الى اليونان او الفرس او الفكر الوافد ، تجهيلا لأثر القرآن الذى هو المصدر الحقيقي والأساسي للفكر الاسلامي كله .

ولقد أسلم ابن المقفع اسلاما فيه ريبة ، وكتب في الزندقة كتبا كثيرة رد عليها المسلمون ، وقد انتهى به أمره شر نهاية . ولقد شهد النقاد بأن أسلوب ابن المقفع لم تكن فيه اصالة العربية ولا روعتها ، وشهد بذلك طه حسين نفسه حين قال أن ابن المقفع عندما يتناول المعاني الضيقة التي تحتاج الى الدقة في التعبير يضعف فيكلف نفسه مشقة ويكلف اللغة مشقة وأن الأصمعي لاحظ انه يلحن وأخذ عليه الجاحظ أنه لم يكن يحسن ما يحاول من الفنون .

ومن عجب أن يحاول دعاة التغريب وضع هذا الرجل المجوسي على رأس النثر الفني في الأدب العربي بعد نزول القرآن بأكثر من مائة عام ، والقرآن لا شك هو المصدر الأول للنثر الفني في اللغة العربية والأدب العربي الذى لم يعرف هذا الفن من قبل ، قال السيد المرتضى في أماليه قال جعفر بن سليمان روى عن المهدى أنه قال ما وجدت كتاب زندقة قط الا واصله لابن المقفع ويروى البعض أنه مر ببيت النار بعد اسلامه فتمثل بقول الأحوص :

يا دار عاتكة التى اتعـــزل حذر العدا وبك الفـــؤاد موكل
انى لأمنحك الصـــدود واننى قسما اليك مع الصدود لأميل

يقول الجاحظ : انه كان يجتمع على الشراب مع مطيع بن اياس ووالبة بن الحباب وبشار بن برد وأبان اللاحقى فيهجو بعضهم بعضا وكل منهم متهم فى دينـــه .

هذه هى حقيقة ابن المقفع ، اما ما أورده أحمد أمين ، وبطرس البستانى وغيره ممن زخرفوا صورته فمردود والوقائع الصحيحة تنقضه .

## هنرى الملاح

وصفت الكتب المدرسية العربية هنرى الملاح بأنه عالم جليل ومكتشف جرىء ، والحقيقة ان هنرى الملاح شأنه شأن البوكرك وولفنجستون وغيره هم من طلائع الاستعمار الذين كانوا مدفوعين الى الشواطىء العربية والاسلامية الافريقية بدافع الانتقام والحقد والتعصب الدينى بعد أن تعاهدت اســبانيا والبرتغال على اثر سقوط دولة العرب والمسلمين فى الأندلس على اقتحـــام العالم الاسلامى واستعماره والسيطرة عليه .

وهنرى الملاح البرتغالى الذى ورد اسمه فى كتب التاريخ بالتمجيد هو واحد من غلاة الاستعمار المتعصبين وقد بدأ حياته بحملة حربية ضارية على مدينتى : سبتة وطنجة العربيتين الاسلاميتين ثم اسس مدرسة بحرية ضمت رجالا وجههم بالتعصب الى قتال المسلمين ثم خوله البابا نيقولا الخامس حق الفتح والاستيلاء فى جميع البلاد حتى الهند وقد وصفه البابا بانه رافع لواء النصرانية فى البلاد النائية .

وكان مثلا مزريا فى الحقد على الاسلام والمسلمين والاندفاع وراء هدف الاستعمار المغلف بالتبشير شأنه شأن هذه الطلائع جميعا التى كانت من اعداء العرب ، ومع ذلك فقد حاولت الكتب التاريخية المدرسية أن تضعه فى صورة البطولة الخادعة .

## أبو ذر الغفـــارى

حاول الكتاب فى العصر الحديث اضفاء هالة ضخمة من المجد حول شخصية أبو ذر الغفارى تخرج به فى الحقيقة عن نطاق الدور الذى قام به والتاريخ الصحيح الذى سجلته له كتب السيرة ولنا على موقـف ابى ذر ملاحظات :

( الأولى ) الدور الذى قام به ( عبد الله بن سبأ ) وما القاه الى أبى ذر من رأى فى المال كان مصدر الخلاف بينه وبين معاوية ومصدر متاعبه كلها . ذلك أن أبا ذر كان صادقا مخلصا يندفع وراء ما يرى أنه الحق بينما كان عبد الله ابن سبأ يدبر مؤامرة كبرى للمسلمين .

( الثانية ) أن ما يراه أبو ذر يختلف عما كان يراه النبى صلى الله عليه وسلم ، فالمعلوم المتواتر عن النبى أنه كان يأخذ جزءا من المال ويترك الباقى لصاحبه وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم : « ليس فيما دون خمس أواق صدقة » ( أى زكاة ) .

وهذا يختلف مع دعوة أبى ذر الى عدم جواز ادخار الذهب أو الفضة بعد أداء زكاتهما : يقول العلامة الامام عبد الحميد بن باديس .

( أخذ أبو ذر بظاهر قوله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضـــة » وقد جاءت النصوص الصحيحة الصريحة بأن الأخذ انما يكون لبعض الأموال، فقوله تعالى « ولا ينفقونها » معناه : ولا ينفقونها كلها وهـــؤلاء هم الذين لم يعطوا شيئا منها وهم مانعو الزكاة فلا تصدق الآية على الذين أنفقوا ) .

وقال : لقد أصاب أبو ذر فيما اختاره لنفسه من الزهد وعدم الادخار ولكنه أخطأ فيما اراد من حمل الناس على حالة لم يوجبها الله عليهم ولن يستطيعوها ، وقد خالف أبو ذر اجماع الصحابة بنظريته السابقة مع قيـــام الدليل القطعى من النقل المتواتر ، والنصوص القرآنية الكثيرة المتضافرة على خلاف رأيه .

وكان خلافه هذا فى مسألة من كبريات المسائل ، ومع ذلك فقد تركوا له حرية النظر ولم يلق منهم من أجلها أذى ، وهم لم يتعرضوا له فى نظـــره أو اجتهاده الا عندما خشوا من بثه الفتنة فى الناس .

ويحاول المعاصرون ان يصوروا الموقف بالنسبة له كأنه النفى او الاخراج ، ولكن النصوص والوثائق تغاير ذلك .

فقد عرض عليه الخليفة ما يراه أصلح له فاختار ( الربذة ) او هو استأذن عثمان فى الخروج ،وعلى كلتا الروايتين لم يأمره عثمان بالخروج حتى يقال أنه قد نفاه .

وقد أرسل اليه عثمان : أن تعاهد المدينة حتى لا ترتد أعرابيا وقد نهى المسلمون عن التعرب بعد الهجرة لما فيه من الانقطاع عن الجماعة كما أقطعه عثمان صرمة من الابل .

## السلطان جلال أكبر

أمضى السلطان جلال الدين محمد أكبر عشرين عاما متدينا وبعد وضعه أساس الدين الجديد لسنوات قليلة انقلب فجأة ولم يبق أى أثر لدين الاسلام فى قلبه بل انه ابدى كل مظاهر العداوة للدين الاسلامى دين آبائه واجداده واصبح رجلا آخر يتبع زيف الدنيا ووضع أساسا لدين جديد هو دين (الهى) وقد أنشأ اولا دارا خاصة فى فانجبور سكرى سماها ( عابدة خانة ) دعا اليها والعلماء من السنة والشيعة وذلك لتوحيد المذهبين وتعريب وجهات النظر لكن تلك اللقاءات جاءات بنتائج عكسية حيث وسعت شقة الخلاف مما دفع بعض العلماء اتهام بعضهم البعض بالكفر والالحاد والمروق عن الدين وخرج السلطان اكبر من تلك الاجتماعات وقد التمعت فى رؤسه فكرة أراد أن يحققها مهما اعتورته من المصاعب الا وهى توحيد جميع الأديان فى الهند بدين جديد .

فى عام ١٥٨٢ م دعا ( اكبر ) كبار علماء الدين الاسلامى والمسيحى والزرادشتى ، والجافى ، والهندوسى ، وكبار قادة الجيش الى حضور اجتماع عام يعقده فى دار خانة وقد تحدث السلطان فى ذلك عن ضرورة توحيد الأديان فى دين واحد .

وذلك للحفاظ على وحدة الهند ونشر على المجتمع آنذاك مبادىء أساسية لدينه الجديد الذى سماه ( دين الهى ) وقد اشهر السلطان أكبر مبادىء دينه الجديد من الاسلام والمسيحية والهندوسية والزرادشتية واعتبر أن التوحيد أساس دينه جديد على أن يعتمد على الاسس الزرادشتية والهندوسية وأنه خليفة الله فى الأرض .

وسمح بوضع الخنازير فى العصر الامبراطورى وأعتبر النظر اليهــا عملا يستحق التقدير ، وحرم تربية اللحى التى كانت شعار المسلمين فى الهند آنذاك ونفي أعدادا كبيرة من علماء المسلمين وشيوخهم سواء الذين عارضوه أو الذين التزموا موقف المتفرج ، واستبدل التقويم الهجرى بتقــويم جديد سماه ( التقويم الالهى ) يبدأ منذ جلوسه على العرش ومنع أيضا ختانة الأطفال قبل سن الثانية عشرة وزواج البنات قبل سن البلوغ وحارب دراسة اللغــة العربية ومنع الاذان فى المساجد وأداء صلوات الجامعة فى المساجد وغيرها .

وأمر بتغيير الاسماء الاسلامية أمثال محمد ، أحمد ، مصطفى وغيرها لأن تلك الأسماء سببت للسلطان أكبر القلق والضيق وأمر بايقاف الحج الى مكة المكرمة ومنع صيام شهر رمضان وحرم دراسة القرآن الكريم والحديث الشريف .

وحول المساجد والجوامع الى مخازن وجعل شعار اتباعه الله أكبر يعنى به أن أكبر هو الله .

ولم يقف عند هذا الحد بل سمح لزوجاته الهندوسيــات الاحتفــاظ بديانتهن والقيام بشائر دينهن داخل قصره وفى جميع معارضيه من علمــاء الاسـلام ولضطهدهم وشردهم وسمح للارساليات البرتغالية بالتبشير فى دولته وسلم ولده سليم الى رجال الارساليات للتجربة وليرى أثر التعاليم المسيحية فى عقله .

وقد وقف أمام السلطان أكبر وأقام بدعته البدء ( بدعة دين الهى ) جميع رجال الدين السنيين . وقد واجه كثير منهم عقوبة الموت وبعضهم ذاق ألوانا من العذاب فى سبيل الدفاع عن دينهم دين الحق : دين الاسلام .

وقد ترأس دعوة محاربة الالحاد والزندقة آنذاك العالم الفضل الشيخ « احمد سرهندى »* ١٥٦٤/١٦٢٥ بحيث نظم حركة واسعة لمعارضة هــذه البدعة الكبرى تلك البدع الالحادية فاتصــل بكبار قواد الجيش وكبــار الموظفين يحذرهم عاقبة الفتنة العمياء التى أطلت برأسها والتى تريد تحطيم الدين من الداخل .

* ١٥٦٦ — ١٦٠٥ م

وبعد موت سلطان أكبر سجن السلطان جهانجيز العالم احمد سرهندى فى سجن العاصمة فبث الشيخ العالم روح الاسلام بين المساجين الذين آمنوا وأدوا الصلوات فى أوقاتها وتحولوا من الكفر الى الاسلام فكتب مدير السجن الى السلطان يعلمه جلية الأمر مما دفع السلطان الى اطلاق سراح الشيخ ووقف معه فى مكافحة البدع والالحاد والمروق من الدين والغى تعاليم دين الهى الذى وضعه السلطان أكبر ، ورجع الاسلام الى نقاوته والمسلمون الى حريتهم الكاملة فى ممارسة فروض الدين علنا بعد أن امضوا فى محنتهم اكثر من ثلاثين عاما .

« مرشد دبور »

# المأمون

أن الصورة اللامعة التى رسمها الاستشراق والشعوبيون للمأمون ليست صحيحة على اطلاقها فقد كان النقل والترجمة من الفكر اليونانى قبل المأمون مشروطا بالعلوم والطب والفلك ولم يفتح باب ترجمة الفلسفات المسيحية والوثنية والغنوصية الا فى ايام المأمون الذى شجع هذه الوجهة وافسح لترجمة كتب العقائد والاخلاق اليونانية أو ما كان يسمى عندهم علم الأصنام واعطى حنين بن اسحق وزن ما يترجمه ذهبا فكان هذا يبحث عن الرقاق الغلاظ والثقال ويفسح الحروف حتى يكثر من ثمن ما يترجم .

وأخطر مقاتل المأمون فتنة خلق القرآن وحمل الناس عليه .

كان المسلمون يترجمون من الكتب قبل المأمون : كتب الطبيعة والفلك والاحياء وغيرها فى مجال الكون المادى ولكنهم كانوا لا يرون ذلك بالنسبة لعقائد الأمم ويعتقدون أن ما لدينا هو أصحها فنحن فى غنى عنها .

ان العقيدة الاسلامية مصدرها القرآن والقرآن كلام الله فكيف يتأتى لقوم أن يتركوا كتاب الله الى كتب بشر فيها الخطأ والصواب فالمأمون هو الذى فتح هذه الثغرة ودخلت تلك الترجمات الى الجو الاسلامى فأفسدته ، وأثارت الجدل ، وظهرت البدع والوثنيات والتأويل والجدل واشرأب الملاحدة فى عصره ، واحتضن فكرة خلق القرآن وحمل الناس عليها على النحو الذى كان بعيد الخطر على مفهوم السنة الجامعة .

كذلك يرى الباحثون أن كارثة النزوع الى الاستعجام وقعت فى أيام المأمون حيث بدأ الجيل بمفاخر ايران وكسرويتهم وعنجهية الفرس ، ولما زار المأمون دمشق قبل وفاته بسنوات تعمد رجل من عقلاء أهلها أن يواجهه بخطئه هذا ولو كان فيه حتفه ، ولا سيما ودمشق حديثة العهد بالانقضاض على بنى العباس ، تعرض رجل للمأمون وقال له :

يا أمير المؤمنين : انظر العرب أهل الشام كما نظرت العجم أهل خراسان فكان المأمون يتصامم عن نداء الدمشقى فى المرات الأولى حتى اذا زور فى نفسه جوابا على ما أحدث في الدولة من بدعة استوقف الرجل فى المرة الأخيرة وقال لى : اكثرت على أيا أخا الشام ، والله ما انزلت قيسا عن ظهور الخيل الا وأنا ارى انه لم يسبق فى بيت مالى درهم واحد ، أما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتنى قط، أما قضاعة فسادتها تنتظر السفيانى وخروجه فتكون من أشياعه ، أما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث نبيه من مصر ، ولم يخرج اثنان الا خرج أحدهما شاريا ( أى ثائرا ) أغرب فعل الله بك .

وسوف لا ينسى التاريخ للمأمون موقفه الظالم من فتنة خلق القرآن وايغاله فيها وحمل الناس عليها بعد أن خدعه بشر المريسى وحمله على الاعتقاد بخلق القرآن . فقد أخطأ المأمون الواسع العقل العميق الثقافة فى تبنى مسألة فرعية كهذه ثم اعتباره اياها رأس المسائل وبذلك فتح الباب أمام أصحاب النحل والعقائد والملل المختلفة أن يتكلموا فى مجالسه ، وكذلك الشعراء ، وقد ارتبط عصره بازدهار حركة النقل والترجمة وخاصة من اليونانية والفارسية فأرسل البعوث الى القسطنطينية وغيرها لاحضار المصنفات التى تغافل عنها المسلمون منذ بدء عصر الترجمة ، وهي الفلسفة الالهية اليونانية المعروفة بعلم الأصنام ، وقد طلب هذه الكتب من امبراطور الروم وصاحب جزيرة قبرص وسارع أحد رجال الدين المسيحى باجابة الطلب قائلا : الرأى أن نعجل بانفاذ هذه الكتب الى الخليفة فان هذه العلوم ما دخلت دولة شرعية الا افسدتها واوقعت بين علمائها وقد صدق رأى هذا القسيس فان حنين بن اسحق أشهر المترجمين كان يدين بالنصرانية على المذهب النسطورى وقد تولى الترجمة من اليونانية الى العربية واسند اليه المأمون بيت الحكمة فأفسد الترجمة وادخل فيها مفاهيم المسيحية وجعلها وسيلة للدعاية لنحلته ومع ذلك فقد أحرز عنها أعلى الأجور واضخمها ، وكان

المطلوب ترجمة كتب العلوم فترجموا الفلسفة وأدخلوا مفاهيمهم فيها ، وكان حنين بن اسحق يكتب على ورق ثقيل وسطور متباعدة ويزن له المأمون الأجر ذهبا وقد تحيز المأمون الى المعتزلة والاعتزال وقال له يحيى بن أكثم قاضى القضاة : الرأى أن تدع الناس على ما هم عليه ولا تظهر لهم أنك تميل الى فرقة من الفرق فان ذلك أصلح فى السياسة ،وقد عزله المأمون وولى أحمد بن ابى دؤاد الذى سار بالأمر الى مسيرة العنف وقد أمتد الأمر فى خلافة المعتصم والواثق خلال سبعة عشر عاما والامام أحمد بن حنبل يواجه الموقف فى صمود وعنف قائلا : ان القرآن كلام الله غير مخلوق . وبالرغم من أن رجلا جريئا مثل عبد العزيز بن يحيى الكنانى تلميذ الشافعى اندفع من مكة الى بغداد يناظر رجال المأمون ويهزمهم فان المأمون لم يرعو للحق .

( اقرأ قصته فى كتابنا : أضواء على التراث الاسلامى )

## عبد الرحمن الكواكبى

ان الكتابة عن الكواكبى فى العصر الحديث غفلت عن جملة حقائق اساسية فى حياته ، ذلك انه حين جاء مصر كان الخديو عباس حلمى على خلاف مع الخليفة العثمانى وكانت جريدة المؤيد التى يصدرها على يوسف لسان حال الخديو قد أخذت تهاجم الدولة العثمانية وتدعو الى خلافة عربية . وقد تأثر الكواكبى بهذا الاتجاه وسار فيه وحمل على الخليفة حملات شديدة فى مقالاته التى جمعت من بعد تحت اسم طبائع الاستبداد ، وقيل أن كتابا ايطاليا يتضمن نفس المعانى تأثر به الكواكبى . ولكن الكواكبى على كل حال كان على خلاف شديد مع مفهوم الجامعة الاسلامية الذى دعا اليه السلطان عبد الحميد وكانت تغلب عليه روح القومية التى سرت اذ ذاك فكانت دعوته الى خلافة عربية موضع أمل خصوم الاسلام من المارونيين والمستعمرين ، ولذلك فقد تلقفوا افكاره واذاعوا بها واعتبروها مصدرا يعتمدون عليه فى هدفهم غير المعلن لهدم الخلافة الاسلامية وقد صور هذا المعنى السيد رشيد رضا فى ترجمته للكواكبى حين قال :

لقد كانت أفكار الكواكبى السياسية مبنية على قواعد فيها اليأس من الدولة العلية ولم يكن يريد ان يكون الخليفة القرشى الذى يخلف الخليفة التركى سلطانا حاكما سائسا للعرب او لغيرهم وانما كان رايه ان يكون رئيسا دينيا ينظر فى مصالح الحالين الروحية والأدبية وترقيتها .

وبهذا المعنى يكون الكواكبى غير أصيل الانتماء الاسلامي وانما كان متأثرا بفكرة البابوية المسيحية ومن هذه الناحية فقد عنى به كتاب التغريب والشعوبيون والماركسيون فى السنوات الأخيرة وأشادوا به وخدعه الخديو حين عاد الى الصلح مع الدولة العلية وفقد وجوده كلية لأنه تابع الحاكم ولم يرد بعمله وجه الله تعالى .

## اخناتون

تردد كثيرا اسم اخناتون على أنه أول الموحدين وهى دعوى باطلة فان الذين حملوا لواء التوحيد فى ظل الديانات السماوية كان هدفهم واضحا ، وكانت وجهتهم خالصة الى الله تبارك وتعالى ، أما اخناتون فان توحيده الذى يتشدقون به كان قاصر على أنه وحد عبادة الأصنام فى عبادة واحدة هى عبادة الشمس ، وقد أشار القرآن الى هذه العبادات حين قال « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله ذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون » .

ان عمل اخناتون لم يتعد أكثر من أنه محا اسم الاله آمون من جميع الهياكل وأزيلت الاشارات الدالة عليه واستبدلت باسم الاله أتون واشاراته، وكان أتون فى نظره يمثل قرص الشمس كما يظهر عند الغروب مكتمل الشكل في موكبه المحفوف بالمجد كما يقولون .

وقد وصفوا هذه الحركة التى قام بها اخناتون : انها ثورة على الدين مصحوبة بنزعة للتوحيد ، وثورة على الكهنة ورجال الدين وتحكمهم فى جميع شئون الدولة أكثر مما كان الدين نفسه الذى كان يقول بالوهية الشمس .

وهكذا نجد أن دعوى القول بأن اخناتون هو أول داعية للتوحيد هى دعوى باطلة ، فقد كان غارقا فى الأصنام وعبادة الكواكب بينما كانت الدعوة الى عبادة الله الواحد سائرة من قبله وبعده على لسان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف .

## زويمر

لماذا اختار قيادة حركة التبشير مدينة البحرين عام ١٨٩٣ مركزا لدعوتهم فى الخليج والبلاد العربية كلها فأوفدت اليها القس زويمر فأقام بها بضعة

وعشرين عاما يتنقل خلالها فى مختلف القولهم الاسلامية ، ان الاستاذ مبارك الخاطر يحث على ذلك بأن هذه المنطقة كانت متقدمة تقدما فكريا واضحا ، وكانت ذات صلة بالنهضة الاسلامية التى قادها جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا ، وكان لها مشاركة فى المنار والصحافة الاسلامية ، منذ ذلك الوقت البعيد وقد واجه القاضى المجاهد الشيخ قاسم بن مهزع هذه الحملة التبشيرية ، وقاومها مقاومة واضحة وكشف مخططها . فقد كانت البحرين بين بلاد الخليج العربية المشمولة بالحماية البريطانية منذ ١٨٢٠ وكانت عبر تاريخها فى تجارة اللؤلؤ مهبط الأغراب من جنسيات مختلفة ووصلتها طلائع التبشير البرتستانتى وبها الايرانى والهندى والافريقى والاوربى ، ومن ثم أصبحت مكانا مناسبا لاتخاذها قاعدة للتبشير البروتستانتى فى الخليج وعمان.

وقد كانت مدينة المنامة هى مركز الارسالية فى البحرين وكان العمل التبشيرى فى جزر البحرين وسواء الاحساء وعمان يدار من مركز المنامة .

ولقد وصل القس صمويل زويمر الى المنامة ١٣١٠ هـ ١٨٩٤ م وبعض رفاقه واستأجروا بيتا ثم بدأ زويمر يتصل بالناس فى الأسواق ويناقش الشباب منهم فى أمور الدين باللغة العربية التى كان يجيدها .

ومنذ عرف القاضى قاسم بن مهزع بأمر وصوله وجماعته فقد قام ولم يقعد ، اذ حاول أول الأمر أن يخرجه من البلاد لولا تدخل المندوب البريطانى فى الخليج ، ومن هنا عمد ابن مهزع الى محاصرته وكشف زيفه والتضييق على جماعته وبث العيون لرصد حركاته وتوعية العامة عن طريق العلماء والتجار بأغراض المبشرين مما أغلق الطريق أمامهم ، ولذلك فان زويمر قد واجه نفورا شديدا من كل من لقيه وحاول التحدث اليه ، وكان زويمر يقول للشباب: أنه جاء فى بلادهم ضيفا عليهم واذا لم يقبلوه فهو ضيف الله وكانوا يقولون له : لست بضيفنا و لاضيف الله : أنت ضيف الشيطان . وظل هؤلاء الفتية يذكرونه حتى حين زارهم بعد فى جامعة عليكرة سنة ١٩١١ فلما دخل عليهم قالوا له : أهلا بضيف ابليس فقال لهم : الى الآن لم تنسوها .

وقد ضاقت أول الأمر أرض البحرين على القس زويمر ورفاقه فغادرها الى الاحساء ، وطرده الوالى التركى ثم عاد الي البحرين ثانية واستأجر فى المنامة بيتا وجعله مدرسة لتعليم اللغة الانجليزية ومكتبة عامة بها قسم لبيع كتب التوراة والانجيل ، وبدأ عمله بين طلاب المدرسة ورواد المكتبة وعده

فى ذلك ادواته من خرائط وكرة أرضية وفانوس سحرى وألقى محاضرات على المسلمين أثناء تمثيل حوادث التوراة بالفانوس السحرى والخرائط الاحصائية عن ارتقاء ممالك النصرانية وانحطاط ممالك الاسلام .

واستعان زويمر بالمقيم السياسى البريطانى فى أن يكون مقره مركزا للتبشير واشترى قطعة الأرض التى بنى عليها مستشفى ماسون الأمريكى ، وصمد اهل البحرين وخاصة الشباب أمام صمويل زويمر . ويذكر الفضل لأحمد بن مهزع وابراهيم من الخليفة وقاسم بن مهزع وفضل الذكر الذين قاوموا زويمر وحاربوا خططه فى البحرين وكانوا من تلاميذ مدرسة المنار والمؤيد .

وقد واجه أهل البلاد كما يقول مبارك الخاطر فى كتابه عن الشيخ قاسم بن مهزع مع قلة عددهم وصغر مساحة بلادهم خطة محكمة لتنصيرهم بأجمعهم ، واجهوها وهم قلة فى العدد لا يصلون الى ١٥٠ ألف مجموعة عمل تبشيرى ابتدات العمل فى تنصيرهم بثلاثة عشر مبشرا ومبشرة ، وبعضهم يجيد العربية اجادة مطلقة وست مؤسسات تبشير بالرغم من سلطة الحماية البريطانية فى البحرين ممثلة منها الحماية بروتستانتية والتبشير بروتستانتى والتقى زويمر بابن مهزع وليس فى جعبته غير اجادته اللغة العربية اجادة تامة ، وغير وقوعه هو وأمثاله تحت تأثير تلك الدراسات اللاهوتية ، وامتد الصراع بينهما خلال ثلث قرن من الزمان ، وقد ركز هزاع على الشباب فى توعية شاملة بأغراض المبشرين البعيدة الاثر ، وكان يقرا لهم العروة الوثقى، ودعا جماعة من تلاميذه لتعلم اللغة الانجليزية ، وقال لا بأس فنحن من خلفهم فتعلموا منهم اللغة وارفضوا اللاهوت ، بل وادخلوا فى مناقشات مع المبشرين وكان الشيخ يوجههم الى طريقة الجدل ، وكان زويمر يمر بمجلس الشيخ ويناقشه وكانوا يمارسون تبشيرهم بطرق خفية ومموهة بالكلام عن الحضارة الجديدة وانها من صنع المسيحيين ، بينما المسلمون لا يستطيعون أن يشاركوا فيها ، وقد شهد زويمر على نفسه بالفشل حين قال فى مؤتمر القدس عام ١٩٣٢ أن أمله قد خاب فى تنصير العالم قاطبة فى مدة ٢٥ عاما ، وقال اننا لا ستطيع ادخال المسلمين فى حظيرة المسيحية فهم لا يفضلون ترك الاسلام الى غيره الا أننا قد نستطيع اخراجهم من الاسلام فقط بتشكيكهم فيه كنظام .

وكتب فى مجلة العالم الاسلامى الانجليزية يقول : ان لعمل ارساليات التبشير فى البلاد مزيتين : مزية تشييد ومزية هدم ، تحليل وتركيب ، ان خطر

المبشرين من التغيير الذى أخذ يدخل على عقائد الاسلام ومبادئه الخلقية فى البلاد العثمانية والقطر المصرى أكثر بكثير من خطر الحضارة الغربية فيه.

وقال شاتليه : لا شك أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الاسلامية فى نفوس معتنقيها ، ولا يتم ذلك الا ببث الأفكار التى تتسرب مع اللغات الأوربية فبنشرها اللغات الانجليزية والهولندية والألمانية يحتك الاسلام بصحف أوربا ويمتد السبيل لتقدم اسلامى ماضى ، وتقضى ارساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الاسلامية التى لم تحفظ كيانها وقوتها الا بعزلها وانفرادها .

والمعروف أن زويمر جرب حظه مرة أخري فى مصر واقتحم الأزهر الشريف ووزع منشورا عنوانه « لماذا لا ترجع الى القبلة القديمة » وتبين أن التبشير كان ولا يزال فى خدمة الصهيونية وقد فشلت هذه الجهود ولم تحقق أى ثمرات حقيقية .

## أتاتورك

تضاربت الآراء حول مصطفى كمال اتاتورك وحول الدور الذى قام به فى تحويل تركيا الاسلامية الى تركيا العلمانية المتغربة .

( أولا ) يقول هـ. ك. ارمسترونج فى كتابه الذئب الأغبر : أو الحياة الخاصة لطاغية ، يقول : ان كمال اتاتورك منشىء تركيا المدنية من أصل يهودى وأن اجداده اليهود نزحوا من اسبانيا الى مدينة سالونيك فرارا من محاكم التفتيش التى كانت تحكم باحراق اليهود احياء ، أجداده هؤلاء تظاهروا باعتناق الدين الاسلامى لكى يأمنو على أنفسهم من اضطهاد سلاطين آل عثمان ويعلق محمد التابعى الذي نشر هذا الخبر فى أخبار اليوم (١٤/١٠/١٩٦١).

والواقع أن الطبقة الحاكمة فى تركيا وفى كل العهود هى من طائفة الدونما ، أى المسلمين الذين كانوا يهودا ،

( ثانيا ) كانت الدعوى العريضة التى أكسبت مصطفى كمال البطولة هى معركة ازمير التى ادعى أنه قادها وكسبها وكل الوثائق تدل على أن شخصا آخر هو الذى كان بطل هذه المعركة ولكن أتاتورك أقصاه وأكله من فوق طاولة الشطرنج .

كان كاظم قرة بكير هو قائد الجبهة الشرقية فى حرب الاستقلال وهو الذي قضي على الجيش الأرمنى وجرده من سلاحه ، وقد نشر عـددا من الوثائق فى جريدة ( مليت ) فى مايو سنة ١٩٣٣ نقلتها جريدة البلاغ المصرية يفهم منها أنه هو صاحب الفكرة الأولى فى تأسيس حكومة قومية فى شرقى الأناضول ومقاومة الحلفاء بالسلاح ، وأنه أول من باشر العمل فى هـــذا السبيل حين كان الغازى مصطفى كمال لم يزل فى استانبول .

وقال كاظم قرة بكير أن أتاتورك لم يذهب الى الأناضول باختياره ورضائه بل أن خصومه السياسيين فى استانبول هم الذين أرسلوه بوظيفة مفتـش حبشى ابعادا له وان كاظم هو الذي لعب الدور الأهم والذى نتج عنه الظفر النهـائى .

( ثالثا ) أشارت كتابات عديدة الى الدور الذى قامت به بريطانيا لهدم الاسلام وكانت تعلم أن يهود الدونمة فى سالونيك هم المعدون للعمل للقضاء على الخلافة الاسلامية وبالتالى لقضاء على الاسلام ، وهو ما تم فعلا ، وكان توصيل مصطفى كمال الى الحكم هو اثمن الذى قدمه له الانجليز مقابل قضائه على دولة الخلافة واحكام الاسلام فى تركيا واستبدالها بالأنظمة والأحـكام الغربية واستبدال ل الحروف اللاتينية بالحروف العربية لابعاد الاتراك عن كل ما له صلة بالعرب أى لابعادهم عن الاسلام .

وقد كان أتاتورك آلة من آلات التدمير التى صنعها الغرب لحسابه ، وكان لعبة من تلك اللعب التى تجيد الجمعيات السرية تشغيلها لحســاب الصليبية واليهودية وقد نشأ وعاش فى احضان جمعية الاتحاد والترقى التى لعبت أخطر الأدوار لتدمير دولة الخلافة .

( رابعا ) صدرت فى السنوات الأخيرة رسائل ودراسات كشفت حقيقة هذا الرجل أهمها كتاب زميله الذى لم يذكر اسمه تحت عنـوان ( الرجل الصنم ) الذى كشف حقيقة أتاتورك أمام أولئك الذين كانوا يحسنون الظن بالذئب الأغبر الذى لم يقرأوا تاريخه جيدا والذى يكتبون عنه لم يعـرفوه كثـيرا .

هل كان أصلا من طائفة الدونمة أم ماسونيا وقع فى حبائل اليهودية العالمية أم قوميا من غلاة الطورانية التركية وقد كانت أعماله شاهدة .

— الحروف اللاتينية حتى فى طبع المصحف الشريف .

— قوانين الأحوال الشخصية التى دائرة الخروج على القواعد الاسلامية .

— حرم تعدد الزوجات وجعل للقضاء وحده الفصل فى طلب الطلاق .

— عدل قوانين الميراث فسوى بن الابن والبنت .

— الغى الحجاب واباح للمراة المسلمة أن تتزوج من تشاء من أى دين .

— الغى الأوقاف الاسلامية .

— شجع الخمر والاتصال بالنساء واخرج المراة بالقوة الى المراقص .

— حطم الأساس الدينى وغير وجهة الشعب التركى .

وقد أشار ولفرد كانتول سميث الى ان احقاد الصهيونية والصليبية كانت من وراء أتاتورك أكثر من خمسمائة سنة بعد أن رفض السلطان عبد الحميد اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ثم راحت القوى الصليبية واليهودية تشنع بمبادىء الخلافة العثمانية ومطالبها لتنتهى بهدمها من قواعدها .

## منـــدل

استطارت شهرة مندل منذ طرح نظريته عن المعادلة البشرية وقد ثبت من بعد أن قواعد مندل فى الوراثة غير محكمة ، وان مندل لم يكن على علم بالافاق الجديد للطاقة التى أوشكت البشرية أن تستشرقها من بعد وأهمها البترول الذى كان ظهوره عاملا هاما فى قلب نظرية مندل والاطاحة بها ، ولكن النفوذ التلمودى اليهودى مازال يستغل هذه النظرية تحت اسم الانفجار السكانى ليحافظ عن وجود القلة من ذوى الثراء والذين يشكلون امبراطورية الربا .

ولقد كانت صيحة أوربا الضالة هى فى محاولة انقاص البشرية بالقضاء على الضعفاء محاولة ضالة ، فقد جفت فيها ينابيع السخاء البشرى عندما دعا الغرب الى قتل العاجز أو تركه يموت دون أن تعمل على علاجه وشفائه وكان اقسى تلك الصيحات القول بالقضا ءعلى الزنوج لحساب شعوب أرقى منهم، وكان هذا تبريرا كاذبا للاستعمار والاستغلال لأن الأقوياء هم الذين يستعمرون ويقتلون الضعفاء بالوراثة .

وكان نيتشه فى مقدمة الدعاة الى ابادة الضعفاء وقد تبين للباحثين أن رأى داروين في تنازع البقاء الذى أخذت به الفلسفات الاستعمارية هو خطأ محض وأن التعاون فى الطبيعة كان اكبر أثرا من التنازع .

## فــريزر

يعد فريزر أحد الدعائم الخمسة الذين قامت عليهم الفلسفة المادية فى الفكر الغربى الحديث ( داروين — فرويد — ماركس — دوركايم — فريزر ) فهو الذى أحيا فى العصر الحديث دراسة الاساطير والخرافة فى بحــوث مستفيضة ضمنها كتابه الغصن الذهبى تناول فيها ركام الفكر البشري القديم كله فى مجال الطقوس الدينية .

ظهر هذا الكتاب عام ١٨٩٠ ثم أضاف اليه اضافات كثيرة عام ١٩١٥ وما زال يعد الدعامة الأساسية للفلكلور ولما أطلق عليه علم الانثروبولوجيا .

وقد استغل هذه الكتابات لمحاربة الوحى والدين الحق وتتابع الأديان الى غاياتها بظهور الاسلام ليكون الدين الخاتم الذى استوعب ما جاء فى الأديان السماوية .

ويعد فريزر المتوفى سنة ١٩٤٠ أحد أركان الفكر الغربى الحديث وقد استغلت كتاباته فى الدعوة الى احياء الفلكلور والأساطير والعاميات وما قبل الاسلام وفى محاولة هدم الاصالة الاسلامية والبلاغة العربية وما يتصـــل بمستوى البيان القرآنى .

ويجرى هدف هذا التيار الى القول بأن الفلكلور يقدم المشــــــاعر الشعبية وهى فى جملتها مشاعر ساذجة مختلطة بالوثنيات والخرافات تمثل عصر طفولة البشرية ومنها انطلقت كل الدعوات الى مهاجمة عامود الشعر العربى والفصاحة العربية والخطابة .

وقد درس فريزر فى كتابه طائفة من مظاهر عبادة الأرواح والاعتقاد فى خلودها عند قبائل استراليا وافريقيا وبعض الشعوب الشرقيــة ، وهى دراسات لا قيمة لها بعد مجىء الاسلام الذى قرر مفهوم الانقطاع الحضارى عن ما قبل الاســلام .

وقد استهدف فريزر تجديد الخرافة والاسطورة وتقديمها من جديد فى أساليب عصرية بهدف القضاء على الاصالة التى جاء بها الدين الحق .

## يوحنــا الدمشقى

اختلف الرأى فى أمر يوحنا الدمشقى وان لم يختلف فى أنه أكبر علماء اللاهوت فى الكنيسة الارثوذكسية ( ٧٤٩/٦٨٠ ) وأنه حاول ايقاف الدعوة الاسلامية فألف رسالتين على شكل مجاورة بين مسيحى ومسلم فى شـأن الوهية المسيح وحرية الارادة الانسانية الغـرض منها تبـرير النصرانية والاستناد الى أفكارها فى مواجهة مفهوم التوحيد وقد طعن فى عقيـدة المسلمين وألف الكتب فى الرد عليهم وجادل علماءهم فى أمور كثيرة ، وكان قد برع فى المنطق والفلسفة اليونانية واتخذ من هذا المنطق سلاحا يدافع به عن الكنيسة ، وقد فلسف المعارف الاغريقية الوثنية وأخضعها لمفاهيم المسيحية ، وجادل المسلمين عن طبيعة المسيح ووضع للمسيحين خطة للبحث والمناظرة استهلها بقوله : اذا سألك العربى ماذا يقول فى المسيح فقل أنه كلمة الله ، ثم ليسأل النصرانى المسلم بعد ذلك ، بم سمى المسيح فى القرآن وليرفض أن يتكلم بشىء حتى يجد المسلم فانه سيضطر الى أن يقول : كلمـة الله ألقاها الى مريم وروح منه ، فان أجاب بذلك فاسأله هل كلمة الله وروحه مخلوقة أم غير مخلوقة فان قال مخلوقة فليرد عليه بأن الله اذا كان ولم يكن له كلمة ولا روح فان قلت لك فسيفحم العربى لأن من يرى هذا الرأى زنديق فى نظر المسلمين . وقد استدرج يوحنا المسلمين الى خلق الأفعال وخلق القرآن ومشكلة صفات الله وأضرابها ، وهى مسـائل لم يكن المسلمون يخوضون فيها ، وكان المسلمون يتباحثون فى صفات الله أهى قديمة أزلية أم حادثة ، ومن جملة ذلك كلام الله والمعروف أن جعد بن أدهم الذى قتله خالد ابن عبد الله العشرى من القائلين بخلق القرآن ، وكان من زملائه غيلان الدمشقى ومعبد الجهنى .

ومن فتنة يوحنا الدمشقى ظهرت هذه الفئة الباغية التى وصـفها المستشرقون والغربيون والشعوبيون العرب بأنهم أحرار الفكر وهم القائلون بالجبرية والخارجون عن مفهوم التوحيد الخالص .

يقول الاوزاعى : ان أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهنى وأخذ غيلان عن معبد ، ويكشف صاحب سرح العيون عن اسم ثالث هو طالوت بن أعظم اليهودى الذى أخذ عنه الجعد بن درهم وأبان بن سمعان القول بخلق القرآن

والواقع أن معبدا وغيلان والجعد لم يبتكروا هذا القول بالقدر وتعطيل الصفات وخلق القرآن من عندهم ولكنهم تأثروا فى هذه الأقوال بكتابات يوحنا الدمشقي والصابئة الحرانين والمانوية .

وقد قدم الشعوبيون غيلان الدمشقى على أنه من الثوار المسلمين وأنه المسيح المعتزلى الذى صلب فى حكم الأموين وقالوا أنه دفع حياته ثمنا لموقفه من خلافة هشام بن عبد الملك وقيل أنه مؤسس المدرسة القدرية التى انطلقت منها المعتزلة . وقيل أن الخليفة عمر بن عبد العزيز وكل اليه رد المظالم والأموال التى اغتصبها الامويون وحقيقة الأمر أن غيلان الدمشقى لم يقتل الا بتهمة واضحة صريحة هى خيانة الدولة الإسلامية وأنه اتخذ الكلام فى القدر وسيلة إلى تزييف مفهوم العقيدة الاسلامية كمدخل الى إسقاط الدولة الاسلامية .

وقد أشار كثيرون الى أن يوحنا الدمشقى كان يبث فى المسلمين هذه الدعاوى الفاسدة فانخدع له كثيرون ومنهم ابن جرير الطبرى الذى ذكرها على انها رواية واغتر بها المفسرون جميعا كالزمخشرى والرازى حتى جاء ابن كثير فصحح الأمور وقال ان ما اعتمد عليه ابن جرير لا أثر له من الصحة .

وكذلك فقد استشهد يوحنا الدمشقى فى الفصول التى كتبها عن المسيحية التى كانت تحتضر فى سورية ومصر وفلسطين بآيات من القرآن وبكثير من الأحاديث لاثبات وجهة نظره ولمناقشة المسلمين بسلاح المنطق اليونانى .

ويؤكد المستشرقون أن يوحنا بكتاباته قد أثار مشاكل خطيرة منها خلق الأفعال وخلق القرآن وصفات الله واستدرج المسلمين الى أمور لم يكونوا يخوضون فيها .

والمعروف أن نظرية القدر دخلت عن طريق النصرانية وحدها الى الاسلام بدليل ظهور هذه المشكلة فى الشام والشام ملتقى النصرانية فى الجزيرة العربية . وكان المجوس يقولون بالجبر وتتصل هذه الآراء التى بثها يوحنا بجذور فى اليهودية والمجوسية وما حمل لواءه عبد الله بن سبأ .

## نصير الدين الطوسى

تعلى كتابات الشوبيون من شأن نصير الدين الطوسى وتضعه فى قمم العلماء والأبطال « ونحن نفرق بين العلم والفلسفة فى مجموعة من الأعلام أمثال ابن سيناء والفارابي وغيرهم » فتقبل منهم علمهم ونرد عليهم مفاهيمهم الفلسفية لأنها باطنية منحرفة ، والأمر كذلك فى شأن نصير الدين الطوسى العالم الرياضي صاحب المائة وخمسة واربعين مؤلفا فى علم الحساب والمثلثات والهيئة والجبر والطبيعيات ، والذى وصف بأنه حامى الثقافة الاسلامية وتراث العرب الفكرى ابان الغزو المغولى .

والمعروف أن نصير الدين الطوسى ولد بطوس ١٢٠١/٥٩٧ وقضى شطرا طويلا من حياته فى خراسان ، وأنه كان بمدينة نيسابور عندما اجتاحها جنكيزخان ففر أمام جحافل المغول ولم يجد ملجأ عند قلاع الاسماعيلية التى كانت تقاوم الزحف المغولى فسافر واستدعاه زعيم الاسماعيلية ليقيم معه وبقى فى قلعة الموت حتى سقطت فى يد هولاكو ٦٥٣ وعندها انضم الطوسى الى هولاكو ورافقه فى هجومه على بغداد الأمر الذى حمل بعض المؤرخين على اتهامه بأنه هو الذى أشار على هولاكو بقتل الخليفة المستعصم ورجال دولته وذلك عام ١٢٥٨/٦٥٦ .

وقد علت منزلة الطوسى عند هولاكو فكان يطيعه فيما يشير به عليه بل صار له وزيرا وناظرا على الأوقاف ( الصفدى : الوافى بالوفيات ) .

وتمكن من انشاء المرصد واستخدم ابن الفوطى البغدادى خازن المدرسة المستنصرية لمكتبه المرصد فجمع ٤٠٠ ألف مجدا من الكتب التى نهبت من بغداد والشام والجزيرة أيام الغزو المغولى .

وهناك حول نصير الدين شبهتان : الأولى تقول أنه نجح فى عام ٦٥٤ فى أن يوقع رئيس الحشاشين فى قبضة هولاكو الذى صحبه الى بغداد ، والأخرى شبهة اتهامه بقتل الخليفة المستعصم ورجال دولته والعلماء ، هذا بالاضافة الى شبهة اتهامه بالالحاد وقد أشار اليها ابن كثير فى كتابه « البداية والنهاية » وصلته بالباطنية والحكماء معروفة وان كانت هناك محاولات لتبرئته من تهمة الاتصال بالاسماعلية ، ولكن تهمته فى التحريض على قتل الخليفة المستعصم مازالت قائمة وقد رددت هذه الاتهامات شذرات الذهب لابن العماد

واغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية والصفدى فى الوافى بالوفيات ، وهو لدى المستشرقين فيلسوف باطنى اهتم به داود شميث الأمريكى . وركزوا على شرحه لاشارات ابن سينا وقد اهتمت به الدوائر الاسماعيلية والباطنية وعرفت بكتبه وآثاره ، ومؤلفاته كلها تدل على وجهته ومنها منطقيات والهيات اقليدس ومجسطى ، وله كتاب أخلاق فارسى جمع فيه نصوص ارسطو وافلاطون .

وقد أشار ابن القيم الجوزية فى كتابه اغاثة اللهفان الى ان الشهرستانى نقد ابن سينا وابطل قوله بقدم العالم وانكار المعاد ، ونفى علم الرب وقدرته وخلقه العالم قال فقام له نصير الالحاد : نصير الدين الطوسى ونقضه بكتاب سماه مصارعة المصارعة حاول فيه ان الادعاء بأن الله تعالى لم يخلق السموات والأرض فى ستة ايام وانه لا يعلم شيئا ولا يفعل شيئا بقدرته واختياره ولا يبعث من فى القبور .

ويقول ابن الجوزية : والفلسفة التى يقرؤها اتباع هؤلاء اليوم مأخوذة عنه ( اى الطوسى ) وعن امامة ابن سينا وبعضها عن ابى نصر الفارابى ، وشىء يسير منها من كلام ارسطو وهو مع قلته وغثاثته وركاكة الفاظه كثير التطويل لافائدة فيه ، وخيار ما عند هؤلاء فالذى عند مشركى العرب من كفار قريش وغيرهم أهون منه .

## ابن عربى

يكشف ابن عربى فلسفته الملحدة الوثنية المستمدة من فرع الفلسفة اليونانية والغنوصية فى كتابه الفتوحات المكية ، ويحتاط لنفسه بمقدمات خادعة عن التوحيد يعارضها مضمون الكتاب نفسه . وابرز ما يحتويه الكتاب هو خطأ صاحبه فى فهم الأسماء الحسنى حيث يفهمها فهما مبتدعا يخرج بها عن صريح الاسلام من كيد وضلال يروج له وليضيف اليه عوامل البلبلة فى العقيدة بين أجيال المسلمين . وابرز ما يتسم به ابن عرى هو خروجه عن مدلول الألفاظ الدينية وخاصة التأويل .

ويعمد ابن عربى الى أسماء الله الحسنى فيتجاوز معناها وما توحى به من الكمال اللائق بذاته سبحانه الى تصوير كل اسم منها بصورة رب فاعل فيتصرف فى مجموعة من حقائق المخلوقات ، وأن هذه الأسماء قد تختلف فيما بينها وأين منها الرئيس والمرءوس والرب والمربوب وأنها تحتكم الى من فوقها

من الأسماء حتى تصل في النهاية الى الاسم الجامع وهو لفظ الجلالة ، وان الاسم بدوره يستأذن على المسمى وهو ذات الله تعالى حتى يتم الفصل بينهم فيما اختلفوا فيه . ويذكر هذا بما يقال في الأساطير عن آلهة الاغريق التي تنبو في عبثها ووثنيتها عن فطرة المسلم الذي يدين بالتوحيد الخالص لله الواحد الأحد رب العالمين .

وهو يذكر بعض الأسماء الحسنى يقول : هذه الأسماء هي أرباب الاسماء وما عداها فسدنة لها — أي خدم — كما أن بعض هذه الأرباب سدنة لبعضها الآخر . والكتاب يصور أسماء الله الحسنى — أو هذه الأرباب كما هي في تسميته وكيف تتناقش وتختلف وكيف يدخل بعضها على حضرة بعض حتى يفصل بينها الاسم الجامع ( الله ) .

أو كما يقول — كمال أحمد عوف — ان الكتاب يقطع بأن الاله الواحد الهه ويقلب التوحيد الخاص تعددا ووثنية وما أعنى المسلمين وما أبعد الاسلام الحق عن هذا الجبال .

وقد وصف التفسير المنسوب الى ابن عربي كما ذكر الدكتور محمد كركب بأنه ليس تفسيرا للقرآن الكريم حسب اصطلاح المفسرين المسلمين فهو تأويل باطنى بعيد عما يحمله اللفظ القرآنى من معانى الهداية الربانية الحقة ، فصاحبه يتعمد التحريف والتدليس باستغلاله للمعانى الواسعة للالفاظ يوجهها كيف يشاء فتارة يجعلها على الحقيقة وتارة على المجاز حسب غرضه من التأويل فيقصر في شرح آيات وفى تأويلها ويطيل فى أخرى ويضرب صفحا عن عدة آيات فلا يفسرها ولا يؤولها . ويحاول انكار القرآن الموحى به من عند عند الله بواسطة جبريل عليه السلام ، كما يحاول تفضيل الكتب السماوية الأخرى عليه ويفضل بيت المقدس على بيت الله الحرام ، ويعرض بالرسول وبصحابته وبأمته . وقد حدد الباحث فى دراسته أماكن التحريف به والتقصير فى التأويل والشرح والاعراض المقصود وتعمد الدس والتدليس باستغلال المعانى الواسعة للالفاظ مع ابراز ما فيه من التأثيرات الخارجة عن الاسلام وتعمده تشكيك عوام المسلمين فى عقيدتهم وشريعتهم .

وتبين الدراسة أن التفسير المنسوب لابن عربى ليس لابن عربى ولا هو تفسير بالمعنى الصحيح وانما أريد به بث التشكيك فى العقيدة والشريعة، وأنه خطر يجب محاربته والوقوف فى وجهه .

# خاتمة

كانت قضية تصحيح المفاهيم وتحرير القيم والكشف عن الشبهات والأخطاء الشائعة ودحضها رسالة قائمة مستمرة فى تاريخ الفكر الاسلامى كله وفى مقدمة من عنوا بها واولوها اهتمامهم :

الامام الغزالى فى الرد على الباطنية . وفلاسفة الالهيات .

الامام ابن تيمية فى الرد على المناطقة والصوفية والمحرفين .

الامام ابن حزم فى الرد على ابن النغريلة اليهودى وفى كتابة الفصل فى الملل والنحل .

الامام الشاطبى فى كتابيه الاعتصام والموافقات .

الحسن بن عثمان الخياط : فى كتابه الانتصار والرد على ابن الراوندى .

ومن ابرز المؤلفات التى أولت اهتمامها بالكشف عن الشبهات :

( العواصم من القواصم : للقاضى بن العربى )

ويعد القاضى بن العربى أذكى من فطن لدسائس الشعوبية والباطنية .

قال : لن يأمن من يطالع الشبهة من تعلق بفهمه ولا يلتفت الى الجواب ولا يفهم كنهه اذا انتشرت الشبهة فالجواب واجب ولا يمكن الجواب الا بعد عرض الشبهة ثم اظهار فسادها .

وحذر القاضى بن العربى من اهل الأدب وقال انهم غلبت عليهم صناعة الأدب فمالوا الى كل غريب من الأخبار دون أن يتحروا الصدق أو يهتموا بالرواية والاسناد . وأشار الى كثير مما اورده الأدباء مما يتعارض مع التحقيق العلمى أو التوثيق التاريخى .

وقال : هذا كله كذب صراح فما جرى منه حرف قط وانما ذكرت هذا لتحذروا من الخلق ، وخاصة المفسرين والمؤرخين واهل الأدب فانهم اهل جهالة بحرمات الدين أو على بدعة مصرين فلا تبالوا بما رووا ولا تقبلوا راوية الا عن ائمة الحديث .

ثم تعرض ابن العربى الى الفلاسفة السوفسطائيين والطبائعيين والالهيين وناظر الباطنيين والحلوليين وأرباب الاشارات من غلاة الصوفية وظاهرية الأحكام والفرق التى اظهرت بعضها باسم الاسلام . وأخذ على المحدثين ما لديهم من خرافات ورد عليهم واعلن عداءه لمن ارادوا أن يخضعوا الاسلام للفلسفة اليونانية .

(تلبيس ابليس : للامام ابن الجوزى)

قال فى المقدمة انه وضعه محذرا من فتنة مخوفا من محنة . والتلبيس هو اظهار الباطل فى صورة الحق ، وجمع فيه الشبهات المختلفة التى عرفها عصره وفى مقدمتها مذهب الدهرية القائم على انكار الخالق والبعث وجحد النبوات وهو مذهب يستمد اصوله من المجوسية ، ويتصل به من يقولون بالتناسخ وحرق الأجساد ورد على المقلدين الذين ابطلوا منفعة العقل الذى خلق للتأمل أو التدبر ، وهاجم مذاهب المعتزلة والخوارج والرافضة كما عارض أركان التصوف الفلسفى من وحدة الوجود الى الفناء فى الله ، وعرض للسفسطائية والدهرية والثنوية والفلاسفة الذين انكروا بعث الأجساد وعارض الباطنية الذين يبطلون النبوة والعبادات والبعث ويدعون ان لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجرى مع الظواهر مجرى اللب من القشر ، وسفه هذه الآراء كلها وكشف عن انها خارجة عن السنة الصحيحة وعن اصول الاسلام المستمدة من القرآن الكريم .

# ابواب الموسوعة

**( ٢٣٢ مادة )**

صفحة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

## اولا : كشاف وفهرس ابجدى للموضوعات فى الأبواب

## ( من الأول حتى السابع )

## ( ولبابى الكتب والشخصيات فهرس مستقل )

### ( أ )

صفحة

صفحة



( ث )



( ج )



( ح )

صفحة

( ض )



( ط )



( ع )



( غ )



( ف )

صفحة



( ق )



( ك )

صفحة

( ل )



( م )



( ن )

صفحة

( هـ )



( و )



( ى )

## ثانيا : الكتب والمؤلفات

## ثالثاً: تراجم الأعلام

صفحة

صفحة